الرسالة البغدادية



تأليف

أبي حيان علي بن محمّد التوحيدي

المتوفى سنة ٤١٤ هـ

تحقيق: عبود الشالجي

منشورات الجمل

الرسالة البغدادية

تأليف

أبي حيان علي بن محمد التوحيدي

المتوفى سنة ٤١٤هـ

لرّسالة لبغد ية

تأليف

أبي حيان علي بن محمّد التوحيدي

المتوفى سنة ٤١٤ هـ

تحقيق

عبّود الشالجي

منشورات الجمل

ولد عبود الشالجي في محلة الدهانة / صبابيغ الآل في بغداد عام ١٩١١ وتوفي عام ١٩٩٦ في لندن. درس في المدرسة الجعفرية ثم في المدرسة الثانوية (المركزية) وتخرج منها عام ١٩٢٧، ليدخل الى مدرسة الحقوق ويمارس القضاء بعد تخرجه عام ١٩٣٠ في النجف والشامية، ثم في الموصل وخانقين وبغداد حتى استقالته عام ١٩٤٠. مارس المحاماة بعد ذلك حتى عام ١٩٦٩. انتقل الى لبنان وبقي هناك حتى عام ١٩٨٤ ممارساً التحقيق والتأليف. له في التحقيق: **نشوار المحاضرة للتنوخي** (٨ اجزاء)، **الفرج بعد الشدّة للتنوخي** (٥ اجزاء) **والرسالة البغدادية للتوحيدي**. وله في التأليف: **الكنايات العامية البغدادية وموسوعة العذاب** (٧ أجزاء). وقد ضاع له العديد من المؤلفات نتيجة للانتقال من لبنان في أوائل الثمانينات.

يشكر الناشر السيدين **حازم عبود الشالجي** ود. **جليل العطية** لمساعداتهما الجمة. صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٨٠ على نفقة المحقق في بيروت لدى «مطبعة دار الكتب».

الرسالة البغدادية لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق: عبود الشالجي

صورة الغلاف تخطيط من طبعة ألف ليلة وليلة ١٨٠٨–١٨٤١ في المانيا.

Postfach 600501
50685 Köln - Germany
Tel: 0221 73 69 82
Fax: 0221 732 67 63

تطلب كافة اصدارات «منشورات الجمل» من الناشر مباشرة أو من:
المركز الثقافي العربي: لبنان – بيروت ص. ب. (٥١٥٨/١١٣)

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

و به أستعين

الرسالة البغدادية ، كما يدلّ عليها اسمها ، رسالة قصرها صاحبها البغدادي على الحديث عن بغداد ، فهي — كما قال — تكشف عن « اخلاق البغداديين ، على تباين طبقاتهم ، وكالأنموذج المأخوذ عن عاداتهم » ، وجعل هذه الرسالة ، مشتملة على « حكاية مقدّرة على أحوال يوم واحد ، من أوّله إلى آخره » ، تحدّث فيها عن رجل بغدادي ، دخل إلى دار في أصبهان ، وقت الضحى ، فقضى فيها نهاره وليله ، وغادرها في صباح اليوم التالي ، واتّخذ من المقارنة بين أصبهان وبغداد ، في المكان والمكين ، وسيلة للحديث عن بغداد ، فامتدح طيب هوائها ، وأثنى على تأنّق البغداديّين ، في لباسهم ، ومساكنهم ، وعطورهم ، وموائدهم ، وفي مجالس شرابهم وغنائهم ، وهو لا يترك فصلاً من هذه الفصول إلى غيره ، إلا بعد أن يتبسّط فيه تبسّطاً يدلّ على عمق في المعرفة ، ويرسم فيه لوحة مبدعة ، وهو إذا تحدّث عن بغداد ، ذكر مواطن المتعة والسرور فيها ، وتحدّث عن « دجلة المشحونة بالمراكب والزوارق ، المحفوفة بالقصور والجواسق ، ترتفع ما بينها أصوات الأغاني ، وخفقات النايات والسواني ،

وأصوات الملاّحين ، وزعقات المؤذّنين ، ترى — والله — جمالاً وكمالاً ، وتسمع من ألحانها الشجيّة سحراً حلالاً » ، وإذا تحدّث عن تأنّق البغداديين في اللباس ، ذكر ما يرتدون من « الثياب الدبيقية والقصب والعتّابية » وإذا تحدّث عن مساكنهم ، وصف « سقوفها المغشاة بالساج ، والمزيّنة تعاريجها بالابنوس والعاج » وإذا تحدّث عما في باطن البيوت من الرياش ، حدّثك عن « الزلالي المغربية ، والطنافس الخرشنيّة ، والنخاخ الأندلسية ، والقرطبية ، والمطارح الأرمنيّة ، والقطف الرومية ، والمقاعد التسترية ، والأنطاع المذهبة المغربية ، والمخادّ المذهبة الدبيقية ، والطراحات القبرصية » ، وإذا تحدث عن العطر الذي يتعطّر به البغداديون ، ذكر « المثلثة البرمكية ، والسكرية ، والجوهرية ، والعمارية ، وعن أصناف الذرائر ، والغوالي ، والساهريّات ، والأدهان ، واللخالخ ، والنضوح ، والشمّامات ، وأصناف الندّ ، والعود ، والمسك ، والعنبر ، والكافور ، وماء الورد الجوري ، والصندل » وإذا تحدث عن المائدة ببغداد ، بدأ بوصف الخوان القوائمي « الذي قوائمه منه ، خلنج خراساني ، بلا وصل ولا كسر » ، ثم يصف ما على الخوان ، « من تزايين المائدة ، والكوامخ ، والبقول ، والمري ، وأصناف الشواء ، وألوان الطعام ، والقلايا ، والطباهجات ، والحلويات من خبيص ، ومرمل ، ولوزينج ، وفالوذج ، وعصائد ، وقطائف ، وزلابية » ، ثم ينتقل بعد انتهائه من الطعام إلى غسل الأيدي ، فيصف الطست والإبريق ، والأشنان الذي يشتمل على « الأرز المطحون ، والطين الخراساني ، والكندر ، والسعد ، والصندل المقاصيري ، والمسك ، وذريرة المسك ، والكافور ، وجنبذ الورد الجوري » ، ثم يصف الفواكه التي يطعمها البغداديون ، من « موز ، وجلموز ، وشاهبلوط ، ونارجيل ، وفستق رطب ، وقصب السكر ، والخوخ بنوعيه من مسكيّ ، وشمعيّ ، والبطيخ (الرقيّ) بأصنافه من نرمشي ، وقفصي ، وخراساني ، والعنب الرازقي ، المخطف الحصور ،

كأنه أصابع البلور ، والتين الوزيري ، والتفاح المسكي ، والداماني ، والسفرجل ، والرمان ، والمشمش ، والكمثرى بأصنافه ، من شامي ، وسلطاني ، وزرجون ، ونهاوندي ، وخزري ، وسجستاني ، وصيني » ، ثم يذكر من بعد ذلك ، ثلاثين صنفاً من التمر ، أوّلها بسر ماء السكر ، وآخرها الآزاد (الزهدي) « العلك اللزج ، الذي كأنّه القند ، أو شهد مقمّع بالعقيق » .

ثم ينتقل إلى وصف الرياحين التي يستعملها البغداديون ، ويصف مجالس السرور والمرح عندهم ، « بين آسٍ مخضود ، وورد منضود ، ودنّ مفصود ، وناي وعود » ، ثم يصف ما اشتمل عليه المجلس من أصناف الزجاج ، « من محكم ومخروط ، ومينا ، وقطولي ، مجرى بالذهب » ، ويصف ما يتناوله البغداديّون في هذه المجالس من الخمور ، من « عراقية ، وسورية ، وبابلية ، وصريفينية » ، ثم ينتقل إلى وصف الجواري البغداديات « من مغنيّات ، وكراعات ، وزامرات ، وطبالات ، وصناجات ، ورقاصات ، وعوّادات » ، ويصف كيفية حضور المغنية ، وما تلبس ، وكيف تجلس في المجلس ، ويمدّ في وجهها إزار قصب أبيض ، وكيف تقبض حافظتها الازار ، فتظهر من ورائه متنقّبة ، ثم تخلع نقابها ، ثم تلاطف الحاضرين ، ثم تمسك عودها ، وتبدأ بالنشيد ، ثم بصوت من البسيط ، وتتبعه بهزج ، ثم ينتقل إلى وصف الجواري البغداديات « ذوات الألفاظ الملاح ، والأوجه الصباح » ، ويتحدّث عن نوادرهنّ ، ويتبسّط بالحديث عن زاد مهر ، جارية ابن جمهور العمّي ، ويتبعه بأقاصيص عن جوارٍ أخر بغداديات ، ثم يتحدّث عن المغنيات ببغداد ، وعن الأصوات التي اشتهرن باتقانها ، وعما يصيب المعجبين بهنّ ، من فضلاء ، ووجهاء ، وفقهاء ، وقضاة ، وعدول ، عند سماعهم الغناء ، ثم أثبت إحصاءً قام به وجماعة من أهل الكرخ ، في السنة ٣٦٠ للمغنيات والمغنين في بغداد ، فذكر أنّهم أحصوا أربعمائة وستين جارية في الجانبين

(جانبي بغداد) ، ومائة وعشر حرائر ، وخمسة وسبعين غلاماً (في الإمتاع ١٨٣/٢ : خمسة وتسعين) » يجمعون من الحسن والحذق والظرف ، ما يفوق حدود الوصف ، هذا سوى من كنا لا نظفر بهم ، ولا نصل إليهم ، لعزّتهم ، وحرسهم ، ورقبائهم ، وسوى من كنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء والضرب ، إلا إذا نشط في وقت ، أو ثمل في حال ، وخلع العذار في هوىً قد حالفه وأخفاه » .

وهو ، في كلّ فصل من فصول الرسالة ، إذا أتمّ حديثاً عن بغداد ، عاد ، فقارن ذلك ، بما يقابله في أصبهان ، وأسرف في ذمّ أهلها ، وأقحم ضمن هذه الفصول ، فصلاً عن الخيل العِراب في بغداد ، وما قيل فيها ، وفصلاً عن الشطرنج ، ثم تحدّث عن أوضاع تعلّمها في السباحة ، من أستاذي سباحة في بغداد ، وأتبعه بفصل تحدث فيه عن الملاّحين ، وأورد بعض ألفاظهم .

وبعد أن يتناول طعامه ، يتبعه بالشراب ، فيسكر ، ويعربد ، ويشتم المضيف ، والحاضرين ، نثراً ونظماً ، شتائم بغدادية منتقاة ، ثم يغلبه السكر ، فينطرح صريعاً ، ويستيقظ بالغداة ، فيعاود ما كان عليه من تظاهر بالتقوى والديانة .

وأوّل من تنبّه إلى هذه الرسالة ، المستشرق الألماني آدم متز ، فحقّقها ، وأخرجها للناس في السنة ١٩٠٢ ، في مطبعة من مطابع هيدلبرج ، وبالرغم مما وجده في المخطوطة من تصحيف ، فقد استطاع بعد الجهد ، أن يصلح كثيراً من أخطائها ، وأن يصحّح مقداراً وافراً من التصحيف الموجود فيها ، وكتب للرسالة مقدّمة دلّت على وافر فضله ، وعلى ما بذله في تحقيقها من جهد ، واتبع المقدمة بثبت أدرج فيه شروحاً لبعض الكلمات التي رأى أنها في حاجة إلى شرح ، وكان الرجل وافر الأمانة في تحقيقه ، وهو إذا لم يتوصّل إلى تصحيح التصحيف في كلمة من الكلمات ، كتب يقول إنه لم

يفهمها ، وبالرغم من الجهــد الذي بذله في التحقيق ، وفي تصحيح التصحيف ، فقد بقي فيها مقدار وافر من الكلمات المصحفة .

ومما يقتضي ذكره ، انّ الرسالة البغدادية ، كانت — على ما ورد في المقدمة — مذيّلة بحكاية بدوية ، أي إنّها بلسان البدو وألفاظهم ، ولكنها ضاعت ، ولم تثبت في مكانها من الذيل ، كما أنّ صحائف من الرسالة قد ضاعت ، وقد أشار المحقق الاستاذ متز إلى ذلك في موضعه .

أما فيما يتعلق بصاحب الرسالة ، فإنه لم يصرح باسمه ، وإنما كنى عن اسمه فيها ، فخرجت الرسالة تحمل اسماً رمزياً ، ولكن دلّ على أنّ صاحبها أبو حيّان التوحيدي دلائل عدّة ، منها انّ أسلوب التوحيدي ظاهر واضح فيها ، يكاد ينطق باسم صاحبها ، رغم تستّره بالكنايات ، ومنها : إنّ أجزاءً من هذه الرسالة ، قد أثبتها التوحيدي في مؤلفاته الأخرى ، فإنّ حديثه عن المغنيّات البغداديات ، قد اثبته في هذه الرسالة ، ثم نقله بنصّه وفصّه إلى كتاب الإمتاع والمؤانسة ، فاستغرق فيه فصلاً كاملاً ، يقارب العشرين من الصفحات ، كما أثبت في هذه الرسالة ، وفي كتاب الإمتاع والمؤانسة ، بالنصّ ، الخبر الذي ذكر فيه انّه وجماعة من أهل الكرخ ، قاموا في السنة ٣٦٠ بإحصاء المغنين والمغنيات بجانبي بغداد ، مما يدل على أنّ صاحب الرسالة ، وصاحب الإمتاع والمؤانسة ، شخص واحد ، وهناك كثير من الأخبار والأحاديث التي وردت في البصائر والذخائر ، وردت بألفاظها ، أو بشيء من التحوير في هذه الرسالة ، وقد أشرت إلى كلّ خبر من الأخبار في موضعه ، وزيادة عما تقدم ، فإنّ ياقوت في معجمه ، ومن أعقبه من المؤلّفين أثبتوا ، أنّ الرسالة البغدادية ، من جملة مؤلفات أبي حيان التوحيدي ، والمنافرة التي أقامها صاحب الرسالة البغدادية بين بغداد وأصبهان ، دليل آخر على أنّها من تأليف التوحيدي ، فهو في الرسالة يمتدح بغداد ، دار صباه وفتوتّه ،

ويذمّ أصبهان ، التي أقام فيها ثلاث سنين ، فما حمد منها شيئاً ، ثم غادرها غاضباً على من فيها ، وأوّلهم الصاحب كافي الكفاة ، وها هنا فائدة أخرى ، وهي أن بحث التوحيدي عن أصبهان ، يدلّنا على أنّه كتب هذه الرسالة ، بعد مغادرته لها في السنة ٣٧٠ ، ولعلّه ألّفها في السنة ٣٧١ وهي السنة التي اشتغل فيها بالنسخ ، فنسخ فيها كتاب الحيوان ، وبدأ فيها بتأليف كتاب الصداقة والصديق ، ونقل إلى الرسالة أخباراً كان قد أثبتها في كتابه البصائر والذخائر ، حتى إذا اتّصل في السنة ٣٧٣ بالوزير ابن سعدان ، وزير صمصام الدولة ، وعقد معه مجالس ، أعقبت وأثمرت كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي ألّفه في السنة ٣٧٤ ، نقل إليه أبحاثاً مطولة مما كان قد أثبته في الرسالة البغدادية .

إنّ خير من كتب عن أبي حيان التوحيدي ، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، فإنّ كتابه عن التوحيدي ، جمع فأوعى ، ولم يترك مقالاً لقائل ، ومما يبعث على العجب ، أنّ أديباً لوذعياً مثله ، كتب عن التوحيدي ، واطّلع على البصائر والذخائر ، وعلى الإمتاع والمؤانسة ، وذكر في كتابه أنّ أبا حيان ألّف الرسالة البغدادية ، وأنّ ياقوت ذكرها في معجمه ، وأنّ المؤرخين تابعوه على ذلك ، ثم يقول إنه لم يعرف للرسالة نسخة ، ولا مصدراً نقل منها نصّاً ، مع أنّ الدكتور ألّف كتابه في السنة ١٩٤٨ ، والرسالة البغدادية مطبوعة في هيدلبرج منذ السنة ١٩٠٢ .

كنى التوحيدي عن نفسه ، في هذه الرسالة ، باسم أبي المطهّر محمد بن أحمد الأزدي، رحمة الله عليه، والمطهّر من الطهور، ومحمد وأحمد من الحمد، ورحمة الله تشمل الحيّ والميت ، أما الأزدي فهي نسبته إلى قبيلة الأزد اليمانية ، إذ لا تأويل لها ، ولا كناية فيها .

وكنى التوحيدي عن نفسه ، في بطن الرسالة ، باسم المجلي أبي القاسم أحمد بن علي التميمي البغدادي ، والمجلّي من السبق ، والقاسم من

القسامة ، أي الجمال ، وأحمد من الحمد ، وعلي من العلو ، والتميمي ، من التميم ، الكامل الخلق الشديد ، أما البغدادي ، فهي نسبته إلى بغداد ، إذ لا تأويل لها ، ولا كناية فيها .

إنّ الذي دفع التوحيدي ، إلى الكناية عن أسمه ، في هذه الرسالة ، كثرة ما أورده فيها من ألفاظ وعبارات ، تقرع الآذان قرعاً عنيفاً ، وكنت على أن أجرّد الرسالة من تلك الالفاظ والعبارات ، وأكثرها من شعر ابن الحجاج الممتلىء بالسخف والقذر ، هذا الشعر الذي وصفه صاحبه فقال :

شعر يفيض الكنيف منه من جانبي خاطري ونحري
نسيمه منتن المعاني كأنّه فلتةٌ بجحر[1]

وأضاف اليها التوحيدي من شعره الذي ينحطّ عن طبقة المتوسط ، ويجمع بين الغثاثة والبرودة ، فضلاً عما فيه من المجاهرة بما هو أقبح مما جاهر به ابن الحجاج ، إلاّ أنّ إخواني من الاساتذة الفضلاء ، كان من رأيهم أنّ الالتزام بنشر ما وصل الينا كاملاً ، من دون حذف ، أمر واجب ، صيانة للتراث والتزاماً بواجب الامانة العلمية ، فانصعت إلى رأيهم ، ولكن على مضض ، وأخرجت الرسالة لقراء الكتاب العربي ، بعجرها وبجرها .

ويفرض عليّ الواجب في خاتمة هذه المقدمة ، أن أنوّه شاكراً بالجهد الذي بذله الدكتور احسان عباس ، الاستاذ ، العالم ، المحقق ، في سبيل اخراج هذه الرسالة ، فقد استحضر لي النسخة الاصل التي بنى عليها الاستاذ متز تحقيقه ، وراجع عليها المسوّدة التي حررتها ، وأثبت فيها

---

١ – يتيمة الدهر للثعالبي ٣/٣٣ .

تصحيحاته ، وأصلح كثيراً من الكلمات التي وردت مصحّفة في الأصل ، وشرح البعض الذي احتاج للشرح ، فله منّي الشكر الوافر والثناء العاطر .

ومن الله اسأل التأييد والاعانة ، والحفظ والصيانة ، إنّه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

بحمدون في ٣ حزيران ١٩٧٨

عبّود الشالجي

ترجمة المؤلف

أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، الاديب ، اللغوي ، الفيلسوف ، قال عنه ياقوت : فيلسوف الادباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقّق الكلام ، ومتكلّم المحقّقين ، وامام البلغاء ، وفرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة ، وفصاحة ومكنة ، واسع الدراية والرواية [1] .

وقال عنه أحد الباحثين : كان أبو حيان فيلسوفاً مع الفلاسفة ، ومتكلّماً مع المتكلّمين ، ولغويّاً مع اللغويّين ، ومتصوفاً مع المتصوّفين ، يتّسع أفقه في كلّ مجال .

وقال عنه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين : كان أبو حيان مزوّداً بكفايات يكفي أهونها لبلوغ حظّ من حياة كريمة ، فقد كان كاتباً ، أدنى ما يقال فيه انّه من طبقة ابن العميد ، والصاحب ، والصابي ، وابن سعدان ، وعبد العزيز بن يوسف ، وكان إماماً في النحو ، وفي اللغة ، وفي الفقه ، وفي الكلام والتصوف والفلسفة [2] .

وقال عنه : انّ له قابلية خارقة على تقمص الاساليب والنفوس ، وله حافظة قوية ، وذاكرة مدهشة ، إلى صبر وجلد على تسجيل ما يحفظ ،

---

١ — معجم الادباء ٥/٣٨٠ .

٢ — ابو حيان التوحيدي ٣٠ .

وكتابة ما يروي ، اما بحاق اللفظ ونص الاصل ، واما بالمعنى في زيادة أو نقص يسير أو كثير [١] .

وأحسن من كتب عن التوحيدي ، هو الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، وانا في تحرير هذه الترجمة ، انما أغرف من بحره ، غير انّه ترك في بحثه نقاطاً يحوطها شيء من الغموض ، لاغفاله مرجعاً من المراجع التي كان في تضاعيفها الجواب الحاسم الذي يوضح ذلك الغموض ، وكان قد تساءل في ابتداء كتابه ، تساؤلات وأجاب عليها إجابات استعان على الوصول اليها بالقرائن التي اجتمعت لديه ، وقد ظهر بعد ذلك من الحقائق ، ما يؤيّد جميع ما ذهب اليه من استنتاجات .

بحث الدكتور محيي الدين ، في كتابه ، عن اختلاف المؤرخين في اخبارهم عن التوحيدي :

من ناحية العنصر : اهو فارسي ام عربي .

ومن حيث الموطن : ابغدادي هو ، او واسطي ، او نيسابوري ، او شيرازي .

ومن حيث العقيدة : مؤمن مصدق ، او زنديق ملحد .

ومن حيث الرواية : وضّاع مختلق ، أو ثبت حافظ .

ومن حيث الطريقة : صوفي عارف ، أو أفاق محترف .

وبمثل ذلك يجري الخلاف في عام مولده ووفاته [٢] .

وبعد أن ناقش الدكتور ، ما اجتمع لديه من أدلّة ، وما توفر عنده

١ – ابو حيان التوحيدي ١٠٩ .
٢ – ابو حيان التوحيدي ١ .

من قرائن ، هداه صفاء ذهنه ، ورهافة حسّه ، إلى اثبات أجوبة صحيحة ، على تلك التساؤلات .

ذكر في وصفه انّه كان صحيح البنية ، قوي المزاج ، جهير الصوت ، قويّ البدن ، زري الهيأة [١] .

ووصف التوحيدي نفسه في الرسالة البغدادية ، بأنه شيخ بلحية بيضاء ، تلمع في حمرة وجه يكاد يقطر منه الخمر الصرف ، وله عينان كأنّه ينظر بهما من زجاج أخضر ، تبصّان كأنّهما تدوران على زئبق .

واستقرّ رأي الدكتور ، على أنّ أبا حيان كان عربي الاصل [٢] .

وجاءت الرسالة البغدادية ، تؤيد هذا الاستنتاج ، وتزيد عليها بأن عيّنت القبيلة التي ينتسب اليها التوحيدي ، وهي قبيلة الازد اليمانية .

ولعلّ هيأة التوحيدي ، في حمرة وجهه ، وخضرة عينيه ، أدّت ببعض معاصريه ، إلى أن ينسبه لغير العرب ، ولكن لون الوجه والعينين ، ليسا بحجّة في اثبات نسب أو نفيه .

وكان رأي الدكتور ، انّ التوحيدي بغدادي [٣] .

وقد أيّدت الرسالة البغدادية هذا الرأي ، فقد وصف مؤلفها نفسه بالبغدادي ، ووصف بغداد ، بأنّها « بلده ، وتربته التي لا يرضى عنها بجنة الخلد ولو عجّلت له» ، ويقول في الرسالة ، إنّه مقيم بسكة الجوهري ، وله في الرسالة إشارات تدلّ على أنّه نشأ ببغداد ، فهو يقول إنّه تعلم

١ ــ ابو حيان التوحيدي ٢٨ .
٢ ــ ابو حيان التوحيدي ١٨ .
٣ ــ ابو حيان التوحيدي ١٩ .

السباحة فيها من استاذين بغداديّين ، والسباحة إنّما يتعلمها الصبيان ، وحدّثنا في البصائر والذخائر عن عمّ له في بغداد ، في قطيعة الربيع ، ذكر لنا انّه كان يتنقّص التوحيدي ابن اخيه ، « لانّه كان يأكل أربعة أرغفة »[1] ، كما حدّثنا في الامتاع والمؤانسة ، عن دار له ببغداد ، بمحلة بين السورين ، بالجانب الغربي ، اجتيحت ، وعن اثاث له سرق ، وعن جارية له ريعت فماتت[2] ، وانّ ذلك حصل وقت الفتنة ، فان صح ما رواه عن عمّه ، وأضيف إليه ما رواه ابن خلكان في الوفيات عنه ، بانّ أباه كان بقّالاً يبيع التمر المسمى بالتوحيد ، وانّ هذا سبب تلقيبه بالتوحيدي[3] ، دلّ كلّ ذلك على أنّ أبا حيان نبع من عائلة ليس بينها وبين الثقافة نسب ، وانّه كان عصامياً أنشأ نفسه وبناها ، بوافر ذكائه ، وعظيم حرصه على نيل المعرفة .

اما سنّ التوحيدي ، فيرشدنا اليها اصلاح تصحيف ورد في كتاب معجم الادباء ، وكان هذا التصحيف السبب في الارتباك الذي رافق تقدير سنّ أبي حيان ، ذلك انّ الثابت لدينا أنّ التوحيدي توفّي في السنة ٤١٤[4] ، والثابت كذلك إنّه كتب في السنة ٤٠٠ رسالة إلى القاضي علي بن محمد ، يبرّر فيها عمله في إحراق مؤلّفاته[5] ، ويقول فيها « إنّه في عشر السبعين » وقد صحّفها الناسخ أو المحقّق ، فكتبها وقرأها « في عشر التسعين » فاتّخذها كثير من ذوي الفضل ، ومنهم الدكتور محيي الدين ، حجّة ، وساقوا أبحاثهم ، على أساس صحّتها ، مع أنّ التصحيف كثير الوقوع

١ ـ البصائر والذخائر ج ٢ ق ٢ ص ٤٧٥ .
٢ ـ الامتاع والمؤانسة ٣/١٦١ و ١٦٢ .
٣ ـ وفيات الاعيان ٥/١١٣ .
٤ ـ ابو حيان التوحيدي ١٢ و ١٣ .
٥ ـ معجم الادباء ٥/٣٨٦ ـ ٣٩٢ .

بين التسعين والسبعين ، حتى انّ الدكتور محيي الدين ذكر في كتابه عن التوحيدي ، تصحيفاً من هذا النوع ، ورد فيه التاريخ « سنة احدى وتسعين وثلثمائة » فأصلحه الدكتور ، وذكر انّ الرقم الصحيح هو « سنة احدى وسبعين وثلثمائة »[1] ، وكان عليه أن يصلح « تسعين » معجم الادباء ، ويعيدها إلى « سبعين » كما أصلح « تسعين » المقابسات ، فأعادها « سبعين » .

إنّ إصلاح هذا التصحيف ، بإعادة التسعين إلى السبعين ، يؤيّده الكثير من الاخبار المتعلّقة بأبي حيان ، أوّلها وفاته في السنة ٤١٤ اذ يكون قد تجاوز الثمانين بسنة أو سنتين ، وينبني على هذا التصحيح ان نحتسب ولادة ابي حيان فيما بين السنتين ٣٣٢ و ٣٣٥ .

وعلى هذا فيكون قد حجّ ماشياً على قدميه في السنة ٣٥٢ وهو ما بين الثامنة عشرة والعشرين .

وقصد أبا الفضل بن العميد ، بالري ، في السنة ٣٥٨ وهو في السادسة والعشرين .

وأحصى مع رفاق له ، من شباب أهل الكرخ ، المغنّين والمغنّيات في جانبي بغداد في السنة ٣٦٠ وهو في الثامنة والعشرين .

وهو في السنة ٣٦٢ كانت له دار في الجانب الغربي ببغداد ، في محلة بين السورين ، وكان اذ ذاك في الثلاثين .

وكان في السنة ٣٦٤ يحضر مجالس أبي الفتح بن العميد ببغداد ، وقد عبر الثلاثين بسنة أو سنتين .

١ ــ ابو حيان التوحيدي ٢٢٩ .

وفي السنة ٣٦٥ انتجع أبا الفتح بن العميد ، وعاد خائباً ، وقد أثبت في رسالته إلى أبي الفتح ، قوله : إنّ شبابي عاد هرماً بالفقر ، وكان إذ ذاك قد عبر الثلاثين وجازها بسنتين أو ثلاث سنين .

وفي السنة ٣٦٥ ألّف كتاب البصائر والذخائر .

وفي السنة ٣٦٧ قصد حضرة الصاحب بن عباد ، بأصبهان ، وكان اذ ذاك في الخامسة والثلاثين ، وقضى ببابه ثلاث سنين ، وهو يحدّثنا عن موقف له ، في مجلس الصاحب ، قال فيه : فلما وفيت الشعر ، ورويت الاسناد ، وريقي بليل ، ولساني طلق ، ووجهي متهلّل ، وقد تكلّفت هذا ، وأنا « في بقية من غرب الشباب ، وبعض ريعانه » .

وفي السنة ٣٧٠ قفل عائداً إلى بغداد ، حيث « فارق باب الصاحب ، عائداً إلى مدينة السلام ، بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطه في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ، ولا ما قيمته درهم واحد » ، وكان سنّه اذ ذاك ، قد قارب الأربعين .

وفي السنة ٣٧١ اشتغل بالنسخ ، فنسخ كتاب الحيوان ، والّف كتاب الصداقة والصديق ، وأحسب انّه في هذه الفترة ، كتب رسالته البغدادية ، موضوع بحثنا ، فهو يتحدّث فيها عن اصبهان ، حديث العارف بها ، ويسمّي محلاّتها ، ويصف مجالسها ، وقد أفاض على اصبهان شيئاً من حقده على الصاحب ، فذمّها ، وهجا أهلها ، ونقل إلى الرسالة ، أخباراً كان قد اثبتها في البصائر والذخائر .

وفي السنة ٣٧٣ ، وكان إذ ذاك ، قد عبر الاربعين ، اتّصل بالوزير ابن سعدان ، وزير صمصام الدولة ، وعقد له مجالس جمعها في كتاب الامتاع والمؤانسة ، الذي كتبه في السنة ٣٧٤ ، وأثبت فيه فصلاً

كاملاً ، مما اشتملت عليه الرسالة البغدادية ، وهو بحثه عن المغنّيات والقيان والمغنّين ببغداد [1] .

وفي السنة ٣٧٥ حُبس الوزير ابن سعدان ، ثم قتل ، وكان حبس الوزير في ذلك الحين ، يعني حبسه ، ومصادرته ، وحبس اصحابه ، ومصادرتهم ، وكان أبو حيان في سبيل تملّقه لابن سعدان ، قد اثبت في الامتاع والمؤانسة ألواناً من الشتم المقذع في عبد العزيز بن يوسف ، خصم ابن سعدان ، وخلفه في الوزارة ، وكان من جملة ما قاله فيه : انّه من أخسّ خلق الله ، وأنتن الناس ، وأقذر الناس ، لا منظر ولا مخبر ، وانّ أمّه كانت مغنّية ، وانّ أباه كان من اسقاط الناس ، أما هو فقد نشأ مع أشكاله في مكتب الربضي « على أحوال فاحشة »[2] ، ومن يكتب هذا في كتاب ، فلا شكّ إنّه تفوّه بأشدّ منه وأقبح ، إن كان ثمة ما هو أشدّ من هذا الكلام وأقبح ، ولا بدّ أن يكون بعض ما تفوّه به ، وما كتبه ، قد بلغ المشتوم الوزير أبا القاسم ، اذ كان لرجال الدولة ، في ذلك الحين عيون وأعوان ، وكانوا يتجسّسون على بعضهم ، ويدسّ بعضهم لبعض ، ويدبرون المكائد ، وينصبون الشراك ، ويحوكون الحبائل ، وكانت عاقبة إحدى هذه المؤامرات ، أن أودت بالوزير ابن سعدان ، فحبس أوّلاً ، وقتل ثانياً ، وحلّ محلّه في الحكم والسلطان ، الوزير ابو القاسم ، الذي هو « أخسّ الناس ، وأنتن الناس ، وأقذر الناس » ، وقد كان أبو حيان من أحسن الناس حظاً ، إذ لم يعثر جلاوزة الوزير عليه ، وفرّ ناجياً بنفسه ، والتجأ إلى شيراز ، ومكث هناك حاضراً كغائب ، وظاهراً كمستتر ، وقضى بقية عمره هناك ، راضياً من الغنيمة بالاياب ، وقد عيّن لنا أبو حيان ، في رسالته التي بعث بها في السنة ٤٠٠ إلى القاضي ابي سهل ، مدة

١ ـــ الامتاع والمؤانسة ١٨٣/٢ .
٢ ـــ الامتاع والمؤانسة ١٥٠/٣ .

اقامته في شيراز ، ووصف حياته هنالك ، فقال عن اهالي شيراز ، « انّه جاورهم عشرين سنة ، فما صحّ له من أحدهم وداد ، ولا ظهر له من انسان منهم حفاظ ، ولقد اضطر بينهم ، بعد الشهرة والمعرفة ، في أوقات كثيرة ، إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفّف الفاضح عند الخاصّة والعامّة ، وإلى بيع الدين والمروءة »[١] ، وكان أبو حيان إذ ذاك ، كما ذكر في رسالته « في عشر السبعين » .

وفي السنة ٤١٤ توفّي أبو حيان وقد عبر الثمانين .

اما من جهة اختلاف المؤرّخين بشأن التوحيدي فيما روى ، وهل كان وضّاعاً مختلقاً ، أو ثبتاً حافظاً ، فانّ اكثر المؤرّخين اتّهموه بالوضع ، وكان أكثرهم رفقاً به ، الدكتور محيي الدين ، اذ اعترف بأنّه وضّاع ، وحاول أن يجد له عذراً في الوضع ، فقال ، بعد أن أثبت أقوال من اتّهمه بالوضع : ما كان أبو حيان راوية نصّ لا يعدوه ، بل كان كاتباً يخضع لضرورات التصوير والتعبير ، فان كان الافتعال الذي يصمونه به من هذا النوع ، فلا سبيل إلى تبرئته منه[٢] ، والدكتور يؤيّد المؤرخين في كونه وضّاعاً ، ولكنّه يعتبره من الوضع الذي لا يقدح في دينه ، وأنا لا اؤيّده فيما ذهب اليه ، فانّ الوضع وضع ، وقد ضري أبو حيان على الوضع والتزوير ، وأصبح له به ولع عجيب ، فطن له كلّ من قرأ رسائله من الفضلاء ، وهو لبراعته ، ولطيف توصّله ، اذا زوّر رسالة من الرسائل ، أو خبراً من الاخبار ، أوهم كثيراً ممن يقرأه أو يستمع اليه ، انّه خبر صحيح ، وهذا من اخطر ألوان التزوير ، وأشدّها ضرراً ، وأعظم من زوّر أبو حيان عنهم ، أبو بكر الصدّيق ، فقد زوّر على لسانه رسالة ،

١ — معجم الادباء ٣٨٨/٥ .

٢ — ابو حيان التوحيدي ١١٩ .

زعم انّه بعث بها إلى الامام علي بن أبي طالب ، فصدّقه الاقلّون ، وكذّبه الاكثرون ، وكان ابن أبي الحديد ممن كذّبه ، فقـد اثبت الرسالة المزوّرة في كتابه في شرح نهج البلاغة ، ثم قال : الذي يغلب على ظني ، انّ هذه المراسلات والمحاورات والكلام ، كلّه مصنوع موضوع ، وانّه من كلام أبي حيان التوحيدي ، لأنّه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه ، وقد حفظنا كلام عمر ورسائله ، وكلام أبي بكر وخطبه ، فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب ، ولا يسلكان هذا السبيل في كلامهما ، وهذا كلام عليه أثر التوليد ، ليس يخفى ، وأين أبو بكر وعمر من البديع ، وصناعة المحدثين ، ومن تأمّل كلام أبي حيان ، عرف أنّ هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدل عليه أنّه أسنده إلى القاضي أبي حامد المروروذي ، وهذه عادته في كتاب البصائر ، يسند إلى القاضي ابي حامد كلّ ما يريد أن يقوله هو ، من تلقاء نفسه [١] .

وصدق ابن ابي الحديد في قوله بتزوير الرسالة ، وأيّده في ذلك اعتراف التوحيدي بأنّه زوّرها ، وهذا الاعتراف نقله الحافظ الذهبي ، عمن اعترف له أبو حيان بذلك [٢] ، كما صدق ابن ابي الحديد في اتّهامه التوحيدي ، بأنّه كان ينسب إلى أبي حامد المروروذي ما كان يريد أن يقوله هو ، والذي جرّأه على هذا التزوير ، أنّ أبا حامد توفّي في السنة ٣٦٢ ، فلما باشر التوحيدي بتأليف البصائر والذخائر في السنة ٣٦٥ لم يتحرّج من الكذب على رجل قد مات .

وزوّر ابو حيان ، كذلك ، وصيّة على لسان العباس ، عمّ النبي صلوات الله عليه ، يوصي بها ابن أخيه علياً ، وكأنّه أحسّ بانّه سوف

---

١ — ابو حيا ن التوحيدي ١٠٤ .
٢ — ابو حيان التوحيدي ١٠٨ .

يكذّب ، فدعمها بكذبة اخرى ، اذ زعم أنّه وجدها بخطّ الصولي ، عن الجاحظ ، وكان سبيل هذه الوصية ، سبيل الرسالة المزوّرة عن أبي بكر ، إذ أن اسلوبها يصرّح بأنّها من انشاء ابي حيّان .

وزوّر كذلك حديثاً ، على لسان ثابت بن قرّة الصابي ، زعم انّه سمعه من ابي سعيد السيرافي ، عن جماعة من الصابئين ، في الثناء على الفاروق عمر بن الخطاب ، وعلى الحسن البصري ، والجاحظ ، ولعمري انّ الثلاثة يستحقون من الثناء ، أكثر مما ورد في الرسالة ، ولكنّ ذلك لا ينفي انّ الرسالة مزوّرة ، وأسلوبها يدلّ على انّها من صنع أبي حيان .

وكانت هذه الرسائل المزوّرة ، مقدّمة لكثير مثلها ، فإنّ أبا حيان استمرأ هذا المرعى ، فأخذ يزوّر الرسائل ، ويثبتها في مؤلّفاته ، ومؤلّفه في شتم الوزيرين ، يعجّ بعدد من هــذه الرسائل ، كلّها مزوّرة ، لا تستثن منها واحدة ، فقد زوّر رسالة في شتم ابن العميد ، زعم أنّ والده العميد ، كتبها ، وبعث بها إلى قاضي اصبهان ، تشتمل على إقذاع في شتم ولده[1]، ولم يكتف بذلك ، بل زوّر رسالة على لسان قاضي أصبهان ، إلى العميد ، جواباً على رسالته[2]، والتوحيدي إذ يزوّر هاتين الرسالتين ، اللتين يزعم انّهما بين وزير بخراسان ، وقاض بأصبهان ، ثم يكتفي بعدها لدعم ادعائه ، بأن يقول: افادنا بذلك حمزة المصنف ، وكلّنا حما ميز الله، بل انّ التوحيدي لا يستحي ، بعد اثباته هذه الرسالة البيّنة الكذب ، ان يقول : حدثني أبو العادي الصوفي ببخارى ، قال : كنت عند العميد ببخارى ، وجرى ذكر ابنه أبي الفضل ، فقال : كنت أشكّ في ولادته قبل هذا ، والآن فقد تحقّق عندي ما كان يريبني منه[3] ، وهل يعقل ان

١ ــ اخلاق الوزيرين ٣٥٣ ــ ٣٥٨ .
٢ ــ اخلاق الوزيرين ٣٥٨ ــ ٣٦٠ .
٣ ــ اخلاق الوزيرين ٣٥٨ .

يتحدّث وزير صاحب خراسان ، وهو في دسته ، لحضّار مجلسه ، فيقول لهم إنّ امرأته زانية ، وانّ ولده منها ابن زنا ، ومن هو أبو العادي الصوفي ، الذي تحدّث إليه الوزير بزنا امرأته ؟ انّ ايراد هذا الخبر ، لا يعتبر شتماً لابن العميد ، ولكنّه شتم للتوحيدي الذي بلغ به حمقه ، وبلغت به رقاعته ، أن يورد مثل هذا الرجس ، ويريد من الناس تصديقه .

وزوّر أبو حيان رسالة على لسان الكاتب ابن ثوابة ، في ذمّ الهندسة والمهندسين . اتّفق الفضلاء على افتعالها ، ورجّح الدكتور محيي الدين ، انّ مزوّرها هو التوحيدي [1] .

وزوّر رسالة على لسان أبي راغب العتبي ، زعم أنّه بعث بها إلى الصاحب بن عباد ، تشتمل على أقبح ألوان الشتيمة [2] .

وزوّر رسالة على لسان أبي طالب ، إلى أبي الفضل بن العميد ، شتمه فيها ، وكأنّه أراد أن يدعم كذبه بدليل ، فقال : هذا ما أفادنا به جريج ، شاعر من اذربيجان ، ومن هو جريج ، وحتّى لو كان جريج شاعراً من اذربيجان ، فأيّ دليل على انّه حدّث التوحيدي بذلك [3] .

وزوّر رسالة على لسان ابن طرخان ، إلى أبي الفتح بن العميد ، وكأنّه أحسّ بأنّ من يسمعها أو يقرأها ، يطالبه بما يدعم صحّة زعمه ، فأدّعى انّه وجد الرسالة « فيما بيع من متاع ابن طرخان » [4] .

وهكذا كان التوحيدي ، في باقي مؤلّفاته ، فهو يبتدع الرسائل في الاغراض التي يريدها ، ثم ينسبها إلى آخرين ، ثم تعدّى ذلك إلى أن ينحل

١ — اخلاق الوزيرين ٢٣٦ — ٢٤٧ .
٢ — اخلاق الوزيرين ١٥١ — ١٥٩ .
٣ — اخلاق الوزيرين ٣٢٣ — ٣٢٦ .
٤ — اخلاق الوزيرين ٥١٤ — ٥٢٣ .

ما يريد قوله ، اشخاصاً آخرين ، وكتابه في شتم الوزيرين ، مشحون بهذه الاقوال المزوّرة ، فهو لا يشتم أحداً بلسانه ، إلا قليلاً ، وإنما يقول : سألت فلاناً فقال لي كذا ، وحدثني فلان بالحديث الفلاني ، وهو كاذب في جميع ما روى .

وبلغ من ضراوة أبي حيان على تزوير الرسائل ، والكذب على أصحابها ، أن زوّر رسالة على لسان أبي العيناء ، في شتم القاضي احمد بن ابي دؤاد ، والشماته به لما شلّ وعزل وصودر[١] ، فجمع أبو حيان في تزويره هذه الرسالة ، بين الجهل والكذب ، إذ أنّ ابا العيناء ، كان من المتّصفين بصفة الوفاء ، وقد ظلّ مخلصاً للقاضي ابن ابي دؤاد ، ممتدحاً له ، من بعد وفاته ، والمأثور عنه ، انّه قال : تذاكروا السخاء ، فاتّفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية ، وعلى البرامكة في الدولة العباسية ، ثم اتفقوا على انّ احمد بن ابي دؤاد أسخى منهم جميعاً وأفضل[٢] ، وقال عنه : ما رأيت رئيساً قطّ أفصح ولا أنطق من ابن أبي دؤاد[٣] .

وأما بشأن عقيدة التوحيدي ، أمؤمن مصدّق ، او زنديق ملحد .

فأقول : انّ من الممتنع على من يحمل في صدره ذرّة من الايمان ، أن يتصرّف تصرّف ابي حيان في شتم الناس هذا الشتم المقذع ، واتّهامهم في أعراضهم ، وتزنية أمهاتهم ، وكيف يستقر الايمان في صدر انسان يحمل قلبه هذه الاحقاد النتنة ، وهذا اللسان الذي يخوض في عورات الناس ، ويرتكب في شتمهم الكبائر .

ويكفي للدلالة على اخلاق ابي حيان ، ما وصف به نفسه في صدر

---

١ — اخلاق الوزيرين ٧٣ .

٢ — نشوار المحاضرة ج ٣ ص ٦٨ .

٣ — نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٠ .

رسالته البغدادية ، وانا ارغب عن تكرار اثباتها هنا ، فليراجعها من أراد ، في موضعها .

إنّ شغف أبي حيان بثلب الناس وذمّهم ، أبعده عن قلوب الناس جميعاً ، وقد غطّت هذه الصفة الرذيلة ، على جميع ما يتحلّى به من عبقريات في النحو وفي اللغة وفي الفلسفة ، فكرهه الناس ، وأغفل ذكره كثير من المؤرّخين ، والذين ذكروه وصفوه بما يكره ، فقال عنه ياقوت : انّه كان سخيف اللسان ، قليل الرضا عند الاساءة والاحسان ، الذمّ شأنه ، والثلب دكانه [1] .

وقال عنه في موضع آخر : كان أبو حيان مجبولاً على الغرام ، بثلب الكرام [2] .

وقال عنه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين : عرف التوحيدي بين معاصريه ، بهذه الخصلة الذميمة ، وهي القدح والذم ، ويعتذر عنها بما هو مبتلى به ، ومدفوع إليه ، من قيام هذه الصفة في نفسه ، وتمكّنها من خلقه ، واذا طوينا كشحاً عما ورد في كتابه « مثالب الوزيرين » وما تناول به معاصريه من قدح وثلب ، عازين ذلك إلى بواعث حمل عليها مضطراً للانتصاف من خصومه ، أو راغباً في تصوير ما كان عليه حال معاصريه ، فما هو عذره فيما حفلت به كتبه من مرويّات تنقّص بها أناساً ليسوا من خصومه ومعاصريه ، وتلك وحدها تكفي لاثبات ما جبل عليه الرجل من الرغبة في تتبّع نقائص الناس ، وسواء كانت المثالب الواردة في كتبه ، حقائق أو تخرصات ، ومما سمعه حقاً فأثبته ، أو أخترعه

١ — معجم الادباء ٣٨٠/٥ .
٢ — معجم الادباء ٢٨٢/٢ .

ونسبه إلى غيره ، فهي لا تختلف من حيث الدلالة على تأصّل هذه الغريزة فيــه [١] .

وقال عنه أحد الباحثين : كان أبو حيان كثير الشكوى من الزمان والسكان ، والشكوى من المجتدين ، قد تثير في النفس عاطفة الحنو والرحمة ، وقد تثير عاطفة التقزز والاشمئزاز ، وهي في ذلك كلّه تختلف باختلاف الشكل ، وأساليب الاستجداء ، فقد يكون الشكل باعثاً على العطف والرحمة ، وقد يكون باعثاً على النفور ، وكذلك اسلوب الاستجداء، فقد يكون اسلوباً رقيقاً يستخرج العطف ، وقد يكون اسلوباً جافاً مشوباً بالادلال والتعاظم ، فيثير السخط ، ويبعث على الحرمان ، ويظهر انّ أبا حيان التوحيدي ، كان من القبيل الثاني ، يريد أن يستعلي على المسؤول ، وأن يفهمه أنّ هذا حقّ لا إحسان ، فنفّر من استجداهم ، يظهر ذلك من نفور الصاحب بن عباد منه ، وحرمان الوزير ابن سعدان له ، وتقريع مسكويه له على الشكوى .

قال ياقوت عن أبي حيان : انّه كان قليـــل الرضا عند الاساءة والاحسان[٢] ، وصدق ياقوت ، فإن أبا حيان كان يشتّم من أحسن اليه ، كما يشتّم من حرمه ، فهو يعترف بانّ الدلجي ، كان يحسن اليه ، وانّه « أنجز له ما وعد ، ووفى بما شرط » ثم يقول عنه ، انه كان ينفق عليه سوق العلم ، « مع جنون كان يعتريه ، ويتخبط أكثر اوقاته فيه » [٣] .

وأبو حيان في شتمه من احسن اليه ، ومن حرمه ، تنطبق عليه الكناية البغدادية « كلب بهبهان » لأنّ كلب بهبهان على قولهم « يعض المعزّب

١ — ابو حيان التوحيدي ٤٧ و ٤٨ .
٢ — معجم الادباء ٣٨٠/٥ .
٣ — معجم الادباء ٣٨٦/٥ .

والخطار » أي انّه ينهش صاحب الدار والاضياف .

وقال أحمد أمين : انّ اسلوب استجداء أبي حيان ، يبعث على الحرمان ، وصدق فيما قال ، فانّ اختلاف الاساليب في الطلب ، تؤدّي إلى اختلاف النتائج ، إفادة وحرماناً ، فمن أحسن في الطلب أفاد ، ومن أساء حرم وخاب ، ومن ألطف وأرقّ وأعذب ما قرأتُ في الطلب ، قول الساعدي ، يمدح ابراهيم بن الاشتر ، بعد انتصاره على جيش الامويين ، في وقعة خازر ، قال :

الله أعطاك المهابــة والتقــى ... وأحلّ بيتك في العديد الاكثر
وأقرّ عينك يوم وقعــة خــازرٍ ... والخيل تعثر بالقنا المتكسّر
إنّي أتيتك إذ نبابي منــزلـي ... وذممتُ إخوان الغنى من معشري
وعلمتُ انّك لا تخيّب مدحتي ... ومتى تكن بسبيل خير تشكر
فهلمّ نحوي من يمينك نفحــة ... إنّ الزمان ألحّ يا ابن الاشتر(١)

هذا الشعر اللطيف الانيق ، الذي يشتمل على الطلب في رفق وأناة وأدب ، فقد وصف ممدوحه بالمهابة والتقوى ، ومدح عشيرته بالكثرة ، وذكر له موقعة انتصر فيها وانتصف من عدوّه ، ثم طلب « نفحة من يمينه » لأنّ الزمان « ألحّ » ، لا عجب أن يكون جواب هذا الطلب عشرة آلاف درهم .

قارن هذا الطلب ، بالحاح التوحيدي في استجدائه ، وقد قال في آخر كتاب الامتاع والمؤانسة : خلّصني — أيّها الرجل — من التكففّ ، أنقذني من لبس الفقر ، أطلقني من قيد الضرّ ، اشترني بالاحسان ، اعتبدني بالشكر ، استعمل لساني بفنون المدح ، اكفني مؤونة الغداء والعشاء ،

١ — الاخبار الطوال ٢٩٦ .

إلى متى الكسيرة اليابسة ، والبقيلة الذاوية ، والقميص المرقّع ، وباقلّى درب الحاجب ، وسذاب درب الروّاسين ، إلى متى التأدّم بالخبز والزيتون ، قد — والله — بحّ الحلق ، وتغيّر الخلق ، الله الله في أمري ، أجبرني فانّي مكسور ، اسقني فانّي صد ، أغثني فانّي ملهوف ، شهّرني فانّي غفل ، حلّني فانّي عاطل ، ثم يقول : ذكّر الوزير في أمري ، وكرّر على أذنه ذكري ، فان قلتَ : الوزير مشغول ، فما أصنع به إذا فرغ ، والشاعر يقول : تناط بك الآمال ما اتّصل الشغل . ثم يقول : أنت مقبل كالمعرض ، ومقدّم كالمؤخّر ، وموقد كالمخمد ، تدنيني إلى حظّي بشمالك ، وتجذبني عن نيله بيمينك ، وتغدّيني بوعد كالعسل ، وتعشّيني بيأس كالحنظل (١) .

استجداء مثل استجداء المكدّين على قارعة الطريق ، يريق فيه ماء وجهه ، ويمرّغ في التراب بقايا كرامته ، ثم يقول انّه مهتمّ بالوزير ما دام وزيراً ، فان فارق الوزارة فما أصنع به ؟ ثم يعود إلى صاحبه الذي هو سبب صلته بالوزير ، فيتّهمه بأنّه هو الحائل بينه وبين نوال الوزير .

قال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء : ما أحسن ما رأيت على ظهر نسخة من كتاب الامتاع والمؤانسة ، بخطّ بعض أهالي صقلية ، قال : ابتدأ أبو حيان كتابه صوفياً ، وتوسّطه محدّثاً ، وختمه سائلاً ملحفاً (٢) .

ويذكّرني استجداء أبي حيان ، بكناية معروفة في بغداد ، فهم يكنون عمن يطلب وهو متعال ، بقولهم : مكدّي وخنجره بحزامه .

وما أشبه التوحيدي ، بفتى من بغداد ، ورث عن أبيه مالاً فبدّده ،

١ — الامتاع والمؤانسة ٣/٢٢٦ — ٢٣٠ .
٢ — تاريخ الحكماء ٢٨٣ .

وأضاعه في الخمر والميسر ، حتى احتاج إلى الطلب ، فكان وهو سكران ، يتعرّض للمارة ، ويستجدي منهم ، وهو يقول : آه من الزمان الذي أنزلني من عليائي ، حتى صرت أطلب منكم أنتم ، لا جرم أن يكون جوابه عند كلّ طلب ، الزجر والحرمان .

قال الدكتور عبد الرزاق محيي الدين : على أنّ أبا حيان ، برّز في كل موضوع من مواضيع النثر العربي ، إلاّ إنّه بلغ في الهجاء الذروة التي لم يبلغها أحد حتى اليوم .

وأنا أخالف الدكتور في ذلك ، وأقول : إنّ أبا حيان لا يحسن الهجاء ، فليس الهجاء ترتيب مجموعة من الأكاذيب ، والاقذاع في الشتم والثلب ، وثلم الاعراض ، وقذف المحصنات ، بحيث يظهر لكلّ من يقرأها أو يسمعها انّ قائلها كاذب معتدٍ ، فقد ألّف أبو حيان ، في شتم الوزيرين كتاباً ، وأقذع في شتمهما ، وأسند اليهما من العيوب أقبحها ، وأرذلها ، وزوّر في ذمّهما رسائل ، نسبها إلى قوم لعلّهم لم يسمعوا بها ، فضلاً عن الجزم بأنّها لم تصدر عنهم ، ولكنّ القارىء الحاذق ، يستطيع أن يتبيّن من خلال سطور الكتاب ، أنّ أبا حيان كاذبٌ فيما يزعم ، فضلاً عما يظهر خلال عبارات الكتاب ، مما يدلّ على أياديهما السخيّة ، وخلقهما الكريم .

الهجاء صناعة ، وليس كلّ أحد يحسن أن يهجو ، والهجاء لا يعني السباب والشتم ، وتناول المهجوّ بالاوصاف القبيحة ، خاصّة اذا كان المعروف عنه خلاف ذلك ، وقد وجدت أنّ خير من يتقن الهجاء ، الكاتب ابراهيم الصولي ، إذ كان هجاؤه نظيفاً خالياً من الاقذاع ، ولكنّه كان من أشدّ ألوان الهجاء ، قال يهجو محمد بن عبد الملك الزيات الوزير :

من يشتري مني إخاءَ محمدٍ بل من يريد إخاءه مجّانا
بل من يخلّص من إخاء محمدٍ وله مناه كائناً ما كانا

وقال فيه :

وكنتَ أخي باخـــاء الزمـــان   فلما نبا صرتَ حرباً عوانا
وكنتُ أذمّ اليك الزمـــــان   فاصبحتُ منك اذمّ الزمانا
وكنتُ أعدّك للنائبـــــات   فها أنا أطلب منك الامانا

هذا هو الهجاء العنيف النظيف ، لا هجاء أبي حيان المقذع الوسخ .

ولأبي حيان ، أشباه في الالحاح في الاستجداء ، والاقذاع في الذمّ ، وقد خابوا مثل خيبته ، ومن اشهرهم ابن الرومي ، فقد كان شعره من الطبقة الاولى ، وكان ملحاحاً في الطلب ، يقدّم القصيدة بيد ، ويمدّ الأخرى في طلب الجدوى ، وبلغ به الأمر ، أن طلب في احدى قصائده « أن يرزق مع الزمنى » ، وقد ملأ أحد ممدوحيه ضجراً من الحاحه ، حتى قال له : خذ قصيدتك وأمدح بها غيري ، فقال :

رددتَ عليّ شعري بعد مطلٍ   وقد دنّست ملبسه الجديدا
وقلتَ أمدح به من شئت غيري   ومن ذا يقبل المدح الرديـــدا
وكيف به وقد أودعت فيـــــه   مخازيك اللواتي لن تبيـــدا
وهل للحيّ من أكفان ميتٍ   لبوسٌ بعدما ملئَتْ صديدا

وكذلك كان أبو حيان ، يقدّم رسالته أو مديحه بيمناه ، وفي الوقت نفسه يمدّ يسراه طلباً للنوال ، فلا يترك للممدوح فرصة ، حتى لقراءة رسالته في الاستجداء ، وقد اعترف في كتابه في شتم الوزيرين ، بانّ الصاحب قال له : من اين لك هذا الكلام المفوّف المشوّف الذي تكتب به إليّ في الوقت بعد الوقت ؟ ولما أجابه : بانّه يقطف من ثمار رسائله ، ويستقي من قليب علمه ، ويشيم بارقة أدبه ، ويرد ساحل بحره ، ويستوكف قطر مزنه ، غضب الصاحب وقال له : كذبتَ وفجرتَ ، لا أمّ لك ،

ومن اين كلامي في الكدية والشحذ والتضرع ، كلامي في السماء وكلامك في السماد [1] .

إنّ أبا حيان ، أراد أن يرينا في هذه الفقرة اعتداء الصاحب عليه ، فبدر منه اعتراف بانّه كان يلحّ على الصاحب في رسائل « الكدية والشحذ والتضرع » فجبهه الصاحب بما جبهه به .

وانتجع التوحيدي أبا الفتح بن العميد ، وكتب له رسالة استجداء واستعطاف ، صدّرها بافراط في الثناء على أبي الفتح ، يكاد يكون طنزاً وسخرية ، ذكر له فيها : انّه لو كان من الملائكة ، لكان من المقرّبين ، ولو كان من الانبياء لكان من المرسلين ، ولو كان من الخلفاء ، لكان لقبه اللائذ بالله ، او المنصف في الله ، او المعتضد بالله ، او المنتصب لله ، او الغاضب لله ، او الغالب بالله ، او المرضي لله ، او الكافي بالله ، او الطالب بحق الله ، او المحيي لدين الله ، وبعد ان سطّر له من هذا وامثاله ، باشر بالكدية والاستعطاء ، فقال : أصلح أديمي فقد حلم ، وجدد شبابي فقد هرم ، وانطق لساني بمدحك فقد حصر ، وافتح بصري بعمتك فقد سدر ، ورش عظمي فقد براه الزمان ، واكس جلدي فقد عرّاه الحدثان » .

قال السندوبي : ما أشبّه هذه الرسالة ، إلا بالرقى والتمائم ، وهي بالحبّ والاستغفال اشبه منها بالجدّ في حسن السؤال ، ولعلّ ابا حيان عرف ناحية الضعف ، فطرقها ، وألحّ عليه من بابها .

وعلّق الدكتور محيي الدين على قول السندوبي ، فقال : لكنّ أبا

١ ـ اخلاق الوزيرين ٤٩٤ و ٤٩٥ .

الفتح ما انخدع ، وقد بدت له ناحية الضعف في نفس منشئها ، فكانت من بواعث خيبته وحرمانه [1] .

وقد حاولت أن أحصي من شتمه أبو حيان ، من العلماء والفقهاء والعظماء والفضلاء ، ولما توسّطت الاحصاء ، تبيّن لي انّي كلّفت نفسي شططاً ، فانّ أبا حيان شتم الناس جميعاً ، وخصّ ذوي الفضل والعلم والمعرفة منهم بالسهم الاوفر ، فاخترتُ ممن شتمهم أفراداً خمسة ، ممن أسرف في صبّ الشتيمة عليهم ، وقارنت ما ذكره عنهم ، بما ذكره عنهم الناس ، ليتبيّن انّ هذا الرجل ، يتّهم كاذباً ، ويشتم ظالماً ، ويقول باطلاً ، ويثلب معتدياً .

ولنبدأ بالنصيبيّ ، أبي اسحاق ابراهيم بن علي ، المتكلّم ، المعتزلي ، نقل عنه القاضي التنوخي في نشواره أخباراً عدّة[2] ، ونقل عنه ابن الجوزي في كتابه المنتظم[3] ، واعترف له التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ، بأنّه دقيق الكلام ، وانّ له أدباً واسعاً[4] ، وذكر في المحاضرات ، انّه كان يعاشره ببغداد ، حتى انّهما قصدا « رجلاً من ارباب النعم ، الموصوفين بالكرم » أكثر من خمس وثلاثين مرّة ، كانا في جميعها لا يفترقان [5] .

ان التوحيدي ، مع معاشرته لهذا الرجل ، ومع اعترافه بأدبه الواسع ، لا يستحي من ان يقول فيه : انّه من افسق الفاسقين ، وما في الدنيا قاذورة

١ — ابو حيان التوحيدي ٤١ .

٢ — نشوار المحاضرة ٩١/١ و ٢١/٥ — ٢٣ و ١٢٢ — ١٣٤ ، و ١٤٢ — ١٤٧ و ٢٥٠ — ٢٥٣ .

٣ — المنتظم ١٧٩/٧ و ١٨٠ .

٤ — الامتاع والمؤانسة ١٤١/١ .

٥ — معجم الادباء ٤٠٥/٥ و ٤٠٦ .

إلاّ أتاها ، ولا خساسة إلاّ أظهرها ، وجاهر بها ، واتّهمه بالتهتّك في معاشرة الاحداث[1] ، ونسب إليه انّه يشكّ في النبوّات ، وإنّه قال : لو ظفر يوم الجمل طلحة والزبير وعائشة ، بعلي بن أبي طالب ، دار الخلاف بينهما ، وكان لا يعوّل أحدهما في الاستظهار على صاحبه إلاّ بأن يتزوّج عائشة ، ثم يكافح صاحبه بها وبشيعتها الذين فتّوا بعر جملها وتشافوا به ، وتحاثّوا عليه ، وكنا نحن نكوّر عمائمنا ، ونرفع طيالستنا ، ونسرّح لحانا ، ونكتحل ، ونحتفل ، ثم نجلس في المساجد ، والجوامع ، ونحتجّ لذلك التزويج ، ونتأوّل كلّ قول ، ونخرج كلّ خبر ، ونبلغ كلّ غاية بكلّ حيلة [2] .

أما أبو عبد الله البصري ، الحسين بن علي ، الملقب بالكاغدي وبالجعل ، المتوفّى سنة ٣٦٩ ، فقد ترجم له صاحب المنتظم[3] وصاحب الفهرست[4] ، وقالا عنه انّه كان من شيوخ المعتزلة ، وصنّف على مذاهبهم ، وانتحل في الفروع مذهب اهل العراق ، يعني المذهب الحنفي ، واليه انتهت رئاسة اصحابه في عصره ، ونقل عنه القاضي التنوخي في نشواره ، قصّة تدل على ما كان يتحلّى به من عفّة وترفّع ، وهي انّ عضد الدولة أقطع أبا عبد الله إقطاعاً بمال جليل في كلّ سنة ، فلم يقبله ، فبذل له شراء ضياع يوقفها عليه ، بدل هذا الاقطاع ، وتستطاب غلّتها ، ويصحّ إنفاقها ، فلم يقبل ، وأصر على الاباء ، فقال له عضد الدولة : فلا اقلّ من أن ينفذ إليك ، في كلّ يوم ، من حضرتي ، بما تأكله ، وفي كلّ فصل بكسوة وطيب ، فأجاب إلى ذلك ، فأنفذ اليه ثياباً وعطراً ، وصار ينفذ

١ ـ اخلاق الوزيرين ٢١١ و ٢١٢ .
٢ ـ اخلاق الوزيرين ٢٩٧ .
٣ ـ المنتظم ١٠١/٧ .
٤ ـ الفهرست ٢٢٢ و ٢٦١ .

اليه جونة في كلّ يوم ، مع غلام من اصحاب مائدته [١] .

هذا الرجل ، النظيف ، العفيف ، النزيه ، المترفّع ، الذي انتهت اليه رئاسة اصحابه في عصره ، يقول عنه ابو حيان : انّه كان يلقب بالمرشد ، وكيف يكون مرشداً من ليس برشيد ، وكيف يكون رشيداً من لا يفارق الغيّ ، ولمن يشكّ في أمره ، أن ينظر إلى غلمانه ، الرازي ، وابن الغازي ، وابن طرخان ، والبزاز ، والنصيبي ابي اسحاق ، والصيرفي ، والهمذاني ، والدامغاني ، عصابة الكفر ، ما فيهم من يرجع إلى ورع وتقى ، أو إلى مراقبة وحياء وهدى ، وأتّهمه بانّه كان مدّة عشرين سنة عيناً (جاسوساً) للصاحب على صاحب بغداد ، وقال عنه انّه بلغ من قلّة دينه ، أن صنّف رسالة أدّعى فيها إنّه المهدي المنتظر ، ثم عاد أبو حيان فزوّر على عادته أقوالاً نسبها إلى أناس آخرين في شتم أبي عبد الله وتلامذته [٢] .

وأما أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، المتوفّى سنة ٣٧٠ فقد ترجم له صاحب المنتظم ، وقال عنه انّه إمام أهل الرأي في وقته ، وكان مشهوراً بالزهد والورع ، درس الفقه على أبي الحسن الكرخي ، وانتهت إليه الرئاسة ، ورحل اليه المتفقّهة ، وخاطبه الخليفة تكراراً ، في أن يلي قضاء القضاة فامتنع [٣] .

هذا الرجل ، شتمه التوحيدي ، في البصائر والذخائر ، على طريقته الّتي تعوّد عليها في ارسال الشتائم على لسان الغير ، فقال : قال ابن المرزبان انّه لم ير أشدّ نفاقاً منه ، وانّه جريء على أكل الاموال بالباطل ، وانّ

١ — نشوار المحاضرة ج ٧ ص ٢١٠ .
٢ — اخلاق الوزيرين ٢٠٢ — ٢٠٤ .
٣ — المنتظم ١٠٥/٧ .

ابن سيار قال عنه : انّه كان مشغوفاً بالصبيان ، وانّ أبا حامد المروروذي ، قال عنه : انّه كان ثنوياً [1] .

واما ابن العميد ، أبو الفضل محمد بن الحسين ، وزير ركن الدولة ، الذي قيل فيه : بدأت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد ، وقال عنه الثعالبي : انّه عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك بني بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة ، ممدوح المتنبّي ، ومنتجع الشعراء والادباء ، والذي قال له الصاحب ، بعد أن عاد من بغداد ، ممتدحاً لها : بغداد في البلاد ، كالاستاذ في العباد [2] .

هذا الرجل ، اتّهمه التوحيدي ، بكل نقيصة ، ونسب إليه كلّ عيب ، ووصفه بالسفه ، والجهل ، والجبن ، والنذالة ، واللواط ، وقال عنه : انّه كان يظهر حلماً تحته سفه ، ويدعى علماً وهو به جاهل ، ويري انّه شجاع وهو جبان ، ويدعي المنطق ، وهو لا يفي بشيء منه ، ويتشيّع بالهندسة وهو منها بعيد ، ولم يكن معه من صناعة الكتابة الاصل وهو الحساب ، وانّه كان أجهل الناس بالدخل والخرج ، ولكنّه قد وضع في نفس صاحبه ركن الدولة ، انّه واحد الدنيا ، وانّه لسان الزمان ، وانّ ملوك الارض يحسدونه عليه ، وانّ قلمه فوق السيف ، وتدبيره فوق الجيش [3] .

وأخذ التوحيدي ، على عادته في الكذب ، يزوّر على ألسنة الناس أقوالاً في شتم ابن العميد ، بل انّه زوّر رسالة ، جعلها على لسان أبيه العميد ، إلى قاضي اصبهان ، ينكر فيها بنوّة ابنه ، ويقدح في ولادته ،

١ — البصائر والذخائر ٢٧٤/٤ — ٢٧٦ .
٢ — اليتيمة ١٥٨/٣ — ١٨٥ .
٣ — اخلاق الوزيرين ٣٢١ و ٣٢٢ .

ويتّهمه بانّه عارٍ من الديانة ، سليب من المروءة [١] .

ولم يكتف التوحيدي بذلك ، بل زوّر على لسان القاضي ، رداً على رسالة العميد [٢] وغنيّ عن البيان ، انّ التوحيدي كان كاذباً في كلتيهما ، وانّ من يقرأ الرسالتين ، يظهر له ، لأول وهلة ، انّهما من قلم واحد ، وانّهما من انشاء التوحيدي .

وأراد التوحيدي أن ينسب ابن العميد إلى البخل ، فزعم ان ابن العميد سأل صاحب طعامه ، وكانا منفردين في بطن خيمة ، عما يصنع بكسر الخبز المتخلّفة عن المائدة ، وانّ صاحب طعامه أجابه جواباً مقذعاً ، واذا كانت المحاورة ، كما يقول ، في بطن خيمة ، وكانا منفردين ، فكيف وصل الخبر إلى التوحيدي [٣] .

وزعم في فرية أخرى ، انّ ابن العميد أوعز إلى صاحب مطبخه ، أن يتّخذ لأحد أضيافه طعاماً من النعال الخلقة المقطّعة ، وانّ الضيف أكلها ، فأنسدّ مخرجه ، وأنشقّ جلد بطنه فمات ، وهي قصّة ظاهرة الكذب ، بيّنة الافتعال ، وانّ المقصود بها الثلب ، وإلاّ فكيف يأكل الانسان نعالاً ، وفوق ذلك فلم يبلغنا أنّ الجلود إذا أكلها أحد من الناس انسدّ مخرجه ، وانشقّت بطنه [٤] .

واما الصاحب ، أبو القاسم اسماعيل بن عبـــاد ، كافي الكفاة ، الوزير ، الشاعر ، الاديب ، المتكلّم ، فقد كان من نوادر الدهر علماً ، وفضلاً ، وتدبيراً ، وجودة رأي ، واخباره ، ومؤلفاته ، ورسائله ،

---

١ ــ اخلاق الوزيرين ٣٥٣ ــ ٣٥٨ .
٢ ــ اخلاق الوزيرين ٣٥٨ ــ ٣٦٠ .
٣ ــ اخلاق الوزيرين ٣٤٩ ــ ٣٥٠ .
٤ ــ اخلاق الوزيرين ٣٥٠ و ٣٥١ .

واحاديث الناس عنه ، تنبيء عما كان عليه ، من خلق كريم ، وفضل عميم [١] .

قال الثعالبي عن الصاحب : ليست تحضرني عبارة أرضاها للافصاح عن علوّ محلّ الصاحب في العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرّده بغايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همّة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ، ولكنّي أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان ، وكانت حضرته محطّ رحال العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، وموسم فضلائهم ، ومترع آمالهم ، أمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ، وهمّته في مجد يشيّده ، وإنعام يجدده [٢] .

وذكر الثعالبي ، أسماء ثلاثة وعشرين شاعراً ، جمعتهم حضرته ، ثم قال : وغيرهم ممن لم يبلغني ذكره ، أو ذهب عنّي اسمه ، ومدحه شعراء آخرون مكاتبة ، ذكر منهم الشريف الرضي وأبا إسحاق الصابي ، وابن الحجّاج ، وابن سكّرة ، وابن نباتة [٣] .

وذكر أنّ دار الصاحب ، كانت لا تخلو في كلّ ليلة من ليالي رمضان ، من ألف نفس مفطرة فيها [٤] .

وذكر أنّ الصاحب كان يراعي من ببغداد والحرمين ، من أهل الشرف ، وشيوخ الكتّاب ، والشعراء ، وأولاد الأدباء ، والزهّاد ،

---

١ ــ الاعلام للزركلي ٣١٢/١ و ٣١٣ .
٢ ــ اليتيمة ١٩٢/٣ .
٣ ــ اليتيمة ١٩٢/٣ .
٤ ــ اليتيمة ١٩٧/٣ .

والفقهاء ، بما يحمله اليهم في كلّ سنة مع الحاج ، على مقاديرهم ومنازلهم [1] .

وذكر صاحب المنتظم ، انّ الصاحب كان ينفذ في كلّ سنة إلى بغداد ، خمسة آلاف دينار ، تفرّق في الفقهاء وأهل الأدب [2] .

ومرض الصاحب بالأهواز ، من سحج عرض له ، فكان إذا قام غن الطست ، ترك إلى جانب الطست عشرة دنانير من الذهب ، حتى لا يتبرّم به الفراشون ، ولما عوفي ، وهب ما حوت داره للفقراء ، فحملوا منها ما يقارب خمسين ألف دينار [3] .

واستدعى الصاحب يوماً بشرابٍ من شراب السكّر ، فجيء بقدح منه ، فلما أراد شربه قال له بعض خواصّه : لا تشربه فانّه مسموم ، فقال له : وما الشاهد على صحّة ذلك ؟ قال : بأن تجرّبه على من أعطاكه ، فقال : لا أستجيز ذلك ولا أستحلّه ، قال : فجرّبه على دجاجة ، قال : انّ التمثيل بالحيوان لا يجوز ، وأمر بصبّ ما في القدح ، وقال للغلام : انصرف عنّي ، ولا تدخل داري بعدها ، وأقرّ رزقه عليه ، وقال : لا يدفع اليقين بالشكّ ، والعقوبة بقطع الرزق نذالة [4] .

هذه بعض صفات الصاحب بن عباد ، صفات رجل كلّه محاسن ، وفضائل ، ومكارم أخلاق ، وأخباره في جميع الكتب تنبىء عن سيرة تفيض خيراً ، وتنفح عطراً ، فلننظر ما يقوله التوحيدي فيه .

قال في وصف الصاحب : انّه مجنون ، بخيل ، رقيع ، دنس ، سفيه ،

---

١ — معجم الادباء ٣٣٥/٢ .
٢ — المنتظم ١٨٠/٧ .
٣ — المنتظم ١٨٠/٧ .
٤ — معجم الادباء ٢٨١/٢ .

خبيث ، كذاب ، حسود ، ضالّ ، فاسق ، فاجر ، جامع للمخازي والمقابح والرقاعات ، وانّ وجهه وجه خنزير ، وعقله عقل سنّور ، وكلامه كلام مبرسم ، وحركته حركة مخنّث ، ونظره نظر فاجر ، ورأيه رأي موسوس ، وأعضاؤه أعضاء مفلوج .

وكأنّ هذه الشتيمة لم تكفه ، فقال : إنّه ستر كثيراً من مخازيه ، هرباً من الاطالة ، وصيانة للقلم عن رسم الفواحش (١) .

ما شاء الله ، ماذا أبقيت من ألفاظ الشتيمة ، حتّى تصون قلمك الرجس يا أبا حيان ، عن ذكر الفواحش .

ولا يعقل أن يتّفق الناس على وصف رجل بأحسن الأوصاف ثم ينبري له رجل وسخ اللسان فيسيء نعته أن يصدّق هذا الرجل ويكذّب الناس جميعاً ، وقديماً قيل : حدّث العاقل بما لا يليق فانّ صدّق فلا عقل له .

والعجيب أنّ التوحيدي ، وقد أسرف في شتم الصاحب ، ووصفه بما يعيب ، بدرت منه خلال هذا الشتم أقوال في مدح الصاحب ، تنقض شتائمه ، وتكذّبها ، فهو يتّهمه بالجنون وضعف العقل ، ثم يقول : انّه في تدبير أمور الدولة ، أوامره مطاعة ، وأقواله مقبولة ، وليس له من يعترض عليه في تصرفاته، وانّه كان لا يسمع إلاّ صدق سيّدنا ، وأصاب مولانا (٢) ، وهو يعلّل ذلك بأنّه محظوظ فيقول : انّ أسباب الجدّ عجيبة ، وكما لا يدري الانسان من أين يخفق ، كذلك لا يدري من أين ينال (٣) ، وهو يقول : انّه استقرّ بباب الصاحب ، ثلاث سنين ، بأصبهان ، ثم فارق

١ — اخلاق الوزيرين ٤٩٢ .
٢ — اخلاق الوزيرين ١٤٢ و ١٤٣ .
٣ — اخلاق الوزيرين ١٢٥ .

بابه راجعاً إلى مدينة السلام ، بغير زادٍ ولا راحلة ، ويدعي أنّ الصاحب لم يعطه في هذه السنوات الثلاث درهماً واحداً ، ولا ما قيمته درهم واحد [1] ، إذن من أين كان يأكل ، وماذا كان يلبس ، وكيف عاش هذه السنوات الثلاث ؟

واعترف التوحيدي في كتابه في شتم الصاحب ، بأنّ منتجعي الصاحب كانوا يصيبون من نواله ، ولكنّه زعم أنّ عطاياه كانت قليلة ، لا تتجاوز الخمسمائة درهم ، وقد توفي على الألف ، ثم قال : وقد نال أناس من عرض جاهه ما يزيد قدره على أضعاف ذلك ، وهم قليل [2] .

وهذا اعتراف من التوحيدي ، بأنّ الصاحب كان سخي الكف كريمـــاً .

وقال التوحيدي في كتابه عن الصاحب : انّ الصواب كان غالباً على ابن عباد ، وله رفق في سرد حديث ، ونيقة في رواية خبر ، وله شمائل مخلوطة بالدماثة ، بين الاشارة والعبارة [3] .

اذن فقد كان الرجل فصيحاً ، صائباً ، دمثاً ، باعتراف التوحيدي .

وقال ياقوت في معجم الأدباء : انّ أبا حيان اجتهد في الغضّ من ابن عباد ، ولكنّ فضائل ابن عباد تأبى إلاّ أن تسوقه إلى المدح ، وايضاح مكارمه ، فصار ذمّه مدحاً له ، فمن ذلك قوله : بعد أن فرغ مـــن الاعتذار عن التصدّي لثلبه ، قال : فأوّل ما أذكر من ذلك ما أدلّ به على سعة كلامه ، وفصاحة لسانه ، وقوّة جأشه ، وشدّة منّته [4] .

١ — اخلاق الوزيرين ٣١١ .
٢ — اخلاق الوزيرين ١٩٣ .
٣ — اخلاق الوزيرين ٥٠٥ .
٤ — معجم الادباء ٢٨٢/٢ .

وهكذا أبت محاسن الصاحب ، إلا أن تظهر برغم أنف التوحيدي ، اذ يظهر مما أثبته من أوصافه في الكتاب الذي أعدّه لشتمه ، أنّ الرجل كان سخياً ، وكان عالماً ، وكان فصيحاً ، قوي الجأش ، شديد المنّة ، وكان سائساً .

وهكذا تتّضح محاسن الصاحب وفضائله ، وبفي أبي حيان التّراب .

مقـــدّمة الرّســالة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأديب أبو المطهّر محمد بن أحمد الأزدي، رحمة الله عليه : بعد حمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة على سيّدنا محمد النبيّ وآله والسلام .

أمّا الذي أختاره من الأدب ، فالخطاب البدويّ ، والشعر القديم العربي ، ثم الشوارد التي آفترعتها خواطر المتأخّرين من أعلام الأدباء ، والنوادر التي آخترعتها قرائح [1] المحدثين من أعيان الشعراء ، هذا الذي أحصّله من أدب غيري وأقتنيه ، وأتحلّى به وأدّعيه وأرويه ، من ملح ما تنفّسوا به ، وتنافسوا فيه ، ويصدق شاهدي عليه ، أشعار لنفسي دوّنتها ، ورسايل [2] سيّرتها ، ومقامات حضّرتها ، ثم إنّ هذه حكاية عن رجل بغداديّ ، كنت أعاشره برهة من الدهر ، فتتّفق منه ألفاظ مستحسنة ومستخشنة ، وعبارات لأهل [3] بلده ، مستفصحة ومستفضحة ، فأثبتها خاطري ، لتكون كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديّين ، على تباين

١ — القرائح ، مفردها : القريحة ، أي الملكة التي يقتدر بها صاحبها على الإجادة في الاستنباط .

٢ — رسايل ، لغة في رسائل ، مفردهـا : رسالة ، أشير بذلك إلى لغـة البغداديين في حذف الهمزة إذا كانت في آخر الكلمة ، وإبدالها بالواو أو الياء إذا كانت في صدر الكلمة أو في وسطها .

٣ — في الاصل : أهل .

طبقاتهم ، وكالأنموذج المأخوذ عن عاداتهم ، وكأنّما قد نظمتهم في صورة واحدة ، يقع تحتها نوعهم ، وتشترك فيها أشخاص [ص١] ذلك النوع على حدّ واحد ، بحيث لا يختلفون فيه ، إلاّ باختلاف المراتب ، وتفاوت المنازل ، ولعليّ صرت في ذلك ، كما قال أبو عثمان الجاحظ ، في فصل من كلامه : وإنّا مع هذا ، نجد الحاكية من الناس ، يحكي ألفاظ سكّان اليمن ، مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايته للمغربيّ ، والخراساني ، والأهوازي ، والسندي ، والزنجي ، نعم ، حتّى تجده كأنّه أطبع منهم ، فأمّا إذا حكى كلام الفأفاء (١) ، فكأنّه قد جمع كلّ طرفة (٢) في كلام كلّ فأفاء في الأرض ، في لسان واحد ، كما [م٢] أنّك تجده يحاكي الأعمى ، بصورة ينشئها بوجهه وعينيه وأعضائه ، لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كلّه ، فكأنّ هذا الحاكي ، قد جمع ما هو مفترق فيهم ، وحصر جميع طرف حكايات العميان ، في أعمى واحد ، ولقد كان فلان ، يقف بباب الكرخ ، بحضرة المكاريّين ، فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ، ولا هرم حسير ، ولا متعب ، إلاّ نهق ، وقد يسمع نهيق الحمار على الحقيقة ، فلا ينبعث له ، ولا يتحرّك كحركته لصوت هذا الحاكي ، وكأنّه قد جمع جميع النغم الّتي تناسب نهيق الحمير فجعلها في نهيق حمار واحد ، فارتاحت لسماع [ص٢] ذلك نفوس جميع الحمير ، ولذلك زعمت الأوايل ، أنّ الإنسان إنّما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير ، لأنّه يصوّر بيده كلّ صورة ، ويحكي

١– الفافاء: من كان في نطقه حبسة أو عقلة أو تلكؤ ، بحيث يظهر كأنّه يكثر من ترديد الفاء ، أو أي حرف آخر خلال ما يتلفّظ به ، راجع في نشوار المحاضرة ج ٤ ص ١٤ قصة أبي محمد المافروخي الفأفاء ، لما فأفأ له ابن احد خلفائه ، فأمر بصفعه ظنّاً منه أنّه يحكيه .

٢– في الاصل : ظرفه .

بفمه [1] كلّ صوت ، ولأنّه يأكل النبات كما تأكل البهايم ، ويأكل اللحم كما تأكل السباع ، ويأكل الحبّ كما تأكل الطيور ، ولأنّ فيه أشكالاً من جميع أجناس الحيوان .

وإذ قدّمت هذه الجملة ، فأقول : هذه حكاية مقدّرة على أحوال يوم واحد ، من أوّله إلى آخره ، وليلة [2] كذلك ، وإنّما يمكن استيفاؤها واستغراقها في مثل هذه المدّة ، فمن نشط لسماعها ، ولم يعدّ تطويل فصولها وفضولها كلفة على قلبه ، ولا لحناً يَرِدُ فيها من عباراتهم ، قصور معرفة يعيّرني بها ، لاسيما مع انتهائه منها إلى الحكاية البدوية الأدبيّة ، التي أردفتها بها [3] ، وتبع قول أحد البلغاء : ملح النادرة في لحنها ، وحلاوتها في قصر متنها ، وحرارتها حسن منقطعها ، تكلّفت[4] له من البسط جهده المتعب عليّ ، وغيره الممتع له ، ثم إنّ لي قَدَمَةَ شوط أستعيره وأستغيره من شعر أبي عبد الله بن الحجاج [5] ، وهو قوله :

يا سيّدي دعوة من شعـــره يجري على العادة والعرف [ص٣]
لا بدّ أن تغفل عن لفظـــة طريفة يأتي بهـــا سخفي

١ ـ قد تقرأ الكلمة في الاصل : نغمة .
٢ ـ في الاصل : أو ليلة .
٣ ـ هذه الحكاية البدوية التي اشار إليها المؤلف ، سقطت من الكتاب .
٤ ـ في الاصل : كلفت .
٥ ـ ابن الحجاج الشاعر : ابو عبد الله الحسين بن احمد النيلي البغدادي(ت ٣٩١) ، من كتاب العصر البويهي ، شاعر فحل ، غلب عليه الهزل ، وأكثر من السخف في شعره ، وقد أورد التوحيدي كثيراً من هذا اللون من شعره في هذه الرسالة ، وقد وصفه التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة ١٣٧/١ فقال عنه : إنه بعيد عن الجد ، قريع في الهزل ، ليس للعقل من شعره منال ، على أنه قويم اللفظ ، سهل الكلام ، راجع اشعاره في يتيمة الدهر ٢١١/٢ ـ ٢٧٠ .

وقَـدَمـةٌ أخرى من قوله ، وهو :

مولاي خذ أنت منعماً بيـدي | فقد تكربست في خرا تحـتي
[م٣] عملت منصوبة حضرت بها | كي تبصروها غريبة الدست
كأنّها بيضةٌ وقد جمعـت | كلفتهـا أن تقوم في الطست
بشر بن هارون [1] حين يسمعهـا | يعجب منها ، ويضحك البسّي [2]
يا سيّدي فاستمـع لنـادرةٍ | غريبة قد مشى بها وقّي

ودعوة محقّقة من دعاويه لنفسه ، أدّعيها من بعده ، وهي :

يا سيّدي ، وحديثي كلّه سمرٌ | افرغْ لتسمع منّي ذلك السمرا

هذا حين أبدأ بالرسالة ، بعد اعتذاري عنها ، بقول القايل [ص٤]

فيّ انقباض وحشمة ، فـإذا | صادفت أهل الوفاء والكـرم
أرسلت نفسي على سجيّتهـا | وقلت ما قلت غير محتشم

١– في الاصل : ومقدمة .
٢– أبو نصر بشر بن هارون ، الكاتب النصراني البغدادي ، كان كاتباً في الديوان أيام الوزير ابن الفرات (تجارب الأمم ١١٢/١) وهو من أطيب الناس شعراً ، واملحهم فكاهة ، وكان يمتاز بالذكاء والألمعية ، وسلامة الذوق ، ولطف التعبير ، قال عنه التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ١٣٩/١ : إنه يقرص فيحزّ ، ويشمّ فيهزّ ، ويجرح فيجهز ، والمدهوّون منه كثير ، راجع أخباره في نشوار المحاضرة ج ١ ص ٤٢ و ٤٣ وفي ج ٣ ص ١١٤ وفي الإمتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٥٣ و ٥٦ .
٣– ابو الفتح علي بن محمد البسّي ، الشاعر ، الكاتب ، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، خدم السامانيين ، ثم الغزنويين سبكتكين وابنه محمود ، وتوفي ببخارى سنة ٤٠٠ ، راجع ترجمته في اليتيمة ٣٠٢/٤ ووفيات الأعيان ٣٧٦/٣ والأعلام ١٤٤/٥ .

الرّسالة البغداديّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان هذا الرجل المجلّي ، يُعرف بأبي القاسم أحمد بن علي التميمي البغدادي ، شيخاً بلحية بيضاء ، تلمع في حمرة وجه يكاد يقطر منه الخمر الصرف ، وله عينان كأنّه ينظر [ص٤] بهما من زجاج أخضر ، تبصّان (١) كأنهما تدوران على زئبق ، عيّاراً (٢) ، نعّاراً (٣) ، زعّاقاً (٤) ، شهّاقاً (٥) ، طفيلياً (٦) ، ....

---

١ — بصّ : برق وتلألأ .

٢ — العيّار : الذي يخلّي نفسه وهواها ، لا يردعها ولا يزجرها (المعجم الوسيط) .

٣ — النعّار : الذي يكثر من النعير ، وهو الصياح بالخيشوم ، ويكون عادة في مجالس الغناء إذا طرب السامع .

٤ — الزعّاق : الذي يكثر من الزعيق ، أي الصياح ، يريد أنه قليل الوقار .

٥ — الشهّاق : الذي يكثر من الشهيق ، وهو أخذ النَفَس على عجل ، فيحصل معه صوت من الحنجرة ، كما يفعل المتعجّب من أمر ينكره ، ويريد بهذا التعبير ، ما أراد بتعبير الزعّاق ، أي إنّه قليل الوقار .

٦ — طفيلياً : الطفيلي الذي يبحث عن الولائم ، ويحضرها ، دون ان يدعى إليها ، نسبته إلى طفيل ، وكان يدعى طفيل الأعراس ، او طفيل العرائس ، ومن اسمه اشتقّت صناعة التطفيل ، وأثبت ابو اسحاق الصابي في العهد الذي حرره بأمر عز الدولة بختيار البويهي لعليكا لما استخلف على التطفيل ابن عرس الموصلي ، بأن التطفيل مشتق من الطفَل ، وهو وقت المساء وأوان العشاء ، وهو عهد لطيف جداً ؛ راجعه في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، ج ٧ ص ١٥٥ — ١٦١ وراجع بحث التطفيل في كتابنا « المائدة في الاسلام » .

بابلياً [1] ، أديباً ، عجيباً ، رصّافاً [2] ، قصافاً [3] ، مدّاحاً ، قدّاحاً ، ظريفاً ، سخيفاً ، نبيهاً ، سفيهاً ، قريباً ، بعيداً ، وقوراً ، حديداً ، مصادقاً ، مماذقاً [4] ، مسامراً [5] ، مقامراً ، لوطيّاً [6] ، حلقيّاً [7] ، شكّازاً [8] ، طنّازاً [9] ، همّازاً [10] ، غمّازاً [11] ،

---

١ — بابلياً : تعني النسبة إلى بابل ، وإنما ينسب إليها اثنان : السحر والخمر ، وأحسب أنها مصحفة عن كلمة : بنانيّاً ، نسبة إلى الطفيلي المشهور بنان ، وهو مروزي الأصل ، بغدادي الدار ، وكان عبقرياً في التطفيل ، راجع أخباره في كتاب التطفيل للخطيب البغدادي ، وفي كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، ج ٧ ص ٨٤ ، ١٤٣ ، ١٥١ — ١٥٤ .

٢ — رصّافاً : من الرصافة ، وتعني الرفق في الأمور (لسان العرب) .

٣ — قصّافاً : من القصف ، وهو الإقامة في أكل وشرب ولهو .

٤ — مماذقاً : المماذق الذي لا يخلص في مودته ، ولا يصدق في قوله ، من مذق اللبن ، إذا خلطه بالماء ، يعني أنّ ودّه غير خالص ، قال الشاعر :

وأراهُ يفعل ما يقول وغـــيره　　مذق اللسان يقول ما لا يفعـل

٥ — المسامر : صاحب السمر ، وهو الحديث في الليالي .

٦ — لوطيّاً : اللوطي هو الباحث عن الصبيان ، نسبته إلى قوم لوط الذين اشتهر عنهم تعلّقهم بهذه الفاحشة ، قال ابو نؤاس ، يهجو أبا عبيدة :

صلّى الإله على لوط وشيعتـــه　　أبا عبيدة قل بالله آمينـــا

فأنت عندي بلا شكّ بقيّتهم　　منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

٧ — حلقياً : الحلقي الذي يؤتى ، قال الشاعر يهجو والبة بن الحباب الأسدي الكوفي :

والب يا ابن الحباب يا حلقـــي　　لست من أهل الزناء فانطلق

٨ — الشكاز : المعربد ، والذي يؤذي الناس بلسانه ، والشكيز : السيءُ الخلق ، والبغداديون يقولون : شَكِس ، بالسين ، وهي فصيحة .

٩ — الطنز ، السخرية ، والطنّاز : الذي يسخر من الناس .

١٠ — الهمز : الغيبة والعيب ، والهمّاز : المغتاب العيّاب .

١١ — الغمز : السعي بالشر ، وقد اتخذ الولادة الظلمة قوماً يسمونهم الغمازين ، يخبرون عمّن له ثروة ، لتجري مصادرتها أو مشاطرتها .

همزة [١] ، لمزة [٢] ، سبّاباً ، عيّابـاً ، معربداً [٣] ، مندّداً [٤] ، صدّيقاً [٥] ، زنديقاً [٦] ، ناسكاً [٧] ، فاتكـاً [٨] ، غرّة [٩] ، عرّة [١٠] ، عيّرة [١١] ، ترّهة [١٢] ، مفروكاً [١٣] ، مدلوكاً [١٤] ، قواداً [١٥] ،

١ ــ الهمزة : الذي يعيب الناس ويغتابهم ، أي إنه يعيبهم في غيبتهم .
٢ ــ اللمزة : الذي يعيب الناس في وجوههم ، واللمز : العيب .
٣ ــ العربدة : في الأصل ، الخلق السيّء ، ثم صرفت إلى الذي يخرج به السكر إلى معاملة الناس بالسوء قولاً وعملاً .
٤ ــ المندّد : الذي يسمع الناس القبيح ، ويصرّح بعيبهم .
٥ ــ الصدّيق : البارّ ، الدائم التصديق للحقّ ، أوّل من لقّب بالصدّيق أبو بكر أوّل الخلفاء الراشدين .
٦ ــ الزنديق : الخبيث الداهية ، الذي يبطن الكفر ويتظاهر بالإيمان .
٧ ــ النسك : الأصل في التنسك التطهّر ، ثم صرفت إلى الزهد والعبادة والتقشف .
٨ ــ الفاتك : الجريء الشجاع الذي يركب ما همّ من الأمور ودعت إليه النفس من دون النظر في العواقب ، قال أحمد شوقي ، يخاطب قلبه ، من قصيدة كلها غـرر :

لم تبق فينا يا فـؤاد بقيّـة — لفتوّة أو نهـزة لعـراك
كنّا إذا صفّقت نستبق الهوى — ونشدّ شدّ العصبة الفتّـاك
واليوم تبعثُ فيّ حين تهزّني — ما يبعث الناقوس في النسّـاك

٩ ــ الغرّة : أوّل الشيء وطلعته ، والأغرّ : الحسن الأبيض من كل شيء ، والغرّة : البياض في جبهة الفرس ، وهو من محاسنه ، وغرة الرجل : وجهه .
١٠ ــ العرّة : المعيب ، الشرير ، القبيح .
١١ ــ في الاصل : عبرة ، والعيّرة : المنسوب إلى العار وقبيح الفعل .
١٢ ــ في الاصل : نزهة ، وهي تصحيف . والتّرهة : الأباطيل والدواهي .
١٣ ــ المفروك : الذي مارس الأحداث وجرّب .
١٤ ــ المدلوك : من الدلك ، وهو الفرك والدعك والغمز ، والمدلوك هنا ، بمعنى الذي مارس الأحداث وجرّب .
١٥ ــ القوّاد : الذي يجمع بين طلاّب المتعة الحرام .

كاروكاً [١] ، دَرْجاً في دُرْج [٢] ، في خرج في برج [٣] ، مختوماً بالعنبر ، ملفوفاً في الحرير الأخضر ، أشخم [٤] من طين السّماكين ، وأنتن من ريح الدبّاغين ، قد نشأ بين دكول ، ودقيش ، وقمور ، وزنكلاش [٥] ، ولاّج وخرّاج ، عيبة عيوب [٦] ، وذَنوب ذُنوب [٧] ، وجراب جَرَب ، وجلبابُ حَرَب [٨] ، دغرة من صَنٍّ قمّاش [٩] ، قبضة من كفّ وقّاد [١٠] ، كبة [١١] على مزبلة ، أخرق من خرق

١ ـ الكاروك : القواد (لسان العرب) ، أحسبها من الفارسية : كاروكر ، بمعنى الملجأ والمقصود ، يراد بذلك القوّاد .

٢ ـ الدَرْج (بدال مفتوحة وراء ساكنة) ما يكتب فيه ، والدُرْج (بدال مضمومة وراء ساكنة) سفيط صغير يدّخر فيه الطيب والأدوات الصغيرة .

٣ ـ الخرج : الوعاء المعروف الذي يوضع على ظهر الدابة ، وتوضع فيه الأشياء ، والبرج : بناء مرتفع حصين يكون منفرداً ، أو ركناً من أركان حصن .

٤ ـ في الأصل : أشر ، وشخم الطعام او اللحم : فسد وتغيّرت رائحته .

٥ ـ أحسب أن هذه أسماء جماعة من السفلة ، أو ألقابهم التي ينبزون بها .

٦ ـ العيبة : الزنبيل من الأدم ، او الصندوق الذي تحفظ فيه الثياب ، وقوله : عيبة عيوب ، يعني أنه مخزن عيوب ورذائل .

٧ ـ الذَنوب (بفتح الذال) : الدلو إذا كان فيه ماء ، وقوله : ذَنوب ذُنوب ، يعني أنه قد ارتكب من الذنوب بقدر نقاط الماء التي اشتمل عليها الدلو .

٨ ـ الحَرَب : الويل والهلاك .

٩ ـ الدغرة : الكمية المختلطة ، والصنّ : السلّة ، والقمّاش : الذي يجمع القمش ، وهو الرديء من كل شيء .

١٠ ـ الوقّاد : الذي يقف على أتون الحمام ، يلقي فيه بالوقود ، ووقود الحمامات ببغداد ، منذ القديم ، القمامة والزبل ، وقوله : قبضة من كف وقّاد ، يعني : إما أن تكون قبضة من الزبل والقمامة ، أو قبضة من الرماد المتخلّف عنها .

١١ ـ الكُبَة (بكاف مضمومة وباء مفتوحة) : الكناسة ، وجمعها : كبون .

البول (١) ، أعتق من البُرْدة (٢) ، أضرّ من الجبن العتيق ، أفسد من الجرذان (٣) ، ابن بظراء (٤) على شهباء ، ابن أرملة قد ربّذت (٥) قطنها في القمر ، عرقال العراقيل (٦) ، عقدة في حبل كتاف (٧) ، قد [م٤] عاشر المقامرين [ص٥] والنبّاذين (٨) ، وتخلّق بأخلاق

١ — الخَرْق (بخاء مفتوحة وراء ساكنة) التمزّق ، والخِرَق : بخاء مكسورة وراء مفتوحة مفردها : خرقة ، القطعة من الثوب ، والخرقة التي تستعمل للتمسح من البول ، هي أدنى أنواع الخرق ، وفي الاصل : اخلق من خرق البول ، ولها وجه .

٢ — في الدرّة الفاخرة ١٧٠/١ : اخلق من البردة . والمعنى واحد .

٣ — الدرة الفاخرة ٣٢٧/١ .

٤ — ابن البظراء : كلمة شتيمة ، والبظر : هنة بين اسكتي المرأة ، والبظراء : ذات البظر الضخم ، وهذا مما تعيّر به النساء ، قال حسان بن ثابت ، يهجو : [الطبري ٥٢٥/٢] :

لعن الإله وزوجها معهـــا هند الهنود عظيمة البظـــر

٥ — ربذت قطنها ، أي خفّت يدها في غزله .

٦ — العرقال : من لا يستقيم على رشده ، والعراقيل : الدواهي .

٧ — عقدة في حبل كتاف : كناية عن شرّ أنواع المضايقة والأذى ، لأن الحبل الذي يكتّف به الإنسان ، إذا كانت فيه عقدة ، فإنها ترمض بدن المكتوف وتؤذيه أشدّ الأذى .

٨ — يريد بالنباذين ، أصحاب الخمارات ، وهم في العادة من سفلة الناس .

المخانيث[1] والقرّادين[2] ، ودرس علم الزرّاقين [3] والمشعبذين [4] .

شيـــخٌ بنـــار جهـــنّم قبل الممات قد اصطلى
تلقـــاه شهمـــاً فارهـــاً عند الفسوق محصّـــلا
متفقّهـــاً متكالمـــاً متبصّراً متأمّـــلا
إمّـــا إمـــاماً في الخسا رة أو نبيّـــاً مرســـلا
وإذا لهجـــت بعذلـــه وسبيلُهُ أن يعـــذلا
وطمعت في أن يأنف الـــ شيخ السخيف ويخجـــلا
خـــاطبت شيخـــاً أبلهـــاً مثـــل الحمار مغفّـــلا
يدعـــى إلى تـــرك الفســو ق فيستعيذ من البـــلا

آخـــر

شيخاً إذا ما عضّه العـذل فتك قد حنّكته الحادثات فاحتنك

١ ــ المخنّث : الخنث في الأصل : اللين والتكسّر والتثنّي ، والمخنّث : الرجل الذي يكون في تكسّره واسترخائه على صورة النساء ، ثم صرف التعبير إلى طبقة من سفلة الناس يتكسبون ببيع أنفسهم لطلاب اللذّة أو بالقيادة ، وتعبير المخنّث الآن عند العامة البغداديين ، مقصور على الجبان فقط .
٢ ــ القرّاد : الذي يرقّص القرد ويعرضه على الناس ، والقرّادون عادة من سفلة الناس ، وحرفتهم من أحقر الحرف .
٣ ــ الزرق : التمويه ، والزرّاق : الذي يقعد على الطريق ، فيحتال ، وينظر بزعمه في النجوم ، وهو تعبير من تعابير الساسانيين ، أي الذين يتخذون الكدية والاحتيال سبباً من أسباب الارتزاق ، راجع شفاء الغليل ١٠١ .
٤ ــ الشعبذة والشعوذة : هي في الأصل خفّة اليد ، وأعمالها كالسحر ترى الانسان الشيء بغير ما هو عليه ، ثم صرفت لكل احتيال على الناس .

وسبكتـــه بالمعـــاصي فانسبـك   وهتك الفسق نهاه فـــانهتك
فهو خليع في الضلال منهمك

آخــر

شيخاً رقيعاً زيفاً [1] سخيفـــاً   في مثله تجمع العيوب [ص٦]
قد بيّضت رأســـه الليـــالي   وسوّدت وجهه الذنـــوب

آخــر

شيخاً زريّـــاً زيفـــاً إليـــه   في السخف تنضى [2] كوم المطايا
قد بيّضت رأسه الليـــــالي   وسوّدت وجهـــه الخطايا

آخــر

فاسقـــاً ذقنه عليـــه ضمـادٌ   من نضوج الأشراج والأحراح
مالكيّـــاً فأيره كـــل يـوم   يضرب اللبن في فضاء الفقاح

هذه بعض أوصاف الشيخ ، فاستمع الآن إلى أخباره ، وما نجاوه من طيّب أبزاره [3] .

تستمع شرح قُصّة خضتُ منهـا   في فنون غريبة الألـــوان
وحديثاً كالدرّ ، ألّفتُ منـــه   بين نظم الياقوت والمرجان

١ ـ الزيف من الدراهم : المغشوش ، ومن الرجال : الحقير ، والعامة البغداديون الآن ، يكنون عن الدرهم المغشوش ، بأنّه : قَلْب (بقاف مفتوحة ولام ساكنة) وعن الرجل المحتال ، الذي يخالف باطنه ظاهره ، بأنه قلب كذلك .

٢ ـ تنضى هنا بمعنى تساق ، والكوم ، مفردها : الاكوم : البعير الضخم السنام .

٣ ـ الابزار : التوابل ، مفردها : البزر ، وجمعها : الابزار ، وجمع الجمع : الابازير ، وهي التوابل التي يطيب بها الطعام ، والبغداديون يسمونها : البهارات ، وقوله : طيّب ابزاره ، يعني أخباره وقصصه .

[م٥] كان من عادته أن يدخل دار بعض الأكابر، متماوتاً، متسمتاً[١]، في نسك الأبرار، عليه طيلسان [٢] قد أسبل طرفه على جبينه، وغطّى شطر وجهه، فاذا رأى مجلساً مشهوداً بأعيان الناس، أخذ يهمس بتلاوة القرآن، ثم يسلّم من خلالها، على القوم، بترخيم ونغمة [ص٧] فيها شجى، ويقبل على صاحب الدار، ويقول: حيّا الله ذا الوجه بالسلام، وحباه بالاكرام، وجلس متخافتاً بقراءته ساعة مديدة، ثم يجهر يسيراً من نجواه، بقوله تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب [٣])، يري الناس أنّه انتهى بالدرس إليه. ويتنفّس — في أثنائها — أنفاساً تدمى مسالكها، ولا يزال يتصنّع ويتخشّع، إلى أن يلحظ واحداً من القوم متبسّماً، فيقول حينيذ [٤]، بذلك الخشوع، والاستكانة والخضوع، بعد إسبال الدموع، وتصاعد الأنفاس من الضلوع: يا قاسي القلب، أكلّ هذا الطرب، بعد قتل الحسين الذبيح؟ لا حول ولا قوّة إلاّ

---

١ — التسمّت: الظهور بمظهر أهل الخير والصلاح.

٢ — الطيلسان: قطعة من القماش، مربعة او مدوّرة او نصف دائرة، تلقى على الكتف فوق الملابس، وهو لباس المشايخ والعلماء والقضاة، والطيلسان الآن، قليل الاستعمال ببغداد، يرتديه بعض المعمّمين المتقدمين في السنّ، ويسمونه شاله، ويتخذونه من قطعة مربعة من الصوف الانيق الفاخر، ويكون في الغالب مطرزاً، ويطوى حتى يصير مثلث الشكل، ويطرح فوق الملابس على الكتف، وقد يوضع فوق العمامة.

٣ — ٣٧ م النور ٢٤.

٤ — حينئذ، وقد اسلفنا ان البغداديين يبدلون الهمزة اذا كانت في وسط الكلمة واواً أو ياءً.

بالله ، أنت في لهو وطرب ، وأهل بيت نبيّك في قتل وحرب [1] ، ثم يستعبر ويقول :

لعن الله من يعادي عليـــــــاً وحسيناً من سوقة وإمــــــام
يأمن الظبي والحمام ولا يـــــأ مَنُ آل الرسول عند المقام [ص٨]
طبت نفساً ، وطاب أهلك أهـلاً أهل بيت النبيّ والإسلام
رحمة الله والسلام عليهـــــــم كلمّا قام قائم بسلام [2]

ويمسح عينيه من البكاء ، ويتنفّس الصعداء ، ويقول :

أنا أبرا من كل من أضمر الغـــد رَ بعهد الوصيّ يوم الغدير [3]
أنـــــا مـــــولى محمدٍ وعليٍّ والإمامين شبرّ وشبير [4]
أنا مولى البتول [5] حقاً بلا غـــ شٍ ، ولا مرية ولا تقصير

١ ـ الحَرَب : الويل والهلاك .
٢ ـ الابيات لعبد الله بن كثير السهمي ، وردت في البيان ٣٦٠/٣ باختلاف بعض الألفاظ ، ففي البيت الأول ورد الشطر الاول : لعن الله من يسبّ علياً ، وفي البيت الثالث : طبت بيتاً .
٣ ـ يريد بالوصي امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وبيوم الغدير ، ما ورد في الاخبار ان النبي صلوات الله عليه ، لما عاد منصرفاً من حجة الوداع ، وصار إلى غدير خمّ ، قام خطيباً وأخذ بيد علي بن ابي طالب ، فقال : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه (اليعقوبي ١١٢/٢) .
٤ ـ شبرّ وشبير ، الحسن والحسين عليهما السلام .
٥ ـ يريد بالبتول ، سيدة النساء الزهراء فاطمة بنت سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليهما ، أم الحسنين ، ولدت سنة ١٨ قبل الهجرة ، وتوفيت في السنة ١١ بعد وفاة والدها رسول الله صلوات الله عليه بستة أشهر عن تسع وعشرين سنة .

أنا مولى الذي له ردّت الشمـــــ س ، ومولى قسيم نار السعير (١)
[م٦] أنا مولى الذي به فرق الايـ ـمان بين المبـــاح والمحظــور
أنا مولى مكلّم الذئب في بـــا بل في معشر لديه حضـــور
والذي كلّمته جمجمـــــة الميّ ت في أرض بابل بالأمـــور
أنا مولى مكلم النسر بالكـــــو فة في يوم فضله المشهور
أنا مولى الذي لوا الحمد منشـو رٌ على عاتقيه يوم النشور
أنا مولى الكرّار يوم حنـــــين والظبي قد تحكّمت في النحور
وصدور الرماح يقصفها الطعـــــ ن بأيدي الكماة جوف الصدور
في وغى لم تكن لتسفــــر إلاّ عن قتيل أوهارب أو أسير [ص٩]
أنا مولى الذي افتتح الحصنيـــــ ن حصني قريظة والنضير
والذي هزّ باب خيبر حـــــتّى أيقن القوم كلّهم بالثبور
والذي علّم الأرامل في بـــــد رِ على المشركين جزّ الشعــور
من مضت ليلـــة الهرير وقتـــلا هُ جزافاً محصون بالتكبـــــير

ينشدها إنشاداً يشجي الحاضرين ، ويطرب السامعين ، ويبقى على هذه الحالة من ناموسه ، إلى أن يفطن له جلدٌ من القوم ، فيقول : يا أبا القاسم ، لا بأس ، ما في القوم الا من يشرب وينيك ، فاذا سمعها يتبسّم ويقول :

١ — سئل الامام احمد بن حنبل ، عن قول الناس : عليّ قاسم الجنة والنار ، فقال : هذا صحيح ، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لعلي بن أبي طالب : لا يحبك إلاّ مؤمن ، ولا يبغضك إلاّ منافق ، فالمؤمن في الجنّة ، والمنافق في النار (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٢٨) .

حقّاً تقول بالله ؟ كشاخنة [١] صفاعنة [٢] ، أولاد العناق والحشايا [٣] ، اتباع الشواء والقلايا ، عبيد القدح والرطليّة [٤] ، إخوان البزماورد [٥] والقليّة [٦] ، كلّهم كما هم ؟ ، نعم ، ثمّ ينطلق من حبسته ، ويحلّ عقد حبوته ، وينحّي طرف طيلسانه عن جبهته ، ويستوي في جلسته ، ويقول : صباحاً صالحاً ، لا رديّاً ولا فاضحاً ، وينظر إلى أحد الحاضرين ، ثمّ يقبل على صاحب المجلس ، ويقول : يا سيّدنا من هذا ؟ ما ٱسمه ؟ أمتعني الله بفقده ، فيقول مثلاً : هذا رجل فاضل أديب ، يعرف بأبي بشر ، فيقول [ص١٠] : عَبَسَ وتولّى ، لا إله إلاّ الله ، ثقيل كنيته أبو الهوا ، سماديّ اسمه شمامة [٧] ، مكدّية اسمها ملكة ، بربخ [٨] اسمه أبو

١ ــ الكشخان : الديوث ، فارسية ، والعامة البغداديون يلفظونها بالسين : ديّوس .
٢ ــ الصفعان : الذي يصفع ، والصفعة ضرب القفا بالكفّ مبسوطة ، وقد يحصل الصفع بالوسائد ، او بالنعال ، او بجراب فارغ أو محشوّ ، او باوراق السلق ، او بقشور القرع ، او بقشور البطيخ الاحمر المعروف في بغداد بالرقّي ، او بورق السلق ، للتفصيل راجع كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » مادة : أكل الجراب .
٣ ــ الحشية ، وجمعها الحشايا : مرفقة تعظم المرأة بها بدنها .
٤ ــ الرطلية : قنينة تتّسع لاستيعاب رطل من الشراب .
٥ ــ البزماورد : لون من الوان الطعام المعجّل او الميسّر ، المسمى الآن : ساندويج وصفنا كيفية صنعه في موضع آخر من هذا الكتاب .
٦ ــ القليّة ، والجمع قلايا : ما قلي من اللحم والطعام .
٧ ــ السمادي : المنسوب إلى السماد وهو مزيج من السرجين والعذرة والزبل يطرح في اصول الزرع والخضر ليجود نباته .
٨ ــ البربخ : المجرى المعدّ ليسيل فيه البول ، ثمّ صرف إلى كل مجرى سواء كان للماء او لغيره ، ومنه بربخ الكنيف الذي يجري فيه القذر إلى الجومة مخزن القذر ، والبغداديون يسمونها : التنّورة ، أحسب انها سميت بذلك لأن شكلها مماثل لشكل التنّور .

نظيف ، سوداء متنقبة ، قفل على خربة ، قد [م٧] قرأ كتاب تأخير المعرفة ، وكتاب نسيان العلوم ، ودرس مجموع نقصان الفهم ، أدّوا عنه حقّ الراعي يوم الأربعاء في سوق البقر (١) ، لا يفوته - بحمد الله - من الجهل إلاّ اليسير ، أليس ليس يفهم الشيخ كيف ليس داري .

إن عـاب مـولاي قـولي واغتـابني بقبيـح
خريـت في باب أفعلـت من كتاب الفصيـح (٢)

وهذا الكتاب في يده يقراه ، كأنّه يزداد بصيرة ، لا بل يريد يتميّز من الجماعة بالأدب ، بأنّي أنا أنا .

وقال الطانزون فتى أديـبٌ فصعّد مقلتيه لها وتاهـا
وأطرق للمسايل أي تأتّـى (٣) وما يدري - وحقّك - ما طحاها (٤)

قال : إذا رأيت الشيخ يتعلّم الثقافة (٥) ، فاعلم أنه يريد الغزو في الآخرة ، لا بل يريد يحارب ملك الموت ، باردٌ والله ، إشّه (٦) ، الحقوني بمجمرة نار [ص١١]

عجبت - والله - لـه كيف لا يضربه - من برده - الفالج

١ - يريد انه ثور .
٢ - الفصيح كتاب من تأليف ابي العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب امام الكوفيين في النحو في اللغة ، والبيتان لابن الحجاج ، راجع اليتيمة للثعالبي ٣/٣٣ .
٣ - المسائل ، وتأتّى : تهيّأ .
٤ - ما يدري ما طحاها : كناية بغدادية قديمة عن الجاهل الذي يتظاهر بالمعرفة ، اما الكناية البغدادية الآن عنه ، فقولهم : والسماء والطارق ، راجع كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .
٥ - الثقافة والمثاقفة : المبارزة بالسلاح .
٦ - إشّه : كلمة تقال عند الشعور بالبرد ، ما زالت مستعملة ببغداد .

ما أنظف ثيابه ، وأوسخ إهابه ، لولا بياض الثياب ، حسبته من الكلاب ، كأنّه كنيف مجصّص ، أو بعرٌ مرصّص ، وذا الآخر من هو ؟ كأنّه صورة على باب حمام .

فيقال : هذا فلان الكاتب ، فيقول :

كـــاتب يَصْفَــعُ بالنعــ ـــل قفا كــلّ أديــبِ

* * *

كاتب كلّما تربّع في الدســ ـــت فسا في أنوف أهل الزمـــانِ

* * *

كـــاتب يصفــــع بالنعــ ـــل قفا عبد الحميـــد [1]

* * *

كـــاتب فيـــــه إذا شـــ ـــمّ الخرا صولة جنــــدي

لا والله

بل كاتـــب خرية بــــــوّابه أكتب من ذقن أبي قرّة [2]

١ ــ عبد الحميد الكاتب : عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، كان يكتب لمروان بن محمد آخر الحكام الامويين ، المعروف بالجعدي ، وبالحمار ، وقتل معه في السنة ١٣٢ ، وكان آية في الكتابة ، حتّى قيل : بدأت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد ، وكان يعقوب بن داود ، وزير المهدي العباسي ، يكتب بين يدي عبد الحميد ، وعليه تخرّج ، ومن صفات عبد الحميد الحسنة ، الوفاء ، فان مروان لما أحسّ بزوال ملكه ، قال لعبد الحميد : قد احتجت إلى أن تصير إلى عدوّي ، فان اعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك ، ستحوجهم إلى استبقائك واستخدامك ، فأبى عبد الحميد ان يفارقه ، وأصرّ على ان يقاسمه مصيره (الاعلام ٤/٦٠) .

٢ ــ ابو قرة الحسين بن محمد القنائي ، من دير قنّى ، موضع على دجلة جنوبي بغداد ، على بعد ستة عشر فرسخاً منها (معجم البلدان ٢/٦٨٧) ، كان وافر الذكاء ، =

فيقال : هذا متّصل بصاحب الديوان (١) ، وهو إنسان خطير ، فيقول : وأيش عليّ من هذا ، بعرة بعير في المدّ الكبير ، ما بقي بعد النبي والصحابة ، من على وجهه مهابة .

حمل الله كلّ فحلٍ مشى اليو م على أمّ صاحب الديـــوان
فهو عندي كالكلب أو كخرا الكلا ب إذا كان يابسأسيّان(٢) [ص١٢]

[م٨] أيش البقّة وأيش قرصتها (٣) ، أخاف صاحب الديوان أن يتأوّل في معيشتي ، أو يحمل على أكرتي (٤) ؟ ، من ليس يدك في قصعته ، لا تبال بصلعته ، ويرنو إليه ساعة ، نظر مريب ، ثم يقول : ما هو — لعمري — إلاّ ظريف ، أما ترون سعة أردانه ، وحسن طراز برّكانه (٥) ؟

= حسن الكتابة ، نشأ في ديوان واسط ، وتقدم حتى اصبح ضامناً لواسط ، واتصل بوزراء بختيار البويهي ، الحاكم في العراق ، وكان يرفق ويرتفق ، فأثرى ، وتقلّد الديوان ببغداد ، واتصل ببختيار ، فأصبح يولّي الوزراء ويعزلهم ، ورتب له علاقات ارتفاق مع كبار رجال الدولة ، ومع الامير بختيار كذلك ، ثم تألّب عليه الجميع ، واسلموه إلى عدوّه سهل بن بشر ضامن الاهواز ، مقابل مبلغ من المال سلّمه اليهم ، فحدره معتقلاً إلى الاهواز ، وسلّط عليه الوان العذاب حتى قتله في السنة ٣٦٠ ، راجع أخباره في تجارب الامم ٢/٢٦٠ — ٣٦٦ وفي التكملة .

١ — صاحب الديوان ، يعادل منصبه الآن المدير العام .

٢ — البيتان لابن الحجاج في جمهرة الاسلام (مخطوطة ليدن) الورقة ٧٨ ، قاله الدكتور احسان عباس .

٣ — أيش البقّة وأيش قرصتها : مثل بغدادي يضرب للاستهانة بالشيء التافه ، والبقّة تعبير بغدادي عن البعوضة ، ما زال مستعملاً .

٤ — الأكرة ، مفردها : الأكّار : الفلاح والحراث .

٥ — البرّكان : ثوب يرتديه الانسان فوق ثيابه ، راجع وصفه في معجم دوزي للالبسة عند العرب ص ٦٨ — ٧١ .

قد قلتُ إذ أبصرتــه جالســاً بخاتميــه وطرازَيْــــهِ
ما أحوجَ الأحمــق عنــدي إلى معلّـــم يعرك أذنيــــه

ثم يعيد نظره إليه ، فيتشوّر ذلك البائس (١) ، ويرشح جبينه من الحياء ، فيقال له : يا أبا القاسم ، وله خطّ حسن وبلاغة ، فيقول : فلمَ لا يبخّر أنامله بسلح اليهود ، لا بل بخرا الكلاب السود ؟ لا والله ، إنما يجب أن يتعطّر بضرطة حمّامي ، فإنها كثيرة البستج (٢) ، أو يدخل في حر بقرة قد أكلت شاهترّج (٣) ، فإنّها غريبة المنهج ، فيقال : وهو في عمل جليل ، فيقول : زدني به معرفة ، كأنّه خازنة أمّ موسى (٤) على خرا الدجاج ،

١ — التشور : الخجل .
٢ — البستج : فارسية ، الكندر الابيض (الالفاظ الفارسية المعربة ٢٢) أقول : ما زال هذا اسمه ببغداد .
٣ — الشاهترّج : نبات معروف يستعمل دواء لاصلاح المعدة والامعاء ذكره ابن البيطار في جامعه ٢/٤٧ — ٤٨ وما زال هذا النبات معروفاً في بغداد واذكر وانا صبيّ شيخاً كان يطوف وقت الفجر في ازقة بغداد يبيع من هذا النبات ، وهو يصيح : يطفّي الحرارة والنار ، شاهترّك .
٤ — أم موسى الهاشمية ، قهرمانة المقتدر ، قهرمتها السيدة ام المقتدر في السنة ٢٩٩ على اثر غرق فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر في يوم ريح عاصف ، وكانت ام موسى تنقل رسائل السيدة ، ورسائل الخليفة إلى الوزير ، وتمكنت من الدولة تمكّناً عظيماً ، وأثرت ثراءً فاحشاً ، وكان لها اخ اسمه احمد بن العباس ، ارتفع بارتفاعها ، وكان يجلس للناس ، ويأخذ قصصهم ورُقاعهم إلى أم موسى ، ثم نصبه المقتدر نقيباً لبني هاشم ، من طالبيين وعباسيين ، فضج الهاشميون ، فاضطر إلى عزله ، وبلغ راتبه الشهري من وظائفه في الدولة سبعة آلاف دينار في الشهر ، وولاه المقتدر في السنة ٣٠٩ اقامة موسم الحج ، ودالت دولة ام موسى في السنة ٣١٠ لما اتهمها المقتدر بأنها تتآمر عليه من أجل استخلاف ابي العباس محمد بن اسحاق بن المتوكل ، فقبض عليها وعلى اخيها واختها ، واسلمهم إلى ثمل القهرمانة ، =

أو وكيل على الشطّ ، يحفظ خرا البطّ ، أو متولي دجلة يشدّ الماباقات بالحوض [1] ، وأيش هذا الأسود القايم على رأسه ؟ فيقال : خادمه ، وله جماعة مماليك وخدم [ص١٣] ، فيقول : وما كان له بدّ أن يريني خدمه ومماليكه ، إي لعمري ، لولا الخدم ما ظهرت رتبة الملوك ، ولا ظهر الغنيّ من الصعلوك ، ما عند ستّي من المملكة إلاّ طول الجلوس في الخلاء ، وقعودها على الكنيف ، تخاطب الوكلاء ، إصعد يا أستاذ قرنفل ، قف على رأس مولاك بنعليك .

ليس حمد الخصيـان في الناس إلاّ
شدّة الصبر عند بثق [2] الفقـاح
معشر أشبهـوا القـرود ولكـن
خالفوهـا في خفّـة الأرواح

فديت كل شيء له ظريف مثله ، ما لا يشبه صاحبه يكون عارية ، ولم هو كذا ، دبّ يتبغنج [3] في غلالة لبود ، ظريف ، وقع عن كتف دايته في الكنيف ، لا يأكل الخرا إلاّ بنارجين [4] ، قد دخلتَ في شرعة البربخ [5]

= وكانت موصوفة بالشر ، فاستخرجت منهم ألف ألف دينار (المنتظم ١٦٦/٦ وتجارب الامم ٢٠/١ و ٨٣ و ٨٤ والوزراء ٣٠١ وصلة الطبري ٢١ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٧) .

١ ــ يشدّ الماباقات بالحوض : لم افهم معناها .

٢ ــ في الاصل : عند شق .

٣ ــ كذا في الاصل ، ولم اجد فيما تيسّر لي من المراجع ، ايضاحاً للبغنجة .

٤ ــ النارجين : جوز الهند ، ومنه اخذت النارجيلة ، التي يسميها البغداديون الآن : النركيلة ، وتسمى في لبنان : الأركيلة ، وسبب هذه التسمية لأنّ الاوائل الذين استعملوها كانوا يستعملون قشر جوزة الهند موضعاً للماء .

٥ ــ الشرعة ، وجمعها شراع : الطريقة إلى الماء .

يا با خالد ، ماذا الصلف ، ثم ينفخ له شدقيه ، ويحدّق النظر اليه ، ويقــول :

حنيـــــذ لبس اليـــــوم قميصاً فـــوق درّاعة
فمـــا شبّهتـــــــه إلاّ بطبل فوق كرّاعــة [1]
[م٩] فمن لي بفـــتّى يضـ ـرط في لحيته الساعة [ص١٤]

ويقــول :

يـــا كاتبـاً عبده الذي لا نشكّ فيه عبد الحميـــد
ذقنك في استي وفي است أهلي فهل على ذاك من مزيد

يا سيّدنا ، وهذا الآخر ، أيش هو ؟ قد كبّر عمامته ، ونقش جبّته ، وضرب بفضل مشطٍ لحيته ، وما أكبر عمامته المسوّمة [2] ، كأنّه حمّال على رأسه رزمة .

في رأســـه عمامـــة ملفوفـــة مرقّلـــه [3]
كأنّهـــا في رأســـه قدر على سفرجلـــه

آخــر

لبست ذا القطن مـن البـرد أم أنتَ كمّثرى نهاونـــدي
بل أنت مشقاعٌ [4] له صولـة تشبه حقّاً صولة الجندي

يا سادة ، ما أبيض درّاعته ، وأسود سحنته .

١ ـ الكراعة : مغنّية تغنّي على طبل صغير (شفاء الغليل ١٧٤) .
٢ ـ العمامة المسومة : المعلّمة بعلامة .
٣ ـ في الاصل : مرملة ، والعمامة المرقّلة : العظيمة المرخاة على الرأس .
٤ ـ مشقاع : كلمة تقال للطنز والاستخفاف .

كأنّـــه لمّـــا بدا للنـــاس منتقباً في ثوبه الكرباس [1]
أير حمارٍ لفّ في قرطاس

وذا الآخر من هو ؟ وما باله ساكت لا ينطق ، أتراه يفكر في الخلافة إلى من تصير ، أليس سيدنا مهتم بسيف كسرى إلى من وقع ، قد غرق (ص١٥) زورقه في الداوودية [2] ، مسكين أبو العقلين [3] ، هو ينظر بأحدهما في الفواتح ، وبالآخر في العواقب ، ويَحكُمْ من هو ؟ ، فيقال : إنسان يداخل الكبار ، ويعاشر الرؤساء ، فيقول : وي ، نديم محطي [4] ، يأخذ ولا يعطي ، كالقرلىّ [5] ، إذا رأى خيراً تدلّى ، وإن رأى شرّاً تولّى ، مسجد يحمل إليه ولا يحمل منه ، علويّ ، يؤخذ بيديه ،

١ ــ الكرباس ، وجمعه الكرابيس : الثوب الخشن (فارسية) .
٢ ــ الداوودية : سد أنشىء على نهر عيسى ، الذي سمي نهر الداوودي ، يرضع من الفرات ، ويخترق كرخ بغداد ، ويصب في دجلة في موضع جنوبي الجعيفر من الكرخ ، بجوار جامع قمرية ، راجع اطلس بغداد للدكتور احمد سوسه ، وكتاب دليل خارطة بغداد ص ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ ، وكانت تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر ، وكان سد الداوودية يصاب ببثوق وتأكل وانهيارات فيعسر سدّه ، ويسبب خسائر في البضائع والتجارات ناتجة عن غرق وسائل النقل التي تشتمل عليها ، وما زالت هذه الكناية مستعملة ببغداد ، تقال لمن يظهر عليه الهم والقلق ، لماذا انت مهموم ، فهل غرق زورقك بالداوودي ؟
٣ ــ ابو العقلين : كناية عن الحمق ، ما زالت مستعملة ببغداد ، وقد يقولون في الكناية عن الاحمق : ابو عقل التنك ، راجع كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .
٤ ــ المحطي : الرذيل .
٥ ــ القرلّى : طائر مائي ، من فصيلة الزرزوريات ، شديد الحذر ، يتغذّى بالسمك ، لزيادة البحث عنه راجع معجم الحيوان لمعلوف ٥٨ و ١٣٨ .

ولا يؤخذ من يديه ، صوفيّ يطلب منّا ، ولا نطلب منه ، دبدبة من دبادب العيد [1] ، سنّور ، قد تعوّد كشف القدور ، يثرد على دخان الجيران ، طفيلي يَحضر ، وإن لم يُحضر .

إذا طمعوا في لذّة كان بيعـــةً   وإن طمعوا في مرفق كان مسجدا

آخـــر

مناه من الدنيـــا غلام ينيكـــه   وهمّته لفّ الجدا والشرايح [2]

مناه في الدنيا نبيذ يحسوه ، وغلام يحشوه ، يا سيّدنا ، من تعوّد خبز [م١٠] السفرة ، ونبيذ الزكرة [3] ، وركوب السخرة ، لا يفلح أبداً ، يشمّ روايح الطعام ، من مسيرة أيّام .

لـــو طبخت قـــدر بمطمـــورة   بالروم أو أقصى حدود الثغور [ص١٦]
وأنت بـــالصين لوافيتهـــا   يا عالم الغيب بما في القدور

آخـــر

مصمّـــمٌ إن رأى خوانـــاً   شدّ [4] على جانب الخوان [5]

---

١ ـــ الدبداب : الطبل ، كناية بغدادية ما زالت مستعملة عن الجاهل البليد .

٢ ـــ اللفّ في الاكل : الاكل بشكل قبيح والخلط بين صنوفه ، ومنه القول في الذم : إذا أكل لفّ ، وإن شرب اشتفّ ، والجدي ، جمعه : جداء ، وجديان ، والجد ولد المعز في سنته الاولى ، والبغداديون يسمونه : قوزي ، والشرايح ، مفردها الشريحه ، القطعة من اللحم الاحمر ، والبغداديون يسمونها الآن : الشرح ، بكسر الشين والراء .

٣ ـــ الزكرة ، وجمعها الزكر : الزق الذي يحفظ فيه الخمر .

٤ ـــ الشد : الهجوم .

٥ ـــ الخوان : المائدة ، فارسية ، بمعنى الطعام او الوليمة (الالفاظ الفارسية المعربة ٥٨) =

فأنــــزل الويل بالقلايــا [1] وبالجدا آل الرضّع السمـــان
ولا يلــــذّ الرقـــاق إلاّ باللحم والشحم في مكان
ولا يلـــــذّ الخبيص [2] إلاّ فالوذ جيّـاً [3] بزعفـــران
حتّى تــراه بغـير حنّـــا مختضب الكفّ والبنـــان

يحب الولايم أن يحضر موائدها ، ويخبط ثرائدها ، ويرتع في أطايبها ، ويمعن في غرائبها ، ولا يقصد من الألوان إلاّ الي أحسنها صنعة ، وألذّها مضغة ، وأغلاها سعراً في السوق ، وأسلسها في الحلوق .

يبطش بالعتّق السمــــان ولا يعرض للهندبــا ولا الخسّ
مهملج القلب مـــن فراهتـــه مصمّم الناب أهوج الضرس
لـــه يد تخبط السمـــاط ولا تلعب بين الصحاف بـــالمسّ

= وفي شفاء الغليل ص ٧٦ انها عربية ، مأخوذة من تخوّنه اي نقصه حقّه ، لأنّه يؤكل ما عليه فينقص ، وأنا اميل إلى الرأي الأوّل .

١ ـ القلايا ، مفردها القلية ، ما يقلى ويجعل مع الطبيخ ، والاداة الّتي يتم بها القلي ، هي : المقلاة ، والبغداديون يسمونها : طاوة ، فارسية : تابه بمعنى المقلى ، والقلايا ، منها ما فيه الحموضة ، ومنها ما فيه الملوحة ، ومنها ما فيه الحلاوة ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٣٥ ـ ٣٩ .

٢ ـ الخبيص : الحلوى ، والجمع أخبصة ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٧٣ و ٧٤ قال الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزاري ، امير العراق من ابيات :

تفيهق بالعراق ابو المثنّـــى وعلّم أهله أكل الخبيص

٣ ـ الفالوذج : فارسية ، بالوته ، حلواء تصنع من الدقيق والعسل والماء ، وان كانت رقيقة القوام ، سميت : فالوذج غرف ، اي انه يغرف بالمغرفة ، وفيها لغات : الفالوذ ، والفالوذج ، والفالوذق .

آخر [ص١٧]

وهو على الحمـــلان ذو زئـير أبلع للجدي من التنّـــور

آخـــر

ألـــزم للشواء مــــن سفّـــود يعمل في الشواء والقديـــد
أصابعاً تُطْبَعُ من حديـــدِ

أصابع كالشبكة ، في صيد السمكة .

ونديم رقيق حاشيــــة الخـــــلّة صافي زجاجــة الآداب
شغلتـــه الرقـــاع منه إليـــه داعياً نفسه إلى الأصحـــاب

يا سيّدنا

من كان تعجبـــه الجداء الرضّـــع من غير حاصله فلم لا يصفع [١]

نعم يا سيّدنا

[م١١] يضحي ضليعاً [٢] من الطعام
يمسي نزيفاً [٣] من المـــــدام

طبعه — بحمد الله — طبع الديك ، يأكل ويشرب وينيك ، ما يحسن — بسعادته — غير هذا ، تسافر يده على الخوان ، ويسفر وجهه بين اختلاف

١ — راجع المفوات النادرة ص ١٥ .
٢ — الضليع والمتضلّع : الذي امتلأ جوفه من الشبع .
٣ — النزيف هنا : السكران .

الألوان (١) ، يغشى علياً لقَدره ، ومعاوية لقِدْره (٢) ، مع الذئب يعيث ، ومع الراعي يستغيث ، شعير حيحى لجام لاحيحى (٣) ، ثلاث كالأثافي (٤) ، وضرس كالأشافي (٥) ، وبطن كالفيافي ، ستصبحين ، ولو بعد حين .

كليهـــا يا نفال (٦) فربّ يــوم يروح عليك أصحاب الدباغ

وهذا الآخر من هو ؟ زيادة الحمّى في دمّل ، كأنّه أمرد لا يغنّي ولا يدخل ، كأنّه طنبور قد تقطّعت أوتاره ، يا سادة ، بحياتكم خبّروني من هو ؟ فيقال : هو بعينه طنبوريّ ، فيقول : فذا طبل لا بدّ من أن نسمع صوته ، لا نحكم على غائب ، لا نحكم بالنبوّة حتّى نرى الدلالة ، إن اتّضح برهانه صدّقنا ، وإلاّ فسّقنا ، ثم يعيد النظر إليه ، كأنّه قد ندم من أعتابه جملة ، ويقول :

١ ــ هذه الجملة منقولة عن المقامة الجاحظية من مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٧٠ و ٧١ .

٢ ــ ثمة قول آخر ، يشبه هذا ، وهو قولهم : الصلاة خلف عليّ أتمّ ، والطعام على مائدة معاوية أدسم ، وكان معاوية بن أبي سفيان أكولاً ، ذكروا انه كان يأكل في كل يوم أربع أكلات ، آخرهن عظماهن ، ثم يتعشّى بعدها بثريدة عليها بصل كثير ودهن كثير قد شملها ، وكان أكله فاحشاً ، يأكل ، فيلطّخ منديلين او ثلاثة قبل ان يفرغ ، وكان يأكل حتى يستلقي ، ويقول : يا غلام ، ارفع ، اني ــ والله ــ ما شبعت ، ولكن مللت (شرح نهج البلاغة ٣٩٨/١٨) .

٣ ــ لم افهم معناها ، ولم استطع ردها إلى اصلها .

٤ ــ الاثفية ، وجمعها اثافي : الحجر توضع عليه القدر .

٥ ــ الاشافي ، ومفرده الاشفى : المثقب والمخرز .

٦ ــ كذا وردت في الاصل . وأقرب تأويل لها ان تقرأ : ثفال ، وتعني البطيء من الابل وغيرها .

أحسبه ما فيـــه إلاّ فايـــده — يشرب حُبّاً [1] ويعرّي ما يده
آكل خلق الله للعصايـــد [2] — ويمضغ اللحوم بالثّرايـــد
مرشّم بشــارب طويــل [3] — مثل جناح الزرزر الطليل [4]
ثم إذا ما قام مـــن غدائـــه — ونال ملء البطن من غذائـــه
تنــاول الريشـــة والطنبــورا — فأضحك الكبير والصغـــيرا

سفلة ، لعنه الله [5] ، يأكل الفيــل والزنديبل [6] ، يشرب الفرات والنيل ، ثم يأخذ الطنبور ، فيبتدي بالعويل [ص١٩] .

كأنّمـــا طنبــــوره زورقٌ — عليه من مضرابه مردي [7]

آكل — والله — من النار — وأشدّ فساداً من الفار ، شيطان معدته غير لطيف ولا رحيم .

لـــو أكل الفيـــل لمـــا كفـــاه — أو شرب البحر لما أرواه

ناوله الله كتابه بشماله ، وخراه بيمينه ، أسخن الله عينيه .

١ — الحُبّ : الزير .
٢ — العصيدة : طعام يتّخذ من الدقيق يلتّ بالسمن مع قليـــل من السكر ويطبخ ، ما زال هذا اسمها ببغداد .
٣ — الأرشم : الذي جعلت في رأسه الرشمة ، وهي من الحديد او الجلد توضع في فم الفرس ، وتمدّ إلى العذار ليربط بها الرسن .
٤ — في الاصل : الطويل ، والطليل : الذي اصابه الطل والمطر الخفيف .
٥ — السفلة : كلمة شتيمة ، من السفالة ، بمعنى السقاط والغوغاء .
٦ — الزنديبل : الفيل .
٧ — المردي (بميم مضمومة) ، وجمعها : مرادي (بفتح الميم) : خشبة يدفع بها الملاح السفينة . أقول : يتلفظها البغداديون بميم مفتوحة في المفرد والجمع .

يشتهي النعـــل أن يصفـّق إن غـــ ـــنّى على الأخدعين والأوداج

بالله ، لا يصاح لكم إلاّ مثله ، ما يصلح لمثل هؤلاء السادة المعاشرين إلاّ مثل هذا المغنّي ، اطّلع القرد في الكنيف ، قال : هذه المرآة تصلح لهذا الوجه [اللطيف] ، وافق شنّ طبقة [1] [م١٢] ، وذا الآخر من هو ؟ شمايله — والله — سهام في القلوب ، حيّاه الله بالطالع من الأجمة [2] .

طاوي ثلاثٍ مُنْكَسِرٍ بَـرِّيٍّ

ستره الله بستر هاؤلاء ، أعيذه بالله ، سطل دمشقي عروته منه ، زبّ كلب منقوع في لبن قذر ، في قعر كنيف ، له سبعون سنة ، جعس كلب ، قرّ بأسفل بولة كلبة على مزبلة ، ابن زانية بزيت [3] ، ذا — والله — سخنة عين ، قرّة است ، لا أدري أيّ أحواله [ص٢٠] أعجب ، طرفه أم ظرفه ، حليته أم لحيته ؟

لو رشموا جانب الكنيف بـــه لفرّ منه بنات وردان [4]

١ — هذا المثل من الامثال القديمة ، وما يزال مستعملاً ببغداد ، وله اشباه ادرجناها في كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .

٢ — يريد بالطالع من الأجمة : الحيوان المفترس .

٣ — يريد بهذه الشتيمة الاشارة إلى رخص الجذر ، قال ابو سعيد المخزومي ، يهجو دعبل :

واعجب ما رأينا او سمعنا هجاء قاله حيّ لميــــت
وهذا دعبل كلف معنّـــى بتسطير الاهاجي في الكميت
وما يهجو الكميت وقد طواه الـ ـردى إلاّ ابن زانية بزيت

٤ — بنت وردان : دويبة كريهة الرائحة تألف الاماكن القذرة في البيوت ، يسميها البغداديون : مردانة (بميم مضمومة) وجمعها : مردان ، واسمها في مصر : خنفس ، وفي الاسكندرية : صرصور ، وفي الحجاز : بنت وردان (المنجد ، معجم الحيوان لمعلوف ٣٦) .

ذا ــ والله ــ أنفع في العشرة من أفعى في بيت ، أي بيت يكون فيه هذا ففيه أمان من الغنى .

لك وجـــــه كأنّـــــه مَثَلٌ غـــير سائـــرِ
وَقَـفـــاً لم يـــزل يرى غرضـــاً للمســـاور [1]

آخـــر

يا ليت شعري ، أنت من ؟ قل لنا
هيّا ، فقد شكّكتنـــا فينـــــا
أخرجك الرحمن من ستره آمين رب العـــرش آمينـــا

ذا من هو بالله ؟ فيقال : إنسان يمزح ويتطايب ، فيقول : هات ، أيش قد أصبت ؟ خفّ دارش [2] بغير نعل ، قد بات في المطر ، خرا في ذقنه ، وباز على إيده [3] ، يطير الباز ، يبقى الخرا ، دعوه إلى أن نفرغ له .

حدّثني صديق لي ببغداد ، قال : كنت أمرّ في طاقات العكّي [4] ،

١ ــ المسورة ، وجمعها مساور : وسائد مرتفعة توضع وراء ظهر الانسان ، بينه وبين الحائط يتّكيء عليها ، وقوله : غرضاً للمساور ، لأنّ المساور كانت تستعمل للمصافعة ، ويسمونها الآن ببغداد : ضرب مخاديد ، جمع مخدّة ، للتفصيل راجع كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » في فقرة : أكل الجراب .

٢ ــ الدارش : الجلد الأسود .

٣ ــ على إيده ، بالهمزة المكسورة والدال المفتوحة ، تعبير عامي بغدادي ، ما يزال مستعملاً بمعنى : على يده ، والعامي البغدادي ما زال يسمى اليد : إيد .

٤ ــ طاقات العكي : طاقات في مدينة المنصور ببغداد ، بالجانب الغربي ، بين باب البصرة وباب الكوفة ، في الشارع النافذ إلى مربّعة شبيب بن وجّ ، وهي اول طاقات بنيت ببغداد ، والعكي هو مقاتل بن حكيم (معجم البلدان ٤٨٩/٣ و ١٤٢/٤ و ١٤٣) راجع بحثنا عن الطاقات ببغداد في نشوار المحاضرة ج ٥ ص ٤٧ وفي كتاب الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ٢٩٩ رقم الصفحة ٢٢١ .

فوطيت شيئاً حارّاً ، فمسسته فإذا هو ليّن ، فشممته فإذا هو منتن ، فذقته فاذا هو مرّ ، نظرتُ اليه في [ص٢١] السراج ، فاذا هو أصفر ، أريته أخي أبا موسى الكلوذاني ، فاذا هو خرا ، وأنا لا أعرفه (١) . ثم يقبل عليه ويقــول :

أيـــا شرّاً بـــلا خـــير ويا شينـــاً بـــلا زين
ويـــا أبغض مـــن يمشي عـــلى الأرض برجلين
ويـــا أنكرَ مـــن وجـهٍ غريم واجـب الــدين
ويا أثقـــل مـــن رضـــوى وثهلان برطلـــين (٢)
ويـــا أنتن من ريـــح كنيف بين داريـــن
[م١٣] تأمّلني بحـــقّ الله تبصر طلعة الحين (٣)
فعنـــدي لك أبـــزار نزول المـــاء في العـــين

١ ــ أورد التوحيدي هذا الخبر في البصائر والذخائر ج ٣ ق ١ ص ٨٥ و ٨٦ .

٢ ــ رضوى : جبل بالمدينة (معجم البلدان ٢/٧٩٠) ، قال الشاعر :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخور عـــن هبّود

وثهلان : جبل ضخم بالعالية (معجم البلدان ١/٩٤١) ، قال الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعـــزّ وأطـــول
بيتاً زرارة محتـــب بفنائــــه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
فادفع بكفك إن أردت بناءنـــا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقال الشيخ محمد رضا الشبيبي رحمه الله ، من قصيدة قالها في شبابه :

نزلت بثهلان الهموم فلم يطق حتّى نزلن بكاهلي فأطاقها
وألفتها ومن المصائب أنّـني لشديد إلفتها كرهت فراقها

٣ ــ الحين (بفتح الحاء) : الهلاك .

حسام من سيـــوف الرجــــل مضفور الشراكين [1]
مـــتى مـــرّ عـــلى رأســـك لم تمس بأذنـــين
وان طــــنّ عـــلى قحفـــك أمسيت بــــلا عين

فيقول الرجل : صن نفسك ، وآعرف أولاد الناس ، ثم باسطهم [2] . فيقول : وأنت أيش عليك من الناس ؟ تذكرهم ولست منهم ، يا سادة ، العجب ، هذا يحسب روحه من الناس [ص٢٢] .

يـــا قملة بين سطور الخـــــرا تدبّ في شعرة كنّـــــاس
إن كنتَ إنساناً ، ففي آست آمٍّ من
لا يحسب الكلب مـــن النـــاس

آخـــر

مخنّـــــثٌ بــــــين دفٍّ نشـــــا وناي وطبـــــل
مـــــن أهل بيـــتٍ منيـــف عـــلى الكنيـــف مطـــــلّ

آخـــر

يا خريـــة باب سرم قـــردٍ قد غسلت وجهها ببـــول
دقنك [3] في آستي ، ودقن من لاّ يقول في ذاك مثل قولي

فيقول كلّ من في المجلس : ذقنك في آستي ، فيغضب الرجل، فيقول : مسكين ، هوذا يحرد ، وهو من العجم ، كبده في جوفه ، معه نخوة الملوك ، ما خلّف كسرى ولداً غيره .

١ — يريد به النعل ، والشراك : سير النعل على ظاهر القدم .
٢ — المباسطة : المزاح والمطايبة .
٣ — الدقن (بالدال) : تعبير بغدادي يراد به الذقن (بالذال) الذي هو مجتمع اللحيين من اسفلهما ، وما يزال هذا التعبير مستعملاً ببغداد إلى الآن مع ان الدقن (بالدال) في الفصحي ، يعني : المنع والحرمان واللكز في اللحي .

شيـــــخ ترفّـــــع تايهـــاً [1] فصفعته حـــتى انبســـط
في وســـــط شعــر سبــالــه سرمي أنا وحدي فقـــط

فيقوم الرجل ليخرج ، فيقول : ويخرج سيّدنا ـ أعزّه الله ـ حردان [2] ، ما هو إلاّ محتشم ، نفسه على طرف أنفه ، إن لم يأنف مـــا يتبيّن [3] [ص ٢٣] .

كل يوم يدور في عرصـــة المصـــ ـــر يشمّ القدور شمّ الذبـــاب
وإذا ما ٱستبان آثـــار عـــرسٍ أو ختانٍ ، أو مطمعاً في اختلاب
لم يروّع دون الدخول ولم يـــر هب [م١٤] على الباب لكزة البوّاب
ذاك أشهى من التكلّف والغـــر م وغيظ البقّال والقصاب

يرى ركوب البريد ، في طلب الثّريد ، يجوب جنوب البلاد ، حتّى يقع على جفنة الجواد ، قد نظر لنفسه ، يهجم على دور الأكابر ، ويجعل غرضه الغضاير [4] .

يا نذل ، يـــا أحذق العبـــاد بمـــا يجمع بين السقوط والعـــار

ثم يردّ النظر اليه ثالثاً ، ويقول : سراويله مفرّك ديلمي [5] أيضاً ، أسخن الله عيني فيك ، لا بل أعين محبّيك ، عريان في رجله نعل كنباتي [6] ،

---

١ ـ تائها : من التيه ، اي التكبّر .
٢ ـ الحردان : الغضبان .
٣ ـ سقطت صفحة أو أكثر من الأصل .
٤ ـ الغضارة : القصعة الكبيرة ، جمعها غضائر .
٥ ـ المفرّك من الثياب : المصبوغ صبغاً شديداً .
٦ ـ النعال الكنباتية : نعال هندية ، راجع عنها ما كتبه العلامة احمد تيمور رحمه الله في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣ م ٣ .

جايع يفت خروف ، عريان بطيلسان ، جائع يتخلّل ، بع من كسوتك ، وسدّ جوعتك .

وعجوز مخضوبة الكــف دردا ء عليها الشنوف والأطواق (١)
وخلوق في دبّة كُمِّمَتْ ليـــ ـفاً ، وحشٌ لِبابهِ مغلاق (٢)

وذا الواقف غلامه ؟ ما أمكنه يحضر إلاّ ومعه غلام ، فارة ما [ص٢٤] وسعها الثقب شدّت في ذنبها مكنسة ، مثل هذا الشخص النفيس لا بد له من حافظ ورقيب ، هو سيّد محتشم ، لا بدّ له من غلمان وأتباع ، بظراء ما كان لها مملوك ، سمّت بظرها بلال ، حتى تدعى ستّ بلال ، وحياتي ، ما جلب من تنيس ، ولا دمياط ، أدق طراز نحس منك (٣) ، فيقال : يا أبا

---

١ — الادرد : الذي ذهبت اسنانه ، والشنف ، وجمعه شنوف وأشناف : ما علق في الاذن من الحلي .

٢ — الخلوق : ضرب من الطيب أصفر اللون ، أعظم اجزائه الزعفران ، والدبّة ؛ (بدال مفتوحة) ، وجمعها : دباب (بدال مكسورة) ، اناء كالقنينة يحفظ فيه الزيت وغيره ، وكممت هنا ، بمعنى سدّ فمها بالكمام ، والكمام كل ما يسدّ به الفم ، والحشّ : المرحاض .

٣ — تنيس : جزيرة في بحر مصر ، قريبة من البر ، ما بين الفرما ودمياط ، تعمل فيها الثياب الملوّنة وأبو قلمون (معجم البلدان ٨٨٢/١) ، ودمياط : مدينة بمصر ، تعمل فيها الثياب الرفيعة ، ويبلغ ثمن الثوب من عمل دمياط ، وليس فيه ذهب ، ثلثمائة دينار ، وهذا مما لم يسمع بمثله في بلد ، وبها الفرش القلموني من كل لون ، المعلّم والمطرّز ، ومناشف الايدي والارجل (معجم البلدان ٦٠٢/٢) والطراز : نقش على حاشية القماش المصنوع ، يكتب فيه موضع صنعه مع الدعـــاء لمن صنع له ، وكان هذا النقش يسمى طرازاً ، ثم اتسع التعبير فشمل الموضع الذي تصنع فيه الثياب والنمط الذي تصنع فيه ، اما التطريز ، فهو التزيين بالخيوط الملوّنة والرسوم .

القاسم ، تريد أن تعرفه ؟ فيقول : لا والله ، رزمة خرا بشدّ الأصل ، لا تفتّشوه ، لا تحركوه ، من يدقّ بربخ الخلاء لا يربح ، من يحرّك الكنيف أيش يشمّ ، أبقاه الله بقاء المشمش في اليوم الصائف وهو نضيج .

فيقول بعضهم : يا أبا القاسم ، قد أسرفتَ في حقّه .

فيقول : أوصافه أكثر من ذا ، يا سيّدي ، أيش أقول ، هذه اللحية التي ترد عليها بطون العرب ، بحمد الله ، هو رجل جليل ، ممن يستنجى بحنكه (1) ، رحم الله آدم ، أيّ عيال خلّف ، دسّ الله فيه البركة ، من قدّام ووراء .

فرحمــة الله عـــــلى آدم   رحمة من عمّ ومن خصّصـا
لو كان يدري أنّه خــــارج   مثلك من جردانه (2) لاختصى

هذه — والله — عنفقة جليلة (3) ، تكرم على بطون الناس .

ثم يقول [ص٢٥] : ولم هو في [م١٥] الصدر ، أعزّه الله ، اصعد يا سيّدنا إلى أسفل، ردّوه إلى منصبه، إلى صفّ النعال، ثم يلتفت إلى صاحب الدار ، ويقول : يا سيّدنا هذا السيّد ما حضر للسلام عليك ، إنّما

١ — الحنك ، وجمعه : أحناك : أعلى باطن الفم ، والاسفل من طرف مقدم اللحيين ، والبغداديون يسمونه : حِنِك ، بحاء ونون مكسورتين ، ولفظ الكاف جيماً مثلّثة تقرب من الشين .
٢ — الجردان : احليل الدابة كالحصان والحمار ، ويستعار للبشر ، وهذان البيتان لابي نؤاس يهجو شخصاً اسمه حمدان ، وقبلهما :

قولوا لحمدان وما شيمــتي   أن أظهر الودّ له مخلصـا
ما أنت بالحر فتلحــى ولا   بالعبد نستعتبــه بالعصـا

٣ — العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

حضر لحاجته إليك ، الحقه بالغدا ، وإلاّ لحق بأهل البلا .

فلو كان في يوم الوليمـــة في لظـــــى
لجاءت به ريح الجرادق [1] والقدر

أيخفى عليه ، وهو أهدى مـــن القطـــا
ومن مومياءي في العروق إلى الكسر [2]

وينظر إلى رجل في المجلس ، وهو يخدم الداخلين ، ويكرم الناس ، فيقول : يا سادة ، وهذا أيضاً أيش هو ؟ أراه يشوي سمكته في الوسط ، أراه قد نضج فضلاً ، أخاف أن يحترق ، أخبروني من هو ؟

فيقولون : هذا وكيل صاحب الدار ، ويتصرّف بين يديه ، ويحضر ما يحتاج إليه من الطعام ، والشراب ، والقيان [3] .

فيقول : زه ثم زه [4] ، هذا حمامة نوح ، هذا صاحب الدلالة ، وحامل الرسالة ، هذا الذي يجمع بين الرأسين ، ويؤلّف القلبين المختلفين[5] .

١ ـ الجردقة ، وجمعها جرادق : الرغيف ، فارسية .
٢ ـ هذا الشطر لم افهمه ولم استطع ردّه إلى اصله .
٣ ـ القيان : المغنّيات ، مفردها : قينة .
٤ ـ زه زه : فارسية ، تقال للاستحسان ، استعملها العرب لعين الغرض ، وسموا المصدر : الزهزهة ، وكان القصّاص يستأجرون من يزهزه لهم عند القصّ على المنابر ، والمغنّون في مصر ، يستأجر لهم مرتبوا الاحتفالات من يزهزه لهم ويتظاهر بالطرب على غنائهم ، ويسمى : المطيباتي ، وهذا المطيّباتي غير معروف في العراق ، لان العراقيين يظهرون استحسانهم للغناء بالانصات ، ولا يتجاوزون في اظهار طربهم ، قولهم للمغنيّ : احسنت ، طيّب الله انفاسك ، بلا ضجيج ولا صراخ ، راجع بحث « طربكه » في كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .
٥ ـ هذه التعابير ، كنايات يراد بها : القوّاد .

أمري على ما أراه قد زادا
كنت رقيباً فصرت قوّادا [ص٢٦]

يا سيّدي ، هذا قطب السرور ، ورأس اللذة .

يكاد من لطفٍ ، ومن حياسة   يجري من الانسان مجرى الدم
أسرع من إبليس في مكره   أقود من ليل دجى مظلم [1]
لا يعصم العذراء من كيده   محلّها في شاهق الأعصم [2]

ثم يتأمّله ويقول : هيهات أن يفلح ذا الوجه أبداً ، ما يتبع هذا الشخص إلا مثله ، من كان دليله البوم كان مأواه الخراب ، من كان طباخه جعر تيس [3] كانت ألوانه خرا .

ومن يكن الغراب له دليلاً   فما يخطي به الجيفَ الغرابُ

هذا — والله — ضد ما قال عمر بن أبي ربيعة :

فأتتها طبّة عالمة   تخلط الجدّ مراراً باللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها   وتراخى [4] عند سورات الغضب
لم تزل تخدعها عن رأيها   وتأنّاها [5] برفق وأدب

[م١٦] ثم يعيد نظره اليه ، ويقول : سيدنا — أعزّه الله — حرف جاء

---

١ — يشير إلى قول الشاعر : الشمس نمامة والليل قواد ، وإلى المثل القائل : أقود من ظلمة .
٢ — الاعصم : الموضع الذي يعتصم فيه ، والاعصم : الوعل .
٣ — الجعر : غائط الحيوان .
٤ — في الاصل : وتوادى ، وقد اخترت ما ورد في الاغاني ١٣٥/١ كلمة : وتراخى .
٥ — تأنّاها : تمهّل عليها وترفّق .

لمعنى في غيره ،سيدنا مميس أو مطورح [1] ، ما لي أطوّل القصّة ، سيّدنا قوّاد أعزّه الله ، إي لعمري ، من قاد ساد ، ثم يلتفت إلى الحاضرين [ص٢٧] ويقول : يا سادة ، ومن أحسن ما وصفت به القوّادة :

تستنزل العصم لطفاً من معاقلهـــا
والحوت تخرجه من جوف ردرور [2]
لو كلّمت صخرة لانت جوانبها
صمّاء تثلـــم أطراف المنـــاقير
كأنّ في قلب من أصغت لمنطقها
من حرّ ما نفثت لسع الزنابير

وينظر إلى أمرد في المجلس ، ويقول : ذا من هو ؟ ذا ممّن يهيج الطلوس [3] ، يبيع الفواحش في الذين فسقوا ، ذا جعبة النشاب ، ذا غراب يواري سوأة أخيه [4] ، يا عزيزي ، تريد شيئاً أوّله زرع ، وآخره ضرع ، لا باذنجان ولا قرع ، أوتريد شيئاً أوّله كماة [5] ، وأوسطه قثّاة [6] ، وفي رقبته مخلاة [7] ، تحب من ينفخ في بوقه زهيري .

١ — مميس ومطورح : كلمتان بمعنى القواد .
٢ — الدردور : موضع في البحر يجيش ماؤه ويخاف منه الغرق .
٣ — لم افهم معناها ، ولم استطع ردها إلى اصلها .
٤ — وردت في الكنايات ص ٣٥ .
٥ — كماة ، هي الكمأة ، كان البغداديون يلفظونها بحذف الهمزة ، اما الآن فان البغداديين يسمونها : كما ، بحذف الهمزة والتاء القصيرة ، وبعضهم يبدل الكاف بالجيم المثلثة ، فيسميها : چما .
٦ — قثاة : اي قثاءة ، وقد تقرأ : قناة .
٧ — هذا لغز في الذكر ، وللعامة البغداديين اليوم ، لغز في الذكر ، اثبته زيادة في =

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد
معفّر الراس [1] بالتّراب
يفتح الميم للامات الورى

يخبىء العصا [2] ، في الدهليز الأقصى ، يا عزيزي تدير رويسك [3] تحمل عمّك ، تتعصب للحمل ، تخبىء العصا ، وسيّدنا أصبعه في الرزّة ، يبيع التين بالقثّا .

استغفــر الله ، فذاك الــذي خاف على شيعتــه لوط

فيقال : يا أبا القاسم ، تعرف هذا ؟

فيقول : نعم ، عرفته وهو صبي [ص٢٨] ، يبول ولا يقول ، هذا ولدي ، تحتى ربّيته ، ونهدي سقيته .

وأمّـــه وهي لا كعـــاب بين الغـــواني ولا خريـــده
في جملـــة المدخـــلات عندي قد ثبّتت أوّل الجريـــده
مرست في جعسها عصيـــبي [4] فاختلط اللحم بالثّريـــده

ثم يرجع إلى الأوّل ، ويقول : يا سيّدنا المميس ، هذا من جلبك ؟ ومثل هذا بضاعتك، قد عجبت أن يجيء من ذا الوجه إلاّ مثل هذا ، يكفيك

= الفائدة ، وهو قولهم : راسه أحمر موأقرع ، بظهرةَ صوفَ مو خروف ، حامل قربه مو سقّا .
١ ــ في الاصل : معفّر الراب .
٢ ــ وردت في الكنايات ٣٦ و ٣٨ .
٣ ــ في الاصل : تريد دويسك .
٤ ــ مرس الصبي أصبعه : جعلها في فمه ولاكها ، والعصيب : الشديد .

من [م١٧] البيدر كفّ أنموذج .

فيقول بعضهم : يا أبا القاسم ، لحيته في أستك .

فيقول : لا والله ، هَم [1] في سرمه ، فما في الدنيا أوحش منه ، أو في شدقه فما في الأرض أنتن منه .

ثم يقول : الساعة قد عرفتُ ، أصناف أخياف [2] ، بستان كلّه كرفس سواسية كأسنان الحمار .

بهـــايمٌ لولا الصـــــور تقول ذا ، بل ذا أشرّ

ما بينهم ــ والله ــ إلاّ غبن الميزان ، الجوز الفارغ يتدحرج بعضه إلى بعض ، حشف وسوء كيلة ، قفيز ناقص ووكيل أعور ، كتّاب وجوع ومعلم أعمى ، كسير وعوير ، ومفتاح الدير ، وآخر ليس فيه خير ، ركب زنبور ظهر عقرب دخلت جحر حيّة ، قال : أبصرْ من الحامل [ص٢٩] ومن المحمول ، وفي أيّ دار نزلوا .

مســـح القنفـــذ كفيـــه على ما ولـــدا
قـــال : شوك كلّكـــم لا شبّ منكم أحدا [3]

فيقول صاحب الدار : يا أبا القاسم ،ما بقي في المجلس أحد لم تذكره غيري .

فيقول : يا سيّدنا ، وما عسى أن أقول فيك ، إلاّ كما قال النبي ﷺ ؛

١ ــ هَمْ : عامية عراقية بمعنى أيضاً .
٢ ــ الاخياف : المختلفون في ألوانهم ، يقال : بنو الاخياف : إذا كانت امهم واحدة وآباؤهم شتّى .
٣ ــ في الاصل : لا شبّ منكم أحداً ، وقال الدكتور احسان عباس اقرأ : لا يُصَبْ منكم جدا .

المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل ، وكما قال الشاعر :

إلى المرء لا تنظر ، بل آنظر [1] خليله
فكلّ آمرىء يصبو إلى من يجانس

من يكون هؤلاء السادة ندماؤه ، وأصفياؤه ، وأخلاّؤه ، أيش يقال فيه ، وحياتي ، ما ألّف الداماني مثلكم [2] ، في السما مَلَكٌ اسمه القفندر ، يؤلّف بين الأشكال ، أبصر بعضهم ببغا ، وغراباً ، وبوماً ، في موضع واحد ، فعجب من اتّفاقهم ، وتأمّلهم ، فاذا الغراب أعور ، والببغاء أعرج ، والبوم مكسور الجناح ، فقال : إنما جمعكم العاهة .

ويحدّق النظر إلى اثنين منهم ، وهما صديقان ، فيقول : لا إله إلاّ الله ، ينضاف الشوم إلى الشوم ، كما ينضاف البصل إلى الثوم ، اطّلع القرد في الكنيف ، قال : ما تصلح هذه المرآة [ص٣٠] الا لهذا الوجه [اللطيف] ، ويحكم ، أيش ذا ، فعلام تحتبسون ؟ لم لا تضرطون ولا تفسون ، ويحكم أين يكون المطبخ في دوركم ؟ لا يرى — والله — منها إلاّ الطاق والرواق ، وحديث طيّب ، ضراط في قفص ، لا يواكل ، ولا يطاعم ، ولا يوانس ، ولا [م١٨] يباسط ، فجاجة كلّها ، بلادكم باردة يابسة طبع الموت ، وطباعكم مثلها ، ويحكم ، أما سمعتم قول الله تعالى : ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج ، ولا على أنفسكم أن تأكلوا ... الآية ، إلى قوله عزّ وجلّ : تحيّة من عند الله مباركة طيبة [3] .

١ — في الاصل : وانظر خليله ، وقال الدكتور إحسان عباس ، اقرأ : وأبصر خليله .

٢ — كلمة تقال للطنز في اجتماع المتشابهين ، قال صريع الدلاء [معجم البلدان ٥٣٨/٢ و ٥٣٩] .

وحياتي ما ألف الدامـــــاني لا ولا كان في قديم الزمان

٣ — ٦١ م النور ٢٤ ، وتمام الآيات : ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم ، أو =

ثم يقول : ويحكم ألا ترتاحون إلى المكارم ؟

ما فيكم أصلاً حياً بتّـــةً من عربيّ لا ولا أعجم

فيقال : يا أبا القاسم ، أيش نقول ، أيش نعمل ؟

فيقول : تكونون ناساً فيهم خير ومروّة ، ولا تكونون بهايم .

فيقال : يا أبا القاسم ، وكيف نكون ناساً ؟

فيقول : تعيشون عيش الحكماء ، تقبلون وصيّتي ، حتى تكونوا كذا .

فيقولون : يا أبا القاسم ، فبيّنها لنا .

فيقول : وما تغني الآيات والنذر ، عن قوم لا يؤمنون (١) ، إنّك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الصمّ الدعاء ، إذا ولّوا مدبرين (٢) .

لقد أسمعتَ لو نـاديت حيّـــاً ولكن لا حياة لمن تنادي [ص٣١]

أبيع الدرّ ، في أصحاب الآجرّ ، كأنّهم حمر مستنفرة ، فرّت من قسورة (٣) ، صمّ بكمٌ عميٌ ، فهم لا يعقلون (٤) .

قد ضيع الله ما جمّعتُ من أدب بين الحمير وبين الشاء والبقر

= بيوت آبائكم، أو بيوت أمّهاتكم، أو بيوت اخوانكم، أو بيوت اخواتكم ، أو بيوت أعمامكم ، أو بيوت عمّاتكم ، أو بيوت أخوالكم ، أو بيوت خالاتكم ، أو ما ملكتم مفاتحه ، أو صديقكم ، ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً، فاذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيّبة .

١ ــ ١٠١ ك يونس ١٠ .

٢ ــ ٨٠ ك النمل ٢٧ و ٥٢ ك الروم ٣٠ .

٣ ــ ٥٠ ك المدثر ٧٤ .

٤ ــ ١٧١ م البقرة ٢ .

لا يسمعون إلى قولٍ أجيء به ... وكيف تستمع الأنعام للبشر
قوم إذا اجتمعوا ضجّوا كأنّهمُ ... صخبي الضفادع بين الماء والشجر[1]

فيقال : يا أبا القاسم ، آخره قل لنا .

فيقول : وتقبلونها منّي ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : اقبلوا ما آمركم به ، وانتهوا عما أنهاكم عنه، قابلوا قولي بالطاعة ، فانني ناصح لنفسي والجماعة ، من كان منكم له مال ، فلا يتوقّع به حادثاً يسرع إليه ، ولا يخلّفه لوارث لا يترحّم عليه ، ومن كان منكم فقيراً فليستقرض ويستدين ، ولا يبال بكثرة الغرماء والمطالبين ، افتننوا في أكل الطيّبات ، وشرب المسكرات ، وسماع المطربـات المحسنات ، ونيك السواذج[2] والمغنّيات ، نيكوا من قيام ، وصلّوا من قعود ، نيكوا الأحرار ، ولا تعفّوا عن العبيد ، نيكوا سرّاً وعلانية ، نيكوا المملوكة والحرّة ، والزانية والمستورة ، نيكوا ما دامت أيوركم [ص٣٢] تقوم ، فان قيامها لشيء لا يدوم ، نيكوا الصغار [م١٩] والكبار ، نيكوا الاحراح والاجحار ، نيكوا الصبايا الناهدات ، والعجائز الهرمـات ، والغلمان الصباح ، والمشايخ القباح .

فالخبر المأثـور قـد جاءنـا ... في الفحل ، أنّ الفحل لا شرط له
إيّـاك أن تكره شيئاً تـرى ... ونِكْ ولو كلباً على مزبله

تمتّعوا بالجواري والغلمان ، تنعّموا بالصبايا والولدان ، لا تتّخذوا

---

١ ـ الصخب : اختلاط الاصوات ، وفي الاصل : صوت الضفادع .
٢ ـ السذاجة ، في اللغة : البساطة ، وفي الاصطلاح ، يقال للجارية : ساذجة ، اذا كانت لا تحسن الغناء .

من الاخوان إلاّ من لجّ في خلع عذاره [1] ، ووصل بالمجون ليله بنهاره ، ليست له صاحبة تؤويه، ولا زوجة تحظر عليه وتؤذيه، قد أرسل أيره يميناً وشمالاً، ينيك حراماً وحلالاً ، فذاك العاقل الأريب ، والفتى النجيب ، استخلصوه لأنفسكم صديقاً، واتّخذوه أخاً وشقيقاً، اجتمعوا معه على نيك الغلمان، الصغار الزباب، الكبار الفقاح، كلّ غلام مقرطق[2] ممنطق، طريٌّ لا يتغيّر ، نتيفٌ لا يتنوّر [3] .

كالبــــدر في مثـــل ليلة البــــدر
يضيق عن حسن وجهه صبري [ص٣٣]

هذه والله — نصيحة رجل يريد بكم الخير .

فان تَقبلوا ، تُقبلــوا نحـــوه   فناصحكم جاهدٌ مـــن ورا
إلى أن يسوقكـــمُ في غــــدٍ   إلى مالكٍ [4] عسكراً عسكرا

فيضحك واحدٌ ممن في المجلس، فيقول: ذبحة ذابحة، نزعة، طعنة، شوك الزنج، وحمّى بغنج، عفصة وزاج، ونحاتة الساج، وطاعون[5] الزنج تحت

١ — العذار : ما سال من اللجام على خدّ الفرس ، وخلع العذار : كناية استعيرت من عذار الدابة ، لانها اذا خلعت عذارها ، أخذت تسعى بلا ضابط ، فكنّي بها عن الانسان ، اذا ركب هواه وانهمك في الغيّ ، ومثلها في الكناية : جرّ الرسن ، قال عمر بن ابي ربيعة :

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية   وإذ أجرّ إليكم سادراً رسني

٢ — المقرطق : لابس القرطق ، وهو الرداء ذو الطاق الواحد ، فارسية : كرته .

٣ — التنوّر : طلاء البدن بالنورة .

٤ — مالك : خازن النار ، وقوله : إلى مالك ، اي إلى جهنّم .

٥ — الطاعون ، مرض معروف ، وقوله تحت الاوداج ، هو ما يسمى بالطاعون الغددي ، اذ تتورم فيمن يصاب به غدد العنق ، ويسميه العامة ببغداد : خيار الجوخ .

الأوداج ، قلت ثاني اثنين (١) ؟ ثالث ثلاثة (٢) ؟ نقضت القرآن بشعر ؟ كسرت ثنايا رسول الله (٣) ؟ نبشت القبر (٤) ؟ نصبت المجانيق على الكعبة (٥) أو رميتها بخرق الحيض ، سلحتُ في بئر زمزم ؟ عقرت ناقة

١ — يعني الكفر بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

٢ — لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (٧٣ م المائدة ٥) .

٣ — يشير إلى الحجارة التي اصيب بها النبي صلوات الله عليه في معركة أحد ، التي اشتبك فيها المسلمون بقيادة النبي ، بالمشركين وكان يقودهم ابو سفيان بن حرب ، والد معاوية ، لما رماه ابن قميئة الحارثي بحجر ، فكسر رباعيته وشجّه في وجهه ، وأخذ الدم يسيل على وجهه (الطبري ٢/٥١٥) فملأ الامام علي درقته ماءً ، وجاء به إلى رسول الله ، فغسل عن وجهه الدم ، وصبّ منه على رأسه ، وهو يقول : اشتدّ غضب الله على من دمى وجه نبيّه (الطبري ٢/٥١٩) .

٤ — أحسبه يريد المتوكل العباسي الذي هيأت له فسولته ونصبه ، فهدم قبر الامام الشهيد الحسين ، وأمر به فحرث وزرع ، فكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء ، وفي ذلك يقول البسامي :

تا الله ان كانت امية قد أتت قتل أبن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

راجع ترجمة المتوكل في نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٦٤ وفي الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٢١٧ — ٢١٩ .

٥ — يشير إلى ما صنعه الحجاج بن يوسف الثقفي ، الظالم السيء الصيت ، لما بعثه عبد الملك بن مروان على رأس جيش ، فحصر عبد الله بن الزبير بالمسجد الحرام ، فأمر برمي الكعبة بالمنجنيق ، فرميت حتى تضعضعت وانهدم قسم منها (الاخبار الطوال ٣١٤ — ٣١٦) راجع ترجمة الحجاج في كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » فقرة « ظلم الحجاج » .

صالح [1] ؟ قلت في الله ما تقول اليهود والنصارى [2] ؟ زنيت بين القبر والمنبر ؟ خريت على الحجر الأسود ؟ حززت رأس الحسين بن علي [3] ؟ قطعت يد جعفر بن أبي طالب [4] ؟ أكلت كبد حمزة [5] ؟ مزّقت الأديم

١ ــ قال تعالى : وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بيّنة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ... إلى قوله : فعقروا الناقة ، وعتوا عن أمر ربّهم ، وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ، فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين (٧٣ و ٧٧ و ٧٨ ك الاعراف ٧) ، وإلى ثمود أخاهم صالحاً ... ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ، فعقروها ، فقال : تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ، ذلك وعد غير مكذوب (٦١ و ٦٥ ك هود ١١) . أقول : أورد التوحيدي أكثر هذه الجمل في كتابه اخلاق الوزيرين ص ٤٩٣ .

٢ ــ قالت اليهود يد الله مغلولة ، غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا (٦٤ م المائدة ٥) . وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله (٣٠ م التوبة ٩) .

٣ ــ كان مقتل الامام الشهيد الحسين بن علي ، في كربلاء ، في السنة ٦١ ، اثر معركة غير متكافئة ، إذ كان الحسين مع اثنين وستين او اثنين وسبعين من اهل بيته وأصحابه ، والجيش الاموي في أربعة آلاف ، فتصرّفوا معه كل التصرفات التي تنافي الرجولة ، اذ منعوه واهله من نساء وأطفال الماء ، وحالوا بينه وبين العودة من حيث جاء ، وقتلوا طفلاً رضيعاً له بسهم رموه به ، وقتلوا اولاده بمرأى منه ، حتّى بقي وحيداً ، فرموه بالسهام حتّى سقط ، فبادروا اليه واحتزوا رأسه ، ونهبوا مضاربه ، وسلبوا حرمه (تاريخ اليعقوبي ٢٤٣/٢) .

٤ ــ يشير إلى اصابة جعفر بن ابي طالب في موقعة مؤته ، وهي قرية من قرى البلقاء من أرض الشام ، حيث اشتبك المسلمون مع جيش الروم ، فحمل جعفر الراية ، وتقدّم صفوف المسلمين ، فقطعت يمناه ، فحمل الراية بيسراه ، فقطعت أيضاً ، فاحتضن الراية إلى صدره ، وصبر حتّى سقط شهيداً وفي جسده نحو تسعين طعنة ورمية (الاعلام ١١٨/٢) .

٥ ــ يشير إلى ما صنعته هند بنت عتبة ، ام معاوية بن ابي سفيان ، وكانت قد خرجت =

الذي باركت عليه يد الله [1] ؟ يا مدبر ، من أيش تضحك ؟ إنّما قلت :

[م٢٠] كل دجاجاً وفراخاً وجدا ... وآشوحملاناً صغاراً رضّعا [ص٣٤]
وآشرب الراح التي في دنّهـا ... شاهدت عاداً ولاقت تبّعـا
صبغت أيدي الليـالي ثوبها ... في الخوابي ذهبيّاً مشبعـا
والغنا الطيّب فاسمع منه مـا ... يحظر التحصيل ألاّ تسمعا
وتمتّـع بالصبايـا ، لا تكـن ... من أناسٍ يحظرون المتعـا
كل من تعطيك ثدياً نـاهداً ... يملأ الكفّ وكسّاً أرفعـا [2]

= مع زوجها ابي سفيان ، والد معاوية ، لحرب النبي صلوات الله عليه ، ولما اشتبك المسلمون مع المشركين في معركة أحد، كانت هند تحرّض المشركين على قتال المسلمين وتنشد [الطبري ٥١٢/٢] .

ويهاً بني عبد الدار ... ويهاً حماة الادبار ... ضرباً بكل بتّار

ولما انتهت المعركة ، أخذت هند ، ام معاوية ، ومعها نسوة من الكفار ، يدرن على قتلى المسلمين ، يمثلن بهم ، ويجدعن آنافهم وآذانهم ، واتّخذت هند من تلك الآذان والأنوف خلاخل وقلائد ، وبقرت هند ، عن كبد الشهيد حمزة ، عم النبي صلوات الله عليه ، فاقتلعت كبده ولاكتها ثم لفظتها (الطبري ٥٢٤/٢) .

١ — يريد به الفاروق ابا حفص عمر بن الخطاب ، ثاني الخلفاء الراشدين ، اغتاله سنة ٢٣ ابو لؤلؤة فيروز ، غلام المغيرة بن شعبة ، بأن طعنه بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح ، ففجع به الاسلام والمسلمين ، وقيل في رثائه : [تاريخ الخلفاء ١٤٤] .

عليك سلام من امام وباركـت ... يد الله في ذاك الاديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدّمت بالامس يُسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدهـا ... بوائق في أكمامها لم تفتّـق

٢ — في الاصل : ادقعا ، والادقع الذي يرضى بالدون من المعيشة ، والذي لصق بالتراب فقراً وذلاً ، وهذا الوصف لا يناسب البيت .

ودع الشائبـــة الكس ّ تـرى بين كسييها [1] غراباً أبقعـــا
واهجر الحبــلى التي قــد أوقرت لا تردها واللبون المتبعـــا [2]
كل ّ زبنّاء آستها قد لبســـت من مسوح الشعر فيه برقعـــا
بل ولا تغفــل بأير رهـــزه يسحق الأثفال في جوف المعـى
نك به ، ما دام نبعاً ، فغـــداً ستراه — حين تبلو — خروعا [3]
كل ، وجرّد كل ّ ما تملكـــه لا تدع للخلق فيه مطمعـا
ويحك اقبل يا أخي مشــورتي إن ّ عندي لك فيها مقنعــا
قبــل أن تعثّر بـــالشر ّ فلـــو نشرت أمّك ما قالت لعا [4]
وترى الناس يقولـــون غـداً وقع الأبقع أيضاً وقعا [ص٣٥]

قال : ثم يقبل على ساكتٍ في المجلس ، ويقول له : وأنت يا بهيمة الله ، لم َ لا تتكلم ؟

أخوك مثـــل المحموم ملتهـــب وأنت مثل المفلوج مبرود

يا يبروح صنمي [5] ، مالك لا تنطق ؟ يا صورة في حائط ، أنت من الجماد أو من الحيوان ؟

١ — الكسي : مؤخّر العجز .
٢ — اللبون : ذات اللبن ، والمتبع : التي يتبعها وليدها .
٣ — النبع : شجر صلب الخشب ، تتخذ منه القسي ّ والسهام ، اما الخروع فهو معروف برخاوة خشبه .
٤ — لعا : كلمة تقال للعاثر ، معناها : انعشك الله ، واقامك من عثرتك ، قال الكميت الاسدي :

كم قال قائلكم لعـــا لك عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوي الذنـــو ب من الاكابر والاصاغر

٥ — كذا وردت في الاصل ، ولم اهتد لتفسيرها .

يا حاضر يا غائب ، يا ناخشـ ـلك مستوياً ومقلوبـا [1]
ويا كشخـان في القلـب ولا ألويك تعذيبـا

ويحكم ، يا سادة ، أنبهوه ، هو نايم ، أليس ليس سيّدنا هنا .

يـا مـن لـه حركاتٌ عـلى الفؤاد ثقيلـه
[م٢١] ما فيك – والله – معنى قصيرة عـن طويلـه
أورثتـني بجلـوسي إليك حمّى مليله [2]

ويحكم ، انظروا اليه ، وإلى شخوص عينيه ، ويبس شفتيه .

انطق بنبسٍ قبل أن يحسبـوا أنّك من جُصٍّ وآجرّ [3]
إن لم تكن حرّاً ولا كيّسـاً فأنت تصحيف فتى حرّ [4]

فيقول أحدهم : دعونا من أبي القاسم وحديثه ، الجو اليوم طيّب ، والهواء صافٍ ، يجب أن نشرب على كيمختته ثلاثاً[5] [ص٣٦] .

فيقول : ما لكم في جميع أحوالكم ، يا أهل أصفهان ، إلاّ هذا الثناء الغثّ ، الرثّ ، المعاد البثّ ، على التربة ، وأصفهان ، والهواء ، والماء ، لا أسمع سواه ، ولا أسترخص إلاّ هذا الحديث الخبيث ، لا نسمع –

---

١ – ناخشلك : فارسية : نا : للنفي ، وخشلك بمعنى خالص ، كلمة تقال للشتيمة ، وقوله مقلوباً يعني ان ناخشلك اذا قلبت اصبحت : كشخان ، فارسية ، معناها الديوث .
٢ – الحمى المليلة : الباطنة .
٣ – في الاصل : انطق بنفس ، وهذا البيت من جملة ابيات لابن الحجاج (اليتيمة ٨٤/٣) .
٤ – فتى حرّ : تصحيفه : منّتي خرا .
٥ – الكيمخت : أديم السماء .

والله – منكم إلاّ غثّاً وفجاجة ، مسيخ [1] لا طعم له ، ولا معنى فيه ، لطع الماء بالاصبع ، ويحكم تجالسون الناس ولا تتأدّبون بآدابهم ، يا سيّدنا ، الشوك ، لو صببتَ في أصوله ألف مسينة [2] ماء ورد ، ما أخرج إلاّ خرنوب [3] ، يمنعكم التخلّف ، من التظرّف .

يا سائلي عن أصفهان وأهلهـا　　حكم الزمان بنحسهم وخرابها
شبّـانها ككهولها ، وكهولهـا　　كشيوخها ، وشيوخها ككلابها
هي بلدتي ، لكنّني فارقتهـا　　طفلاً ، فلم أعبق بلؤم ترابها

وحياتي ، لقد أنصفكم بلديّكم ، وما ذكركم إلاّ بما فيكم ، إن أسمعتكم واجباً تصبرون له ؟

فيقال : قل يا أبا القاسم .

فيقول : والله ، ما أنسى بلدتي وتربتي ، ولا أرضى ببغداد جنّة الخلد ، ولو عجّلت لي ، بلدة هي الأمل والمنى ، والغاية القصوى ، معشوقة [ص٣٧] السكنى ، جوّها عريان [4] ، وكوكبها يقظان ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها عنبر ، وترابها مسك أذفر ، يومها غداة ، وليلها سَحَر ، وطعامها هنيّ ، وشرابها مريّ ، وجوّها مضيّ ، لا والله ، ترابها عنبر ، وحصاها عقيق ، وهواؤها نسيم ، وماؤها رحيق ، واسعة الرقعة ، طيّبة البقعة ، كأنّ محاسن الدنيا فيها مفروشة ، وصورة الجنة بها منقوشة ، واسطة البـلاد وسرّتها ، ووجهها وغرّتها ، مـا أرى في مدينتكم

١ – المسيخ من الطعام : ما لا ملح فيه ، والبغداديون يقولون عن الطعام الذي لا ملح فيه : ما صخ (بالصاد) محرّفة عن مسخ ، ويقولون عن الكلام الذي لا يرضونه : كلام ماصخ .
٢ – المسينة : الوعاء المصنوع من النحاس ، فارسية .
٣ – كذا وردت في الاصل .
٤ – الجو العريان : البارد .

والله ــ خلّة مثالها ، إنّما أرى مدينة في خاصرة من الأرض [1] ، يابسة الهواء ، قشفة [م٢٢] المرعى [2] ، جوّها [3] غبار ، وأرضها خبار [4] ، وماؤها طين ، وترابها سرجين [5] ، وتمّوزها تشرين ، وتشرينها كوانين ، وأهلها ذياب ، عليهم ثياب ، كلامهم سباب ، ومزحهم ضراب ، يحملون خراهم على رؤوسهم ، وعلى ظهور دوابّهم ، إلى بساتينهم ، فينجّسوا به الأنهار ، ويربّوا به الثمار ، ويأكلوها ، أي لعمري ، هو سلحهم ، منهم بدأ ، وإليهم يعود ، وهم أحقّ به ، بلدة حشوشها في [ص٣٨] المسايل ، وطرقها كالمزابل ، لا يوجد بها ذو كرم ولا نايل .

فيقال : يا أبا القاسم ، ويحك ، قد أسرفتَ ، بعض هذا .

فيقول : قبّحكم الله ، أحاكمكم إلى شاهد منصف ، إلى السمع ، فأتكلّم أوّلاً في الأسماء ، إلى أن نصير إلى حقايق المعاني . فنتكلّم فيها ، فأبتدىء من بغداد وأصفهان ، بأسماء سوادها وضياعها ، ثم بأسماء محالّها وبقاعها ، هل تسمع في سواد أصبهان ما يشبه البردان [6] ، والراذان [7] ،

١ ــ الخاصرة : الجنب ، وفي خاصرة الارض ، اي في زاوية منها .

٢ ــ القشف : الخشن ، الرث .

٣ ــ في الأصل : حرها .

٤ ــ الخبار من الارض : ما لان واسترخى .

٥ ــ السرجين والسرقين : زبل الدواب .

٦ ــ البردان : قرية فوق بغداد ، على سبعة فراسخ منها (مراصد الاطلاع ١٧٩/١) .

٧ ــ الراذان : كورتان بسواد بغداد ، الاعلى والاسفل (مراصد الاطلاع ٥٩٣/٢) .

والنهـــروان [١] ، وحلـــوان [٢] ، وصريفين [٣] ، وأوانـــا [٤] ، وعكبرا [٥] ، وكلواذا [٦] ، وقطربـّل [٧] ، وبادوريا [٨] ، والأنبـــار [٩] ،

---

١ ــ النهروان : كورة واسعة اسفل من بغداد (مراصد الاطلاع ١٤٠٧/٣) لزيادة الاطلاع راجع معجم البلدان ٨٤٦/٤ .

٢ ــ حلوان : بضم الحاء ولام ساكنة ، آخر حدود سواد العراق من الشرق ، وكانت من اعمر المدن بعد بغداد والكوفة والبصرة وواسط (مراصد الاطلاع ٤١٨/١) .

٣ ــ صريفين وصريفون : قرية فوق أوانا في سواد العراق ، قرب عكبرا ، على ضفـّة دجيل ، اذا اذ ّن بها سمعوه في اوانا وعكبرا ، وبينها وبين مسكن وقعت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير (معجم البلدان ٣٨٤/٣) .

٤ ــ أوانا : بليدة من الدجيل ، شمالي بغداد ، على عشرة فراسخ منها (مراصد الاطلاع ١٢٨/١) .

٥ ــ عكبرا : بليدة من الدجيل ، شمالي بغداد ، على عشرة فراسخ منها (مراصد الاطلاع ٩٥٣/٢) .

٦ ــ كلواذا ، كلواذى : يصح في كتابتها الوجهان ، طسوج تحت بغداد ، في الجانب الشرقي منها ، غربي نهر بوق (مراصد الاطلاع ١١٧٧/٣) اقول : هي الآن جزء من بغداد ، واسمها عند البغداديين الآن : كراره ، بالكاف الفارسية .

٧ ــ قطربـّل : قرية بين بغداد والمزرفة ، كانت مشتهرة بخمرها وحاناتها (مراصد الاطلاع ١١٠٦/٣) .

٨ ــ بادوريا : طسوج من كورة الاستان ، بالجانب الغربي من بغداد ، قالوا : ما كان شرقي الصراة فهو بادوريا ، وما كان غربيها فهو قطربـّل (مراصد الاطلاع ١٤٩/١) .

٩ ــ الأنبار : مدينة على الفرات ، غربي بغداد ، سميت بذلك لانها كانت انباراً (عنباراً) للحنطة والشعير في أيام الفرس ، اقام فيها ابو العباس السفـّاح اول خلفاء بني العباس ، ومات بها (مراصد الاطلاع ١٢/١) اقول : حل محلها الآن بلدة الفلـّوجة .

والدسكرة [1] ، وباعقوبـــا [2] ، وشهرابان [3] ، ودرزيجان [4] ، وبصرى [5] ، ودجيل [6] ، والنيـــل [7] ، إنّما أسمع في سوادكم. سارمرنه، أي بخرا الحير [8] ، كلميراي ، أي بخرا الوعل [9] ، واذار ، أي يجيء بالضراط في لحاهم [10] ، كور سمان ، أي خرا جامد ، وخرا رطب مايع [11] ، كورشان ، أي خرا في اللحى [12] ، كورستان ، أي

١ — الدسكرة : قرية كبيرة ، ذات منبر ، بنواحي نهر الملك ، غربي بغداد (معجم البلدان ٢/٥٧٥) .

٢ — باعقوبا ، وبعقوبا : مدينة على قصبة طريق خراسان ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، كثيرة البساتين (مراصد الاطلاع ١/٢٠٧) اقول : هي الآن حاضرة لواء ديالى .

٣ — شهرابان : قرية كبيرة من نواحي الخالص ، شرقي بغداد ، ذات نخل وبساتين ، (معجم البلدان ٣/٣٢٠) اقول : ما زال هذا اسمها ، وتمتاز بنوع من الرمان ليس له مثيل .

٤ — درزيجان : قرية كبيرة تحت بغداد ، على دجلة ، بالجانب الغربي (مراصد الاطلاع ٢/٥٢٢) .

٥ — بصرى (بالضمّ والقصر) : من قرى بغداد ، قرب عكبرا (مراصد الاطلاع ١/٢٠١) .

٦ — دجيل : نهر مخرجه من اعلى بغداد ، يسقي كورة واسعة ، بالجانب الغربي ، ويصبّ في خندق طاهر بالجانب الغربي من بغداد (مراصد الاطلاع ٢/٥١٦) .

٧ — النيل : بليدة ، قرب حلّة بني مزيد (الحلّة) يخترقها نهر اسمه النيل ، يرضع من الفرات ، ويصب في دجلة تحت النعمانية (مراصد الاطلاع ٣/١٤١٣) .

٨ — سارمرنه : احسبها مصحفة ، لم افهمها ، ولم اتمكن من ردها إلى اصلها .

٩ — كلميراي : احسبها مصحفة ، لم افهمها ، ولم اتمكن من ردها إلى اصلها .

١٠ — اذار : احسبها مصحفة ، لم افهمها ، ولم اتمكن من ردها إلى اصلها .

١١ — كوه رسمان : احسبها مصحفة ، لم افهمها ، ولم اتمكن من ردّها إلى اصلها .

١٢ — كوه استان : فارسية : محلة الخرا .

المقابر [1] ، موشكاباذ ، أي موضع الفار [2] ، هل أسمع — بالله عليكم — في محـال أصفهـان ، ما يشبـه ، ان شئت من شرقي بغـداد ، الرصافـة [3] ، باب الطـاق [4] ، سوق يحيـى [5] ، شـارع

١ — كورستان : فارسية : المقابر .

٢ — موشكرآباد : محلة الفار .

٣ — الرصافة : محلة كبيرة بالجانب الشرقي من بغداد ، أنشأها المهدي العبّاسي ، فلحق به الناس وعمروها ، فصارت بقدر مدينة المنصور ، وبها تربة الخلفاء (مراصد الاطلاع ٦١٨/٢) اقول : هي الآن المنطقة المحيطة بالمقبرة الملكية بالاعظمية .

٤ — باب الطاق : قال ياقوت في معجم البلدان ٤٤٥/١ عنها انها محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي ، اقول : هي الآن محلة الصرافية ، والجسر الحديد الذي يصل محلة الصرافية بالجانب الغربي ، حلّ محلّ جسر باب الطاق الذي كان يربط بينها وبين الشرقية ، وهي محلة سميت بهذا الاسم لانها شرقي مدينة المنصور ، وتغير اسم الشرقية في النصف الثاني من القرن الرابع ، فاصبحت محلة البيمارستان ، وتسمى الآن : المنطقة .

٥ — سوق يحيى : محلة ببغداد بالجانب الشرقي ، تقع بين الرصافة (منطقة المقبرة الملكية الآن) ودار المملكة (اي المخرّم التي هي الآن مدينة الطب بالعلوازية) ولما كان شمالي المخرم ، تقع محلة باب الطاق (الصرافية) فتكون محلة سوق يحيى ،واقعة على دجلة شمالي باب الطاق (الصرافية) بينها وبين الرصافة (منطقة المقبرة الملكية) ، اي المنطقة المسماة بستان نجيب باشا ، ويظهر من القصة المرقمة ٢٤٥ من كتاب الفرج بعد الشدّة انه كان في نهر دجلة مقابل محلة سوق يحيى جزيرة يرتادها الناس للسباحة ، وهي جزيرة واسعة المساحة ، يقابلها من الغرب الحريم الطاهري الذي كان يقيم فيه امير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر ، وفيها كان عامة بغداد يجتمعون ويتظاهرون ضد اميرهم ، وفيها صلى المستعين صلاة العيد لما كان محصوراً ببغداد في السنة ٢٥١ (الطبري ٢٨٣/٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٤٣) وهي منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي ، اقطعه اياها الرشيد ، وانتقلت إلى أم جعفر ، ثم إلى طاهر بن الحسين ، وخربت عند ورود السلاجقة إلى بغداد ، راجع معجم البلدان ١٩٥/٣ .

السبردان [1] ، درب الريحان [2] : درجة يعقوب [3] ،

---

١ — شارع البردان ، ويسمى : طريق البردان : شارع يخرج من طريق خراسان الممتد من باب الطاق ويمرّ بالشماسية ، وينتهي بباب البردان ، أحد أبواب سور المستعين بالجانب الشرقي من بغداد ، راجع اطلس بغداد للدكتور احمد سوسه .

٢ — درب الريحان : كان في محلة باب الشماسية (الصليخ) بالجانب الشرقي من بغداد وكانت في هذا الدرب دار صاعد بن مخلد ، وزير المعتمد ، وهي مجاورة للدار التي انشأها معز الدولة الديلمي بباب الشماسية ، ولما غضب الموفق على صاعد واعتقله وصادر امواله ، كانت داره مما دخل في المصادرة ، واتخذها الامير ابو العباس احمد بن الموفق (المعتضد فيما بعد) مسكناً له ، فلما مات المعتمد ، وكان مقيماً في القصر الحسني ، الذي اصبح جزءاً من دار الخلافة ، انتقل المعتضد إلى القصر الحسني ، وجعل البيمارستان في دار صاعد ، وكانت عظيمة السعة ، ويكفي للدلالة على سعتها ان ابا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد ، تحدّث عنها ، لما أقام فيها ، فقال : كان لها اربعة عشر باباً إلى أربع عشرة سكة ، وشارعاً ، وزقاقاً نافذاً ، وانه خاف في يوم من الايام ، ان يفجأه بحكم ، او أحد اعوانه ، فاحضر ثلثمائة نفر من اتباعه ، وفرقهم في الحجر المقاربة للمجلس الذي يجلس فيه ، للتفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٧٨ .

٣ — درجة يعقوب : درب يعقوب ، شارع يقع بقرب الحريم الطاهري ، بالجانب الغربي من بغداد ، سمّي بدرب يعقوب ، لأن دار يعقوب بن المهدي كانت فيه ، (كتاب الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ٨٩) اما درجة يعقوب ، فقد ورد ذكرها في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ ص ٢٨١ وأحسب انّها مشرعة في درب يعقوب ينزل الناس اليها بدرج .

طرف [بين] الجسرين [1] ، [ص٣٩] بين القصرين [2] ، الزاهـــر [3] ، الشماسيّـــة [4] ، مربعـــة الحـــرسي [5] ، سوق الثـــلاثاء [6] ،

---

١ ــ طرف (بين) الجسرين : أحسب انه يريد المنطقة التي تقع بين جسر باب الطاق (جسر الصرافية) ، والجسر الذي يربط بين شاطىء دجلة في شمال الحريم الطاهري (العطيفية) والجانب الشرقي ، راجع اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة ، لاحظ ان كلمة طرف ، تعبير بغدادي يعني المحلّة ، ما زال مستعملاً ببغـــداد .

٢ ــ بين القصرين : الاول قصر اسماء بنت المنصور ، وكان لبابه طاق عظيم ، وبه سميت محلة باب الطاق (الصرافية الآن) والقصر الثاني قصر عبد الله بن المهدي ، راجع معجم البلدان ٤٨٩/٣ .

٣ ــ الزاهر : قال ياقوت في معجم البلدان ٤٤١/٤ عند ذكر محلة المخرم (العلوازية) انها كانت بين الزاهر والرصافة (منطقة المقبرة الملكية) وذكر التنوخي في نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ٢٦١ ان عضد الدولة كان عازماً على ان يهدم ما بين دار المملكة (العلوازية) وبين الزاهر ، ويصل دار المملكة بالزاهر ، فيكون موقع بستان الزاهر ، المنطقة التي تحتلها الآن قلعة بغداد ، اي مقر وزارة الدفاع .

٤ ــ الشماسيّة : قال ياقوت في معجم البلدان ٣١٧/٣ ان الشماسية كانت في اعلى بغداد ، وهي اعلى من الرصافة ومحلّة ابي حنيفة ، اقول : هي الآن المنطقة المسماة : الصليخ .

٥ ــ مربعة الحرسي : محلة في شرقي بغداد منسوبة للخرسي ، صاحب شرطة بغداد ايام المنصور ، والحرسي : نسبة إلى خراسان ، يقال : خرسيّ ، وخراسيّ ، وخراساني (معجم البلدان ٤٨٥/٤) .

٦ ــ سوق الثلاثاء : قال ياقوت في معجم البلدان ١٩٣/٣ ان فيه اليوم سوق بزّ بغداد الاعظم ، وذكره ابن بطوطة الذي زار بغداد في عهد السلطان ابي سعيد ابن السلطان خدابنده ، فقال : ان اعظم اسواق الجانب الشرقي في بغداد ، يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيه على حدة، وفي وسط السوق المدرسة النظامية =

باب الأزج [1] ، الزرّادين [2] ، المأمونيّة [3] ، دار الخليفـة [4] ،

= العجيبة التي صارت تضرب الامثال بحسنها ، وفي آخره المدرسة المستنصرية (مهذب الرحلة ١٧٥/١) اقول : يتّضح من هذا الوصف ان سوق الثلاثاء يشتمل على سوق الهرج الذي أمام المستنصرية ، ويمتد بامتداد ما نسميه الآن سوق المصبغة ، ثم يلتف حتى يمرّ على خان دلة ، وينتهي بالطريق العام الذي هو شارع الرشيد ، راجع بحثنا عن دار مؤنس في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي في حاشية القصة ١٦٣ ج ٢ ص ٥٨ .

١ ـ باب الازج : قال ياقوت في معجم البلدان ٢٣٢/١ و ٦٣١ انها محلة كبيرة في شرقي بغداد ، وفيها قبر الشيخ الزاهد الصالح عبد القادر الحنبلي التستّري ، اقول : هو الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والمحلة اسمها الآن باب الشيخ .

٢ ـ لم اعثر على موضعه فيما لديّ من مراجع .

٣ ـ محلّة أنشئت بجوار قصر المأمون الذي كان نواة دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد ، اخبرني الدكتور مصطفى جواد رحمه الله ، انه قد حل محلها الآن عقد القشـل والهيتاويين وصبابيغ الآل والدهانة ، راجـع كتاب دليل خارطة بغداد ص ١٢٣ و ١٢٤ .

٤ ـ دار الخليفة : مجموعة القصور التي يقيم فيها الخليفة ، وحرمه ، واولاده ، وخدمه ، وجواريه ، والموظفون في بلاطه ، وتنبسط هذه القصور في قطعة من الارض في وسط الجانب الشرقي من مدينة بغداد ، تشكل هي وحريم الدار ، شكل نصف دائرة قطرها كيلو متر واحد على شاطىء النهر ، ابتداء من مشرعة الابريين (شريعة التمر الآن) حتى شريعة السيد سلطان علي ، ودار الخلافة والحريم محاطان بسور ، كما ان دار الخلافة كان يفصلها عن الحريم سور آخر ، وآخر خريطة يمكن الاطلاع منها ـ بصورة تقريبية ـ على المنطقة التي كان يشغلها دار الخلافة والحريم ، هي الخارطة التي نظمها الضابط العراقي رشيد الخوجة في السنة ١٣٢٤ (١٩٠٨ م) لمدينة بغداد ، تجدها في اطلس الدكتور احمد سوسه المسمى : اطلس بغداد ، حيث تجد نصف الدائرة تبدأ من الرقم ٣٨ (خان الدفتردار) وتنتهي بالرقم ٤٨ (جامع السيد سلطان علي) وتشتمل على المحلات ، محلّة راس القريّة ،=

وان شيت من غربيّها ؛ النجمي [1] ، الرقّة [2] ، نهر عيسى [3] ، نهر

= ومحلة سوق الغزل ، ومحلة صبابيغ الآل ومحلة القاطرخانة ، ويمكن متابعة حدود حريم دار الخلافة بالشارع الذي يمتد من شريعة التمر ، فيمر بخان دله ، وسوق العطارين ، فالشورجه ، ثم ينحرف يميناً متجهاً نحو سوق الدهانه فيمر بمنارة سوق الغزل ، التي هي منارة جامع القصر اي قصر الخلافة (وهي احدى النقاط الثابتة) وتكون على يساره رحبة جامع القصر التي ما تزال رحبة يشغلها قصابو لحم البقر ، ثم ينفذ من سوق الدهانه إلى جامع المصلوب ، فشارع الآتون ، فالعوينة ، فالشيخ الخلاني ، اي مقبرة ابي بكر غلام الخلال (وهي احدى النقط الثابتة أيضاً حيث ان الخليفة الطائع كان يوماً في منظرته بباب الخاصة ، وجازت عليه جنازة غلام الخلال ، فرأى فيها ما أعجبه ، فأمر بدفنها في البراح الواقع امام منظرته) ثم ينحرف الطريق نحو شاطىء النهر حيث شريعة السيد سلطان علي ، اما السور الذي يفصل دار الخلافة عن الحريم فلا يوجد أثر ثابت يمكن ان يستدل به على ذلك .

وجاء في كتاب رسوم دار الخلافة ص ٨ انه كان في دار الخلافة اربعمائة حمام لمن تحويه من اهلها وحواشيها ، وكانت في أيام المكتفى تشتمل على عشرين ألف غلام دارية ، وعشرة آلاف خادم (خصي) سوداً وصقالبة ، وفي ايام المقتدر كان فيها أحد عشر ألف خادم ، منهم سبعة سوداً ، وأربعة صقالية بيضاً ، وأربعة آلاف امرأة ، وألوف من الغلمان الحجرية .

١ — النجمي : بستان وقراح (ارض مزرع) في الجانب الغربي من بغداد ، كان البناء قد وصل اليه في عهد ياقوت الحموي ، وهو جزء من بادوريا (معجم البلدان ٤٦٠/١) اقول : احسب ان موضعه الآن محلة علاوي الحلة وجزء من باب السيف .

٢ — الرقّة : منطقة في الجانب الغربي من بغداد ، قرب النجمي ، تقع على النهر ، مقابلة لدار الخلافة ، وسميت الرقة لانها كانت تشكّل لساناً يمتد إلى النهر ، راجع دليل خارطة بغداد ص ١٥٧ ، اقول : حل محلها الآن باب السيف والزركجي ، القسم المطل على النهر .

٣ — نهر عيسى : نهر ينسب إلى عيسى بن علي ، عم المنصور ، يرضع من الفرات ، =

طابق [1] ، سوق العروس [2] ، صف التوزي [3] ، درب عون [4] ، صينية الكرخ التي تسمى سوق النحاسين [5] ، طاق العكي [6] ، الشرقية [7] ، سوق الرفائين [8] ، سوق الحلاويين [9] ، قطيعة

= ويخترق الكرخ ، والجانب الغربي من بغداد ، ويصب في دجلة ، راجع التفصيل في كتاب دليل خارطة بغداد .

١ — نهر طابق : نهر في الجانب الغربي من بغداد ، كان يرتضع من نهر كرخايا ، ويسقي في طريقه محلة نهر طابق ومحلة دار القطن ثم يصب في دجلة في مصب نهر عيسى ، راجع دليل خارطة بغداد ١١ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٣٠٠ .

٢ — سوق العروس : لم أعثر على موضعه في مراجع الخطط المتوفرة لديّ .

٣ — صف التوزي : لم أعثر على موضعه .

٤ — درب عون : مقر الصيارفة ببغداد ، راجع نشوار المحاضرة ج ٢ رقم القصة ٩٤ و ج ٣ رقم القصة ١٣٣ .

٥ — صينية الكرخ التي تسمى سوق النحاسين : لم اعثر على محلّة بهذا الاسم ، ووجدت في اطلس بغداد باب النحاسين على نهر الدجاج بالكرخ ، راجع خارطة بغداد ط ٥/٥٠ .

٦ — طاقات العكي — سبق ذكرها . وقد ورد الاسم في الاصل : طاق اللعب ، وهو تصحيف .

٧ — الشرقية : محلة بالجانب الغربي من بغداد ، سميت بالشرقية لانها شرقي مدينة المنصور (معجم البلدان ٣/٢٧٩) عيّنها الدكتور احمد سوسه في اطلس بغداد في منطقة شمالي علاوي الحلة ، أما أنا فاحسب انها حوالي المنطقة .

٨ — سوق الرفائين : لم أعثر على موضعه ، واسمه يدل على انه كان موضع الذين يقومون برفو الثياب .

٩ — سوق الحلاويّين : — لم أعثر على موضعه ، والبغداديون الآن يسمون الحلاويين : الشكرجية ، نسبة إلى الشكر (بالشين) ، اسم السكّر عند البغداديين . =

الربيــع (١) ، القطيعــة المكشوفة (٢) ، سويقة غــالب (٣) ، بــاب المحوّل (٤) ، طــاق الحرّاني (٥) ، قــرن الصراة (٦) ، [م ٢٣] بــاب

١ — قطيعة الربيع : منطقة في الجانب الغربي ، اقطعها المنصور للربيع حاجبه ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان ١٤٢/٤ واثبت موضعها الدكتور احمد سوسه في اطلس بغداد ص ٢٢/٥ ط ٥ .

٢ — القطيعة المكشوفة : لم اعثر على موضعها .

٣ — سويقة غالب : ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٢٠١/٣ وكانت مجاورة لقطيعة الربيع ، وقال انها محلة من محلات بغداد .

٤ — باب المحوّل : محلّة كبيرة من محلات بغداد ، كانت متصلة بالكرخ ، ثم اصبحت في ايام ياقوت (ت ٦٢٦) منفردة كأنها قرية مستغنية بنفسها ، في غربي الكرخ ، مشرفة على الصراة ، لها سوق وجامع ، وتقع شمالي محلة براثا التي فيها جامع الشيعة الذي تعرّض للهدم وأعاده بحكم الماكاني ، وتقع كذلك غربي محلة بركة زلزل (معجم البلدان ٤٥١/١ ، ٥٣٢ ، ٥٩٢) .

٥ — طاق الحرّاني : محلة بالجانب الغربي من بغداد ، من حد القنطرة الجديدة على الصراة ، يمر بها نهر البزازين الراضع من نهر كرخايا ، سميت باسم ابراهيم بن ذكوان الحراني وزير الهادي وهي تلاصق محلة العتيقة (معجم البلدان ١٨٩/٣ ، ٤٨٩ ، ٦١٣ و ٢٥٢/٤) راجع اطلس بغداد للدكتور احمد سوسه ح ١٨/٤ .

٦ — قرن الصراة : موضع مصب نهر الصراة الراضع من الفرات ، في نهر دجلة ، في الجانب الغربي من بغداد ، كان المرحوم الدكتور مصطفى جواد يرى ان الموضع في شمالي الجعيفر ، واثبته الدكتور احمد سوسه في اطلس بغداد في محاذاة مسجد العتيقة ، المسمى الآن مسجد المنطقة ، وليس بين الموضعين كبير فرق ، وكانت المنطقة الواقعة بين قرن الصراة ، اي مصبه في دجلة ، إلى باب خراسان ، حيث يقع مقابلها على النهر المارستان العضدي القائم على راس جسر المارستان ، الذي كان اسمه جسر باب الطاق ، وحل محله الآن جسر الصرافية الحديد، من المناطق العزيزة في بغداد، حيث انها كانت في وسط البلد ، وعلى شاطىء النهر، وكان المنصور قد بنى بها قصره المسمى قصر الخلد، ثم بنت =

= زبيدة فيها قصر القرار ، الذي كانت مقيمة فيه ايام الفتنة بين ولدها الامين واخيه المأمون ، ثم اقتطعها قوم من الكتاب والأمراء ، فكان جزء منها لنجاح بن سلمة احد كبار الكتاب في عهد المتوكل ، قتله المتوكل ، وخلفه عليها احمد بن اسرائيل وزير المعتز ، قتله صالح بن وصيف ، ثم استولى عليها القائد خاقان المفلحي ، وورثها من بعد خاقان اولاده ، ثم انتقلت إلى ابراهيم بن احمد المادرائي ، ثم صارت إلى هارون اليهودي جهبذ ابن شيرزاد ، الذي نكبه الكوفي في السنة ٣٢٩ وصادره ، وبقي عليه من بدل المصادرة ستون الف دينار ، فاخذت داره بالباقي عليه من المصادرة ، ثم انتقلت إلى نقيب النقباء الكامل ، فجعلها بستاناً ، ثم انتقلت إلى الفضلوني ، ومن بعد ذلك صارت إلى ابي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، صهر الوزير المهلبي على ابنته زينة ، وكان الشيرازي قد كتب لمعز الدولة على أثر وفاة الوزير المهلبي ، ثم وزر لعز الدولة بختيار ، وصرف الشيرازي لاعمار داره هذه ما يزيد على المائة الف دينار ، وفيها أقام لمعز الدولة وجنده المأدبة الشهيرة التي ذكروا انه صرف لاقامتها ستمائة الف دينار ، وبلغ من فخامتها انه قطع نهر دجلة بالقلوس الغلاظ وغطى الماء بأكداس عظيمة من الورد ، راجع تفصيل هذه المأدبة في كتابنا المائدة في الإسلام.
اقول : اثبت الدكتور أحمد سوسه في اطلس بغداد قصر القرار جنوبي قصر الخلـد .

١ — باب البصرة : سميت هذه المحلة باسم احد ابواب مدينة المنصور ، وهو الباب الجنوبي الشرقي للمدينة ، وقد اثبت الدكتور سوسه موضع هذه المحلة في المنطقة المحيطة بباب البصرة ، جنوبي الباب .

٢ — الحربية : ذكر ياقوت انها محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، في الجانب الغربي ، عند باب حرب ، نسبتها إلى حرب بن عبد الله البلخي ، أحد قواد المنصور ، ولما خرب ما حولها ، اقام عليها اهلها سوراً ، ولها جامع واسواق ، وقالوا : اذا جاوزت جامع المنصور ، فان جميع ما في شماله يسمى الحربية ، ومن جملة =

شارع دار الرقيق [1] ، الحريم الطاهري [2] ، وان شيت من أنهارها ،

= ما يدخل في حيز الحربية ، دار البطيخ ، والعتابيين ، وكانت الحربية ملاصقة لمحلة المراوزة ، وكانت الحربية تسقى من انهر متفرعة من نهر بطاطيا الراضع من دجيل (معجم البلدان ٢٣٤/٢ ، و ٤٨٠/٤ ، ٨٣٥) اقول : كانت محلة الحربية غربي محلة شارع دار الرقيق ، ومحلة شارع دار الرقيق ، غربي الحريم الطاهري الواقع على شاطىء دجلة في الجانب الغربي ، وموقعه بين جسر الصرافية الحديد وجنوبي مدينة الكاظمية .

١ - شارع دار الرقيق : قال ياقوت في معجم البلدان ٢٣١/٣ انها بالجانب الغربي باقية إلى الآن ، وكان الخراب قد شملها ، وهي متصلة بالحريم الطاهري ، وكان يباع فيها الرقيق قديماً .

٢ - الحريم الطاهري او دار ابن طاهر : موضعها باعلى مدينة السلام من الجانب الغربي ، على دجلة (معجم البلدان ٢٥٥/٢) وكانت متصلة من الغرب بمحلة دار الرقيق (معجم البلدان ٨٠٤/٢) وبينها وبين باب التبن (الكاظمية) محلة تدعى ربض ابي حنيفة ، وهو احد قواد المنصور (معجم البلدان ٧٥٠/٢) فيكون موضعها اليوم ، العطيفية ، وسمّيت حريماً لأنّ كل من لجأ اليها أمن ، وأوّل من جعلها حريماً أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وكان عظيماً في دولة بني ألعباس ، وكانت اليه الشرطة ببغداد ، وخراسان ، والجبال ، وطبرستان ، والشام ، ومصر (معجم البلدان ٢٥٥/٢) ثم اصبح الحريم الطاهري محل سكنى الامراء العباسيين الذين يرى الخليفة ضرورة بقائهم تحت رقابته ، وكان يحيط بالحريم سور (معجم البلدان ٢٥٥/٢) وعليه موكل بحفظه يمنع من فيه ان يبارحه الا باذن (القصة رقم ١٦٦ من الفرج بعد الشدة ، وتجارب الامم ٣/١ والقصة ٣٠/٥ من نشوار المحاضرة) ولما بويع ابن المعتز بالخلافة في السنة ٢٩٦ انفذ إلى المقتدر يأمره بان ينصرف مع والدته إلى دار ابن طاهر (تجارب الامم ٦/١) ولما خلع المقتدر في السنة ٣١٧ وطلب اخوه القاهر ، رفض كافور ، الموكل بدار ابن طاهر ان يفتح ابوابها ، وطالب بعلامة من مؤنس المظفر (تجارب الامم ١٩٣/١) ولما قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ احضر مؤنس من=

نهر ماري [٤] ، ونهر الملك [٢] ، ونهر عيسى [٣] ، ونهـــر موسى [٤] ،

= دار ابن طاهر اميرين عباسيين هما ابو احمد بن المكتفي ومحمد بن المعتضد ، ولما بايع مؤنس ثانيهما بالخلافة ، صرف الأول إلى داره في دار ابن طاهر (تجارب الامم ٢٤٢/١ وابن الاثير ٢٠١/٨) ولما خلع القاهر من الخلافة ، واطلق من اعتقاله ، اعيد إلى داره في دار ابن طاهر (تجارب الامم ٨٠/٢ و ٨١) ولما جرت المفاوضة مع المستكفي من أجل استخلافه ، اخرج من دار ابن طاهر في زي امرأة (ابن الاثير ٤٢٠/٨) .

١ — نهر ماري : بين بغداد والنعمانية ، يخرج من الفرات وفمه عند النيل من اعمال بابل (معجم البلدان ٨٤٤/٤) .

٢ — نهر الملك : اسمه القديم نهر ملكا ، وعربه العرب فسموه نهر الملك ، نهر قديم يأخذ من الفرات ، ويصب في دجلة عند المدائن في الجانب الغربي (دليل خارطة بغداد ٢٤ — ٢٧) ويكوّن كورة واسعة ببغداد في الجانب الغربي بعد نهر عيسى ، يقال انه يشتمل على ثلثمائة وستين قرية (معجم البلدان ٨٤٦/٤) .

٣ — نهر عيسى : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٤٢/٤ انه كورة وقرى كثيرة ، وعمل واسع في غربي بغداد ، وان نهر عيسى يأخذ من الفرات عند قنطرة دمما ، ويسقي طسوج فيروز سابور ، فاذا انتهى إلى المحوّل تفرعت منه انهار تخترق الجانب الغربي من بغداد ، وينتهي إلى دجلة عند قصر عيسى بن علي ، وعليه متنزهات وبساتين كثيرة ، وعليه عشر قناطر ، عند كل قنطرة سوق يعرف بها ، اي يسمى باسم القنطرة ، وذكر الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في كتابه دليل خارطة بغداد ص ١٩٠ ان مصب نهر عيسى في دجلة يقع ملاصقاً لجامع قمرية في جنوبه .

٤ — نهر موسى : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٤٦/٤ انه كان يأخذ من نهر بين في الجانب الشرقي من بغداد ويسير إلى مقسم الماء ، فيتشعب إلى ثلاثة أنهر ، احدها نهر المعلى الذي يسقي دار الخلافة .

الخـــالص [1] ، الهاروني [2] ، نهر صرصر [3] ، النهروان [4] ، وإن شيت من مساجدها ، جامع المنصور [5] ، جامع الرصافة [6] ، جامع

---

١ — الخالص : في دليل خارطة بغداد ص ٣١ ان نهر الخالص كان يتفرع من الجانب الايمن للنهروان ، على مقربة من بعقوبا غرباً ، ويسير بين النهروان ودجلة ، حتى يصب في دجلة شمالي مدينة بغداد ، وتمتد فروعه إلى بغداد ، ولما عمر عضد الدولة البويهي دار المملكة بالمخرم (العلوازية) ادار حولها ارضاً عظيمة السعة ، اراد ان يصيرها بستاناً ، فجرّ اليها الماء من نهر الخالص ، راجع كيفية جرّه الماء إلى دار المملكة ، في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٤ ص ٢٥٩ — ٢٦١ رقم القصة ١٢٩ .

٢ — الهاروني : لم اعثر فيما لديّ من مراجع على نهر في بغداد اسمه الهاروني .

٣ — نهر صرصر : هو نهر عيسى ، اذا وصل إلى قريتي صرصر العليا والسفلى ، على نحو فرسخين من بغداد ، في السواد ، سمي نهر صرصر ، وصرصر في طريق الحاج من بغداد (معجم البلدان ٣٨١/٣) .

٤ — النهروان : من الانهر العظيمة في العراق ، قال ياقوت في معجم البلدان ٨٤٦/٤ انه ثلاثة نهروانات الاعلى والاسفل والاوسط ، وانه يبدأ من حلوان ، ويصب في دجلة اسفل المدائن (سلمان باك) ، وهو يسقي كورة واسعة باسمه بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، من أجل نواحي بغداد ، واكثرها دخلاً ، وأحسنها منظراً ، وأبهاها مخبراً ، راجع ما كتبه ياقوت عن عمران هذه المنطقة وعن خرابها .

٥ — جامع المنصور : بناه المنصور عند مباشرته ببناء مدينته في الجانب الغربي ، بناه وسط المدينة إلى جانب قصره ، ومساحة الجامع مائة ذراع في مائتين ، راجع دليل خارطة بغداد ص ٤٢ وما بعدها .

٦ — جامع الرصافة : انشأه المهدي العباسي في الجانب الشرقي من بغداد لما استقر واقام فيها ، وكان اوسع من جامع المنصور ، واجمل منه ، وبنى المهدي قصره إلى جوار الجامع ، وكان بالقرب من جامع الرصافة مقبرة الخلفاء العباسيين ، راجع تفصيل ذلك في دليل خارطة بغداد ١٠٦ — ١٠٩ .

القطيعة [١] ، جامع براثا [٢] ، جـــامع القصر [٣] ، وإن شيث من مشاهدها المعروفة ، مشهد كربلاء [٤] ، ومشهد الكوفة [٥] ، ومقابر

---

١ — القطائع في بغداد متعددة ، ولم يعيّن القطيعة لمعرفة موضعها ، وكانت قطيعة ام جعفر بجوار باب التبن حيث مدفن الامامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد ، ولكن ذكره مقابر قريش ، يدل على انه اراد بجامع القطيعة غير هذا الموضع .

٢ — جامع براثا : قرية براثا ، جزء من الجانب الغربي من بغداد ، كانت عند موضع انفصال نهر كرخايا عن نهر الرفيل ، وفيها الجامع الذي تقدسه الشيعة لرواية تذكر ان الامام علي بن ابي طالب صلى في هذه البقعة التي شيّد فيها الجامع وقد هدم الجامـــع في عهد المقتدر ، وأعيد ، وهدم في عهـــد الراضي واعاده بجكم ، راجع تفصيل ذلك في دليل خارطة بغداد ص ١٢ ، ٨٤ .

٣ — جامع القصر : انشأه المكتفي (٢٨٩ — ٢٩٥) ، ويسمى : جامع القصر ، وجامع الخليفة ، وجامع الخلفاء ، وأصبح احد الجوامع الثلاثة الكبيرة ببغداد ، والاولان جامع المنصور ، وجامع الرصافة ، واصبح جامع القصر ، الجامع الرسمي للدولة ، وكان الخليفة يصل اليه من طريق تحت الارض يصل بين قصره والجامع ، ولم يبق الآن من جامع القصر الا المنارة ، وكانت في مؤخرة ساحة الجامع ، على السور المطلّ على رحبة الجامع ، اما الجامع نفسه ، فقد تناهبته الايدي الآثمة ، وإلى أن بارحت بغداد في السنة ١٩٦٩ كانت رحبة الجامع ، لا تزال رحبة ، ليس فيها بناء ، وقد احتلها قصابو لحم البقر ، واقاموا فيها اعواداً لهم وشرائج من البواري ، يمارسون فيها صناعتهم ، واذا تركت الرحبة مشرقاً تمرّ في سوق الدهانة ، وعلى بعد ثلثمائة خطوة تلاقي طريقين فالذي إلى اليمين يؤدي بك إلى محلة صبابيغ الآل وسوق الدكاكين والقاطرخانة والعوينة ، والذي إلى الشمال يؤدي بك إلى جامع المصلوب فعقد القشل فالآتون فالعوينة .

٤ — مشهد كربلاء : الموضع الذي قتل فيه الامام الشهيد الحسين عليه السلام في السنة ٦١ وكان مع اثنين وسبعين رجلاً من أهله واصحابه ، فواجهه جيش مكوّن من أربعة آلاف من الجبناء ، فدارت بينهم معركة غير متكافئة ، غلبت الكثرة فيها الشجاعة ، وقتل الامام واصحابه باجمعهم ، ودفنوا حيث قضوا (الطبري ٥/٣٨٢ — ٤٧٠) .

٥ — مشهد الكوفة : يريد به قبر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وقد قتل=

قريش [1] .

ربّـــي بحـــقّ إمـــامٍ صلّى الضحى في بـــراثا
احرس رئيســــاً جليـــلا فارقت يوم الثلاثـــا [ص٤٠]

آخـــر

يا إلهي بحقّ كـــلّ صـــلاة صُلّيَتْ يومَ جمعة في براثا
أبقـــه لي وللضعيف إذا جـــا رَ عليه زمانه فاستغاثـــا

أيش يملك أبو القاسم ، إلاّ دموعاً على تلك المغاني ، كغروب السواني [2] ، وأنفاساً تخرق الضلوع ، وتظهر الخشوع

يا نسيم الشمال من سوق يحيى لك عهد ممّن أحبّ قريـــب

= في السنة ٤٠ اصابه عبد الرحمن بن ملجم المرادي في جامع الكوفة ، فجر يوم الجمعة ، عند صلاة الصبح ، وكان الامام ينادي : الصلاة ايها الناس ، فلما وقف لصلاة الغداة ، خرج اليه ابن ملجم من وراء احدى اساطين المسجد ، وضربه بالسيف على رأسه ، فانكب لوجهه ، وحمل إلى بيته ، وتوفي ليلة الاحد ، ودفن في قبره بالنجف ، بظهر الكوفة ، وبني على قبره مشهد عظيم ، آية في ضخامة البنيان ، وفي الهندسة البديعة ، وغلفت حيطانه بالقاشاني ، وسقفه بالبلور والمرايا ، وغشيت قبابه ومآذنه بالذهب ، ووضع على قبره صندوق من العاج ، عليه سياج مشبك من الفضة المذهبة ، وبنى الناس حوالي القبر ، فأصبحت النجف في كثرة سكانها ، واتساع مدى عمرانها ، ثالثة مدن العراق .

١ — مقابر قريش : مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور ، وهي بين الحربية ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري ، وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، هذا ما قاله ياقوت في معجم البلدان ٥٨٧/٤ اقول : هي الآن مدينة الكاظمية ، وفيها المشهد العظيم للامامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام .

٢ — السواني : مفردها : السانية ، وهي الساقية او الناعورة .

بحبيب اليّ أحلفُ باللـــــه على أنّني اليه حبيب
وكلانا فؤاده من جوى الهـــم ومن حسرة الفراق كئيب
لا سرور له ولا لي يرجـــى مذ بعدنا ولا حيـاة تطيـب
كلّ شيء وجدته فلـه فيـــه حقوق وحصّة ونصيب
قال لي : أنتما كذاك ، ولكـــن هو في أهله وأنت غريــب

إنّما اسمع من محال أصفهان ، وركان ، أي الذباب ، كلماناو ، أي موضع المجذمين – كوي كوان ، درب الصم ، كوي كوران ، درب العمي ، كيربار ، أي حمل الأيور ، مسجد حور حير ، سخنة العين ، هل أرى – والله – دجلة مشحونة بالمراكب وبالزواريق ، محفوفة بالقصور [ص٤١] والجواسق ، ترتفع ما بينها [م٢٤] أصوات الأغاني ، وخفقات النايات والسواني ، وأصوات الملاّحين ، وزعقات المؤذّنين ، ان رأيتَ ترى – والله – جمالاً وكمالاً ، وتسمع من ألحانها الشجيّة سحراً حلالاً

من أيّ أقطارها أتيـــتَ رأيـــتَ الحسن حيران في جوانبهـــا

هذا ، سوى شط الصراة ، ومطالع الفرات ، وأرحاء الزبد (1) ،

١ – رحى الزبد : ذكرها ابو حيان في الامتاع والمؤانسة باسم : قنطرة الزبد، وتسمى ايضاً قنطرة رحى البطريق ، وهي على نهر الصراة ، راجع سبب انشاء الرحى عليها في معجم البلدان ٧٥٩/٢ ، وراجع الخبر الذي رواه التوحيدي بشأن أسود الزبد في الامتاع والمؤانسة ١٦٠/٣ .

والزبيدية [1] ، ومسنّاة الدار المعزّية [2] ، وبزوغى [3] ، والغروب [4] ، والنواعير [5] والدواليب [6] .

١ ـ الزبيدية : قال ياقوت في معجم البلدان ٩١٧/٢ : انها محلّة في الجانب الغربي ، في قطيعة أم جعفر ، قرب مشهد موسى بن جعفر ، وبهذا الاسم محلة اخرى في الجانب الغربي ايضاً جنوبي مدينة السلام منسوبة إلى زبيدة امّ جعفر ، أقول : احسب ان التوحيدي يقصد الثانية ، لأنّه ذكرها مع الصراة ورحى الزبد .

٢ ـ مسنّاة الدار المعزّية : الدار المعزّية أنشأها معز الدولة احمد بن بويه بالشماسية (الصليخ) شمالي الجانب الشرقي من بغداد، وصرف على بنائها ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وانتقل اليها في السنة ٣٥٠ قبل ان يتم بناؤها ، راجع بشأنها كتاب دليل خارطة بغداد ١٣٦ ـ ١٣٩ .

٣ ـ بزوغى : من قرى بغداد ، شماليها على بعد فرسخين ، والمزرفة شمالي بزوغى على بعد فرسخ واحد ، وكانت بزوغى من مواطن اللهو ، وقد اكثر شعراء بغداد من ذكرها ، راجع بشأنها معجم البلدان ٦٠٦/١ و ٥٢٠/٤ .

٤ ـ الغروب ، مفردها : الغَرْب (بغين مفتوحة وراء ساكنة) : الدلو العظيمة يستقى بها الماء من البئر او النهر لسقي الزرع ، والظاهر ان الغروب كانت تمتاز بها بزوغى ،لأنّ جحظة البرمكي ، كان اذا ذكر بزوغى ذكر معها الغروب ، فقال:

وردنا بزوغي والغروب كأنّها ... أهاضيب سودٌ في جوانبها زمر

وقال :

وهذي بزوغي والغروب وطائر ... على الغصن لا يدرى أيندب أم يشدو

راجع تمام الشعر في معجم البلدان ٦٠٦/١ و ٦٠٧ .

٥ ـ النواعير : مفردها : الناعورة ، اداة يستقى بها الماء ولها صوت (لسان العرب) ، قال الشاعر : [أدب الغرباء ٣٩] .

اشرب وغنّ على صوت النواعير ... ما كنت أعرفها لولا ابن منصور
لولا الرجاء بمن أمّلت رؤيتــه ... ما جزت بغداد في خوف وتغرير

٦ ـ الدواليب : مفردها الدولاب ، اداة يستقي بها الماء ، على شكل الناعورة (لسان =

يا أهل بغداد فرقتي لكـــــمُ   يا سادتي غربتي عن الناس
تهنيكـــم لـــذة النعيم عـــلى   دجلة بين السماع والكاس
والقرب من سيدي فذاك فـتى   قطّع شوقي إليه أنفاسي
وجــه كبدر الدجى ورائحــــة   مثل نسيم التفاح والآس

إنما أرى مِذْنَباً (١) في برية ، يسيل فيها كأنه بول مسكين ، إذا مدّ سال بالطين والغثاء (٢) ، وان جف صار منابذ السرجين والسافياء (٣) ، يسمّونه من السفاه زندرود ، أي نهر الحياة ، وإذا تنطّعوا سمّوه زرين رود ، أي نهر الذهب ، أذهب الله عقولكم ، وأسخن [ص٤٢] عيونكم ، لو أنّ واديكم هذا الذي تفتخرون به ، بالعراق ، لما ارتضوه لقريتين ، ولا سقوا منه مزرعتين ، هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمهن ، مثل من أرى ببغداد ، من الورّاقين ، والخطّاطين ، والخيّاطين . والخرّاطين ، والزرّادين ، والمزوّقين (٤) ، والطبّاخين ، والطحّانين ، والمطرّين (٥) ،

= العرب) ، والذي يستحسن من الغروب والنواعير والدواليب ، الصوت الذي يصدر عنها عند حركتها وهو صوت يشبه الأنين ، اشار اليه الرصافي في قصيدته التي مطلعها : [ديوان الرصافي ١٦٣ و ١٦٤] .

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولا   صفراء تشبه عاشقاً متبـــولا

قال فيها :

وتروع قلبي للدوالي نعـــرة   في البين يحسبها الحزين عويلا

اقول : اراد الشاعر بالدوالي ، الدواليب حذف منها الباء لضرورة الشعر ، وقد سبقه إلى ذلك شعراء آخرون ، راجع لسان العرب مادة : دلب .

١ ـ المِذنَب (بميم مكسورة ونون مفتوحة) : مسيل الماء والجدول الصغير .
٢ ـ الغثاء : البالي من ورق الشجر .
٣ ـ السافياء : ما تسفيه الريح من تراب .
٤ ـ المزوّق : النقاش الذي ينقش البيوت ويزينها .
٥ ـ المطرّي : صناعته التطرية ، اي التحسين والتريين ، قال المتنبي :

ومن لا يحصى عدداً من الحذاق المعجزين ، إنّما أرى أقواماً بأيديهم المرور [١] ، ينسفون أفنية الدور ، وكنّاسين قد بخروا المناخر في الطرقات ، يتضاربون على جعموس [٢] ، ويفتحون لأجله الرؤوس ، وعلوجـاً يصيحون : زبل كاكواره [٣] ، أولوا الدور جه بركران دول ، والا بسفلة يصيح : أي زن بواكهت كشم ، أي أجر خراك يا ستّي [٤] .

ليت ليـلاً بأصبهان طويـلاً ۔ لليالي من العراق فـدا
أين مسكٌ من حمأةٍ ، وبخور ۔ من بخارٍ ، وصفوة من قذا

[م٢٥] مدينة السلام ، وقبّة الاسلام ، ومعدن الخلافة، ومثوى الرحمة والرأفة ، ومحلّ السجاحة واللّطافة ، ومستمتع الأنس والظرافة [ص٤٣]

أرض كـأنّ ترابهـا ۔ أبداً بماء الورد يسقـى

= حسن الحضارة مجلوب بتطرية ۔ وفي البداوة حسن غير مجلوب

وفي نشوار المحاضرة للتنوخي في القصة المرقمة ١٦٥/٢ ج ٢ ص ٣١٥ : ان ابن الجصاص لما احضر جهاز قطر الندي ابنة خمارويه صاحب مصر إلى بغداد ، لما تزوجها المعتضد في السنة ٢٨١ ، اصاب الجهاز مطر ، فيما بين دمشق والرملة، فقام « بتطرية » الفرش الموجود في الجهاز ، واحتسب في نفقة التطرية ثلاثين ألف دينار .

١ ــ المرّ : (بميم مفتوحة وراء مشدّدة) أداة كالفاس ، ما زال هذا اسمها ببغداد .

٢ ــ الجعموس : القطعة من الغائط ، والبغداديون يلفظونها بالصاد .

٣ ــ زبل كاكواره : فارسية : الزبل المكوّم .

٤ ــ اي زن بود كه كشم : فارسية : يا ستي أجرّ خراك .

وتمـــوت أنـــوار الريـــا ض ونورها ما شيت يبقـى
وكـأنّ تربة أرضها آجـــا تذبت من الكافور عرقـا

آخـر

لهفي على بغداد مـن منزلٍ كانت من الأحزان لي جُنّه
كأنّني يـوم فـراقي لها آدم لمّا فـارق الجنّـة

آخـر

لعمري لقد فارقتهـا غير طـايع
ولا طيّباً نفساً بذاك ولا مقر
فيا ندمي إذ ليس تغني ندامـتي
ويا حذري إذ ليس ينفعني الحَذَر
وقائلة : ماذا نأى بك عنهـم ؟
فقلت لها : لا علم لي ، فاسألي القَدَر

آخـر

يا مجمع الحسن ، يا بغداد ، يا بلدي
ما الصبر عنكِ وعمّن فيكِ بالحسن
يا خير موطن لهو كنت آلفـه
لا زال مغناك يسقى الغيث من وطن
كم من حبيب تركناه لـديك وفي
سكّان دارك كم لي اليوم من سكن
من كلّ غانيةٍ كالبدر يفتنـي
صوتٌ لها ، والغواني معدن الفتن[ص٤٤]
يا سيّدي ومحلّ الروح من بدني
ويا عمادي ، ويا عوني على الزمـن

ثم يفتح عينيه ، كأنّه يفيق من غشية ، ويقول (١) :

سأستنجـــد صـــبري إ   نّه من خير أعواني (٢)

---

١ ــ هذه الابيات من قصيدة لابي جعفر محمد بن العباس بن الحسن الجرجرائي ، كان ابوه العباس ، وزير المكتفي والمقتدر ، قتل ببغداد في السنة ٢٩٦ ، ووقع ولده ابو جعفر إلى خراسان ، وكان أديباً ، فنظم قصيدة بديعية ، أثبتها ابو حيان في البصائر والذخائر جـ ٣ ق ٢ ص ٦٤٣ ــ ٦٤٦ بتمامها ، واثبت في هذه الرسالة قسماً منها ، وبالنظر لطرافتها ، آثرت ان اثبت هنا باقيها ، قال :

لئن أصبحت منبوذاً   بأقطـار خراسـان
وموقوذاً نبت عـن   لذّة التغميض أجفاني
ومحمولاً على الاصـ   ـعب من إعراض سلطاني
ومخصوصاً بحرمان   من الاعيان أعياني
وصرف عند شكواي   من الآذان آذانـي
وملقى بـين أظلاف   وأخفاف توطّـاني
ومكلوماً بأظفـار   ومكدوماً بأسنـان
كأن القصد من أحـدا   ث أزماني إزمـاني
فكم مارست في إصلا   ح شاني ما توشّـاني
وعانيت خطوباً جـرّ   عتني مـاء خطبـان
أفار الشيب فـوديّ   وأفنـاني وأفنـاني
أغصّتـني بأريـاقي   لدى إيراق أغصاني
وأدّتني إلى من هـُـ   ـوّ عنّي عطفه ثـاني
سوى إنّي أرى في الـ   ـفضل فرداً ما له ثاني
ولو أنصفت ما أبعـ   ـدني فضلي بل ادنـاني
كأنّ البخت إذ كشـّ   ـفـّ عنّي كان غطّاني
وما حلأّنـي إلاّ   زمان فيـه حـلاّني
وهل ينفعـني جدّي   وتشميري وإدمـاني

٢ ــ يلي هذا البيت في البصائر البيت التالي ، وقد اغفله التوحيدي في الرسالة :   =

وأنضو الهمّ عن قلبي		فقد أنضيت جثماني
واثني من عناني[1] إن		قضى الله ونجّاني
إلى أرض جناها من		جنى جنّة رضوان
إلى أرضي التّي أرضى		بها عيشي ويرضاني
هواء كهوى النفس		تصافاه صفيّان [2]
[م٢٦] وماء مثل قلب الصبّ		مرتاعاً بهجران
رخاء كرخاء فرّج		الكربة عن عان
فإن سلّمني الله		وبالصُنع تولاّني
وأعطاني أعطاني		وخلاّني وخلاّني [3]
فإنّي لا أعود الدهر		ما عاد الجديدان
إلى الغربة في أمرٍ		أعانيه وفي شان [4]
فإن عدت له يوماً		فسجّاني سجّاني [5] [ص٤٥]

= وأسترفد عزمي إنّه		والحزم سيّان

١ ـ في البصائر والذخائر ، ورد البيت كما يلي :

واقضي بنجاتي إنّ		قضاء الله نجاني

٢ ـ يلي هذا البيت في البصائر البيت التالي ، وقد اغفله التوحيدي في هذه الرسالة :

رقيق الآل كالآل		وفيه أمن إنسان

٣ ـ في البصائر والذخائر ، ورد البيت كما يلي :

واخلي ذرعي الدهر		وخلاّني وخِلاّني

٤ ـ في البصائر والذخائر ، ورد البيت كما يلي :

إلى الغربة حتّى تغرب		الشمس بشروان

٥ ـ يلي هذا البيت في البصائر ، البيت التالي ، وهو آخر القصيدة :

وللموت الوحيّ الاحمر		القاني ألقاني

ثم يدقّ صدره بيديه ، ويتباكى ، ويتأوّه ، وينشد :

أتبكي على بغداد وهي قريبـــة
فكيف إذا ما آزددت عنها غداً بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى
لو آنّا وجدنا من فراق لها بدّا
إذا ذكرتْ بغـــدادُ نفسي تقطّعت
من الوجد أو كادت تذوب بها وجدا

ويسكت ساعة ، ثم يقول : والله ، إنّي أقول شيئاً آخر ، وإن كرهتموه .

فيقال : قل .

فيقول : حقّاً أقول ، ليس لكم أصل بين الملوك ، لا في معارضكم ، ولا في منافعكم ، ولا في شرابكم ، ولا في طعامكم ، ولا في لباسكم ، ولا في مركوبكم ، كأنّما خلقتم عبثاً .

فيقال : كيف ؟

فيقول : ما أرى ، على كثرة تصرّفاتي ، جواداً على جواد سبوح ، مروح ، طموح ، طرف يسبق الطّرف، ويستغرق الوصف ، رايع الخلق ، ظاهر العتق (١) ، كأنّه منتقبٌ بالنجم ، منتعلٌ بالحجارة الصمّ ، يباري طلق البزاة ، ويغالي سهام الرماة ، ويفني أنفاس الفهود ، كأنّه طود منيف ،أو سيل [ص٤٦]متدفّق عنيف، أو كوكبٌ منقضّ ، أو بارقٌ

١ ـ العتق : الاصالة والكرم ، والعتيق : الكريم والخيار من كل شيء ، والفرس العتيق : الرائع .

منفضّ ، أو جاحم مشبوب [1] ، أو هاطل مصبوب ، طويل العذار ، أمين العثار ، رحب اللبان [2] ، كأنّه مساء أمرّ على صباح ، أو جسد أعير فضل جناح ، سفينة برّية ، وريح مجسّمة ، سوطه عنانه ، وبساط الأرض ميدانه .

سليل ريح لقحت من برق .

ان سكّن مار [3] ، وإن حرّك طار ، كأنّه في [م٢٧] الوثب جرادة ، وفي الضمر قتادة ، أبين الشظا [4] ، قصير المطا [5] ، طويل الخطى ، يرنو بياقوتتيه ، ويطير بخافيتيه [6] ، كأنّ هاديه [7] علم ، وأذنه قادمة أو قلم ، له جبهة كسراة المجنّ [8] واسعة ، وعين نجلاء طامحة [9] ، وعنق لدن ، وخدّ أسيل سهل .

له عنق مثل جذع السحـــــوق شذّبه الصانع المقتـــــدر
وعـــينٌ له حدرة بـــــدرة [10] شقّت مآقيهما من أخـــر

١ ــ الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال .
٢ ــ اللبان (بلام مفتوحة) : الصدر ، وأكثر استعماله لصدر ذات الحافر كالفرس .
٣ ــ مار : ماج واضطرب .
٤ ــ الشظا : عظم مستدق لازق بالركبة .
٥ ــ المطا ، وجمعه امطاء : الظهر .
٦ ــ الخوافي : ريشات في جناحي الطائر ، إذا ضم جناحيه خفيت ، شبّه الفرس بالطائر ، وشبّه الذراعين بخافيتي الطائر .
٧ ــ الهادي : العنق .
٨ ــ سراة المجنّ : ظهر التّرس .
٩ ــ العين النجلاء : الواسعة ، والطامحة : البعيدة الطرْف .
١٠ ــ العين الحدرة : المكتنزة ، والبدرة : الّتي تبدر بالنظر ، أو أنّها تامة كالبدر . والبيتان لامرىء القيس .

آخــــر

ومنخر كالكير لم تشقَ بــــه أنفاسُهُ ولم يرحها من تعب
يرسلهـــــا جنائبـــــاً ويتتبشي شمايلاً إلى فؤاد يضطرب[ص٤٧]
مقع إذا آستقبلتَه من وجهه [١] حتّى إذا استدبرته قلتَ أكبّ [٢]

يقطع الحُزُم بانتفاخ خاصرته ، ويزلزل الأرض بصهلته :

خيط على زفــرة فتمّ ولـــــم يرجع إلى دقّة ولا هَضَم

آخــــر

ويصهل في مثل قعر الطـــويّ [٣] صهيلاً يبيّن للمعــــــرب
كأنّ مقط شراسيفـــــــه [٤] إلى طرف القنب فالملعب [٥]
لطينَ [٦] بترس شديد الصفـــا ق من خشب الجوز لم يثقـــب

آخــــر

صهصلق الصوت [٧] في اللجام كـــأن
أشرج حلقومه على جـــــــرس

١ — الاقعاء عند الحيوان : الجلوس على المؤخرة ، والبغداديون يقولون عن المقعي : مقنبص ، من القنبصة ، والقنبص : القصير ، كأنه اذا أقعى فقد تقاصر فقصر .
٢ — الأكبّ : المنكفىء على وجهه ، والبغداديون يقولون عن الأكبّ : منكفىء ، فصيحة ، والابيات لعلي بن جبلة المعروف بالعكّوك (ديوان العكوك ٣٣) .
٣ — الطويّ : البئر المطوية .
٤ — الشراسيف : مفردها : الشرسوف ، وهو طرف الضلع المشرف على البطن .
٥ — القنب : طرف الرجل ، والملعب : موضع اللعاب في الفم .
٦ — لطينَ : لصقنَ .
٧ — الصهصلق من الاصوات : الشديد .

وعرف كالقناع المسبل ، مخصّر الجنبين ، نهد المراكل[1] ، له كفل مستدير [2] ، مثل قين الطراف [3] ، وذنب مثل ذيل العروس

له ذَنَبٌ مثل ذيـل العروس يسدّ به فرجه من دُبُر [4]

وقوايم كأعمدة البنيان ، وحوافر كالمرافع ، كأنما حذيت بها الجلامد .

يرمي الجلاميد بجلمود مدق [5] [ص٤٨]

[م٢٨] كأنّ حواميه [6] مدبراً خضبن وان كان لم يخضب
حجـارة غيل [7] برضراضـة كسين طلاء من الطحلب

آخـر

ويمشي على مثل صـم الصخو ر لكنّ باطنها منقعـر

آخـر

تطبع صمّ الحصى حوافـره طبع الخواتيم ليّن الطين

١ ــ نهد المراكل : اي واسع الجوف ، عظيم المراكل ، والمركل : حيث تصيب رجل الراكب الدابة اذا ركلها .
٢ ــ الكفل من الدابة : العجز .
٣ ــ الطراف ، وجمعها الطرف : البيت من أدم ، والقين هنا : الململوم ، يريد ان كفل الدابة كأنه بيت من ادم ململوم .
٤ ــ البيت لامرىء القيس .
٥ ــ في الأصل : مذق ، بالذال .
٦ ــ الحوامي ، مفردها الحماة : اللحمة التي في عرض ساق الفرس ، ترى كالعصبة من ظاهر وباطن .
٧ ــ الغَيل (بفتح) : الماء الجاري على وجه الارض ، وكل واد فيه عيون تسيل .

آخـــر

يكـــاد أن يحرقـــه تلهّبـــه يكاد أن يطير لولا لَبَبُه [1]

آخـــر

كأنّه من سرعـــان الوخد[2] يلعب من أرساغه بالنرد

آخـــر

رجلاه في الركض رجل واليدان يـــد
وفعله ما تريد الكفُّ والقدم [3]

آخـــر

ذو غـــرّة قد صدعت جبهتـــه وأذن مثل السنان المنتصب
ونـــاظرٍ كأنّـــه ذو غرّةٍ وكفلٍ ململمٍ ضافي الذّنَب [4]

آخر [ص٤٩]

كالهيكـــل المبنيّ [5] إلاّ أنّـــه في الحسن جاء كصورة في هيكل

آخـــر

حديـــد القلـــب والنـــاظـ ـر والعرقوب والصلـــب

١ ــ اللبب : ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار السرج .
٢ ــ الوخد : الاسراع بالسير مع الرمي بالقوائم كما ترمي النعامة .
٣ ــ البيت للمتنبي .
٤ ــ راجع الانوار للشمشاطي (ط العراق) ص ١٥٠ .
٥ ــ يقال للفرس الطويل الضخم: الهيكل، تشبيهاً له بالهيكل وهو البناء المرتفع ، والبيت للبحتري .

لـــــه بـــين حواميـــه نسور (١) كنوى القسب
عـــريض الخـــدّ والجبهــة والصهـــوة والجنـــب

آخـــر

كالريـــح إلاّ انهـــا صورة يسمو بها شدّ وتقريب (٢)

آخـــر

[م٢٩] بظل يخبأ منه السوط راكبه كأنّه قمقم قد حشّه (٣) لهب

آخـــر

وكأنّـــه موج يـــذوب إذا أطلقته ، وإذا حبست جَمَدْ
وكأنّـــه ريـــمٌ برابيـــةٍ يعطو بأكرم صفحتين وَخَدْ (٤)

آخـــر

ماء تدفّق طاعـــة وسلاســـة فاذا استدلّ الحُضْر (٥) منه فنارُ
واذا أطفتَ به على نـــاورده (٦) لتديره فكأنّه بركار [ص٥٠]
لـــو لم يكن للخيل نسبة أهله خالته من أشكالها الأطيار

ولقد أحسن امرؤ القيس ، بقوله :

١ ــ النسر : لحمة في باطن حافر الفرس في أعلاه .
٢ ــ الشدّ : العدو والركض ، والتقريب : ضرب من عدو الفرس دون الاسراع .
٣ ــ الحش : التهييج ، يقال : حش الحرب : هيّجها .
٤ ــ العطو : التناول ، واذا اراد الحيوان ان يتناول بفمه شيئاً مدّ عنقه ، فانتقل العطو إلى مدّ العنق .
٥ ــ الحضر (بحاء مضمومة وضاد ساكنة) : الركض .
٦ ــ الناورد : فارسية : الدوران .

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً   كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ
له أيطلا ظبيٍ ، وساقا نعامةٍ
وإرخاءُ سرحانٍ وتقريب تتفلِ [1]

وأحسن من المحدثين في عصرنا ، بقوله :

قريب ما بين القطاة والمطا [2]   بعيد ما بين القُصَيْري والنَّسَا [3]
كأنّما الجوزاء في أرساغه   والنجم في غرّته إذا بدا [4]

إمّا أشقر كالشهاب ، أو أشهب كالسراب ، أو أدهم كالغراب ، أو كميت كالشمس في طحية السحاب [5] ، أو أصفر كالعسجد المذاب . أو أبلق كالسيف جرّد شطره من القراب .

أشقر والسبق طالع أبداً   من الثنايا في أوجُهِ الشقر
كأنّما وجهه وغرّته   فيه لجين قد سال في تبر
راكبه فوقه إذا طلعا   كأنّه قاعد على قصر
يسير في ليلة براكبه   كما يسير البراق في شهر

آخر [ص٥١]

أشهب صافي الأديم تحسبه   سراب قفرٍ يبين في الشمس

١ ــ الأيطل : الخاصرة ، والارخاء : عدو دون التقريب ، والسرحان : الذئب ، والتتفل : الثعلب .
٢ ــ القطاة : العجز ، أو مركب الرديف أو ما بين الوركين ، والمطا : الظهر .
٣ ــ القصر : أصل العنق ، والنسا (بفتح النون) عرق من الورك إلى الكعب ، ومنه سمي عرق النسا .
٤ ــ يريد انّه أغرّ محجّل .
٥ ــ الطحية : القطعة من السحاب .

آخــر

أشهــب صافي الأديم تحسبـــه سحاب صيفٍ يبين في الضوْ

آخــر

[م٣٠]أو أشهب يقق يضيء وراءه كفل كمّتن اللجّة المترجرج

آخــر

صافي الأديم كأنّما عنيت بــه لصفاء نقبته مداوس صيقل (١)

آخــر

كيف العزاء وقد مضى لسبيلــه عنّا فودّعنا الأحمّ الأشهب (٢)
ومضيت طنّان اللجام كأنّمــا في كلّ عضو منك صنجٍ يضرب

آخــر

وأشهب أكحــل العينين عـالٍ كأنّ سراته رقراق آلِ

آخــر

وأدهــم يستمدّ الليـــل منه وتطلع بين عينيه الثّريّـــا

آخر [ص٥٢]

أغــرّ بدر التّمّ في وجهـــه وجسمه جنح دجى مظلم
محجّل تشرق أرســـــاغه كأنّها في ليلهـــا أنجـــم

آخــر

ديبــاج ألوان الخيول ولم يكــن ليقاس بالديباج الا الأدهم

١ ـ النقبة : الوجه ، والمداوس ، مفردها مدواس : المصقلة .
٢ ـ الأحمّ : من الاضداد ، تعني الابيض وتعني الاسود ، والاشهب ، من الشهبة : البياض يتخلّله سواد .

وكأنّه ببنات نعشٍ مســـرجٌ وكأنّما هو بالثّريّا ملجـم

آخـر

وعيني إلى أذني أغرّ كأنّـــه من الليل باقٍ بين عينيه كوكب [1]

آخـر

قد زرّ من سبج [2] عليه قميصه ومن اللجين [3] بياضه في المرفق
وبناظرين كأنّما قد أشربا فتروّيا ماء الزجاج الأزرق

آخـر

تراه في لون انتصاف الدجى لا أقرح الوجه ولا أرثما [4]
كالليل لا تطلع جوزاءه في رأسه إلاّ إذا أنجما
مشرّف الهادي كأنّ آذنه تصغي إلى سرّ حديث السما
فلم يكن يسرج إلاّ إذا وضعت في حاركه سلّما [5] [ص٥٣]
[م٣١] من نسل شبديز إليه على أيدي المجوس العلماء انتمى [6]

١ ـ البيت للمتنبي .
٢ ـ السبج : الخرز الاسود .
٣ ـ اللجين : الفضة .
٤ ـ الأقرح الوجه : الذي خالط سواده بياض ، والارثم : الذي في طرف أنفه بياض .
٥ ـ الحارك : أعلى الكاهل .
٦ ـ في الاصل : من نسل سيدان ، وهو تصحيف ، والمأثور انه كان لكسرى حصانان احدهما ادهم ، اسمه شبديز ، فارسية ، شب : ليل ، وديز : لون ، والثاني اشهب ، اسمه : شيراز ، فارسية ، يعني اللبن الرائب ، وكانت كلمة شيراز اقرب إلى سيدان ، لولا ان الابيات جاءت في وصف حصان أدهم اللون .

آخـــر

كميت [1] أقـــرّ على زفـــــرة طويل القوائم عريـــائها

آخـــر

كميت كأنّ على متنـــــــه سبايك من قطع مذهـــب

آخـــر

كميت كمقلاع الوليد ابن جرشـــع

تليع [2] يحاكي لونه الشمس في الضحى

إذا هيّجته الكفّ بالجذب خيّلـــــت

إليك وجوه الأرض تسعى كما سعى

آخـــر

كلون الصرف [3] علّ بـــه الأديم

آخـــر

ضليع يروق الناظرين بحسنـــــه كميت كلون التمر أرجل أقرح [4]

أو أصدى [5] ، كأنّه مسح بالدهان ، أو لبس أجنحة الذبّان

شيـةً تخدع العيـــــون تـرى أ نّ عليه منها سحالة تبر

١ ــ الكميت من الخيل ما كان لونه بين الاسود والاحمر .

٢ ــ التليع : الطويل العنق .

٣ ــ الصرف (بكسر الصاد) : الصبغ الاحمر ، والشطر للكلحبة العريني .

٤ ــ الأرجل : الذي في أحد رجليه بياض ، والأقرح : الذي في جبهته قرحة ، وهي البياض بقدر الدرهم .

٥ ــ الاصدى : الذي لونه لون الصدأ .

صبغة الأفق ، بين آخـــــر ليلٍ　منقضٍ شأنه وأوّلُ فجـــر
متعة العين من حلاوة مـــــرأى
ورضى النفس من وثاقة أسر [ص٥٤]
حَذّفَتْ من فضوله صحّــــة العتـ　ـق فأدّته كالجديل الممرّ (١)

آخــــر

أصفر منها كأنّه محّة البيـــــ　ـضة صافٍ كأنّه عجس (٢)
هاديه جذع مــــن الأراك وما　خلف الصلا منه صخرة جلس (٣)
يكاد يجري الجاديّ من ماء عطـ　ـفيه ويجنى من متنه الورس (٤)
هذّب في جنســـه ونــال مدىً　بنفسه فهو وحده جنس
ضمّخ من لونه فجــاء كــأن　قد كسفت في أديمه الشمس (٥)

آخــــر

بريح أعيرت حــافراً من زبرجـــد
لها التبر جسمٌ واللجين خلاخـــل
كــأنّ الصبا ألقت إليّ عنانهـــا
تخبّ بسرجي مرّة وتناقل (٦)

١ ـ الجديل : الحبل المفتول ، والممرّ : الحبل المفتول فتلاً شديداً .
٢ ـ العجس : مقبض القوس .
٣ ـ الصلا : وسط الظهر من الانسان ومن كل ذي أربع ، والصخرة الجلس : القوية الشديدة .
٤ ـ الجاديّ : الزعفران ، والورس : عطر أصفر اللون .
٥ ـ هذه الأبيات لابي تمام ، راجع ديوانه ٢/٢٢٥ .
٦ ـ الخَبَب : ضرب من عدو الفرس ، وناقل الفرس : اسرع في نقل قوائمه .

آخــر

[م٣٢] مسودّة كالليل أرساغه وجسمه من ذهب يشرق
كأنمـــا أرساغــه إذ بـدت واللون منه ذهب محرق (١)

آخــر

مســـودّ شطر مثلما اسودّ الدجـــى
مبيضّ شطر كابيضاض المهرق(٢) [ص٥٥]
قد سالت الأوضاح (٣) سيل قرارة
فيــه فمفترق عليـــــه وملتقي

آخــر

بل أبلق (٤) يأتي العيون إذا بـــدا من كل لون معجب بنموذج

آخــر

فبعض من جوارحــــه سيوفٌ وبعض من جوارحه عمود

أو حِجْر (٥) كأنّها غزال ، أو خطّ تمثال

قـــوداء كالسرحة يعبــوب كيداء كالصعدة سرحوب (٦)

١ ـ المحَرّق : أثر الاحتراق .
٢ ـ المهرق (بميم مضمومة) ، والجمع : مهارق ، الصحيفة ، او الثوب من الحرير الابيض يلمع ويصقل ويكتب فيه .
٣ ـ الاوضاح : الاضواء ، وبياض الصبح .
٤ ـ البلق : اجتماع السواد والبياض .
٥ ـ الحجر (بحاء مكسورة وجيم ساكنة) : الانثى الاصيلة من الخيل .
٦ ـ القوداء: الفرس طويلة الظهر والعنق، والسرحة: الشجرة اذا طالت، والكيداء : =

هاديها شطرها ، وذنبها يسد فرجها ، لها أذنان تعرف العتق فيهما ، مؤلّلتان [١] ، وعينان كالماويتين [٢] نجلاوان ، تنظر بهما من صبابتين [٣] ، في وقب [٤] ريح ، زفير الجوى من منخر رحب .

كأنّهـــا في خلقها خيفانه [٥] يحسبهـا فارسها شيطانـه
يحفظ في تصريفها بنانه

آخــر

فوهاء[٦] يفرق بين شطري رأسها نور تخال سِناه سلّة منصل

إن طَلَبت نالت ، وان طُلِبت فاتت ، وان ربطت بالفِناء زانت ، [ص٥٦] ، وان نتجت مهراً أعانت.

وأركب في الحرب خيفانـة كسا وجهها شعر منتشر
فلو طار ذو حـافر قبلهـا لطارت ولكنّه لم يطر [٧]

آخــر

لهـا أيطلا ظبي وساقا نعـامة ووثبة نمر وآلتفات غزال

= الفرس التي تنطلق كانطلاق النار من الزند ، والصعدة : القناة المستوية المستقيمة ، والسرحوب : الطويل المتناسب الاعضاء .

١ ـ المؤلّل : المحدّد الطرف .

٢ ـ الماويّة : المرآة .

٣ ـ الصبابة : بقية الماء في الاناء .

٤ ـ الوقب : نقرة العين .

٥ ـ الخيفانة : الجرادة ، شبهت الفرس بالجرادة لضمورها وخِفّتها .

٦ ـ الفوه : سعة الفم .

٧ ـ البيتان لامرىء القيس .

[م٣٣]وأحسن من ذا كلّما آنحطّ حافر
يخطّ هلالاً من وراء هلال

أو بغلة سفواء ناجية (١) ، كأنّما خيطت على زفرة (٢) ، حصّاء الذّنَب (٣) ، عظيمة المحزم ، طويلة العنق ، مؤللة الأذنين ، شطرهـا للصواهل (٤) ، وشطرها للشحّج (٥) ، عمومة في غافق ، وخؤولة في الخزرج .

صبر الحمار وقوة الفرس

تنساب في الأرض على حـافرٍ كأنّه من حجر صلـد

إنّما أرى — والله — تيساً على حمار ، أو نغلاً على بغل ، أو قرداً على برذون ، مدبرحرون ، جموح عثور ، قميء نفور ، شموس كبوس ، عضوض رفوس ، فوف خصيّ ، إذا درّ حبق (٦) ، والصدر من كبرائكم ، على منفوخ من البراذين [ص٥٧] غليظ الرقبة، كبير الجَلَبَة ، يسعل ويضرط معاً ، فيقرن خطوة وحبقة ، وسعلة وذرقة .

رموح برجليه ، دفوع بصدره عضوض بفيه جامحٌ متعـوّج

قد نفخ التبن بطنه فهو كالغرارة ، تسبقه عند الركض الحمارة ، وينفره

١ — السفواء : قليلة شعر الناصية ، والناجية : الدابة السريعة تنجو بصاحبها .
٢ — الزفرة : النَفَس الطويل .
٣ — حصّ الشعر : حلقه ، وحصّاء الذنب : قليلة شعر الذنب .
٤ — الصواهل : الخيل .
٥ — الشحّج : مفردها الشاحج : الحمار الوحشي .
٦ — درّ الفرس : عدا عدواً شديداً ، وحبق : ضرط ، أقول : قد تقرأ الجملة : إذا درّ حلّق : بمعنى انه اذا عدا انفتحت حلقة دبره .

صوت الفارة ، واما مهزول كالألف عجفاً ، وكالشنّة دنفاً [١] ، يقف بالنتّرة [٢] ، ويعثر بالبعرة ، وتقيّده الشعرة ، قد أكل الجرب جلدته ، وحصّ ذنبه وناصيته ، به عرن [٣] كأنّه قثاة ، ومشش [٤] كأنّه سفرجلة ، ودخس [٥] كأنّه بطيخة ، كأنّه من جملة البساتين ، لا البراذين .

كأنّه في السوق والقيـــــاد سفينـــــة تدفع بالمـــــرادي

آخـــر

أخيف العين ، أغبر اللـــون ضرّاً
أهدل الوجه أغضف الآذان [٦]
أعمش كلّمـــا مشى في طريـــق
صدمته كواشك الحيطان [٧] [ص٥٨]
عرفه فيــــه نحو كيلجيتـــين ـ مثل حبّ الفسا ـ من القردان[٨]
فاذا ألجمـــوه دبّ دبيب الـــ نمل قردانه بطول العنـــان

١ ـ الشنّة (بفتح ونون مشدّدة) : القربة الخلق الصغيرة ، والدنف : المرض الثقيل الملازم .
٢ ـ النتّرة : الجذبة ، والبغداديّ ، يقول : نتله (باللام) فصيحة بعين المعنى .
٣ ـ العرن : داء يصيب الدابة في قوائمها.
٤ ـ المشش : ورم يأخذ في وظيف الدابة حتى يكون له حجم ، وليس له صلابة العظم الصحيح .
٥ ـ الدخس : ورم يأخذ في حافر الدابة .
٦ ـ غضفت الاذن : استرخت وتكسّرت .
٧ ـ الكواشك ، مفردها الكشك : شبه رواق بارز عن البيت .
٨ ـ القردان ، مفردها : القرادة ، دويبة تتعلق بالحيوان ، والبغدادي يلفظ قافها كافاً فارسية .

آخـــر

أعمى ، أصم ، حرون ، أرجلٌ ، دخسٌ
واهي القوائم ، محطوم القرى ، جـَرَد (١)
موف على غايــــة في العمر قصّر عن
بلوغها — وثوى من دونها — لَبَد (٢)
[ص٣٤]لدن السّرا(٣) ، فهو يهوي في المغار إذا
قوّدته (٤) ، والى الحيطان يستنـــد
تسومه المشي مضطراً وليس لـه الـ
ـمسكين بالمشي شبراً واحداً جَلَـد

آخـــر

يلزم باب العلاّف (٥) مختلفــاً اليه والمستميح يختلـــف

---

١ — الارجل من الخيل : الذي في احدى رجليه بياض ، من الصفات المذمومة في الخيل . والقرى : الظهر ، والجـَرَد : القصير الشعر .

٢ — لبد : نسر لقمان ، ويضرب به المثل في طول العمر ، وتزعم العرب ان لقمان خيّر فاختار ان يبقى بقاء سبعة أنسر ، كلما هلك نسر خلف بعده نسر ، وكان آخر نسوره يدعى لُبَداً ، فامتدّ عمره حتى ضرب به المثل ، قال ابو السري الخزرجي في معاذ بن مسلم النحوي :

ان معـاذ بن مسلم رجـل ليس لميقـات عمره أمـد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الـ ـدهر واثواب عمره جدد
يا بكر حوّاء كم تعيش وكـم تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربـت وانت فيها كأنك الوتـد
تسأل غربانها إذا حجلـتْ كيف يكون الصداع والرمد

٣ — السرا : الظهر .

٤ — قوّد الدابة : مشى أمامها آخذاً بقيادها .

٥ — العلاّف : بائع العلف ، ويصرف اسم العلاّف في الموصل لبائع الحبوب ، اما =

يشمّ من خارج روائح ما   داخل دكانه وينصرف
عسى البلاء الذي أحاط به   عنه بشمّ الشعير ينكشف

آخر

أعصم ، أخيف ، به وجع الحا   رك رخو اليدين والرجلين [1]

آخر

بين فخذيه إلى منكبه   سمة بالعُرُض للمعتصم [2] [ص٥٩]

آخر

كان ليعقوب وهو مهر   أقرح اذ جاءه البشير
كان كميت الشيات أحوى [3]   فقلبت عينه الدهور
مختلف الشكل في تكافي   قسمة أعضائه شطور
فجانبٌ مشرف طويل   وجانبٌ مقعد قصير
يئنّ طول الطريق تحتي   أنين شيخ به زحير
ما فيه روحٌ سوى ضراط   تحول من صوته الحمير
والشأن في مركب عليه   حلية أطرافه سيور
فلست أدري إذا بدا لي   يشرق فيه ويستنير

= في بغداد فان بائع الحبوب يسمى : العلوجي ، نسبة للعلوة، اي الموضع العالي من الارض ، وسبب هذه التسمية ان الحب كان يحرز في اماكن عالية لئلا تصل إليه الرطوبة فيتلف ، فأصبح كل موضع يحرز فيه الطعام يسمى: علوة وان لم يكن عالياً .

١ ـ الاعصم : الذي في قوائمه بياض وسائر بدنه اسود او احمر ، والاخيف: الذي احدى عينيه سوداء والاخرى زرقاء ، والحارك : أعلى الكاهل.

٢ ـ يريد انه كبير السن فيه وسم المعتصم.

٣ ـ الاحوى : الذي فيه حمرة إلى سواد .

بجامه المذهب المحلّى أحسن أم سرجه النمور [1]

طول نهاره محبوساً ، وفي ادباره معكوساً .

على معلف ما فيه غير عجاجة

ورأس سفيّ [2] مقفل الفم عطشان

آخر

أعيذه بالله من فاره فارس شيراز له سايس [3]

عظامه قد ظهرت كلّها كأنّما هُوَ حطب يابس [ص٦٠]

[م٣٥]أو أرى راكباً ، يتمايل على حمار ، كأنّه خليفة الدجّال [4] ، حمار عثار وشنار ، أسود مثل النقس [5] ، كالقربة البالية ، أو زقّ

١ — النمور : الذي فيه نمر ، أي نكت من غير لونه.

٢ — السفا في الخيل : خفّة شعر الناصية ، وليس بمحمود .

٣ — شيراز ، فارسية ، بمعنى اللبن الرائب ، وهو اسم فرس كسرى الاشهب . وقد وردت الكلمة في الاصل : شدان .

٤ — الدجّال : جاء عنه في الخبر ، انه من اشراط الساعة ، ويسبق ظهوره جهد شديد ، فيظهر على حمار ، ويطعم الطعام ، ويدعو الناس إلى اتباعه ، وجاء في وصفه انه احمر ، ضخم الجثة ، أعور ، راجع التفصيل في دائرة المعارف الاسلامية ١٤٦/٩ — ١٤٨ ، ومن لطيف ما يروى ان المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي أحد القواد ، كان أعور ، اصيبت عينه في احدى غزواته بلاد الروم ، وكان جواداً سمحاً ، وكان حيثما نزل نحر الجزور واطعم الناس ، فجلس على مائدته يوماً اعرابي ، فجعل ينظر إلى الطعام ، وإلى وجه المغيرة ولا يأكل ، فقال له : مالك يا اعرابي ؟ فقال : انه ليعجبني طعامك ، وتريبني عينك ، قال : ما يريبك منها ؟ قال : أراك أعور ، تطعم الطعام ، وهذه صفة الدجّال ، فضحك المغيرة ، وقال : كلْ يا اعرابي فانّ الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله .

٥ — النقس : المداد الاسود الذي يكتب به .

الدبس ، إن وقفه على جماعة أدلى ، وان تركه ولّى ، وان أمسكه أتعب يديه ، وان حرّكه خلع رجليه ، من مغرز فخذيه ، وان غفل عنه قام ، وان سلّم على مستقبل ، جثا تحته ونام .

يريك في الأرساغ منه والوُظُف [1]
مــن العيوب متلداً ومُطّــرف
قوائماً كالخشب يبْسْاً تنقصف   من غلظٍ في ذا وفي ذاك قصف [2]
وقصر فيهــا وطــول مختلف
إن أمسك الراكب رجليــه وقــف
وان علا أذنيــه بالسوط كرف [3]
وان نوى ركضاً جثـا ثم رعــف
وان أراد صرفــه لم ينصرف

آخــر

حمــار تحكّــم فيــه البلا   فظاهــره دلّ عن باطنــه
رأى القتّ يومــاً فغنّى لــه   غناء المشوق إلى فاتنــه
سلبت فؤادي [من مأمَنِــه]   وأزعجت ما كان من ساكنه

المستغاث بالله ، يا ليت شعري أين الخالس من الحارس [4] ، وأين الراجل من الفارس [5] .

١ ـــ الوُظُف ، مفردها ، الوظيف : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .
٢ ـــ القضف : النحافة والدقة .
٣ ـــ كرف الحمار : رفع رأسه وقلب جحفلته .
٤ ـــ في الاصل : اين الفارس من الحارس ، واحسب ان لفظة الفارس محرّفة عن الخالس ، وهو الذي يسلب مخاتلة وعلى عجل .
٥ ـــ في الاصل : ومن الراجل ومن الفارس .

ما أرى — والله — على بدن واحد [ص٦١] منكم ، ثوب دبيقيّ (١) ، شقيريّ ، ولا دبقاويّ (٢) ، ولا قيراطي زهيري ، ولا بفت قشيري (٣) ، ولا رداء عدنيّ (٤) ، ولا تاختج (٥) ، ولا راختج (٦) ، ولا ثياب قصب (٧) سموت ، ودسيسيّ ، وتنّيسيّ ، ودمياطي ، ولا مجلّلي أيضاً ، ولا وشي ديباج (٨) ، بالذهب المنسوج ، والعنبر الممروج (٩) ، حسن التوشيع (١٠) ، كأنّما نسج من نور الربيع (١١) ، ولا شفوفاً سينيزيّة (١٢) ، كالهواء

١ — الثوب الدبيقي : الذي يصنع بدبيق بمصر ، وهي بلد قرب تنيس(معجم البلدان ٥٤٨/٢) .

٢ — الدبقاوي : نسبته إلى دبقا بلد بمصر ، ذكره ياقوت في معجم البلدان ٥٤٦/٢ .

٣ — البفت ، فارسية : نوع من النسيج .

٤ — الرداء المنسوب إلى عدن ، قال ياقوت في معجم البلدان ٦٣١/٣ ان عدن مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهي مرفأ مراكب الهند ، وفيها مجمع التجار ، وفي المنجد : انها مرفأ حرّ على خليج عدن ، لزيادة التفصيل عن عدن ، راجع كتاب المستبصر لابن المجاور .

٥ — التاختج : فارسية : تاخته بمعنى المفتول .

٦ — الراختج : فارسية : راخته بمعنى اللباس .

٧ — القصب : ثياب من الكتان رقاق ناعمة .

٨ — الوشي : نقش الثوب ، والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير (فارسية) ، قال كوركيس عواد في الديارات ص ١٦١ : هو القماش المعروف عند العراقيين اليوم بالقنويز .

٩ — الممروج: من المرج وهو الخلط .

١٠ — التوشيع : وشع الثوب : اعلمه ، والثوب الموشع : الموشى برقوم وطرائق .

١١ — النور (بنون مفتوحة) : الزهر الابيض .

١٢ — الشفوف ، مفردها الشف : الثوب الرقيق الذي يشف عما تحته ، ونسبته إلى سينيز : بلد على ساحل بحر فارس ، اقرب للبصرة من سيراف (معجم البلدان ٢٢٠/٣) .

الرقيق ، أو كالسراب ، أو شستقات قصب معلّم مخوّم [1] ، يمسح بها الفم في المجالس ، ولا مريّش [2] ، ولا موشّح بالذهب المغربي ، ولا عتّابيّ دبيقيّ معلّم مثقّل [3] ، ولا أرى في بيوتكم ودوركم بيوتاً قد غشيت سقوفها بالساج [4] ، وزيّنت تفاريجها بالأبنوس والعاج [5] ، فيها رواق مليح ، أو عرضيّ [6] ، أو حيريّ بكمّين [م٣٦] ، فيه إيوان محنب بين حنبتين [7] ، أو بهو [8] مشرف عال ، ولا أرى دوركم

١ — الشتستقة او الشستجة : فارسية : المنديل ، والمعلم : الذي فيه الاعلام وهي الرسم والرقم في الثوب ، والمخوّم : الذي لم يقصر .

٢ — المريّش : الموشى على أشكال الريش .

٣ — العتّابي : الثياب التي تنسج في محلة العتابيّين ببغداد ، وقد اشتهرت هذه المحلّة بصنع الثياب العتّابية التي تحاك من حرير وقطن في الوان مختلفة ، راجع دليل خارطة بغداد ص ١٠٥ ، اقول : كانت الثياب العتّابية ذات اعلام ، ومن اجلها دعي حمار الوحش المعلم المعروف بالزيبرا ، بالحمار العتّابي ، للاعلام الموجودة في جلده على غرار الاعلام الموجودة في الثياب العتّابية . والثوب المثقل او المثقّل : الموشى بخيوط الفضة والذهب او المزين بالحجارة الكريمة ، فأصبح بذلك ثقيلاً ، (رسوم دار الخلافة ٩٧) .

٤ — الساج : خشب غالي الثمن يجلب من الهند ، واحدته : ساجه .

٥ — التفاريج ، مفردها التفرجة : الفسحة بين العمودين ، والابنوس : خشب ثمين اسود اللون ، غاية في الصلابة ، والعاج : انياب الفيل .

٦ — العرضي : الحجرة تكون في عرض البيت ، تطلّ على ساحته ، حرفت عند البغداديّين فاصبحوا يسمونها : أرسي ، بألف مضمومة .

٧ — الحيرى : طراز من البناء يكون فيه الايوان في الوسط ، والغرف على جانبيه ، والمحنب ذو الازج المحكم ، قاله الدكتور احسان عباس .

٨ — البهو : موضع استقبال الضيوف والغرباء في الدار .

مفروشة المجالس بالزلالي المغربيّة (١) ، والطنـافس الخرشنيّة (٢) ، والنخـاخ الأنـدلسيّـة (٣) ، والقرطبيّـة (٤) ، والمطـارح

١ — الزلالي : مفردها زلّية ، وهي البساط ، فارسية : زيلو (الالفاظ الفارسية ٧٩) وتسمى اليوم ببغداد : زوليّة ، والجمع زوالي ، اما بلاد المغرب ، فقد حدّدها الجغرافيون العرب بأنها تبدأ من مليانة إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط (معجم البلدان ٥٨٣/٤) وفرقوها عن افريقية التي حددها الجغرافيون العرب بانها تنتهي غرباً إلى مليانة مقابل جزيرة الاندلس [معجم البلدان ٣٢٥/١] .

٢ — الطنافس ، مفردها الطنفسة : فارسية : الحصير ، ويراد بها الفرش الذي يسمى الزلالي والزوالي ، والخرشنية : المنسوبة إلى خرشنة ، وهي بلد قرب ملطية ، من بلاد الروم (الاناضول) ، قال فيها ابو فراس : [معجم البلدان ٤٢٣/٢] :

ان زرت خرشنـة أسيـرا   فلكم حللت بهـا أمـيرا

٣ — النخّ ، وجمعه : النخاخ ، جزء من الفرش (السجّاد) الذي يفرش به البيت ، وقد كان الفرش الكامل للبيت يشتمل على عدّة من الطنافس (الزوالي او الزلالي) متماثلة في اللون والنقش ، مختلفة في الطول والعرض ، فالصدر ، أكبرها مساحة ، تفرش في وسط القاعة وتسمى الآن ببغداد : أورطة ، ويفرش على جانبي الصدر مما يلي الحائط ، سجادة مستطيلة ، قليلة العرض ، اسمها الآن ببغداد : يان ، وجمعها : يانات ، وكانت تسمى : النخ ، تشبيهاً لها بنخي الطائر ، اي عظمي جناحه ، وأذكر استطراداً ، أن القاهر محمد بن المعتضد ، لما خلع وسمل ، ثم خلع من بعده المتقي ابراهيم بن المقتدر وسمل ، كتب القاهر إلى الخليفة المطيع ، يتنبأ له بالخلع والسمل ، قال :

صرتُ وإبراهيم نخّي عمى   لا بد للنخّين من صـدر
ما دام توزون لـه إمـرة   مطاعة فالميـل في الجمـر

والاندلسية : المنسوبة إلى الاندلس ، وهو اسمه اطلقه الجغرافيون العرب ، على شبه جزيرة ايبريا ، لما ملكوها ، وعبروها إلى فرنسا ، حيث توقف زحفهم على اثر معركة بواتيه قرب باريس ، وقد حكم المسلمون الاندلس ثمانية قرون ، ثم أدّى بهم التخاذل والتناحر وحبّ الذات إلى التفريط في واجباتهم فأضاعوها .

٤ — قرطبة : قال ياقوت في معجم البلدان ٥٨/٤ — ٦١ : انها اعظم مدينة في الاندلس ، =

الأرمنيّة[1] ، والقطف الروميّة[2] ، والمقاعد التستريّة[3] ، والانطاع [ص٦٢][4]

= في كثرة الاهل وسعة الرقعة ، حتى قيل : انها احد جانبي بغداد ، أقول : زرت قرطبة في السنة ١٣٨٠ (١٩٦٠ م) فرأيتها بمدينة دمشق أشبه .

١ — المطرح : المفرش ، وبلاد الارمن ، واسمها ارمينية ، بلاد واسعة حددها ياقوت في معجم البلدان ٢١٩/١ — ٢٢٢ وكان ملكها يدعى شاه أرمن ينصبه الخليفة ، وكان الفرش الارمني في القرن الثالث الهجري من افخر الفرش ، راجع في نشوار المحاضرة جـ ٨ ص ٥٢ رقم القصة ١٧/٨ عن الفرش الارمني الذي صنع لعبيد الله بن خاقان وكان يشتمل على بساط عظيم ، ومصلّيات ، والنخاخ ، ومساور ، ومخادّ ، ودست ، وستور ، وأذهبوا الجميع (رقموه بالذهب) وكتبوا عليه كنيته واسمه ، وخير انواع الفرش في وقتنا الفرش الايراني ، وخيره الاصبهاني ، والنائيني ، فالكرماني ، وأرخصه التبريزي .

٢ القطف : الفرش المخملة ، والقطيفة : القماش المخملي ، والبغداديون يسمونها : قديفه . والرومية : المنسوبة إلى بلاد الروم ، وهي ما نسميه اليوم : بلاد الاناضول ، وقد حددها ياقوت في معجمه ٨٦٢/٢ فذكر انه يحدها من الشرق والشمال : الترك والخزر والروس ، ومن الجنوب : الشام والاسكندرونة (وردت في المعجم خطأً باسم الاسكندرية) ومن المغرب البحر والاندلس .

٣ — المقاعد ، مفردها : المقعد : فراش صغير مربع او مدوّر يقعد عليه ، ونسبتها إلى تستر ، مدينة في ايران ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٨٤٧/١ انها أعظم مدينة بخوزستان ، واسمها الفارسي : شوشتر ، وفيها شاذروان تستر ، وهو مشروع ري ضخم ، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر ، وكان امير تستر — اذ ذاك — الهرمزان فاستأمن ، وانزل على حكم الخليفة عمر ، وحمل إلى المدينة ، فاستحياه الخليفة ، وابقاه في المدينة ، ولما قتل الخليفة عمر عمد ولده عبيد الله إلى الهرمزان فقتله ، لانه اتهمه بمواطأة ابي لؤلؤة على ارتكاب جريمة القتل ، وقد اشتهرت تستر بصناعة النسيج والفرش ، كما ان قوماً من التستريين اقاموا ببغداد في محلة سميت باسمهم وكانوا يصنعون بها الثياب التسترية ، راجع رسوم دار الخلافة ص ١٠٢ .

٤ — النطع ، وجمعه انطاع : البساط من الجلد .

المذهّبة المغربيّة ، والمخادّ [1] المذهّبة الدبيقيّة ، والطرّاحات القبرسية [2] ، والسوسنجرد [3] ، وبوقلمون [4] ، والنمارق التي ترى البيت فيها كأنّه قراح منثور [5] ، ولا لكم حصير سامانيّ [6] ، ولا عبّاداني يطوى بالعرض [7] ، كما تطوى الثياب ، أجلّ من الزرابي [8] ، وأنعم من

---

١ ـ المخدّة ، وما يزال هذا اسمها ببغداد ، سميت بهذا الاسم لان الانسان يضع عليها خدّه عند النوم .

٢ ـ الطرّاحة : فراش مربع او مستطيل ، يطرح تحت الانسان ليجلس عليه ، وقبرس : الجزيرة المعروفة .

٣ ـ السوسنجرد : لون من القماش ، احسبه كان ينسج في سوسنجرد ، من قرى بغداد راجع معجم البلدان ١٩٠/٣ .

٤ ـ ابو قلمون : ثوب يتراءى اذا قوبل به عين الشمس بألوان شتّى ، يعمل ببلاد يونان (معجم البلدان ١٦٦/٤) .

٥ ـ النمرق : الوسادة الصغيرة يتكأ عليها ، والقراح : المبقلة ، وتسمى الآن ببغداد : الخضرة ، وقراح المنثور : الأرض التي زرعت بالمنثور ، وهو نبات ذو زهر ، ذكي الرائحة ، سمي منثوراً لأنّه كان يفرش في مجالس الشراب ، وما كان منه اصفر اللون ، فهو الخيري .

٦ ـ الحصير : البساط الصغير يصنع من البردي والاسل ، اما الذي يصنع من ليط القصب فاسمه البارية ، والجمع : بواري ، والحصر السامانية ، التي تصنع بسامان قرية بنواحي سمرقند ، ينسب اليها السامانيون حكام ما وراء النهر .

٧ ـ الحصر العبادانية ، التي تصنع بعبادان ، وقوله : تطوى بالعرض ، دليل على لينها ، واللين من الصفات المستحسنة في الحصر ، وعبادان : ناحية تحت البصرة ، قرب البحر الملح ، ذكرها ياقوت في معجمه ٥٩٨/٣ وقال عنها انها موضع رديء ، سبخ ، لا خير فيه ، وماؤه ملح ، أقول : وصفها شاعر اندلسي ، فقال :

من مبلـغ أندلسـاً أنّنـي ... حللت عبادان أقصى الـثرى
الخبز فيهـا يتهادونـه ... وشربة الماء بها تشترى

٨ ـ الزرابي ، مفردها الزربي : فراش يتكأ عليه .

الخز السوسي [1] ، لطيفة العمل ، بديعة الصنعة ، دقيقة النسج ، والدسوت الشقيرية المفصّلة بالذهب [2] ، ودسوت ممزّجة بذهب عراقي [3] ، وديباج مثقل ، مفتّل ، ومحيّل ، ومطارح محشوّة بريش الصعو الهندي [4] ، والديباج التستري المقصّب بالذهب [5] .

ولا أرى — والله — في عطركم ، مثلّثة [6] برمكيّة ، سكّرية ،

---

١ — الخز : ثياب تنسج من صوف وابريسم ، ونسبتها إلى سوسة ، مدينة بافريقية ذكرها ياقوت في معجمه ١٩٠/٣ — ١٩٣ وقال عنها : تصنع فيها الثياب السوسية الرفيعة ، يكون ثمن الثوب منها في موضعه عشرة دنانير ، ويباع الغزل فيها زنة مثقال منه بمثقالين من الذهب ، وهي تبعد عن المهدية ثلاثة أيام .

٢ — الدست : ما يفرش في صدر البيت ، والمفصّلة بالذهب : التي تكون فيها فواصل من الذهب .

٣ — الممزّج : المنسوج بالذهب (قاله ميخائيل عواد في رسوم دار الخلافة ١٠٢) .

٤ — الصعو : طائر اصغر من العصفور ، وريشه انعم ريش ، قال الشاعر :

ما تجمع الصعوة في عامها يأخذه الصقر بمنقـــاره

٥ — المقصّب : الملبّس بطروق (اسلاك) الذهب المسمى ببغداد : الكلبدون .

٦ — المثلثة : عطر يتبخّر به ، وكان البخور في العصور الوسطى ، لا يكاد يخلو منه بيت ، وكيفية استعماله ان يوضع في المبخرة ، ويؤرّث حتّى يتصاعد دخانه ، ثم يوضع تحت ذيل المتبخّر ، لتعبق ثيابه بالرائحة ، وكانوا يغالون في اثمان البخور ، ويتأنقون فيه ، ويجمعون بين ثلاثة اصناف من الطيب او أكثر بخوراً طيّب الرائحة ، يسمونه المثلّثة ، وتختلف اسماؤها ، باختلاف الاجزاء المشتملة عليها ، وقد ذكر التوحيدي اسماء أربعة اصناف منها اولها البرمكية ، وقال صاحب الموشى (ص ١٨٢) ان الظرفاء البغداديين يستعملون الجيّد من البرمكية ، وذكر صاحب الاغاني ١٨٩/١٠ ان يعقوب بن المهدي كان لا يمسك الفساء ، فاتّخذت له دايته مثلّثة طيّبة ، وتنوّقت فيها ، فلما وضعتها تحته فسا ، ثم قال لدايته : هذه المثلثة ليست طيّبة ، فقالت له : فديتك ، كانت وهي مثلّثة طيّبة فلما ربّعتها فسدت ، قالوا : كان المأمون في يوم جمعة ، يخطب على المنبر بالرصافة ، وأخوه =

وجوهريّة ، وعمّارية ، ولا ذريرة الورد ، والذريرة الطيلونية [1] ، ولا الغالية العنبرية ، ولا الكافورية ، والصفراء التي لا تؤثّر في الثياب [2] ،

= أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة ، اذ أقبل يعقوب بن المهدي ، فوضع أبو عيسى كمّه على أنفه ، وفهم المأمون ما أراد ، فكاد ان يضحك ، ثم تماسك ، فلما انصرف من الصلاة ، أحضر ابا عيسى ، وقال له : والله ، لهممت أن أبطحك فاضربك مائة درّة ، ويلك ، أردت ان تفضحني بين الناس ، في يوم جمعة ، وانا على المنبر ، اياك ان تعود لمثل هذه .

١ ــ الذريرة : نوع من الطيب ، وقد تسمى : الذرور ، ذكر صاحب مطالع البدور ٦٤/١ الذريرة البرمكية ، وتشتمل على عشرة اصناف من الطيب وتعجن في ماء الورد ، وماء القرنفل ، والنمام ، وماء الآس .

٢ ــ الغالية : ضرب من الطيب ، ذكروا انّها سميت غالية ، لغلاء ثمنها ، وقالوا ان معاوية سمّاها بهذا الاسم ، اذ اهدى اليه عبد الله بن جعفر منها ، فاستحسنها ، وسأله عنها ، فذكر له الاصناف التي اشتملت عليها ، ولما علم بمقدار ما صرف على صنعها ، قال : انها غالية ، فسميت بذلك (الاعلاق النفيسة ١٩٨) أقول : في هذا الخبر نظر ، لأنّنا نروي ان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت في رثاء أبيها صلوات الله عليه :

ماذا على من شمّ تربة أحمـــد ان لا يشمّ مدى الزمان غواليا

وكان محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير ، اذا أحرما ، غلّفا رأسيهما بالغالية ، وقالت حميدة بنت النعمان بن بشير الانصاري ، تهجو زوجها روح بن زنباع الجذامي :

كهول دمشق وشبانهـــا أحبّ الينا من الجاليـــه
صنان لهم كصنان التيوس اعيى على المسك والغاليه

وتختلف اسماء الغالية باختلاف الاصناف التي تشتمل عليها ، فذكر التوحيدي منها العنبرية ، اي التي يكون العنبر اهم اجزائها ، والكافورية ، التي يكون الكافور اهم اخلاطها ، اما الصفراء التي لا تؤثر في الثياب ، فقد ذكرها لأنّ =

ولا الساهريات المتّخذة بدهن العنبر ، ودهن الاترجّ [1] ، ولا اللخلخة الصندلية ، ولا اللخالخ السود ، والصفر [2] [ص٦٣] ، ولا الشمّامات القصريّات [3] ، ولا نضوح الانداد [4] ، ولا الندّ المدرّج ، ولا الندّ

= الغالية كانت اذا تغلّف بها أحد ، سال منها على ثيابه ، ولذلك قال الشاعر : [الموسوعة التيمورية ١٣٨] .

مداد الفقيه على ثوبـــه أحب الينا من الغاليـــه

وذكر صاحب الموشى (ص١٨٣) ان الظرفاء البغداديين، كانوا لا يستعملون الغالية ، ولا شيئاً من الطيب الذي يبدو له لون ، ويبقى له أثر ، ومتى استعملوا شيئاً من الغالية ، كانت في اصول الشعر بحيث يشم ولا يرى له أثر .

وجاء في ذيل كتاب البلدان لليعقوبي (ص٣٦٩) بحث عن الغوالي، فذكر غالية الخلفاء ومن اهم اخلاطها المسك التبّتي ، وغالية يتساوى فيها المسك والعنبر كانت تعمل لحميد الطوسي ، وكانت تعجب المأمون ، وذكر غالية كانت تصنع لام جعفر (زبيدة) تسمى غالية العنبر ، وغالية تصنع لمحمد بن سليمان ، راجع في مطالع البدور ص ٦٣/١ صفة غالية تشتمل على المسك والعنبر وسنبل الطيب يعجن بدهن البان ، وراجع بشأن الغوالي ، كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج١ ص ٢٨٩ — ٢٩٢ في القصص ١٥٥/١ و ١٥٦ .

١ — الساهريات : صنف من اصناف الطيب ، سميت بذلك لانه يسهر في عملها وتجويدها (الموسوعة التيمورية ١٣٣).

٢ — اللخلخة ، وجمعها اللخالخ : طيب معروف (الموسوعة التيمورية ١٤٣) واختلاف الوانها ، عائد لاختلاف الاصناف التي تشتمل عليها .

٣ — الشمّامات : اصناف من الطيب تكبس على شكل اصناف الفاكهة ، وتستعمل للشم وللزينة ، وأكثر ما تكون في مجالس الشراب ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ ص ١٠٦ رقم القصة ٦٩/٣ وج ٨ ص ٢٥٣ رقم القصـــة ١٠٩/٨ وكتاب اخلاق الوزيرين للتوحيدي ص ٤٩٣ سطر ٢ .

٤ — النضوح (بنون مفتوحة): اصناف من الطيب، كانت تنضح على من يراد تعطره بها ، راجع الموسوعة التيمورية ص ١٤٧ والذي في الاصل : نضوح الانوار ، واحسب ان الصحيح نضوح الانداد، اي اصناف النضوح التي يكون الند أوفر=

الطهماني ، ولا الندّ النهاية ، ولا الندّ المقتدري [1] ، ولا العود الطريّ ، الرطب الهنديّ ، ولا المندلي المنتخب ، الذي قد طلي بالمسك الصغدي ، أو التبتّي ، والطومني ، والنيبالي ، والخوجيري ، والخطائيّ ، والبحريّ [2] ، والمسك الصيني [3] ، والزعفران الماهيّ ، والشامي [4] ، والكافور

= أخلاطها ، والند : هو العود المطرّى بالمسك (الموسوعة التيمورية ١٤٦) وفي مطالع البدور ٦٣/١ صفة ندّ يشتمل على العود والمسك والعنبر .

١ ــ ذكر صاحب الموشى (ص ١٨٢) ان الظرفاء البغداديين كانوا يفضلون الندّ السلطاني ، فلعلّه هو الند المقتدري الذي ذكره التوحيدي .

٢ ــ العود : نوع من الخشب طيّب الرائحة ، يتبخّر به ، وذكر صاحب الموشى (ص ١٨٢) ان الظرفاء البغداديين يستعملون العود المعنبر بماء القرنفل المخمّر ، وذكروا أنّ خير اصناف العود ، هو العود الطري الرطب ، بحيث اذا كبس عليه بختم ، أثّر فيه ، وذكر احمد تيمور في موسوعته ١٤٦ : إنّ أجود انواع العود هو المندلي ، وهو العود المطرى بالمسك ، وقال ضياء الدين المنادي في العود المندلي [مطالع البدور ٦٣/١] .

المنـــدليّ كريـــــم ســقياً لـــه ولغرســـه
لمـــا أراد يرينـــا للهند نسبـــة جنســـه
غدا على النار ملقـى يجود فيهـــا بنفســـه

وذكر التوحيدي اصنافاً من المسك التي يطرى بها العود ، فذكر الصغدي المنسوب إلى الصغد ، والتبتّي المنسوب إلى التبت ، وذكر الطومني ولم اعثر على اصل نسبته ، ولعل الكلمة مصحفة ، والنيبالي منسوب إلى نيبال ، والخوجيري سمّاه اليعقوبي في كتاب البلدان : الحرجيري ، والخطائي المنسوب إلى بلاد الخطا ، والبحري المنسوب إلى البحر .

٣ ــ المسك الصيني : ذكره اليعقوبي في كتاب البلدان (ص ٣٦٤) واعتبره الثالث في الجودة ، وقال : انه يؤتى به من خانقو (بكين)، مدينة الصين العظمى .

٤ ــ الزعفران : نبات بصلي ، زهره أحمر إلى صفرة ، يستخدم في الطيب ، وفي الوان من المرق والحلويات ، اقول : احسن انواعه في وقتنا الخراساني .

الرباعيّ ، والجلالي الذي مثل الملح البحري ، أو القيصوري المفلس ، أو التبريزي ، والرقرق ، والآزاد ، والمهرسان ، والسرخان [1] ، نعم ، وغلى بالعنبر الأزرق الدسم الشلاهطي [2] ، والأصهب الشحري [3]

١ — الكافور : شجرة مهدها الصين ، ازهارها بيضاء ضاربة إلى الصفرة ، يستخرج منها الكافور وهو مادة عطرية تستعمل في العطور وفي الطب .

٢ — العنبر : صنف من اصناف الطيب ، قال عنه صاحب كتاب البلدان (ص ٣٦٦) انه انواع كثيرة ، واصناف مختلفة ، ومعادنه متباينة ، وهو يتفاضل بمعادنه وبجوهره ، فأجود انواعه ، وأرفعه ، وأفضله ، واحسنه لوناً ، واصفاه جوهراً ، واغلاه قيمة ، العنبر الشحري ، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من اليمن ، وربما ابتلعت السمكة شيئاً من العنبر ، فماتت ، وطفت ، وطرحها البحر إلى الساحل ، فيشق جوفها ، ويستخرج ما فيه ، وهو العنبر السمكي ، ويسمى أيضاً : المبلوع ، وربما طرح البحر القطعة من العنبر ، فيبصرها طائر أسود شبيه بالخطاف ، فاذا سقط عليها تعلقت بمخاليبه ومناقيره ، فيموت ، ويبلى ، ويبقى منقاره ومخاليبه في العنبر ، وهو العنبر المناقيري ، ويلي العنبر الشحري ، العنبر الزنجي ، وهو ابيض اللون ، يؤتى به من بلاد الزنج ، ويليه العنبر الشلاهطي نسبة إلى شلاهط ، قال ياقوت عنه ٣١٢/٣ انه بحر عظيم فيه جزيرة سيلان ، واجود الشلاهطي الازرق الدسم ، ويستعمل في الغوالي ، ويليه القاقلي ، وهو اشهب ، جيد ، حسن المنظر ، خفيف ، لا يصلح للغوالي ، بل يصلح للذرائر والمكلسات ، ويؤتى به من بحر قاقلة إلى عدن ، ويليه العنبر الهندي الذي يؤتى به من سواحل الهند الداخلة ، ويليه المغربي الذي يؤتى به من بحر الاندلس .

٣ — العنبر الشحري : افخر انواع العنبر ، نسبة إلى الشحر ، قال ياقوت ٣٦٣/٣ ان الشحر صقع على ساحل بحر الهند في ناحية اليمن ينسب اليه العنبر الشحري اذ يوجد في سواحله .

النادر ، والزنجي [1] ، والسمكي [2] ، إذا طرحت شظيّة منه على النار ، غليت كما تغلي القدر ، وفارت كما يفور التنّور ، ويرتفع لها دخان كدخان الحريق ، أو (العود) الهندي ، والسمندوري ، والسكالي ، والقماريّ ، [م٣٧]والصنفي ، والقاقلي ، والبربري ، والأفاتق ، والأشباه ، والعرق ، والقطع ، والقشور ، والكلاهي دون المانطاي ، واللواطي ، والرنطاي ، والجلاّي ، والكرميني ، والدنبويه القفصي الذي شبههم [3] [ص٦٤] ،

١ ـ العنبر الزنجي : قال اليعقوبي في كتابه ص ٣٦٦ ان العنبر الزنجي ، ابيض اللون وانه يلي العنبر الشحري في المنزلة ، ويؤتى به من بلاد الزنج .

٢ ـ العنبر السمكي : ذكره اليعقوبي في كتابه ص ٣٦٦ وقال انه سمي بالسمكي ، لانه يستخرج من بطون السمك.

٣ ـ ذكر اليعقوبي في كتاب البلدان ، اصناف العود ، فذكر ان افضله العود القماري ، وانه كثير الماء ، ويليه القاقلي ، فالصنفي ، ويجلب من بلد يقال له الصنف ، بناحية الصين ، وهو اجل الاعواد وابقاها في الثياب ، ومنهم من يفضله على القاقلي ، ومنهم من قدمه على القماري أيضاً ، ويقول : إنّه أطيب وأعبق وآمن القتار ، ويليها القامروني ، والمندلي ، والصيني ، والصندفوري ، والسمندوري ، وافضل انواع الصيني ، يسمى القطعي ، ومن العود صنف يسمى : القشور ، رطب ، أزرق ، وهو أعذب رائحة من القطعي ، ودونه في القيمة ، وفي الصيني أصناف أخر هي دون الاصناف السالفة الذكر ، منها المنطاوي (او المانطاي) قطعه كبار ،سود، ملس ، لا عقد فيها ، ومنه صنف يعرف بالجلاي ، وصنف يعرف باللوافي (او اللواقي) ، وهو اللوفيني (او اللوقيني) ، وهذه الاعواد متقاربة في القيمة ، والعود القماري ، منسوب إلى قمارا بالهند (معجم البلدان ١٧٣/٣) وقال ابو الفداء في تقويم البلدان ٣٦٩ : أن قمار جزيرة من جزائر الصين ، واليها ينسب العود القماري، قال الشاعر : [معجم البلدان ٦٦٠/٣] :

أحبّ الليل إنّ خيال سلمى ... اذا نمنا ألمّ بنا غـــرارا =

ولا المسك التبّتي ، والتفاحي، والهندي ، والصيني ، والوداي، والقشميري، والبحري ، والقواريري [1] ، ولا العنبر الفلافلي ، والندّ الزنجي ، ولا ماء الورد الجوري [2] ، قطاف ساعته ، حديث عرق ، يغوص في مسام

= كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمندل أو بقارعتي قمارا

راجع في نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة المرقمة ٦٩/٣ ج ٣ ص ١٠٤ — ١١٣ اخباراً عن العود تتعلق بشغف المتوكل بالعود الهندي .

١ — المسك : الطيب المعروف المشهور ، قال عنه احمد تيمور في موسوعته (ص ١٤٤) انه يستخرج من حيوان كالغزال في التبت ، وقال عنه اليعقوبي في كتاب البلدان (٣٦٤ — ٣٦٦) انه اصناف كثيرة ، واجناس مختلفة ، أفضلها وأرفعها التبّي وبعده السغدي ، ثم الصيني ، ثم الهندي ، وهو الذي ينقل من التبت إلى الديبل ثم يجهز في البحر ، ويليه القنباري ، وهو جيد إلا أنه دون التبّي في القيمة والجوهر واللون والرائحة ، يجلب من قنبار بين الصين والتبت ، ويتلوه الطغزغزي ، ويضرب إلى السواد ، ويؤتى به من بلاد الترك ، ويتلوه القصاري ، يجلب من قصار ، بين الهند والصين ، ثم الحرجيري ، وبعده العصماري ، وهو أضعف انواعها وأدناها قيمة ، ثم الجبلي، ويؤتى به من ناحية السند ، قال الخليفة عمر بن الخطاب : لو كنت تاجراً لاخترت المسك ، فان فاتني ربحه ، لم يفتني ريحه (مطالع البدور ٦٢/١) وقد اصبح المسك الحقيقي الآن في حكم النادر ، لان المسك المصنع طغى عليه لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه ، واذكر انني لما حججت في السنة ١٣٨٤ (١٩٦٤ م) سألت اصحاب العطر بمكة عن المسك الحقيقي ، فاعترفوا لي بأن جميع ما عندهم هو مسك صناعي .

٢ — الورد في اللغة : نور كل شجرة ، ثم اقتصر على الورد المعروف ، وعناية الانسان بالورد قديمة ، واستعمله الاطباء منذ القديم دواء ، ووصفوه لكثير من الشكاة ، وكان المتأنقون يفرشون الورد في مجالسهم ، لحسن منظره ، وطيب رائحته ، وكان المتوكل يقول : انا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، فكل منا اولى بصاحبه، وكان في ايام الورد ، يلبس الثياب الموردة، ويفرش=

الشعر ، فتبقى رائحته أسبوعاً ، ولا الصندل المقاصيري ، والحوذي ،

= الفرش المورّدة ، ويورّد جميع الآلات ، وذكر التنوخي في نشواره انه شاهد الوزير المهلبي ، اشترى في ثلاثة أيام متتابعة ورداً بألف دينار ، فرشه في مجالسه وطرحه في بركة أمامه ، وشرب عليه ، وذكر أيضاً أن ابا القاسم البريدي ، شرب بالبصرة ، في يوم واحد ، على ورد اشتراه بعشرين ألف درهم ، وأولم ابو الفضل الشيرازي ، لمعز الدولة ببغداد ، وليمة في داره الكائنة على ملتقى دجلة والصراة ، موقعها الآن في رأس الجعيفر من الجانب الغربي ، فشدّ حبالاً مفتولة على وجه الماء بين الشاطئين ، ثم نثر الورد بكميات عظيمة غطّت وجه النهر ، ومنعته الحبال المعترضة من الانحدار ، فاستقرّ في موضعه ، وكان الورد يتّخذ للتحيات في مجالس الشراب ، بان يقدّم الساقي للنديم وردة ، أو تفاحة ، مما له منظر جميل ، ورائحة عذبة ، وكان الظرفاء البغداديون والاندلسيون ، يفضلون الآس على الورد ، تفاؤلاً بدوام خضرة الآس ، وكون الورد موسمياً ، قال ابن زيدون :

لا يكن عهدك ورداً إنّ عهدي لك آس

والورد الجوري ، اشهر انواع الورد ، ونسبته إلى جور ، مدينة بفارس ، ومنه يستخرج ماء الورد ، وفي بغداد اغنية قديمة ، ما زالت شائعة ، تقول :

أحبّك أحبّك واحب كلمن يحبّك
واحب الورد جوري لأنّه بلون خدّك

لاحظ ان المتعارف تشبيه خد المحبوب بالورد ، اما شاعرنا العامي البغدادي ، فقد عكس الوضع ، وشبّه الورد بوجنة المحبوب ، فجاء نهاية في لطف التعبير ، اقول : اني جربت كثيراً من العطور ، فلم أجد أعذب ولا ألطف ، ولا اعبق رائحة من ماء الورد الجوري وأنا أفضّله على المسك ، وحدث ان زرت المعرض بدمشق ، أول سنة من سنيه فوجدت كهلاً يعرض ألواناً واصنافاً من العطور ، منها المسك ، وكان مسكاً صحيحاً جيداً ، فقلت له اني افضل ماء الورد على المسك ، فاغتاظ مني ، وقال : هذا المسك الذي ورد ذكره في القرآن ، فقلت له : ان ذكر المسك في القرآن لا يسبغ عليه صفة القداسة ، فان الشيطان مذكور في القرآن أيضاً فاشتد غيظه مني ، وصرف وجهه عني وهو حانق .

والأحمر ، قد سحق فيه يسير عود هندي وعصفر [1] ، ولا سنبـــل عصافيري [2] ، ولا زرنب بجاديّ [3] ، ولا بخور شرائي [4] ، ولا ماء الزعفران [5] ، ولا ماء الصندل [6] ، ولا سعداً مطيّباً [7] ، ولا

---

١ ــ الصندل : شجر هندي ، ابيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة ، مرغوب فيه جداً ، يستعمل في الطيب وفي الدواء ، راجع في الموسوعة التيمورية ١٤٢ و ١٤٣ اصنافاً عدة من الطيب يدخل فيها الصندل .

٢ ــ السنبل : لون من الطيب ، ذكره اليعقوبي في كتاب البلدان ٣٦٨ وقال إنه حشيشة تنبت بأرض الهند وبلاد التبت ، وان اجود اصنافه العصافير الحمر الالوان المسلل ، اي الذي نقي من زغبه ، وبقي عصافير مجرّدة .

٣ ــ الزرنب : طيب معروف من نبات عطري ذي رائحة منعشة (الموسوعة التيمورية ١٣٢) .

٤ ــ البخور : كل مادة صمغية اذا احترقت فاحت لها رائحة طيّبة ، وكان البخور يتخذ من اصناف عدة من الطيب ، وذكر العلامة احمد تيمور رحمه الله في موسوعته ص ١١١ و ١١٢ ان البخور كان مستعملاً عند الفرس والهنود والمصريين القدماء في حفلات اعيادهم واعراسهم ، وكان الكهنة وخدام المعابد يستعملون البخور كذلك في الاعياد الروحية ، اقول : كان التعطر بالبخور شائعاً في القرون الوسطى ، وقد دالت دولته الآن ، واصبح البخور مقصوراً على استعماله في الحفلات الدينية راجع في الموسوعة التيمورية ص ١٤٢ و ١٤٣ عن عدة صفات لاصناف من البخور .

٥ ــ ذكر الاصطخري في المسالك والممالك (ص ٩٢) انه يرتفع من جور اضافة إلى ماء الورد ، ماء الزعفران المسوسن .

٦ ــ ماء الصندل : عطر يتخذ من اصناف من الطيب أوفر اجزائه الصندل .

٧ ــ السعد المطيب (بضم السين وسكون العين) : نبت له اصل تحت الارض ، اسود اللون . طيّب الريح (لسان العرب) ، ذكره ابن سينا في القانون ٣٧٨/١ وابن البيطار في الجامع ١٥/٣ فوصفاه بانه نبات ورقه يشبه الكراث ، واصوله كأنها زيتون ، طيبة الرائحة ، سوداء ، فيها مرارة ، وأوردا له منافع عديدة ، منها : =

قرنفل[1] ولا بان[2] ، ولا محلب[3] ولا اليلنجوج في المجامر[4] والندّ

= انه يطيّب النكهة ، وينفع في لسعة العقرب ، والهوام الاخرى ، ويعجل اندمال القروح ، وعددا فوائد طبية اخرى له ، وقال ابن البيطار : ان الذي ينفع في السعد ، هو أصله ، وان اصوله تسخن ، وتجفف ، ويتضح من ذلك ان حب السعد بعد تجفيفه كان يدق ، ويستعمل في الدواء ، واختصاص شخص واحد او اكثر بدقّ السعد ، دليل على وفرته ، وعلى كثرة مستعمليه ، أما في أيامنا هذه فانّ السعد (ويلفظه البغداديون بسين وعين مكسورتين) يستخرج بكميات قليلة جداً ، ويباع جافاً عند بعض العطارين ، وربما اكل منه البعض حبة او حبتين وهو طري ، تفكـّهاً بطعمه المرّ ، ولما يشاع عنه ، انه يزيل انتفاخ البطن ، وينفع في عسر الهضم ، راجع كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ٥ ص ٣٠ و٣١ رقم القصة ١٥/٥ ، وكتاب الهفوات النادرة ص ٣١٣ .

١ — القرنفل : شجر هندي له زهر طيب الرائحة ، قال امرؤ القيس :

نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وفي المنجد : انها شجرة من فصيلة الآسيات ، مهدها الاصلي جزر المولوك ، يقطف منها الزهر قبل ان يتفتح ، ثم يجفف ، وهو افضل الافاويه الحارة ، يستعمل ابزاراً ، ويدخل في صناعة العطور ، وفي البلدان لليعقوبي ٣٦٨ ان القرنفل كله جنس واحد ، وافضله ، واجوده ، الزهر اليابس ، ويجلب من بلاد سفالة الهند وأقاصيها .

٢ — البان : شجر معتدل القوام ، يشبّه به القد المعتدل ، ويستخرج من حبّه دهن طيّب ، يستعمل في العطور ، قال اليعقوبي في البلدان (ص ٣٧٠) : ان دهن البان يخلط بالافاويه حتى يصير باناً مرتفعاً ، وان منه كوفي ومديني ، وان المديني يطبخ بالافاويه الطيّبة ، فلا يعود يصلح للغوالي ، لانه يغلب على روائح العنبر والمسك ، بروائح الافاويه وحدّتها ، فلا تستعمله الملوك إلا أن تدهن به ايديها في الشتاء ، وتستعمله النساء في اطيابهنّ وخمرهن .

٣ — المحلب : حب يستعمل في الطيب .

٤ — اليلنجوج : العود الطيب الرائحة ، وذكر احمد تيمور في موسوعته (ص ١٣٦) عن شرح كفاية المتحفظ : ان العود هو اليلنجوج .

في المجالس (١) ، تراه يعقد كالضباب ، نشره ألذّ من رؤية الأحباب .

والغوالي(٢) وعنبر الهنـــد والمسـ ـــك على الهام واللحى كالخضاب

ولا أرى شمعاً معنبراً ، ولا مكفّراً (٣) ، يحترق بنفسه بلا نار ، غير ما تعلق طرفه .

ولا أرى في أسباب دوركم ، وأمتعتكم ، لمعارضكم وعوارضكم(٤) ، خفـــافاً طـــاقيّة (٥) ، ولا نعـــالاً سنديّة (٦) ، ولا مقـــاريض

---

١ ــ الند : سبق ذكره .

٢ ــ الغوالي : سبق ذكرها .

٣ ــ الشمع المعنبر والمكفّر : المعنبر هو الذي خلط شمعه بالعنبر ، والمكفّر الذي خلط شمعه بالكافور .

٤ ــ المعارض والعوارض : المعرض ، ما يكون معرضاً للناس بحيث يجري الاطلاع عليه ومشاهدته ، والعارض جانب الوجه ، أراد بالمعارض الاشياء التي يطلع عليها الناس كالغضائر والسكاكين ، وبالعوارض ما يتخذ للعارضين ، كالامشاط التي تمشط بها اللحى والمقاريض التي يقرض بها شعر اللحى والسبال .

٥ ــ الخفاف الطاقية : الخف ، ما يلبس بالقدم ، والطاقية : التي تكون بطاق واحد ، وتكون من النوع الذي يخف على الانسان استعماله .

٦ ــ النعل : كل ما وقيت به القدم من الارض فهو نعل ، والنعال السندية نسبتها إلى السند ، وهي نعال لا تحبس القدم من الخلف ، فيرتاح اليها لابسها ، وقد ذكر القاضي التنوخي ، في كتابه الفرج بعد الشدة ج ٣ ص ٣٠٥ رقم القصة ٣٤٠ خبراً عن الرشيد ، وقد أراد ترك المجلس ، فقدمت اليه النعل ، فجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله ، فقال له : ارفق ويحك ، احسبك قد عقرتني ، فقال جعفر : قاتل الله العجم ، لو كانت سندية ، ما احتاج امير المؤمنين إلى هذه الكلفة ، فقال له الرشيد : هذه نعلي ونعل آبائي ، ما تدع نفسك والتعرض لما تكره ، وفي نشوار المحاضرة للتنوخي ج ١ ص ٢٩٤ في القصة المرقمة ١٥٧/١ : ان السيدة ام المقتدر كانوا يتخذون لها نعالاً من الثياب الدبيقية، تقطع على=

هيثميـة [١] ولا أمشاطاً طاهرية [٢] ، ولا سكاكين [ص٦٥] كنباتيـة [٣] ، ولا غضائر صينيـة [٤] ، ملوّنة بلدية .

إنّما أرى — والله — دوراً وحشة الرقاع ، وسخة البقاع ، قد كنفت جدرانها بالطين ، ولطخت بالسرجين ، وفرش فيها زلالي رويدشتيـة [٥] ،

= مقدار النعال المحذوّة ، وتطلى بالمسك والعنبر المذاب ، وتجمّد ، ويجعل بين كل من الطبقتين من ذلك الطيب ما له قوام ، وتلف بعضها على بعض ، ثم تصمغ حواليها بشيء من العنبر ، وتلزق حتّى تصير كأنّها قطعة واحدة ، وتجعل الطبقة الاولى بيضاء مصقولة، وتخرز حواليها بالابريسم ، ويجعلون لها شرطاً من أبريسم ، وكان النعل الواحد يكلّف جملة دنانير ، وكانت السيدة لا تلبس النعل الواحد منها إلا عشرة أيام او حواليها ، حتّى تخلق ، وتتفتّت ، وتذهب جملة دنانير في ثمنها ، وترمى ، فيأخذها الخزّان أو غيرهم ، فيستخرجون ما فيها من العنبر والمسك ، وهو يساوي جملة دنانير .

١ — المقراض : هو ما نسميه اليوم المقص ، اما النسبة فلم اتحقق هل أنها هيثمية او ميثميّة او متيّمية أو هشامية ، فلا استطيع أن أعيّن المراد .

٢ — المشط : الاداة التّي يمشط بها الشعر ، والنسبة في الطاهرية إلى عبد الله بن طاهر ابن الحسين ، وربما كان المقصود بها الامشاط المتخذة من خشب الصندل ، وهي التّي تعطر الشعر باستعمال المشط في تمشيطه .

٣ — السكاكين الكنباتية : هي التّي ترد من كنباية في الهند ، ذكرها ابو الفداء في تقويم البلدان ٣٥٧ وقال انها على ساحل الهند ، ويقصدها التجار ، وأهلها مسلمون ، والمشهور مما يرد من كنباية عدا السكاكين ، النعال ، راجع الموشى (ص ١٨٠) وكتاب نشوار المحاضرة للتنوخي في القصة المرقمة ١٢٤/١ جـ ١ ص ٢٣٤ .

٤ — الغضارة : الصحفة المتخذة من الطين الحرّ .

٥ — رويدشت : قرية من قرى اصبهان (معجم البلدان ٨٣١/٢ و ٨٧٥) .

وقطف سواديّة ، ومسوح كرديّة ، ومخادّ جاروانية [1] ، وأنتم في الصيف والشتاء ، تجلسون على الزلالي والعباء ، ثمّ على أبدانكم ثياب بفت ، خشن ، مرويّ [2] ، غليظ ، من غزل البيت ، طاقة وضرطة ، وغزولاً مطابقة [3] ، منها قمصانكم ، ومنها عمائمكم ، على الرؤوس تتهدّل على جوانب الخدود ، وتغطّي الآذان ، والبلاني ، والسندانة ، والبنفسجي ، وإذا تظرّفتم لبستم الكتفي [4] ، وفتيانكم بالأبراد [م٣٨] ، وعمائم القطن الكحليّة ، معلّق في أهدابها خيوط خضر وحمر ، وأهل السوق ، لو عصر قميص أحدهم لخرج منه جرّة دهن ، وروائح القشار والبستج [5] من دوركم وثيابكم كأنّها ريح الحمّامات ، وروائح الحرمل [6] .

١ — جرواءان : محلة باصبهان ، قاله الدكتور احسان عباس .

٢ — المروي : المنسوب إلى مدينة مرو ، وقد كانت مدينة عظيمة ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٥٠٧/٤ : انها اشهر بلدة بخراسان ، وانه الّف أكثر مؤلفاته فيها ، اذ كان فيها عشر مكتبات ، تشتمل على عشرات الوف كتب موقوفة على طلاّب العلم ، يستعيرونها بدون رهن ، وفي لطائف المعارف : ان مرو كانت حاضرة خراسان ، ولكن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، نقل الحاضرة إلى نيسابور .

٣ — الغزول المطابقة : هي التي يلصق فيها الخيط بآخر مثله ، ويغزلا معاً .

٤ — الظاهر ان اللباس الكتفي ، هو الثوب بلا اردان يسدل على الكتف .

٥ — البستج : الكندر ، وهو صمغ يمضغ في بغداد لتنقية الاسنان .

٦ — الحرمل : نبات له حب اسود يشبه السمسم ، قال صاحب المنجد : ان له فوائد طبية ، اقول : اما في بغداد فيستعمل للنشرة ، ومعنى النشرة ان يذر حبّه على حجر مشتعل ، فتسمع له عند احتراقه طقطقة ، ويطاف به وهو يطقطق حول المريض ، مع تلاوة ادعية لطرد الارواح الشريرة والعين الصائبة .

ولا أرى بين يدي أحدكم خواناً قوائمياً [١] ، قوائمه منه [٢] ، خلنج خراساني [٣] ، بلا وصل [ص٦٦] ولا كسر ، حمرة في بياض ، كأنه طبق منثور [٤] ، أو فصّ بلّور ، أو ثوب وشي [٥] ، يشتغل الانسان بالنظر اليه ، عن الأكل عليه ، فوقه رغفان جزمازج [٦] ، كالبدور منقطة بالنجوم ، مخبوزة من دقيق فائق ، الهويدي ، والطفسيري ، طحن الغروب ، أبيض فيه صفرة ، عجينه مثل العلك ، يمتدّ مثل الكندر [٧] ، ويلترق بالأصابع ، يشرب المكوك [٨] دجلة ، ويطرح مسطاح [٩] خبز ،

١ — الخوان اما ان يكون من القماش فيفرش على الأرض ، ويلتف حوله الطاعمون ، واما ان يتخذ من الخشب او المعدن ، فان كانت له قوائم فهو قوائمي .

٢ — قوله : قوائمه منه ، يعني انه نحت نحتاً من قطعة واحدة ، يدل بذلك على ارتفاع شأنه . وقد ورد هذا التعبير في المقامة المضيرية من مقامات بديع الزمان الهمذاني ، قاله الدكتور احسان عباس .

٣ — الخلنج : فارسية ، خلنك ، شجر بين صفرة وحمرة ، يكون باطراف الهند والصين (الالفاظ الفارسية المعربة ٥٦) .

٤ — المنثور : نبات ذو زهر ، ذكي الرائحة ، سمي منثوراً لأنّه كان يفرش او ينثر في مجالس الشراب ، وما كان منه اصفر اللون فهو الخيري ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ ص ١٤٣ رقم القصة ٩٦ و ج ٧ ص ٢٣١ رقم القصة ١٣٤ .

٥ — الوشي : نقش الثوب .

٦ — الجزمازج ، فارسية ، كزمازو ، أي حب الاثل ، اقول : كان الخبازون عندنا ببغداد ينثرون على ارغفة الخبز الحبة السوداء ، فيكتسب الرغيف منظراً أجمل ، وطعماً أطيب .

٧ — الكندر : صمغ شجرة شائكة ورقها كالآس ، قال ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية ٨٣/٤ انه اللبان بالعربية .

٨ — المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع من الحنطة .

٩ — المسطاح : الحصير من الخوص ، تلقى عليه أرغفة الخبز عند رفعها من التنوُر .

حنطة مثل قراضة الذهب الأميري ، وخبزه يصرّ تحت الأضراس ، ويتعلّك حتى يوجع الفكّ عند مضغه ، النظر إليه يشبع ، واللقمة منه تبلّغ القلب مُنَى شهوته ، وسكاريج [1] صيني ، معدني ، بيض ، ولازوردية ، وخمرية ، وصفر ، وحمر ، فيها الجبن الدينوري الحريف[2] ، الذي يفتق الشهوة ، ويحرّك المعدة ، وزيتون دقوقي [3] ، مدخّن ، مخلوط باللوز المقشّر والصعتر ، تنشطر الزيتونة على الرغيف فتملأه زيتاً ، ويتدحرج كأنّه بنادق عنبر ، وجبن روميّ مقلو ، كأنّه قطع ألية أو سمن البقر ، تدمع عين آكله من حرافته ، كأنّه [ص٦٧] فارق أحبابه ، أبيض مشرب صفرة ، املس ، حديث ، تأكل القالب برغيف ، لا ينفخ ، ولا يعطش ، ولا تشم له سهوكة ، ينقّي المعدة ، ويلحس البلغم لحساً ، كأنه الأطريفل الصغير [4] ، يشرب على وزن درهم منه خابية نبيذ ، والجوز المقشّر الأبيض الحديث ، الذي طعمه مع الجبن الدينوري ، أو الرومي ، أحلى من العافية في البدن ، والسلجم [5] أبيض وأحمر ، كأنّه لب الفراني [6] ، أوليّة الحملان الرضّع ، يحفظ ضوء البصر ،

١ ــ السكرجة : الصحفة التي يوضع فيها الطعام ، فارسية : سكره .
٢ ــ الدينور : مدينة من اعمال الجبل قرب قرميسين (كرمان شاه) (معجم البلدان ٧١٢/٢) والحريف : الذي يلذع اللسان كالخردل وحبّ الرّشاد .
٣ ــ دقوقا : مدينة بين إربل وبغداد ، اسمها الآن : طاووق ، وفيها من آثار العباسيين منارة (مأذنة) قد قطّ رأسها .
٤ ــ الاطريفلن : ذكره ابن البيطار في جامعه ١٠١/٣ وذكره صاحب مفاتيح العلوم ١٠٤ .
٥ ــ السلجم : هو اللفت ، والعراقيون يسمونه : شلغم ، بالغين .
٦ ــ الفراني : خبزة غليظة مشكلة مصعنبة ، تشوى ، ثم تروى لبناً وسمناً وسكراً (مفاتيح العلوم ٩٩) ، والصعنبة : ضم جوانب الخبزة ، ورفع رأسها (لسان العرب) .

ويثير شهوة الباه ، ويقطع الصفراء ، منقوع في خلّ الخمر ، جلب صريفين [1] وعكبرا [2] ، وخيار بخلّ ، وأشترغار [3] ، وباذنجان مخلل ، ومعمول بماء حب الرمّان ، ونقيع الدفلى ، لا يخالطه الحركان ، يصرع بحموضته الطير في جوّ السماء ، ويقلع من المعدة الصفراء ، وتشمّ رائحته من فرسخ ، يضرّس قبل أن يؤكل ، وسكاريج بلّور ، ومحكم [4] ، فيها ماء الليمو [5] [م٣٩] ، وماء الحصرم [6] ، وماء الريباس [7] ، وملح دراني ، أبيض ، نقي ، كالفضة المسبوكة ، تؤكل [ص٦٨] سكرجة منه برغيف ، ليس فيه حلتيت [8] يبخر الفم ، ولا محروت [9] يغث الأسنان [10] ، قد جعل فيه اللوز المرضوض ، والفستق المقشور ، وحبة

١ ــ صريفين : قرية كبيرة غناء شجراء ، قرب عكبرا واوانا ، على ضفة نهر دجيل . شمالي بغداد (معجم البلدان ٣٨٤/٣) .

٢ ــ عكبرا : بلدة من نواحي دجيل ، شمالي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ (معجم البلدان ٧٠٥/٣) .

٣ ــ الاشترغاز : اصل نبات ذكره ابن البيطار في جامعه ٣٥/١ ، ٣٦ ، وقال عنه الرازي : ان المخلل منه يهيج الشهوة للطعام ، ويعين على الهضم .

٤ ــ المحكم : أحسب انه البلور الذي نسميه اليوم بالكريستال .

٥ ــ الليمو : فارسية ، الليمون الحامض (شفاء الغليل ١٧٧ والالفاظ الفارسية المعربة ١٤٢) .

٦ ــ الحصرم : أوّل العنب ما دام اخضر حامضاً ، وفي بغداد مثل عامي في الحض على التأني يقول : أصبر على الحصرم تأكله عنباً .

٧ ــ الريباس : نبات يشبه السلق ، في طعمه حموضة إلى حلاوة (ابن البيطار ١٤٧/٢ والالفاظ الفارسية المعربة ٧٠) .

٨ ــ الحلتيت : ذكره الشيخ الرئيس ابن سينا في القانون ٢١٦/١ وابن البيطار في جامعه ٢٧/٢ والالفاظ الفارسية المعربة ٥١ .

٩ ــ المحروت : اصل الانجذان (لسان العرب) .

١٠ ــ الغث : الاجهاد والاذى .

الخضراء ، والشهدانج (1) ، والسمسم المقلوّ ، وكمّون كرماني ، والانجذان سرخسي (2) ، فهو بقل وأدم ، ونزهة للناظر ، وبصل مراغي (3) ، وغضائر البوارد (4) ، قد عملت كلها بفراريج كسكرية (5) ، وكبود الدجاج المسمّن ، وصدور البطّ بماء التفاح ، وماء حب رمّان ، والتوث الشامي ، ومطجّن (6) ، وزيرباج (7) ، ومقورية بالجـــلاّب (8) ،

١ ــ الشهدانج : فارسية ، شهدانه ، بزر شجر القنب (الالفاظ الفارسية المعربة ١٠٣) .

٢ ــ الانجذان : فارسية ، انكدان (الالفاظ الفارسية المعربة ٥١ و ١٥٠) قال ابن البيطار ٥٨/١ و ٥٩ : الانجدان (بالدال) ورق شجرة الحانتيت ، والحلتيت صمغه ، والمحروث (بالثاء) اصله ، وينبت ببابل من ارض العراق ، ويبيعه العطار من جملة التوابل ، والسرخسي : نسبة إلى سرخس ، مدينة في خراسان ، بين نيسابور ومرو (معجم البلدان ٧١/٣) .

٣ ــ مراغة : من اشهر بلاد اذربيجان ، كانت مصيف الحكام الايلخانية الذين حكموا العراق .

٤ ــ الغضارة : الصحفة المتخذة من الطين اللازب ، والبوارد : الالوان التي تقدم باردة على المائدة ، وكان الآيين في البوارد ، ان تقدم قبل الحارة ، وان يتقدمها الجدي .

٥ ــ كسكر : كورة واسعة في العراق ، قصبتها واسط ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢٧٤/٤ : تنسب اليها الفراريج الكسكرية ، لانها تكثر فيها جداً ، ورأيتها تباع فيها كل ٢٤ فروجاً كباراً بدرهم .

٦ ــ الطاجن : فارسية : المقلى ، والمطجّن : المقليّ (شفاء الغليل ١٢٨) ، وقال اديشير في الالفاظ الفارسية المعربة ١١١ : ان اصلها يوناني .

٧ ــ الزيرباج : فارسية ، زيرا : الكمون ، وبا : الطبيخ (الالفاظ الفارسية المعربة ٨٢) راجع كيفية صنع الزيرباج في كتاب الطبيخ للبغدادي ١٦ ومطالع البدور ٥٤/٢ .

٨ ــ المقورية : طعام يتخذ من اللحم والأبازير ، ومن جملة أجزائه الخلّ ، أنظر=

ولبّ الفستق ، واللوز ، والكرويا [١] ، والمرّي العتيــق [٢] ، وحمّاض الاترجّ ، وحمّاض الليمو ، يشمّ ريح أفاويهها من فرسخ ، وسكاريج فيها بزّ مقلوّ [٣] ، وصحناة [٤] ، وربيثاء [٥] ، وغضائر فيهـا مالح القاش [٦] ، ومالح السرّة [٧] ، ومــالح ناعم من الشبّوط والبنّي [٨] ،

= كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٢١ ، وقد وضعها صاحب كتاب الطبيخ في الباب الأول ، المعنون «في الحوامض وأنواعها» وذكر أن الحوامض منها ما يحلّى بالسكر ، والجلاّب ، أو العسل ، أو الدبس ، ومنها ما لا يحلّى ، فهو صادق الحموضة ، ولكن حكم الجميع أن يكون في باب واحد .

١ ـ الكرويا : بذر نبات يشبه الرجلة ، وقوته أقرب الى الانيسون (الألفاظ الفارسية المعربة ١٣٥) .

٢ ـ المرّي : ما يؤتدم به ، وكلّ ما يطيّب الطعام لتشتد الشهوة اليه ، مثلاً : المري الذي يستعمل في بغداد مع الهريسة : السمن والسكر والدارصيني ، يدقان دقّاً ناعماً ، ويذران على الهريسة ، بعد أن يصبّ عليها السمن .

٣ ـ البزّ : اسم صنف من السمك في بغداد .

٤ ـ الصحناة : السمك الصغير المملوح ، أقول : السمك الصغار ، يسميه البغداديون الآن : الحرش (بحاء مفتوحة وراء مكسورة) .

٥ ـ الربيثاء : في مفاتيح العلوم ١٠٠ : ان الربيثاء تعمل من السمك الصغار ، وفي الطبري ١٧٤/٨ بيتان لعمر بن بزيع هجا بها من يطعم الربيثاء ، وقال ابن البيطار في جامعه ١٣٥/٢ : الربيثاء ، نوع من الادام يتخذه أهل العراق ، هو والصحناة جميعاً من صغار السمك ، وقال : ان الصحناة هو السمك المطحون ، راجع نشوار المحاضرة للتنوخي ج ١ ص ٩٦ .

٦ ـ القاش : لعله سمك القاروس الذي ذكره معلوف في معجم الحيوان ص ٣٠ .

٧ ـ السرة : لعلها محرفة عن السرب ، اسم سمك من الاسبور (يسميه البصريون الصبور) راجع معجم الحيوان لمعلوف ص ١١٥ .

٨ ـ البنّي : سمك معروف في بغداد ، قال عنه معلوف في معجم الحيوان ٢٨ انه من فصيلة الشبابيط ، والشبوط : سمك معروف ببغداد، ذكره معلوف في معجم =

وطريخ مقلوّ بالبيض (١) ، وكبود مفرّكة بالبيض الطريّ ، كل ذلك معمول بالكزبرة الحديثة والزعفران ، والمالح الممقور (٢) ، وقريص السمك [ص٦٩] بالخــل (٣) ، وحروف مقلوّة (٤) ، وأوساط (٥) ، وبزماورد (٦) ، وسنبوسج (٧) ، معمول بصدور الدجــاج ، والدراريج ،

= الحيوان ٥٢ وقال عنه : انه سمك دقيق الذنب ، عريض الوسط ، لين الزعانف ، صغير الرأس ، أقول : يفضّل البغداديون الشبوط على جميع أصناف الأسماك الأخرى ، ويغالون في ثمنه ، وأكثر ما يأكلونه مشوياً ، ويسمون طريقة شيّه : الزقف (بالزاي وتلفظ القاف كافاً فارسية) ، ويفضلون أكل السمك المزقوف ، في الصيف ، على شاطىء دجلة ، أو في البساتين .

١ – الطريخ : سمك صغير يعالج بالملح ويحفظ .

٢ – المقر : نقع السمك المالح في الخل .

٣ – القارص : كل ما يحذي اللسان .

٤ – احسب انه يريد بالحروف المقلوة ، ما في بطن الحيوان من أكباد وقوانص وكلى .

٥ – الأوساط ، ومفردها ، الوسط : لون من ألوان الطعام الناشف ، شبيه بما يسمى اليوم بالساندوش ، وكيفية صنعه أن يبسط رغيف من الخبز ، وتنثر عليه طبقة من لحم الدجاج ، ثم تسطر عليها سطور من اللوز ، والجوز ، والزيتون ، والجبن ، والنعنع ، والطرخون ، ثم تفرش فوقها قطع مدورة من البيض المسلوق ، ويغطى ذلك برغيف آخر من الخبز ، أنظر وصف الوسط لابن الرومي في كتابنا : المائدة في الاسلام .

٦ – البزماورد : هو ما نسميه اليوم بالساندوش ، وكيفية صنعه أن يؤخذ الشواء الحار ، ويجعل عليه ورق النعنع ، وقليل من الخل ، والليمون الحامض ، ولب الجوز ، ويرش عليه قليل ماء ورد ، ويدق بالساطور دقاً ناعماً ، ويسقّى خلال ذلك خلاً ، ثم يؤخذ الخبز السميد الفائق الملبّب ، فيخرج لبابه ، ثم يحشى من ذلك الشواء حشواً جيداً ، ويقطع بالسكين ، قطعاً متوسطة مستطيلة ، ويؤخذ مركن فخّار ، يبلّ بالماء وينشّف ، ويرش فيه ماء ورد ، ثم يفرش فيه نعنع طري ، ويعبّى بعضه فوق بعض ، ثم يغطى أيضاً بشيء من النعنع ، ويترك ساعة ويستعمل ، ويؤكل أيضاً بائتاً ، فيكون طيباً (كتاب الطبيخ للبغدادي ٥٨) .

٧ – السنبوسج ، والسنبوسك ، والسنبوسق : فطائر مثلثة ، تصنع من رقاق العجين=

والفراريج ، محمّضة بماء السمّاق ، وماء الليمون، وعلى طرف الخوان ، فيما بين الرغفان ، بقل قطف [1] ، على رقاق منعطف [2] .

ومن ألوان الشواء ، بطوط كسكرية ، وجداء صرصرية [3] ، ودجاج مسمّنة هندية ، وحملان رضّع تركمانية ، مدوّرة ، طولها وعرضها واحد ، ضروع أمّهاتها في أفواهها ، كأنها كور الزنابير من انضاجها ، وفراخ مسمّنة ألذّ من العافية ، تحت ذلك جوذابة [4] خشخاشية ، وجوذابة الرقاق ، وأرزبلبن حليب [5] ، قد ترك فيه الزعفران ، ورصّع

= المعجون بالسمن ، وتحشى بقطع اللحم والجوز ، فارسية : سنبوسه (الألفاظ الفارسية المعربة٩٥) راجع كيفية صنعه في كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٥٧ وراجع وصفه في أرجوزة من نظم اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، في كتابنا : المائدة في الاسلام .

١ — البقل : تعبير يشمل جميع النباتات العشبية التي يأكلها الانسان ، ويريد بها هنا البقول التي توضع على المائدة ، فتؤكل مع الألوان كالفجل ، والخس ، والكرفس ، والرشاد ، والخيار ، والكسبرة ، والنعنع ، والهندباء ، والجزر ، والطرخون .

٢ — قوله : على رقاق منعطف ، يعني أنّ البقل كان يوضع على الرقاقة ، بين صحون الطعام ، ثم تعطف الرقاقة ، أي تطوى على ما فيها .

٣ — صرصر : قريتان ببغداد ، في الجانب الغربي ، على طريق الحاج ، على نهر عيسى ، الذي ربما سمي نهر صرصر ، والقريتان صرصر العليا ، وصرصر السفلى ، وتبعد سفلاهما عن بغداد نحو فرسخين (معجم البلدان ٣/٣٨١) .

٤ — الجوذابة : فارسية، كوزاب ، طعام يتخذ من اللحم والرز والجوز والسكّر (الألفاظ الفارسية المعربة ٣٩) ، راجع كيفية صنع الجوذابة في كتاب الطبيخ للبغدادي ٧١ — ٧٣ .

٥ — الأرز باللبن الحليب : من أطيب ألوان الطعام عند البغداديين ،ويسمونه : المحلبي ، ويصنع من دقيق الأرز مع الحليب والسكر ،يضاف اليه ماء الورد وشيء من الهال=

بالحمّص ، وذر عليه سكّر مدقوق ، وجعفرية سبطة عذبة ، رومية ، مولّدة ، بغدادية ، وعصبان [1] مورّد ، كأنه قضيب آس خسرواني ، مائدة كأنّها عروس مجليّة ، محفوفة بكلّ طريفة ، فمن قانيء ، بازائه فاقع ، ومن حالك تلقاءه ناصع ، الجدا في [ص٧٠] حمرة الورد والشقائق والوربه [2] في بياض القباطي ، تغرق اللقمة في دهنها ، قبل أن تصل إلى الأرز ، فيصير فيها في المعدة أساس أبيض وأحمر ، من لحوم تلك [م٤٠] الجداء وشحومها ، فاذا أرسل عليها حجر المنجنيق ، يعني الشراب ، نبا عنها ، ولم يعمل فيها ، نعم ، وشفانين مضيرة [3] ممقورة ، غريقة في دهنها ، وكراكي تنّورية ، ووراشين مقليّة ، وسماني ، وقبج ، وفراريج ، وطباهيج [4] ، ودجج معلوفة مصدّرة ، ذهبيّة القشور ، فضيّة اللحوم ، هندية ، أو برهندية ، أو قلطية ، مشمّعة السوق ، غليظة الأفخاذ ، ثقيلة الصدور ، ريّا في سمنها ، قد علفت بدقيق الشعير ، والزيت الغسيل ،

= (الهيل) والبغداديون يسمونه : طين الجنة ، لشدة ولعهم به ، ويتناقلون عنه لطائف ، منها أن اعرابياً أطعموه المحلبي ، فأعجبه ، وقال : هذا — وأبيك — السراط المستقيم ، وقرأت في أحد الكتب ، عن فتى أطعموه المحلبي ، فلما استقر في بطنه مد يده فسدّ بها أسفله ، يحسب انه للطفه ورقته ، لا يحجزه حاجز ، وهذه فكاهات مصنوعة ، وانما يراد بها المفاكهة والمسامرة ، وكلمة المحلبي محرفة عن المهلبية ، وهي طعام يتخذ من الدجاج والعسل والسكر .

١ — العصبان : قطع من اللحم دقيقة مستطيلة كالأصابع والسيور ، تقدّم مشوية .

٢ — كذا وردت في الأصل بلا نقط .

٣ — الشفانين : اليمام ، والمضيرة طعام يتخذ من اللحم واللبن والبصل والكراث ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٢٤ ومطالع البدور ٥٤ .

٤ — الطباهجة : طعام يتخذ من اللحم والبيض والبصل ، فارسية ، تباهه (الألفاظ الفارسية المعربة ١١١) راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ١٦ .

فهي تنعصر بالأدهان، وطردين [1]، ونقانق [2]، وضفاير [3]، وشرائح ،وكباب رشيدي، وجنوب مبزّرة[4]، وفراخ مواسيق[5]، وجلابي زق الأمّ، ومخاليف [6] الدراج والأوزّ، وجنب شواء يتقاطر — والله — عرقاً، ويسيل جوذابه دهناً ومرقاً، وكردناكات [7] [ص٧١] ونارسوك [8] يحضر في سكباجة [9] مطبوخة بخلّ الخمر[10]، المصاعد بلحوم الحملان الفتيّة، والنواهض [11]، وطيور الماء، والعصافير الصفر الأهلية، قد ألقي فيها لوز مقشّر، وزبيب خراساني، وعنّاب جرجاني، وتين

---

١ — ورد ذكر الطردين في أرجوزة لكشاجم، في مروج الذهب ٥٨٩/٢ قال :

وسنبوسجــة مقــلوّة في إثر طردينة

٢ — النقانق، والمقانق : الامعاء المحشوة. والكلمة في الأصل تقرأ : بقابق.

٣ — الضفاير : اللحم أو المقانق التي تقدم مضفورة.

٤ — الجنوب المبزرة : المحشوة بالأبازير أي التوابل.

٥ — المواسيق : نوع من الحمام وافر الجناح.

٦ — أخلف الطائر : خرج له ريش بعد ريش.

٧ — الكردناك والكردناج : يسمى في بغداد الآن : لحم القص، تلفظ القاف كافاً فارسية، ويسمى أيضاً : شاورما، قال أحمد تيمور : يصنع بأن يشك الحيوان بكامله، أو اللحم المقطع في سفود ويقلب على النار حتى ينضج، راجع في نشوار المحاضرة حـ ١ ص ١٤٤ كيف صنع المعتضد من شيلمة كردناكاً.

٨ — النارسوك: فارسية، نارسركه، أي رمان وخلّ، راجع كيفية صنعه في كتاب الطبيخ للبغدادي ٢٣.

٩ — السكباج : مرق يصنع من اللحم والخل، فارسية، سك: خل، وبا : طعام (الألفاظ الفارسية المعربة ٩٢) راجع كيفية صنعه في كتاب الطبيخ (ص١٣).

١٠ — في الأصل : بالخل خمر.

١١ — الناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه، وقدر على الطيران.

حلواني ، وزيّنت بورق الأترجّ ، وبعده الطبيخ المسمّى العروس ، والمسمّى بالمعقلي ، والسليماني ، متّخذة كلّها بلحوم الحملان الرخصة ، المأخوذة بالقصّ والجنب ، ويتبع ذلك ساير الألوان ، من المأمونيّة [١] ، والرخاميّة [٢] والابراهيمية [٣] والمعتضدية ، والخالدية ، والفستقيّة [٤] ، والقشمشية ، والمشمشيّة [٥] ، والبنفشية ، والحبيشيّة [٦] ، والعنبيّة المعمولة بماء العنب الرازقي الكبار ، والمسكيّة ، والسمّاقيّة [٧] ، نعم ، والنوبيّة [٨] ،

١ ــ المأمونية : طعام يتّخذ من صدور الدجاج والأرز والحليب والسكر ، وقد يوضع فيه المسك والكافور .

٢ ــ الرخامية : طعام يتخذ من اللحم والأرز واللبن والأبازير والدارصيني والمصطكي ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٢٨.

٣ ــ الابراهيمية : طعام يتخذ من اللحم والكسفرة (الكزبرة) والزنجبيل ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ١٤ .

٤ ــ الفستقية : طعام يتخذ من صدور الدجاج والسكر والفستق ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٤٩ و ٧٦ .

٥ ــ المشمشيّة : طعام يتخذ من اللحم والأبازير والبصل والمشمش اليابس واللوز ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٢٢ و ٣٦ .

٦ ــ الحبيشيّة : طعام يتخذ من اللحم والجزر والبصل والكسفرة اليابسة والكمّون والدارصيني والمصطكي والفلفل والزبيب والخل والجوز والنعنع ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٢١ .

٧ ــ السماقية : طعام يتخذ من اللحم والجزر والثوم ، ويصب عليه السمّاق المسلوق ، وقد يتّخذ من الدجاج أيضاً ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ١٩ و ٢٠ وفي مطالع البدور ٥٣/٢ .

٨ ــ النوبية : طعام يتخذ من الخضر والرجلة العراقية (البقلة الحمقاء) والعسل والفستق والمسك وماء الورد .

والصعترية ، والنرجسية [1] ، والخشخاشية [2] ، والفاختية [3] ، والحماضية [4] ، والعنبرية ، والصاعدية ، والصعدية ، والديكبراجة [5] ، والممقورية ، والاسفيذباج [6] ، والزيرباج ، والرودباج [7] ، وأطايب الألوان الفائقة لشهوات [ص٧٢] النفوس ، المتخذة بلحوم الحملان ، والجداء السمان ، المطيبة بالدارصيني ، والانجذان ، وبماء الزبيب المدقوق ، وبماء حب الرمان ، وناهيك بالمضيرة بأليات الحملان الصغار ، التي تثني على الحضارة ، وترجرج على الغضارة ، يحير في حسن تلك الألوان

١ ـ النرجسية : طعام يتخذ من اللحم والجزر والكسفرة اليابسة والكمون والمصطكي والدارصيني ، وتصف عليه عيون البيض ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٤٢ .

٢ ـ الخشخاشية : طعام يتخذ من اللحم والخشخاش والكسفرة والدارصيني والسكر والعسل وماء الورد ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٤٧ .

٣ ـ الفاختية : طعام يتخذ من اللحم والبصل والكمون والكسفرة والفلفل والمصطكي والدارصيني واللبن الفارسي وماء السماق والجوز ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ٣٧ .

٤ ـ الحماضية : طعام يتخذ من اللحم والأبازير وحماض الأترج الكبار ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ للبغدادي ص ١٥ .

٥ ـ الديكبراجه ، والديكبريكه ، والداجبراجة : طعام يتخذ من اللحم والحمص والخل والمري ، وقد يحلى بالسكر ، راجع كيفية صنعه في كتاب الطبيخ للبغدادي ١٥ وراجع في نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٤ ص ١٧٧ ــ ١٩٠ القصة المرقمة ٨٨/٤ قصة التاجر البغدادي الذي آلى على نفسه أن يغسل يده أربعين مرة اذا أكل ديكبريكة .

٦ ـ الاسفيذباج : طعام يتخذ من اللحم والدجاج والكسفرة اليابسة والكمون والفلفل والبصل والحمص والشبث وحليب اللوز ، راجع كيفية صنعه في كتاب الطبيخ للبغدادي ٣١ .

٧ ـ الرودباج : فارسية روده : حمل ، وبا : طبيخ ، أي الحمل المطبوخ .

الطرف ، ويبين فيها أثر الدماثة والظرف ، ويعجز عنها الوصف ، قد طيّبت بالزيت المغسول ، والخولنجان [1] ، وماء الكرّاث الشامي ، والقرنفل ، والدارصيني ، والمسك ، والشراب [م٤١] ، محتوشة بقلايا كالعود الطريّ ، ومغمومات [2] تفرّج غم الجوعى ، وطباهجات يتفكّه بها ، من شرط الملوك ، بأعراف الديوك ، ومدقّقات ، ومطجّنات ، مطيّبة بمرّي ، والطباهجة المعروفة بالمولّفة ، والعطرية ، المعمولة بماء التوث ، وماء العنب ، متبعة بخبيص [3] مشمّع ، مطيب بماء الورد ، والعرق الكافوري ، القصوري، أو مرمّل[4] متّخذ من دقيق السميذ قد أذيب فيه السكر السليماني مع العسل الشهد ، وذر عليه سكّر طبرزد [5] منخول ، ولوزينج [4] [ص٧٣] محشو في رقيق الرقاق ، مطيّب بماء الورد ،

١ ـ الخولنجان : نبات رومي وهندي ، له زهر ذهبي ، وأوراقه كأوراق القرفة (الألفاظ الفارسية المعربة ٥٦) وفي طعمه حرافة ، وعروقه تشبه عروق السعد (ابن البيطار ٧٩/٢) .

٢ ـ المغمومات : الألوان التي تقدم على المائدة مغطاة بغشاء من الخبز أو الأرز .

٣ ـ الخبيص : اسم لألوان من الحلوى ، ذكر منها صاحب كتاب الطبيخ ص ٧٣ و ٧٤ خمسة ألوان .

٤ ـ المرمل الذي يصفه التوحيدي ، يظهر لي انه الحلوى التي يسميها البغداديون اليوم : الحلاوة الرملية .

٥ ـ السكر الطبرزد : السكر الأبيض الصلب (الألفاظ الفارسية المعربة ١١١) .

٦ ـ اللوزينج : يسميه البغداديون اليوم : بقلاوه ، فارسية ، ويطلقون كلمة : لوزينه ، على صنف من الحلوى ، يصنع من السكر ، ويلوّن بألوان مختلفة ، وليس فيه ما يشبه اللوزينج ، الا شكله المعيني ، راجع كيفية صنع اللوزينج في كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٧٦ ، ولابن الرومي في وصف اللوزينج :

لا يخطئنّي منك لوزينـــــج إذا بدا أعجب أو عجبّا
لـــــم تحجب الشهوة أبوابهـــا الا أبت زلفـــاه أن يحجبـــا =

والمسلك ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، مقلوّ بدهن اللوز ، فايح النشر ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ ، واللوزينج الخليفية اليابسة الممسّكة ، والعبّاسية ، وفالوذج [1] ناعم ، بلباب البرّ ، ولعاب النحل ، والسلسل المعقود الكثير الزعفران واللوز ، لؤلؤي الدهن ، كأنّ لبّ اللوز فيه كواكب تلوح في سماء عقيق ، والفالوذج المعمول في التنّور ، وخبيص اللوز ، وخبيص الخشخاش ، والخبيصة اليابسة الأهوازية ، والعصيدة [2] المنصورية ، المشهورة عندنا ببغداد ، والعصيدة البرمكية التي تجمع [عسل] النخل [3] وعسل النحـــل ، وقطايف [4] لطـــائف مقلوّة ، مغرقة في

= لو شاء أن يذهب في صخـــرة | لسهل الطيب له مذهبـــا
يـــدور بالنفخـــــة في جامـــه | دوراً ترى الدهن له لولبـــا
عـــــاون فيه منظـــــر مخبراً | مستحسن ساعـــــد مستعذبا
مستكثف الحشـــو ولكنّـــه | أرقّ جلـــداً من نسيم الصبا
ذيـــــق له اللوز فما مُـــرّةٌ | مرّتْ على الذائق الا أبى
وانتقـــــد السكّـــر نقّـــاده | وشارفوا في نقده المذهبـــــا
فلا اذا العين رأتهـــــا نبـــت | ولا اذا الظرس علاها نبـــــا

والبغداديون مولعون باللوزينج ، ويكنون عنه بقولهم : أحجار الجنّة ، ومن لطائفهم عن اللوزينج : أن اعرابياً ، دخل بغداد أول مرة ، فأطعموه اللوزينج ، فأعجبه ، وقال : سمعت الأشياخ من أهلي يقولون : ان من طيبات بغداد ، الحمّام ، ورأس الجسر ، ولا بد أن يكون ما أكلته ، واحداً من هذين .

١ – الفالوذج : فارسية ، بالوده ، حلوى تصنع من الدقيق والماء والعسل (الألفاظ الفارسية المعربة ١٢٠ و ١٢١) . وتتخذ كذلك من السكر واللوز وماء الورد ، راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٧٦ ، واسمها الآن ببغداد : بالوته .

٢ – العصيدة : دقيق يلت بالسمن ويطبخ ، ما زال هذا اسمها ببغداد .

٣ – عسل النخل : هو الدبس الذي يستخرج من التمر .

٤ – القطائف : حلوى تتّخذ من الخبز المحشو بالسكر والفستق المدقوق ، منها ما يقلى ،=

بجلاب [1] ،منصوبة في جامات البلّور المخروط ، والمحكم المجرود، والصحون الصينّي الملوّنة .

ضحكت الوجوه من الطبرزد فوقهـــا
دمع العيون من الدهان يعصّر

وزلابية قاهرية ، وزلابية محشوّة بدهن الفستق [2] .

ويرفع الطعام ، ويأتي بعده فرّاش ، متهلل [ص٧٤] الوجه ، نظيف الثياب ، حسن الشمايل ، خفيف الروح ، بيده خلال [3] سلطاني مقوّم ، كأنّه مرادي القضّة ، من عمل نجاح الأسود ، أو خلال مأموني مطيّب ، فيناول الجماعة منه بتلطّف ، ويتبعه بمحلب صحيح ، مبخّر ، مطيّب ، من دكان شركة العطار ، ويلقي على أيديهم ، بعد التمرّخ به ، أشناناً أبيض [4] ، قد طرح فيه أرز مطحون ، وطين خراساني ، وقليل كندر ،

= ومنها الساذج ، وهو الذي لا يقلى ، راجع كيفية صنعها في كتاب الطبيخ ص ٨٠ .

١ ــ الجلاب : العسل أو السكر المعقود بماء الورد .

٢ ــ الزلابية : حلوى تتخذ كالشبابيك من عجين دقيق السميذ ، ملتوتاً ببياض البيض ، تقلى في السمن ، وتغمس في العسل أو مذاب السكر ، قال ابن الرومي في وصفها :

رأيته سحراً يقـــلي زلابيـــة   في رقة القشر والتجويف كالقصب
يرمي العجين لجينـاً من أنامله   فيستحيل شبابيكاً من الذهب

٣ ــ الخلال : أعواد يتخلل بها لتنظيف ما بين الأسنان من بقايا الطعام .

٤ ــ الأشنان (ويلفظ بضم أوّله أو بكسره) : أعواد صغيرة ، بيضاء أو صفراء ، تدق وتستعمل في تنقية الأيدي من الوضر ، ولها اذا بلّت بالماء ، رغوة مثل رغوة الصابون ، وكان يخلط بأنواع عديدة من الطيب ، تدق معه ، ويحفظ الأشنان في وعاء يسمونه الاشناندان ، له غطاء يحفظ رائحته ، ويتناول منه بملعقة لكي لا يتّسخ الباقي بملامسة الأيدي ، وكان الاشنان الذي يتّخذ للرشيد ، يشتمل على ثلاثة عشر=

وسعد ، وصندل مقاصيري ، وسكّ (1) ، وذريرة المسك ، والكافور ، وجنبذ الورد الجوري (2) ، سلطانياً ، ملوكيّاً ، يرغي كما يرغي الصابون ، ويزبد كما يزبد السدر (3) ، وتصير اليد ، بها ومنها ، كأنّها نعل كنباتي ، تصرّ (4) [م٤٢] ، من دكان ابن عذرة اليهودي ، فانّه لا

= جزءاً أحدها الأشنان ، راجع التفصيل في مطالع البدور ٦٦/٢ وراجع في الموسوعة التيمورية ١٤٠ و ١٤١ صفة سبعة أصناف للاشنان ، منها واحدة للأشنان الذي كان يتخذ للرشيد ، وأخرى للاشنان الذي كان يتّخذ للمأمون .

١ ـ السكّ : ضرب من الطيب ، يركب من مسك ورامك (لسان العرب) .

٢ ـ الجنبذة : في اللغة : ما ارتفع واستدار كالقبة ، والبغداديون يلفظونها بالدال ، ويقصرونها على الوردة ما دامت أوراقها ملمومة قبل أن تتفتح ، فان تفتحت فهي وردة .

٣ ـ السدر : شجر النبق .

٤ ـ النعال الكنباتية الصرارة : نعال ثخان كانت ترد من كنباية في بلاد الهند وقد ذكر صاحب الموشى (ص ١٨٠) : ان الظرفاء البغداديين يلبسون النعال الثخان الكنباتية ، وذكر التنوخي في نشوار المحاضرة حـ ١ ص ٢٣٤ رقم القصة ١٢٤/١ عن القاضي أبي أمية الغلابي ، قاضي البصرة للمقتدر ، انه كان يخرج من داره عشيّة ، وعليه مئزر ، وعلى ظهره رداء خفيف ، وفي رجليه نعلان كنباتي ثخان ، ويظهر من وصف التنوخي للنعال الكنباتية ، أنها كانت تصرّ ، والبغداديون يسمون الصرير : جزّة ، بلفظ الزاي مفخّمة ، ويقال ان أول من استعمل النعال الصرارة ، مروان بن محمد الأموي ، آخر الحكام الأمويين ، وكان قصير القامة ،فلبس النعال الصرارة الغلاظ ، لتزيد في طوله ، وليسمعه جواريه وحرمه اذا دخل إلى البيت ، لتصلح كل جارية من شأنها (صبح الأعشى ٤٢٨/١) وقد كان للنعال الصرارة في بغداد شأن ، لما كان النعل المسمى باليمني ، شائع الاستعمال في بغداد ، وكان صانعوه وبائعوه ، يضمهم سوق يجمعهم ، اسمه : سوق اليمنجية ، أما الآن فقد انقرض هذا الصنف من النعال الصرارة ، ولم يبق من بائعيه أحد ، وحل محلهم في هذا السوق الخياطون والسقطيون، ولمحمد بن دانيال الموصلي، في =

ينتقي إلاّ أشناناً أبيض ، كأنّه خراء العصافير ، يعدّه واحدة واحدة ، ثم يدقّه كأنّه الذرور ، نعم ، ويقدّم طست شَبَه [1] ، عديم الشبه ، كأنّه جذوة لهب ، أو قطعة ذهب ، وابريق نقرة [2] ، قطعة واحدة ، من الطراز الأوّل ، معتضدي مخنّق ، مليح العروة ، أنبوبته منه ، لا يقطر ولا يسيل ، يسع مع خفّته ماية رطل ماء ، غريب العمل ، فيغسل القوم [ص٧٥] أيديهم ، ويناولهم منديلاً دبيقيّ ، مخمل ، متوكّلي ، خفيّ ، طرازي : عمل مصر ، بعلمين ، وزنارين ، وصبغتين ، دقيقي السلك ، تامّ الطول ، حسن العرض ، جعد الحمل ، محشّى بحاشية مشقوقة ، ألين من القزّ ، وأنعم من الخزّ .

هذه أوصاف موائد العراق ، الّتي ما أرى — والله — شيئاً منها عندكم ، إنّما أرى مائدة بلا خلّ ولا بقل ، كشيخ بلا فهم ولا عقل ، مبسوطة على سفرة رويدشتيّة ، بساط الأرض أنظف منها ، عليها عوض البوارد ، بيازبسته [3] ، سيربسته [4] ، موسيربسته [5] ، باذنجان بسته ، شلجم

= وصف اليمني : (فوات الوفيات ٣٨٤/٢) .

من اليمنيّات الّتي حرّ وجههـــا يفوق صقالاً صفحة الصارم الهندي
ومن عجبي انّي اذا ما وطئتها تئنّ أنيناً دونه أنّـــة الوجـــــد
ولم أر وجهاً قبلها كـــلّ ساعـــة على التّرب ألقاها معفّرة الخـــدّ

١ — الشبه : النحاس الأصفر ، والبغداديون يسمونه : برنج ، بباء مثلّثة .

٢ — النقرة : الفضة ، فارسية .

٣ — بيازبسته : فارسية ، باقة بصل .

٤ — سيربسته : فارسية : باقة ثوم .

٥ — موسيربسته : فارسية : موسير : البصل الجبلي ، والبغداديون يسمونه : ثوم عجـــم .

بسته [1] ، خياربسته ، قثا بسته [2] ، زعرور بسته ، أحرق الله بسته ، فكم بسته ، الشواء — والله — فيها قلوب الحاضرين .

نعم ، ثم أرى قدوراً قد طبخت بالشطرنج [3] ، وبأضراس الزنج ، الهشكية [4] ، والرسكبجة ، أي البطون ، أسخن الله العيون ، وشقّ البطون ، إنّما رأيت البطون تطعم للكلاب والسنانير ، ما رأيت الناس والصدور يأكلونها ، وأرى قدوراً مطبوخة بلحم البقر الغلاظ ، تنهش كما تنهش الفهود ، وتؤكل كما تأكل السباع ، ولا ينفسخ لحمها باليدين ، يأخذ أحدكم قطعة [ص٧٦] اللحم بيده ، ويجذبها بأسنانه ، فترشّش على وجهه ولحيته وثيابه ، ممزوج ذلك اللحم بمرق ، لو أجري فيها زورق لسار ، تغوص يد الانسان فيها إلى مرفقه حتى يجد اللحم ، وطبيخ الكوك [5] ، والكركر [6] ، والجغندر [7] ، والكرنب [8] ، والشلجم ، تفوح ريح الغضاير إذا قدّمت ،

١ — الشلجم والسلجم ، هو اللفت ، والبغداديون يسمونه الآن : شلغم (بالغين) .
٢ — القثاء : صنف من الخيار ، والبغداديون يسمونه : الخيار التعروزي ، وقد يسميه بعضهم : الترعوزي ، ويسمون الخيار العادي : خيار مي (ماء) تفريقاً له عن القثـــاء .
٣ — اذا كانت السكباجة بعظام عارية ، سميت شطرنجية ، قال ابن طباطبا العلوي : [الملح للحصري ٢٣٤] .

يــــا دعوة مغبــرة قاتمــــة   كأنّها من سفرة قادمـــــه
قـــد قدموا فيها مسيحيّـــــة   أضحت على إسلامها نادمـــه
وبعد شطرنجيّـــــة لم تــــزل   أيدٍ وأيدٍ حولها حائمـــــه

٤ — لم اعثر على تفسير هذه الكلمة .
٥ — الكوك ، فارسية : الخس .
٦ — الكركر ، فارسية : نوع من الباقلاء .
٧ — الجغندر ، فارسية : الشمندر ، والبغداديون يسمونه الآن : شوندر .
٨ — الكرنب : بقلة زراعية تتجمع أوراقها وتلتف حول رأسها ، تؤكل نيأة ومطبوخة .=

كريح فسا المحموم ، أو جشاء المتخوم ، والأرز ، والماش ، والعدس ، واللوبيا ، والعرمة (١) والأربيانة (٢) ، مما يأكله الوقّادون والزبّالون ، مختوماً ذلك كلّه بالعنب الأسود، وبحلاوة مدلوكة باليد كالناطف (٣) ، والبرسح (٤) ، يأتي بعد ذلك قرويّ ، سواديّ كهل ، في قدّ الجمل ، بلحية شمطاء كثّة ، وحالة زريّة رثّة ، بيده أقطاعُ حطب ، يناولهم للتخلّل ، ثم [م٤٣] يسوقهم إلى صحن الدار ، ويجمعهم لغسل الأيدي ، على بالوعة تخشم — والله — الأنوف ، من روايح القاذوريات المجموعة فيها ، سخّن الله هذه المروّة .

ولا أرى — والله — في فواكهكم ، لا الموز ، ولا الجلموز (٥) ، ولا الشاهبلّوط (٦) ، ولا النارجيل ، ولا الفستق الرطب ، ولا قصب السكر ، ولا الخوخ المسكي ، والشمعي الذي كأنّه الذهب الأحمر (٧) ، و[ريحه] ريح المسك الأذفر [ص٧٧] .

اسمها في سورية ولبنان : الملفوف ، وفي بغداد : لهّانه .

١ — العرمة : من أصناف السردين .

٢ — الاربيانة : الاربيان ، نوع من السرطان البحري ، اسمه في بغداد والعراق ومنطقة الخليج : الروبيان ، وفي سورية ولبنان : القريدس ، وفي مصر : الجمبري . واذا طبخ مع الأرز في بيت بصري ، كان صحناً ليس له مثيل في طيبه .

٣ — الناطف : جاء في الموسوعة التيمورية ص ٦١ نقلاً عن كتاب الأطعمة (ص١٥٤) : عن صنع الناطف : يعقد السكر المحلول ، أو العسل ، على نار هادئة ، بحيث انه اذا أخذ منه شيء وبرد ، تكسّر وتقصّف ، ثم يعجن معه ما يراد كالسمسم ، والجوز ، والفستق ، أو اللوز ، والخشخاش ، ويبرّد ، ويرفع .

٤ — كذا وردت في الاصل .

٥ — الجلموز : لا أعرفه .

٦ — الشاهبلوط : الكستانة .

٧ — الخوخ المسكي : صنف من الخوخ له طعم لذيذ ، ورائحته عذبة ، هي في نظري=

أهـدى الينـا الزمان خوخـاً منظـره منظـر أنيـق
ذات أديمـين ، ذا بهـار لمجتليه ، وذا عقيـق
كوجنـة ألبست خلوقـاً فزال عن بعضها الخلـوق

ولا البطيخ النرمشي [1] ، ولا القفصي [2] ، ولا البطيخ الخراساني الأبرش ، بحمرة وسواد ، صبغ الرحمن ، كأنّه شقايق النعمان ، لا يكاد رجل يرفعها إلاّ بعد الجهد ، سمكها شبر ، حبّها يتقلقل في وسطها كالحمّاضة ، أحلى من الشهد ، وألذّ من القند .

ألذّ مـن الخـوخ والمشمشِ غرائب بطّيخنـا النرمشي
كـأنّ بقنـد وفالـوذج ولوزينج جوفه قد حشي

ولا عنبـاً رازقياً [3] ، كأنـه مخازن البلور ، ظروف النـور ،

= أطيب من المسك ، ولونه أصفر بديع ، وتمتاز بغداد بهذا الخوخ ، اذ لم أجده في بلد آخر من البلدان التي زرتها ، الا في مدريد عاصمة أسبانيا ، وبلغني أنه يوجد مثله في كاليفورنيا ، أما الخوخ الشمعي ، فهو موجود في بغداد ، وفي شمال العراق في بلاد الجبال ، ويمتاز بأن أحد خديه أصفر اللون ، والخد الآخر أحمر .

١ ــ البطيخ النرمشي : قال الدكتور إحسان عباس لعلّه منسوب إلى نرمه ، قرية من قرى الري (مراصد الاطلاع ١٣٦٨/٣) .

٢ ــ البطيخ القفصي : ينسب إلى القفص ، قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا ، كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه (معجم البلدان ١٥٠/٤) .

٣ ــ العنب الرازقي : أفخر وأشهر أصناف العنب البغدادي ، وصفه ابن الرومي ، ووصفه غيره من الشعراء ، والعنب المشهور اليوم ببغداد ، البهرزي نسبته إلى بهرز ، بليدة من لواء ديالى ، اسمها القديم بهرسير ، والعنب المسمى ديس (ثدي) العنز .

أوعية السرور ، أمّهات الرحيق ، وكرات العقيق .

ورازقيّ مخطف الخصور كأنّه مخازن البلّور
قد ملئت مسكاً إلى الشطور وفي الأعالي ماء ورد جوري
لو أنّه يبقى على الدهور قرّط آذان الحسان الحور [ص٧٨]

ولا تيناً وزيرياً (١) ، كأنّه سُفَر مضمومة على العسل ، كأنّه خبيص الخشخاش ، مدوّر ، محقّق ، معتّق .

كأنّما ديف زعفرانٌ في ضَرَبٍ تينه الوزيري
والعنب الرازقي ممّا تاهت له مهجة البصير

ولا لكم تفّاح مسكيّ ، مضلّع كأنّه البطّيخ الترمشي ، تفّاحاً لم تقع عليه [م٤٤] اليد ولا العين ، لا معيّن (٢) ولا منقوط ، ولا تفّاح داماني (٣) ، كأنّه حمرة المرجان ، أو شقايق النعمان ، قد جمع وصف العاشق الوجل ، والمعشوق الخجل .

نعم ، ولا سفرجلاً ، يجمع طيباً ومنظراً ، كأنّه زئبر الخزّ الأغبر ، على الديباج الأصفر ، له نسيم العنبر ، وطعم السكّر ، ولا رمان صرصر ، كأنّه صرر قد ملئت بالجوهر ، أو الياقوت الأحمر ، ولا مشمشاً كأنّه

١ — التين الوزيري : أشهر أصناف التين ببغداد ، ولم أتوصل لمعرفة سبب هذه النسبة ، وما زال باعة التين ببغداد ، إلى زماننا هذا ، ينادون على التين بقولهم : وزيري يا تين ، نداءً ورثوه عن أجدادهم .

٢ — المعيّن : التعيّن في الجلد ، أن تكون فيه دوائر رقيقة مثل الأعين .

٣ — التفاح الداماني ، نسبته إلى دامان ، قرية قرب الرافقة ، واليها ينسب التفاح الداماني الذي يضرب المثل بحمرته (شفاء الغليل ٨٨ ومراصد الاطلاع ٢/٥١٠) .

زقاق ذهب ، قد حشيت عسلاً ، ولا الكمّثرى [1] الشامي ، والسلطاني ، والزرجون [2] ، والنهاوندي [3] ، والخزري ، ولا السجستاني ، ولا الحسيني ، ولا بسر ماء سكّر ، ينقتّ في الفم ، كأنّه الفانيذ الخزائني [4] [ص٧٩] ، بسرة منه خير من نخلة ، وشمراخ خير من قراح ، ولا السكّر [5] ، ولا الجيسوان ، ولا الطبرزد [6] ، ولا الآزاد [7] ، والقرشة ، والخاستوي [8] ، والمشمّس ، والعبدسي ، والحركان ، والعروسي [9] ، والهلباث [10] ، والحمران ، والهيرون [11] ، والباذنجاني ، والماذيان [12] ، ولا المشان [13] ، والصعتري ، والمعقلي ، والبسر المطبوخ ، ولا التمر

١ ــ الكمثرى : فاكهة معروفة ، يسميها البغداديون اليوم : عرموط ، تركية ، ويسميها الشاميون واللبنانيون : عنجاص (اجاص) .

٢ ــ الزرجون : فارسية ، لون الذهب ، والظاهر انه صنف من أصناف الكمثرى أصفر اللون إلى احمرار .

٣ ــ النهاوندي : نسبته إلى نهاوند ، مدينة قرب همدان (معجم البلدان ٨٢٧/٤) .

٤ ــ الفانيذ : فارسية : بانيد ، نوع من الحلو ، يصنع من السكر ودقيق الشعير والترنجبين (الألفاظ الفارسية المعربة ١٢١) .

٥ ــ السكر : صنف من التمر ، ما زال هذا اسمه بالعراق .

٦ ــ الطبرزد : من التمر ، يسميه البغداديون اليوم : تبرزل

٧ ــ الآزاد : يسميه البغداديون اليوم : الزهدي ، وهو من أطيب التمور .

٨ ــ الخاستوي : هذا التمر اسمه اليوم ببغداد : الخستاوي .

٩ ــ العروسي : ضرب من النخل ، ذكره صاحب لسان العرب .

١٠ ــ الهلباث : ضرب من التمر الجيد ، قال شيخ من أهل البصرة : لا يحمل شيء من تمر البصرة إلى السلطان الا الهلباث (لسان العرب)

١١ ــ الهيرون : ضرب من التمر جيد .

١٢ ــ الماذيان : الماذي هو العسل الأبيض ، ولعل هذا الصنف من التمر سمي بالماذيان لشدة حلاوته .

١٣ ــ المشان : صنف من التمر ، رطبه إلى السواد ، دقيق ، قال صاحب لسان العرب : =

المصنّع الابراهيمي ، والصرفان (1) ، والبرنيّ (2) ، ولا الملعق ، ولا الصيحاني (3) ، والعمري (4) ، ولا البدالي ، والقرشي ، ولا البرين (5) ، والآزاد العلك اللزج ، الذي كأنّه القند ، أو شهد مقمّع بالعقيق ، إنّما أرى ساف أمرود ، وبهم رود ، ونارمرود ، وسلم رود ، قد أوجعني — والله — ممّا أكل النمرود .

ولا أرى في رياحينكم الا ترجّ (6) السوسي ، والأترجّ الخطائي ، والأترجّ الملاسي ، والمقفّع الذي كأنّه أصابع من ذهب ، ولا النارنج ، ومركب الليمو ، والليمو الصيني ، والرامشي ، واللّفاح (7) الحولي ، الذي

= اختلف عبد الوهاب الثقفي وأبو يوسف القاضي في السكر والمشان ، في مجلس الرشيد ، ففضل الثقفي رطب السكر ، وفضل أبو يوسف المشان ، فقال الرشيد : يحضران ، فأحضرا ، وتناول أبو يوسف السكر ، وقال : لما رأيت الحق لم أصبر عنه .

١ — الصرفان : صنف من تمر العراق ، راجع في قصة الزباء قولها لقصير :

ما للجمال مشيها وئيدا   أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً تارزاً شديدا

٢ — البرني : ضرب من التمر أصفر مدور .

٣ — الصيحاني : ضرب من تمر المدينة .

٤ — العمري : ضرب من التمر ، والعمر ضرب من النخل ، وقيل هو نخل السكّر خاصة .

٥ — البرين : ضرب من التمر أحمر اللون كبير الحجم ، قليل الحلاوة ، ما زال هذا اسمه ببغداد . أقول : راجع في كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري ص ٤٩٤ و ٤٩٥ أسماء واحد وعشرين ضرباً من ضروب التمر .

٦ — الأترج : شجر من جنس الليمون ، ويسمى كذلك : الاترنج ، يسمى ببغداد : طرنج ، وفي الشام ولبنان : كباد .

٧ — اللفاح : نبات له أوراق كثيرة، يظهر منها في أواخر الشتاء زهر متفرق،=

كأنّه أكر من ذهب ، أقماعها الزمرّد ، مثل ريح المسك والزعفران ، يسكّن الصداع ، ويشفي من الأوجاع ، ولا النرجس المضاعف [1] ، والدمشقي ، ولا السوسن [2] ، ولا النسرين [3] ، والآذريون [4] ، ولا السيتسنبر [5] ، ولا الحماحم [6] [ص٨٠] ، ولا الخزامى [7] ، وقد ضربها ريح النعامى [8] ،

= تحل محلّه عنبيات ضاربة إلى الصفرة طيبة الرائحة (المنجد) .

١ ــ النرجس : نبت من الرياحين ، أصله بصل صغار ، له زهر مستدير أبيض ، أو أصفر ، أو أبيض في وسطه أصفر ، تشبه به الأعين ، والبغداديون يسمونه : نركز ، ويسمون به البنات ، والنرجس المضاعف ، الكثير الأوراق ، والبغداديون يسمون الوردة الكثيرة الأوراق : قطمر ، أما الخفيفة الأوراق فهي : قاطي ، مقلوبة عن طاقي ، أي ان ورقها طاق واحد .

٢ ــ السوسن : زهر مشهور ، أزهاره كبيرة لامعة اللون ، بنفسجية وبيضاء وصفراء (المنجد) .

٣ ــ النسرين : ورد أبيض عطري الرائحة .

٤ ــ الآذريون : صنف من الأقحوان ، منه مازهره أصفر اللون ، أو أحمر ، أو ذهبي في وسطه رأس صغير أسود (ابن البيطار ١٦/١) ، قال الشاعر :

كـأنّ آذريونـهـا ... والشمس فيه كاليـه
مداهـن مـن ذهـب ... فيها بقايا غاليـه

٥ ــ كذا وردت في الأصل ، وسماها أحمد تيمور في الموسوعة التيمورية (ص ١٠١ و ١٠٢) : السيسنبر (بكسر السين الأولى وفتح الثانية) وقال : انها الريحانة التي يقال لها : النمام ، لأنّ رائحتها عطرية ، تترك أثراً في المكان الذي توضع فيه ، فيبقى بعد نقلها منه .

٦ ــ الحماحم : الحبق الكرماني العريض ، ذكره ابن البيطار في جامعه ٣٣/٢ .

٧ ــ الخزامى : جنس زهر من فصيلة الزنبقيات ، له بصلة ، وأزهاره متعددة الألوان ، اشتهرت هولنده بزراعته (المنجد) .

٨ ــ النعامى : ريح الجنوب ، والبغداديون يسمونها : الهوا الشرجي .

ولا الحوذان [1] ، والعبيثران [2] ، ولا شقايق النعمان [3] ، ولا الخيري ، ولا الضيمران [4] ، ولا الريحان الصعتري ، والقلطي ، والمسكي ، كآذان الفار [م٤٥]، من النجمي [5] قراح السلطان ، نعم ، ولا النمام [6] ، ولا المزرجوش [7] ، ولا البهار [8] ، ولا البرم [9] ، ولا المنثور ، ولا البنفسج [10] .

١ ـ الحوذان : أعشاب ذات أزهار صفراء وحمراء (المنجد) .

٢ ـ العبيثران : نبات له نور أصفر ، ذكره ابن البيطار في جامعه ١١٦/٣ .

٣ ـ شقايق النعمان : نبات عشبي ، له زهر ربيعي جميل أحمر اللون (المنجد)

٤ ـ الضيمران : سماه ابن البيطار في جامعه : الضو مران (٩٤/٣) .

٥ ـ النجمي : بستان وقراح (أرض مزرع) في الجانب الغربي من بغداد ، احسب أن محلهما الآن علاوى الحلة وجزء من باب السيف .

٦ ـ النمام : نبات له رائحة تشبه رائحة المرزنجوش ، ذكره ابن البيطار في جامعه ١٨٢/٤ .

٧ ـ المرزجوش : من الرياحين له ورق دقيق ، بزهر أبيض عطري، سماه الشيخ الرئيس ابن سينا في القانون ٢٦٧/١ المرزنجوش ، وذكر له فوائد في العلاج ، وسماه ابن البيطار في جامعه ١٤٤/٤ : المرزجوش ، والمردقوش والمرزنجوش ، وسماه صاحب الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٤ : المرزنجوش ، وذكر أن أصل الكلمة فارسي : مرزن كوش ، ومعناه آذان الفار ، والبغداديون يسمونه : بزرنكوش ، بتقديم الزاي على الراء مع كاف فارسية ، وللمغنين البغداديين فقرة سمعتهم يرددونها في غنائهم أحد المقامات العراقية ، تقول : يا زارع البزرنكوش ، ازرع له حنّة (حناء) .

٨ ـ البهار : نبات له زهر أصفر ، ذكره ابن البيطار ١٢١/١ .

٩ ـ البرم : زهر شجرة السبط ، قال ابن البيطار في جامعه ٨٩/١ انه طيب الرائحة .

١٠ ـ البنفسج : نبات له زهر طيب الرائحة جداً ، ذكره ابن البيطار في جامعه ١١٤/١ أقول : يسميه البغداديون اليوم : بنفشه ، وهو اسمه بالفارسية .

يقـــول إذا حركتـــه الصبـــــا لدى نشره ولدى أرجــه
أرى الشـــام جـــاد بتفّاحـــه وجاد العـــــراق بأترجّـــه

انما أرى في كل دار ، شيئاً معوّجاً ملتوياً ، يشبه الراديا ، يسمى سياودارن ، سوّد الله وجه سياروارن في البطون [1] .

ما أرى — والله — لكم مجلساً قد فرش بساطه ، ومدّ سماطه ، وبسطت أنماطه ، بين آس مخضود ، وورد منضود ، ودنّ مفصود ، وناي وعود ، قراحه ياقوت ، ونوره درّ ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، يحملهما زبرجد ، ونشأت فيه سحابة الندّ ، على بساط الورد ، وتفتحت فيه عيون النرجس ، وفاحت مجامر الاترجّ ، وفتقت فارات النارنج [2] ، ونطقت فيه ألسنة العيدان ، وقامت [ص٨١] خطباء الأوتار ، وصاحت دعاة النايات ، وفضّ الزهر ختامه ، ونشر أعلامه ، وهبّت للأنس رياح ، برقها الراح ، وسحابها الأقداح ، ورعودهـــا الأوتار ، فلا نرى — والله — إلاّ بدور كاسات ، تدور بين بروق الراح ، وشموس الأقداح ، ولا أرى — والله — في مجالسكم زجاجاً مليحاً ، ما بين بلّور مخروط ، ومحكم مجرود ، ومينا أخضر ، وقاطولي مجرى بالذهب ، ولا وذائل الفضيض البيض ، تباري سبائك الذهب ، ولا طرائف بغدادية من المدهون والزرياب ، ولا صواني ، ولا مطاولات ، ولا نرجسيات ، ولا بنفسجيات ، ولا صينيات مقمّعات ، ولا مغاسل مغربلات ، ولا قناني مثمّنات ، ومخروطات ، ولا شمّامات ، وتماثيل عنبر ، معجوناً بالمسك الأذفر ، والزعفران ، وكافوراً مخروطاً في غضاير صيني ملوّن ، ولا مجلساً مسجوراً بالندّ ، روائحه تبلغ الهواء ، وتعبر

١ — كذا وردت في الاصل .
٢ — فأرة المسك : نافجة المسك أي وعاؤه .

إلى دور الجيران ، ولا شمع معنبر مكفّر [١] ، ولا منارة [٢] ملوكية ، كأنّها مصنوعة من الذهب الابريز ، قطعة واحدة ، بغير كسر ولا وصل ولا لحام ، يزهر سراجها بخمس فتائل ، بزيت جلبيّ أنفاقي ، لا تشمّ فيه زعارة [ص٨٢] [م٤٦]، ولا مرارة ، يصلح للقدور والمطجّنات ، والقلايا المحرقات ، ولا أرى ندماء ظراف نظاف [٣] ، يتناشدون الأشعار ، ويروون الأخبار ، ويتجاذبون أهداب الآداب ، إنّما أرى مجلساً فيه أرذال أنذال ، أخلاف أجلاف ، ليام [٤] من القوم يتغشّاهم من فتور الأنس سكرة النوم ، يتلاحظون تلاحظ الغنم في الأزبان [٥] ، ويتجادلون في المذاهب والأديان ، بين أيديهم قرع زجاج أصفهاني ، يحكي خصا الحمير ، وأقداح كأنّها مساعط الحجّامين ، في شكلها المستدير ، وأواني تصلح للصفع ، ومنارة في جانب المجلس ، تحكي غصن تين ، سماجة واعوجاجاً ، وسراجاً مظلماً ، يقد بالسمن المنتن ، الذي يطير دخانه في الدماغ ، فيرهجه إرهاجاً .

ما أرى — والله — في أصناف خموركم ، خمرة عراقية ، سورية [٦] ،

---

١ — المعنبر : المعجون بالعنبر ، والمكفّر : المعجون بالكافور .
٢ — المنارة : مسرجة تشتمل على قاعدة يعلوها عمود في رأسه شمعة أو سراج .
٣ — كذا وردت في الأصل .
٤ — ليام : لئام .
٥ — الازبان : الموضع الزبن (بالباء) الضيّق الذي لا يستطيع الانسان أن يستقر فيه لضيقه وزلقه .
٦ — يريدانها من سورا ، قرية من أرض بابل ، مشهورة بجودة خمرها ، قال الشاعر : [معجم البلدان ١٨٤/٣ و ١٨٥] :

مـــا زلت أشربها وأسقي صاحبي ... حتّى رأيت لسانــه مكسورا
ممـــا تخيّرت التجـــار ببابـــل ... أو ما تعتقه اليهود بســـورا

بابلية [1] ، أو صريفينيّة ، كالشقيق ، والعقيق ، والحريق ، والعندم ، والياقوت ، والعقيان ، والنور والنار ، والورد الجنيّ ، والجلّنار ، واللهب الثاقب ، والذهب الذائب ، راحاً كأنّما اشتقّت من الروح ، والرَّوح [2] ، والراحة [ص٨٣] .

لها صريح [3] كأنّـــه ذهب ورغوة كاللآلىء العلـــق

آخـــر

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء درّ على أرض من الذهب [4]

كأنّها معصورة من خدّ الشمس ، قد سبك الدهر تبرها فصفا ، أصفى من ماء السماء ، ومن دمعة العاشقة المرهاء ، وأرقّ من نسيم الصَّبا ، وعهد الصِبا .

وحمراء قبـــل المزج صفراء بعـــده
بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلّطـــوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عـــاشق

١ ــ البابلية : نسبتها إلى بابل ، عاصمة الكلدان القديمة ، ما تزال خرائبها ماثلة في ضواحي مدينة الحلّة ، قال عنها ياقوت في معجمه ٤٤٧/١ أنها مدينة السحر والخمـــر .

٢ ــ الروح (براء مفتوحة) : الرحمة ، قال ابن الرومي يرثي يحيى العلوي :

سلام وريحـــان وروَح ورحمـــة عليك وممدود من الظل سجسج

٣ ــ الصريح : الصافي الخالص .

٤ ــ البيت لأبي نواس .

في كأس كقشرة الدرّة البيضاء ، مجرودة أو محفورة ، كأنّها مخروطة من دارة القمر ، أو قـدح من لمّاح [1] البلّور ، مجرود الشفة ، مخلوع ، لا خدش فيه ولا نمش ، يخرج من غلاف مسلول ، أبيض في سواد ، من عمل البصرة ، في بدنه ، ملمع بحمرة ، كشقائق النعمان ، ورأسه خاتم سليمان ، وأسفله زهرة البستان ، يصبّ فيه الشراب من قنينة مثله ، على [ص٨٤] فمها فدام دقيق السلك ، مبلول بماء الورد ، فتصبغ اليد والثياب بصفائها وشعاعها .

[م٤٧] وراح من الشمس مخلوقة ... بدت لك في قدح من نهـار
هـواء ولكنّـه ساكـن ... وماء ولكنّه غير جـار
كـأنّ المدير لها باليمـين ... إذا مال للسقي أو باليسار
تدرّع ثوبـاً من اليـاسمين ... له فردكمّ من الجلّنار [2]

ترى ياقوتة في درّة بيضاء ، وشمساً في غلالة من سراب .

تصبّ على الليل لون النهـار

منتقبة من حبابها بالدرّ النثير ، فائحة من نسيمها روائح العبير .

خمـر كـأنّ نسيمهـا ... نفحات نـدّ المقتدر

آخـر

إذا عبّ فيها شارب القوم خلتـه ... يقبّل في داج من الليل كوكبا [3]

أحسن — والله — من العافية في البدن ، وأطيب من الحياة في السرور ،

١ — في الأصل : من حاحى ، بلا نقط .
٢ — الأبيات لابن المعتز (قطب السرور ٥٨٥) .
٣ — البيت لأبي نواس (قطب السرور ٥١٨) .

ترياق الهمّ ، صابون الغم .

في يد مهضوم الحشا مخطف　　مهفهف كالغصن مقدود [ص٨٥]
قد شارك الكرمة في ريقها　　والظبي في العينين والجيد
يديرها في محكم أزرق　　وأبيض كالثلج مجرود

آخر

يدير مدامَهُمُ أغيدٌ　　يداه من الكأس مخضوبتان

آخر

كأنّه والكاس في كفّه　　بدر الدجى قد قارن المشتري

إنّما أرى نبيذاً أسودانياً أو زريابيّاً ، كالدبس ، أو النقس ، عفصاً كالرجس ، يلقاك كاسه منه بمثل المحبرة أو عين البقرة .

في لون زنجيّ ونكهة أبخر

آخر

إذا صبّ مسودّه في الزجاج　　فكأس النديم به محبره

آخر

أو خمرة حمراء في لونها　　مشابه من فقحة القرد

[م٤٨] يعرض عليك ، في باطية خزف أو مزوّرة (١)، من صينيّ

١ - الباطية ، وجمعها بواط ، أناء من الزجاج أو الخزف يملأ بالشراب أو بأي سائل آخر ، وباطية المزورة ، الّتي تقدّم فيها المزورة ، وهي نوع من الحساء الخالي من الدهن ، يصفه الأطباء للمرضى ، قال البحتري :

وجدت وعدك زوراً في مزوّرة　　حلفت مجتهداً اتقان طاهيها
فاحبس رسولك عن أن يأتينّ بها　　فقد حبست رسولي عن تعاطيها

أصفهان ، أو قاشان ، وربّما كانت تماثيل مطيّرة [1] ، أي أنا صاحب طرايف ، لا طرف الله عنكم العيون [ص٨٦] .

يديرهـــا ساقٍ له ركبـــة كأنّهـــا محلاج نـــدّاف
في يـــده باطيـــة ضخمة كأنّهـــا مغراة اسكـــاف

آخـــر

كأنّـــه والكأس في كفّـــه إذا تمشّى جمَلٌ يسبح
يصلح للصلب ، وأمّـــا لما سواه من شيء فلا يصلح

وربّما كان شيخاً أبيض الرأس واللحية ، كأنّه بعض المؤذّنين أو الحجّامين ، طعم الكأس من يده طعم الزقّوم ، والهفاه ، سقى الله ديارات كسكر [2] ، ومنازل كسرى وقيصر .

١ ــ المطيّر : المشقوق المكسور .
٢ ــ ديارات كسكر : منطقة كسكر عامرة بالديارات ، ومواطن اللهو ، ومنها دير كسكر المعروف بعمر كسكر ، والعمر اسم من أسماء الدير ، وقد ذكره الشابشتي في كتاب الديارات ، وأورد مقطوعة لمحمد بن حازم الباهلي في هذا الدير ، مطلعها : [الديارات ٢٧٤ و ٢٧٥] :

بعمر كسكر طاب اللهو والطرب واليادكارات والأدوار والنخب

أقول : لا بد للكلمات الثلاث الأخيرة من ايضاح ، فاليادكارات ، فارسية ، معناها التذكار ، ويريد بها هنا انه يشرب أقداحاً بأسم من يذكرهم من الغائبين عن المجلس ، قال أبو الطيب محمد بن القاسم النميري ، من أبيات : [الديارات ٧٣] :

يا أبـــا العباس قد شـــ ـــمّر شعبـــان إزاره
ومضـــى يسعى فما يلـــ ـــحق إنســـان غبـــاره =

وسلام على مواخـــير بصرى [1]   وأوانا [2] والقفص والبَرَدان [3]

= فاغـــد نشرب صفوة الـــدنّ   ونسلبه وقـــاره
واذا مـــا ذكر العقـــل   شربنـــا يـــا دكـــاره

أما الأدوار ، فهي الأقداح التي يدور بها السقاة على الشاربين ، والنخب ، المفرد نخبة ، أي ما ينتخبه الشارب من الأقداح عدداً وصنفاً زيادة على أقداح الأدوار ، قال الصاحب بن عباد : إن أردت فاني سبحة ناسك ، أو أحببت فاني تفاحة فاتك ، أو اقترحت فاني مدرعة راهب ، أو اخترت فاني نخبة شارب (شرح المقامات الحريرية ١٩٥/١) وقال البحتري يهجو ابن قماش : [ديوان البحتري ٧٩١ و ٧٩٢] :

ومـــا في الستـــارة من حـــاجز   إذا قرعت ركبة ركبـــه
أتحجـــب طاقـــة إبريســـم   عن الصبّ منهم هوى الصبّـــه
اذا الساقيـــات حملـــن الكـــؤو   س دوراً على القوم أو نخبـــه

وفي نشوار المحاضرة للتنوخي ج ١ ص ١٨٧ رقم القصة ٩٧ ان أحمد الخراساني تعشّق ببغداد جارية من جواري الزكورية المغنية ، اسمها زهرة ، فقالت له الزكورية : أراك قد عشقت جاريتي ، فكم معك ؟ قال : خمسون ألف درهم ، قالت : هذه دور بلا نخبة .

١ – بصرى : من قرى بغداد ، قرب عكبرا ، من مواضع المرح والسرور والشرب : قال فيها ابن الحجاج : [معجم البلدان ٦٥٥/١] :

أيظـــنّ الشباب أنّـــي مخـــل   بعده بالسماع أو بالشراب
حاش لي حانتي أوانـــا وبصرى   للدنان التي أرى والخوابي

٢ – أوانا : بليدة من نواحي دجيل ، كثيرة البساتين والشجر ، على بعد عشرة فراسخ شمالي بغداد ، لها ذكر كثير في أشعار الخلعاء من الشعراء ، قال الشاعر [معجم البلدان ٣٩٥/١] :

أيّهـــا المغرمـــون بالحانـــات   والمعنّون في هوى الفتيـــات
ومـــن استنفدت كروم بزوغى   فأوانا أموالـــه بالفـــرات

٣ – القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا ، قريبة من بغداد ، من مواطن اللهو ، ومعاهد التنزه ، ومجالس الفرج ، واليها تنسب الخمور الجيدة ، وفيها الحانات =

ليت شعري مذغبت عنها على كم   قرّر البائعون سعر الدنانِ ؟
بين خمر تبـاع في دار روم[1]   كلّ يوم بأوفر الأثمـان
في كؤوس كأنّها ورق السـو   سن فيها شقايق النعمـان

= الكثيرة ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال أبو نواس : [معجم البلدان ١٥٠/٤ و ١٥١] :

لولا هوائيك مـا اغتربت ولا   حطّت ركابي بأرض مغترب
ولا تركت المدام بين قرى الكـر   خ ، فبورى ، فالجوسق الخرب
وباطرنجى ، والقفص ، ثـم إلى   قطربّل مرجعي ومنقلبـي

والبردان : قرية من قرى بغداد، على سبعـة فراسخ منها، قرب صريفين، وهي من نواحي دجيل ، كانت من مواضع المرح والسرور والنزهة للبغداديين ، قال جحظة البرمكي : [معجم البلدان ٥٥٢/١ و ٥٥٣] .

إدفع ورود الهمّ عنك بقهـوة   مخزونة في حانـة الخمّار
في رقّةِ البردان بين مزارع   محفوفة ببنفسـج وبهـار

١ ـ دار الروم ، أو دير الروم : ذكرها كتاب دليل خارطة بغداد (ص١١٦) وعينت خارطة بغداد للدكتور سوسه موقعها بالشماسية (الصليخ) ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان ٦٦٢/٢ ، وقال عنها : انها بيعة كبيرة ، خاصة بالنسطوريين ، وإلى جانبها قلاية للجاثليق ، وتجاورها بيعة لليعقوبية ، وسبب بنائها أنّ أسرى من الروم ، حملوا إلى المهدي العباسي ، وأسكنوا في هذا الموضع ، فسمّي بهم ، وقد ذكر مدرك بن محمد الشيباني ، دار الروم في قصيدته الشهيرة ، فقال :

ريم بـدار الروم رام قتـلي   بمقلة كحلاء لا عن كحـل
وطـرّة بها استطـار عقلي   وحسن دلّ وقبيـح فعـل

أقول : قال مدرك قصيدته الّتي اشتملت على هذين البيتين ، في نصراني اسمه عمرو ابن يوحنا ، وكان يقيم في دار الروم ببغداد ، راجع قصّته معه ، وقصيدته بتمامها ، في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ﺣ ٤ ص ٢٦٥ ـ ٢٧٥ رقم القصة ٢٣٢/٤ وهي قصيدة بديعة أثبت فيها الطقوس النصرانية وأسماء القديسين .

في كؤوس كاللؤلؤ الرطب فيهـا قطع من سبائك العقيـان
وقيـان لها جـذور ثقال [1] مفردات بالحسن والاحسان

آخر [ص٨٧]

فكلّ بطـن هبطنا منـه دسكرة [2]
وكـلّ ظهر علونـا فيه ماخور [3]

ما أرى — والله — على أطباقكم ، وفي أنقالكم [4] ، زبيباً طائفياً ،

١ — الجذر : أجر المغنّي .
٢ — الدسكرة : الأصل فيها أنها تعني القرية أو الصومعة ، فارسية (الألفاظ الفارسية المعربة ٦٤) ، ثم صرفت إلى محل الخمر (شفاء الغليل ٨٤) .
٣ — الماخور ، والجمع مواخير : الأصل فيها أنها تعني بيوت الخمارين ، فارسية ، مي بمعنى الخمر ، وخور ، اي الأكل والشرب (شفاء الغليل ١٩٨) ثم صرفت إلى بيوت البغاء (الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٣) ، وفي الموسوعة التيمورية ٢١٤ ، نقلاً عن حلبة الكميت : ان الغناء الماخوري ، انما سمّي بذلك ، لأنّ ابراهيم الموصلي ، كان يغني به في المواخير ، وأسرف بعضهم في الخلاعة ، فوصف صلاته في الحانة ، بقوله :

فالركعـة الأولى حنينيّـة وركعة التسليم مـاخوري

٤ — النقل (بضم النون وفتحها) : ما يؤكل على الشراب ، كالفستق والتفاح ، ويسمى ببغداد : المزّة ، اشارة إلى طعمه المزّ ، أي الذي يضرب إلى الحموضة ، وقد أورد صاحب مطالع البدور ١٤١/١ أسماء أنواع كثيرة من النقل ، كالسفرجل ، والرمان المزّ ، والتفاح ، والكمثرى ، والزعرور ، والفستق ، واللوز ، راجع في مروج الذهب ٣٨٣/٢ وفي البصائر والذخائر م٣ ق١ ص ١٠٩ ما تخيّره ندماء الواثق من النقـل لشرابهم ، وفي الموشى ١٩٦ :انّ الظرفـاء البغداديين كانوا يعافون في تنقّلهم على الشراب ، « الأشياء الرذلة » مثل الباقلّى ، والبلّوط ، والبسر المقلوّ ، والقريثاء ، والحنطة ، والغبيراء ، والشاهبلوط ، =

كأنّه زقاق عسل مصفّى ، ولا نبقاً أهوازيّاً ، كأنّه أزرار حرير ملوّنة [1] ، ولا سكّراً فائقاً سليمانياً ، كأنّه قطع كافور ، ولا لبّ

= والخرنوب الشامي ، وأكثر ما يتنقّلون به مملوح البندق ، ومقشّر الفستق ، والملح النفطي ، والعود الهندي ، والطين الخراساني ، والملح الصنعاني ، والسفرجل البلخي ، والتفاح الشامي ، ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فانّ القاضي التنوخي ذكر في كتابه نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٠٤ رقم القصة١١٣/١ ان القائد خاقان المفلحي كان يتنقّل بقديد الدبّ ، والبغداديون ، في أيامنا هذه ، يتنقّلون على العرق ، وهو الخمر المقطر من التمر أو العنب ، بالباقلاء المسلوقة ، واللبن الرائب ، ويسمونه الروبة ، والحمص المسلوق ، ويسمونه اللبلبي ، والخيار ، وكان القدماء ، يرون أنّ ترك التنقّل أولى (مطالع البدور ١٤١/١) ، وكذلك البغداديون الآن ، وهم يطلقون على من يجيد الشرب ، كلمة شرّاب ، على وزن فعّال ، ويقولون : الشرّاب مزته جمع (بجيم وميم مكسورين) ، يعني انه بعد أن يشرب كأسه ، يمسح شفتيه بقبضة يده مجموعة ، ويكتفي بذلك نقلاً .

١ — النبق : ثمر شجر السدر ، وهو من ألذّ وأطيب الأصناف التي يتفكه بها ، وله بعد يومين من قطفه رائحة عذبة فوّاحة ، ويكاد يكون النبق في كل سدرة ، يختلف في الطعم ، حلاوة وحموضة ، عن الأخرى ، والبغداديون يسمون السدرة التي تثمر نبقاً شديد الحلاوة : خستاوية ، تشبيهاً لها بالنخلة التي تثمر التمر الخستاوي (الخستوي) ، والسدرة التي تثمر نبقاً كبير الحجم ، يسمونها : أشرسيّة ، لمشابهة نبقها بالتمر الأشرسي ، وهو تمر كبير الحجم ، ومن أنواع النبق : الملاسي ، أي الذي لا نواة فيه ، والبغداديون ، يسمونه : الملّيسي ، والبغداديون يعجبون بالنبق اعجاباً عظيماً ، ويبالغون في اظهار الرغبة فيه ، ويحترمون شجرة النبـق ، ويقولون عنهـا ، انها علوية ، يكنون بذلك عن محبتهم لها واعتزازهم بها ، وحرمتها عندهم تمنعهم من قطعها ، حتى ان قوماً كانوا بصدد بناء دار لهم على أرض فيها سدرة ، فاضطروا إلى تغيير خارطة الدار ، كي لا يضطرون إلى قطع السدرة ، واذا كانت في احدى دور المحلة شجرة نبق ، اعتبر أهل المحلة انها تعود لهم جميعاً ، وانهم شركاء فيها ، ولا يستحون من المطالبة بحصتهم من =

فستق كأنّه خرزات جزع ، ولا طيناً خراسانياً كأنّه أفلاذ عنبر أشهب [1] ولا اللوز المقشّر ، ولا السكّر الطبرزد ، ولا قصب السكّر المقطّع المغسول بماء الورد ، انما أرى حنطة محمّصة ، قاشانية ، لأنّها ، من عزّها ، تحمل من قاشان ، غريبة والله ، ومشمشاً مقدّداً [2] ، وخوخ مقدّد ، وزبيب أسود [م٤٩] ، كأنّه بعر العنز ، وسمسماً مقلوّاً ، وباقلىّ منفوخاً .

= ثمرها ، وقد أحسن التوحيدي ، جداً ، في وصف النبق ، بأنّه كأزرار الحرير الملوّنة ، كما أحسن الذي وصف النبق بقوله : [الموسوعة التيمورية ٩٢] :

وسدرة كل يوم | من حسنها في فنون
كأنّما النبق فيها | وقد بدا للعيون
جلاجل من نضار | قد علّقت في الغصون

وكان البغداديون يتفاءلون بالنبق ، لاسمه الذي يشير إلى البقاء ، قال الشاعر :

أيا من ملك الرقّا | ولا أسأله العتقا
تفاءلت بأن تبقى | فأهديت لك النبقا

وأهدى ابراهيم بن المهدي ، إلى الخليفة المعتصم ، نبقاً ، وكتب اليه معه :

تفايلت أن تبقى فأهديتك النبقا

حذف الهمزة في التفاؤل ، وأبدلها بالياء ، على طريقة البغداديين ، وحدث أن التصقت كلمة تفايلت ، فأصبحت تفيلت ، فكتب اليه المعتصم : ما تفيّلتَ ، يا عم ، ولكن تبقّرت ، ويتخذ في جنوب الجزيرة العربية سويق النبق ، بأن يجفف ويقشر ويدق حتى يستحيل دقيقاً ، ويستعمل سويقاً بأن يوضع منه في قدح ويصب عليه الماء ويخاض ، وهو لحلاوته لا يحتاج إلى اضافة السكر أو العسل اليه.

١ ـ الطين الخراساني : ويسمى طين الأكل ، وكانوا يتنقّلون به ، راجع الموسوعة التيمورية (ص ٨٥) والموشى (ص ١٩٦) .

٢ ـ القدّ : القطع ، واللحم أو الفواكه المقدّدة ، هي التي تقطع وتجفّف ، والمشمش المجفف ، يسمى في بغداد : النقوع ، فصبحة ، أما الخوخ المجفف ، فلا يعرفه البغداديون الآن .

ولا أرى ـــ والله ـــ في جلسائكم رجلاً ظريفاً ، جميل المنظر ، بهيّ الرواء ، فــاخر الثياب ، مستطاب النــوادر ، حلواً في القلوب ، بريئاً من العيوب ، له خلق كالماء صفاءً ، وكالمسك ذكاءً ، أعذب من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زَمَن الورد ، غذاء الحياة ، وقوت النفس ، نسيم العيش ، ومادّة [ص٨٨] الأنس ، ينادم الملوك ، بطبع كالذهب المسبوك ، إن سولم أضحكت نوادره ، وإن خوشن عقرت بوادره ، ينشد شعراً في وصف قينة ، أو كأس ، أو صيد ، أو نزهة ، وإنّما أرى طفساً ، زهماً [١] ، غثّاً ، مغثّاً ، بارداً ، وخماً [٢] ، مفوّها بخرا أمّ الأصمعي ، متفيهقاً ، [٣] متقعّراً [٤] ، يشقّق الكلام ، إمّا في عويص اللغة ، أو يتبظرم [٥] بعلل النحو ، سلّط الله عليه العلل ، ولا أقاله منها ، معقود الأنف ، كأنّه يشمّ خرا ، شجىً في الحلق ، وشوكاً بين الأخمص والنعل .

ختم الاله على عيـــيّ لسانــه ختماً فليس على الكلام بقادر

١ ـــ الطفس : القذر ، والزهم : المنتن الرائحة .

٢ ـــ الوخم : الثقيل .

٣ ـــ المتفيهق : الذي يتفخم في كلامه ، قال الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراق للأمويين :

تفيهق بالعراق أبو المثنّــى وعلّم أهله أكل الخبيص

٤ ـــ المتقعّر : الذي يتشدّق ويخرج الألفاظ من أقصى فمه .

٥ ـــ التبظرم : تعبير محدث ، يطلق على المتشدّق المتفيهق المتعاقل ، الثقيل على النفس ، قال الشاعر : [معجم الأدباء ٣٣٠/٥] :

تبظــرم الشيــخ كلـــه ولست أرضى ذاك لـــه
واللـــه ان دام عـــلى هذا الجنـــون والبله
فانـــه أوّل مـــن ينتـــف منـــه سبله

وإذا أراد النطق خلتَ لسانـه لحماً يحرّكه لصيد نافـر

وإذا أصاب في كلمة أعجبته نفسه ، وشمخ بأنفه .

لو عابني سيبويه قلت لـه : خرا الكسائي في لحية الفـرّا

ما أرى — والله — في مجالسكم ، مطرباً ، معرباً ، مطبوعاً ، مغرباً ، يقول الشعر ، ويكسوه اللحن الصحيح ، ويغنّي به على الوتر الفصيح ، غناءً يرتفع له حجاب الأذن ، ويأخذ بمجامع القلب ، ويمتزج بأجزاء النفس ، غناء يحرّك النفوس ، ويرقص الرؤوس ، ويحـرض الكؤوس ، يملأ [ص٨٩] الآذان سروراً ، ويقدح في القلوب نوراً ، يشفي بغنائه [الأرواح] ، ويحثّ باطرائه[١] وإلهائه الاقداح، شكل[٢] التأنيث والتخنيث[٣] ، رخيم الصوت ، يغنّي :

يا نسيم الشمال من نحو بُصرى بأبي أنت ، لا نسيم الجنوب
أنت لمّا اعتللت داويت قلبي يا نسيم الصبا بريح الحبيب
فتماثلتُ من ضنىً كان يبكي كلّ يوم عليّ منه طبيـبي
يا فتـاة شبابها أمتـع اللّـ ـه بها حسنها عدوّ مشيبي
[م٥٠] إنّما أنت ظبية في كناس ليس ترعى سوى ثمار القلوب
إنّما أنت شمس دجن على طا قة آس مغروسة في كثيـب
اتّقي اللهَ وارحمي ضرّ شيـخ ورث الضرّ فيك عن أيّوب
وعَمِي بالبكا فيا يوسف الحسـ ـن أما تشتفين من يعقوب

١ — يقال : أطرى فلاناً ، أي أحسن الثناء عليه ، وبالغ في مدحه .
٢ — الشَكْل : الدلال والغنج ، جمال المنظر ، وشَكِلَ : كان ذا دلال وغنج .
٣ — الخنث : اللين والتكسّر ، بحيث يشبه أحوال النساء ، والمخنّث : اللين المتكسّر ، والمخنّث ، عند البغداديين الآن تعني الجبان حصراً .

أنظري هل ترين إلاّ محبّـــاً شاكياً وجده إلى محبوب

هذا — والله — شعر غنائه ، والقلوب — والله — من غنائه على خطر ، فكيف الجيوب [1] ، السكر على صوته شهادة ، وقعه في القلب موقع القطر في الجدب [ص٩٠].

غنّى فلم تبق فيّ جارحـــة إلاّ تمنّيت أنّها أُذُنُ

إنّما أرى جهماً [2] ضخماً ، ثقيل الغنا ، خارجاً عن الايقاع ، مظلم الخلق ، منقطع الحلق ، فاسقاً ، مفسوقاً به ، كبير السن ، متعالقاً [3] ، يخمد السرور ، ويفتّر النفوس ، لا معنى في جملته ، ولا فائدة في تفصيله ، خلديّ [4] ، صفعان [5] ، امّا خضيب اللحية ، أو أشمط [6] ،

---

١ — الجيب : طوق القميص ، ويسميه البغداديون الآن : الزيق ، فصيحة ، وانما أشار التوحيدي إلى الجيب ، لأنّه كان من المتعارف عند المتظرفين ، أنه اذا طرب أحدهم ، وتناهى به الطرب ، أن يقبض على جيب (زيق) ثوبه ، ويجذبه بيديه ، فينقد قميصه من قبل ، ويعود كالدراعة . أقول : الجيب عند البغداديين الآن ، يريدون به كيساً يخاط في جانب الثوب من الداخل ، ويكون لفوهته خرق في الثوب ، فيدس فيه صاحبه ما يحتاج اليه من منديل أو نقد .

٢ — الجهم : ذو الوجه العبوس الكريه .

٣ — المتعالق : الذي يتصرّف تصرف العِلْق ، وهو المؤاجر ، فيتثنى ويتلوّى ويتدلّل . قال الشاعر :

أنا في مقعـــد صـــدق بـــين قوّاد وعلـــق

٤ — سبق أن أوردنا في موضع آخر من هذا الكتاب أن قوله : خلدي ، كلمة شتيمة ، يعني انه من محلة الخلد التي كانت من قبل موضع قصور الخلفاء ، ثم انحطت لما انتقل العمران إلى الجانب الشرقي من بغداد ، فأصبحت محلة الخلد ملقىً للعيارين والسفهـــاء .

٥ — الصفعان : الذي يصفع ، والبغداديون يسمونه : مكفّخ ، فصيحة ، والكفخة : الصفعـــة .

٦ — الأشمط : أبيض شعر الرأس قد خالطه بعض السواد .

ضربه يوجب ضربه [1] ، إذا غنّى عنّى .

له إذا جاوب الطنبور محتفلاً
صوت بمصر وصوت في خراسان
عواء كلب على أوتار مندفة
في قبح قرد وفي آستكبار هامان

يصيح وينهق كأنّه الحمار : لا مران به به فرهود سال ، سال بلك السيل ، وحلّ بلك الويل ، يا سفلة ، أي : إنّ المدّ لم يكن في هذه السنة من الثلج ، يا ثلج ، يا سندان ، يا كلب ، أيش هذا من حدود الغنا ، سقلة ، بابرد ، زوج قحبة .

مغنّ يحشرج عند الغنـــاء
كأن قد تغرغر بالعوسج
أمن قلّــة الطير ذات الصفير
فزعتم إلى صرصر المخرج [2]

ما أرى — والله — مغنّية بغدادية ، كرّاعة عراقية [3] ، ولا زامرة زنامية [4] ، [ص٩١] ، كأنّها مرآة مجليّة ، ولا طبّالة عثعثيّة [5] ،

١ — الضرب الأول : الضرب على العود ، والضرب الثاني : الضرب بالعصا .
٢ — المخرج : المرحاض ، بيت الخلاء .
٣ — الكراعة : المغنّية التي تغنّي وهي تضرب على طبل صغير (الموسوعة التيمورية ٢١٣) .
٤ — الزامرة : التي تنفخ في آلات الطرب كالمزمار والقصب والناي . ونسبتها إلى زنام الزامر : كان يزمر بالناي للرشيد ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، وكان يضرب بزمره المثل ، حتى ان المغاربة كانوا يسمون الناي : زلامي ، نسبة إلى زنام الذي كان يزمر به ، توفي زنام سنة ٢٣٥ (شرح مقامات الحريري للشريشي ٢٨٢/١ ، ٢٨٣ والاعلام ٨٣/٣) .
٥ — الطبالة : التي تضرب بالطبل ، ونسبتها إلى عثعث الأسود ، المغني ، أحد ندماء المتوكل ، ترجم له صاحب الأغاني ٢١١/١٤—٢١٣ وكان أثيراً عند المتوكل، =

[ولا] صنّاجة سامرية (١) ، ولا رقّاصة أبليّة (٢) ، ولا عوّادة ردّادية (٣) ، خريجة شارية (٤) ، اسمها تحفة ، مرجان ، أقحوان ، حدايق ، زهرة ، قهوة [٥١م] فتون ، مشتهى ، تمنّي ، غواني ، مشتاق ، اشتياق ، خلوب ، ظلوم ، معجبة ، شكلة ، كأنّها شمس الضحى ، أو بدر الدجى ، أو لعبة من فضّة مصفّاة ، أو سحابة بيضاء ، أو بيضة مكنونة في دعص ، أو مهاة ، أو طاووس ، أو دمية في محراب ، أو دينار

= يحضر مائدته هو وزنام الزامر (الطبري ٩/٢٢٤ — ٢٢٨) وكان ممن حضر حفلة ختان المعتز (الديارات ١٥٤) كما كان حاضراً مجلس المتوكل ليلة قتل ، وأصابته اذ ذاك ضربة سيف ، ففرّ ناجياً بنفسه (الطبري ٩/٢٢٦ — ٢٢٨ والعيون والحدائق ٣/٥٥٥ و ٥٥٦ وابن الأثير ٧/٩٨) .

١ — الصناجة : التي تضرب بالصنج ، والصنج : صفيحتان من النحاس الأصفر ، تضرب الواحدة بالأخرى ، والبغداديون يسمونها : طاس ، وآلة بأوتار يضرب بها (الموسوعة التيمورية ٢٠٤) ، أما نسبتها السامرية ، فلعلها النسبة إلى سامراء .

٢ — الرقّاصة : التي ترقص ، والابليه : نسبة إلى الابلّة ، وهي بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى ، أو انّها من الابليات اللواتي كنّ يرقصن ويغنّين في الأفراح ، راجع الديارات ١٥٢ ونشوار المحاضرة حـ ٧ ص ١٥٨ .

٣ — العوادة : التي تضرب بالعود ، ولم أتوصل إلى معنى النسبة في قوله : ردادية ، لأنه لو كان أراد بها الردّ ، لقال : ردّادة ، والردادون ، هم الذين يردّون أبياتاً يعقبون بها على غناء رئيسهم ، راجع بحث الرد في كتاب قاموس الموسيقى العربية لحسين محفوظ ص ١٨٠ .

٤ — شارية : احدى شهيرات المغنيات في العهد العباسي ، أخذت الغناء عن ابراهيم ابن المهدي ، ثم انتقلت إلى بلاط المعتصم ، فالواثق ، فالمتوكل ، فالمعتز ، ثم اختصت بصالح بن وصيف ، ولما قتل استترت ، ثم ظهرت وعادت لها مكانتها الأولى ، وعمّرت في عز وجاه ، وكان أهل سامراء في أيامها متحازبين ، حزب معها ، وحزب مع عريب ، وكان الواثق يسميها : ستّي ، وأراد المعتز أن يتحف =

مشوّف [١] ، أو كوكب الصبح ، أو لؤلؤة الغوّاص ، ذات فرع وارد [٢] ، وفم بارد ، وثدي ناهد ، وقدّ مائد ، نصفها قناة ، ونصفها نقا ملتبد .

إذا نَهَضَتْ ، نصفٌ قناةٌ قويمــةٌ
ونصفٌ نقا [٣] يرتجّ أو يتموّر

تخطو عــلى قدمين لطيفتين ، فوقهمــا ساقان خدلان [٤] ، كالبرديّتين [٥] ، ترقل إرقال المهرة العربيّة [٦] ، كأنّها قبجة [٧] ،

= عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، لما زاره ، فأسمعه غناء شارية ، فأعجب بها اعجاباً عظيماً ، وكان المعتمد العباسي ، عظيم الثقة بشارية ، لا يأكل الا ما تعده له من طعام ، فمكثت دهراً تعد له في كل يوم جونتين ، كان طعامه منهما ، راجع أخبار شارية في الأغاني ١٦/٣ – ١٦ ولها أخبار متناثرة في كتاب الأغاني .

١ — الدينار المشوّف : المجليّ المصقول .
٢ — الشعر الوارد : الطويل المسترسل .
٣ — النقا : القطعة المحدودبة من الرمل ، والبيت لذي الرمة ، وروايته في ديوانه :
ترى خلفها نصفاً قناة قويمــــة ونصفاً نقا يرتجّ أو يتموّر
٤ — الساق الخدلة : الممتلئة .
٥ — أراد بتشبيه الساقين بالبرديتين ، الاعتدال والالتفاف .
٦ — الارقال : ضرب من السير ، ومنه سمي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، هاشم المرقال ، لأنه كان يرقل في مشيه في ساحة المعركة ، وهاشم هذا من أبطال صفين ، كان مع الإمام علي في حروبه ، لما خرج عليه معاوية وحاربه ، وكان يحمل الراية ويرقل بها ارقالاً ، والامام عليّ ينخسه في ظهره ، ويقول له : تقدّم يا أعور ، فكان يتقدم وهو يرتجز :
أعور يبغي أهلــــه محــــلا قد مارس الحياة حتى مــــلاّ
لا بدّ أن يفلّ أو يفلاّ
٧ — القبج : طائر يشبه الحجل ، والبغداديون يسمونه : هكلك، ويحمل من شمالي –

أو قطاة بريّة ، أو حمامة راعبيّة [1] ، تحكي اطّراد الغدير ، وتمايل الغصن النضير ، كأنها تخطو على البيض أو على القوارير ، خمصانة ، حابوطية الكمّين [2] ، يثقلها كبر عجيزتها [ص٩٢] .

وتنوء تثقلها عجيزتها ... نهض الضعيف ينوء بالوسق

آخر

إنّ ردف الفتاة عجنة خبّاز ... وقدّامها من الأدم جبنه

= العراق ، ويتألفه الناس في بيوتهم ، وهو اذا ألف الموضع حامى عنه ، ونقر الغريب اذا دخل وليس معه أحد من أهل البيت .

١ ـ الحمام الراعبي : جنس من الحمام ، يقتنيه الناس في بيوتهم ، ولأبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني ، قصة عن زوج حمام راعبي عنده ، تحدث بها في مجلس الوزير المهلبي ، وتفصيل ذلك ، أن أبا القاسم الجهني ، كان يصحب الوزير المهلبي ، وكان فاحش الكذب ، يورد من الحكايات ما لا يعلق بقبول ، ولا يدخل في معقول ، وكان المهلبي قد ألف منه ذلك ، وسلك معه مسلك الاحتمال ، فلما كان في بعض الأيام ، جرى حديث النعنع ، وإلى أي حدّ يطول ، فقال الجهني : في البلد الفلاني ، يتشجّر ، حتى يعمل من خشبه السلاليم ، فاغتاظ أبو الفرج الأصبهاني من ذلك ، وقال : نعم ، عجائب الدنيا كثيرة ، ولا يدفع مثل هذا ، وليس بمستبعد ، وعندي ما هو أعجب من هذا وأغرب ، وهو زوج حمام راعبي ، يبيض في نيف وعشرين يوماً بيضتين ، فانتزعهما من تحته ، وأضع مكانهما صنجة مائة وصنجة خمسين ، فاذا انتهت مدة الحضان ، تفقّست الصنجتان عن طست وابريق ، أو سطل وكرنيب ، فعمّ الحاضرين الضحك ، وفطن الجهني لما قصده أبو الفرج ، وانقبض عن كثير مما كان يحكيه ويتسمح فيه ، وان لم يخل في الأيام ، من الشيء بعد الشيء منه .

٢ ـ الحبط : الانتفاخ ، والأكمام : الأردان .

كأنّ عنقها عنق ظبي ، وكأنّ لبّتها سبيكة الفضّة أو الجمّار ، وكأنّ ثدييها حقّا عاج ، منقّطان بالمسك .

أقـاتلتي بانكسار الجفـــون ومستوفزين على معصر
كحقّـين من آبِ كافـورة برأسيهما نقطتـــا عنبر

آخـــر

كأنّمـــا رمّانـــتي صدرها حسناً وطيباً حقّتا عطر

آخـــر

تأبى الروادف والثديّ لقمصهـــا
مسّ البطونَ وأن تمسّ ظهورا [1]

دونهما بطن خميص أبيض ، كالعاج المخروط ، قد اكتنفته

١ ـ لهذا البيت أخ ، وهو :
وإذا الرياح مع العشيّ تناوحـت نبّهن حاسدة وهجن غيورا
أراد بالبيتين أن ثدييها الناهدين يرفعان ثوبها فلا يمس بطنها ، وان عجيزتها ترفع ثوبها فلا يمس ظهرها ، فاذا هبّ هواء العشي ، ألصق ثوبها على بطنها ، فبان نهود ثدييها ، وألصقه على ظهرها ، فبرزت عجيزتها ، فهاج ذلك من حسد النساء لها ، ومن غيرة زوجها لظهور مفاتنها للناس ، وقد حام المتنبي حول هذا المعنى ، ولم يبلغه ، في قوله :
ديار اللــواتي دارهنّ عزيــزةٌ بطول القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثني يصنع الوشي مثلــه إذا مسن في أجسامهن النواعم
واشتهر في الحلّة ، قبل ثمانين سنة ، أغنية تقول :
دايــر عزيزي جْديدْ ويكشكشنّه
ضيّق على النهدين يعــزل الفنّـــه
والعزيزي نوع من القماش ، والفنّه : العجيزة .

عكن [١] كالطوامير المدرّجة ، مطوية كأنّها زنانير معقودة ، وكشح كالجديل [٢] ، وسرّة محقّقة [٣] غائصة ، كأنّها مدهن غالية ، تحتها — والله — أفخاذ ممتلئة ، كأفخاذ البخاتي ، غضّة ، بضّة [م٥٢] ، ملساء كالفضّة ، ناعمة ليس عليها [ص٩٣] زغبة ، بينها — والله — شيء كأنّه الدنيا إذا أقبلت ، كالطلع ، رابي المجسّة ، غليظ الشفتين ، وارد الجبين ، كأنّه عروس قد تصدّرت في حجلتها [٤] .

نظيفٌ قد نضا المنقاش نتفـــاً   نبات الشعر عنه فهو عـــار

كأنّه ليّة كبش معلوف صلابة وليناً ، خلفه ردف — آه ثمّ آه — كالكثيب ، أو جونة مسك ، أو عجنة حوّارى ، أو مخدّة قباطيّة ، محشوّة بريش الصعو .

فقحتهـــا فوق طاق كعثبهـا   كأنّهـــا قبّـــة على أزج

هيفاء ، لفّاء ، تنظر من عَين عِين ، تجرح بطرف كحيل ، وتزهو بخدّ أسيل ، مرض طرفها يمرّض القلوب ، ويحسّن الذنوب .

وكأنّهـــا وسنى اذا نظـــرت   أو مدنف لمّا يفق بعد

آه على تلك القدود والنهود .

نواهد لا ترى فيهنّ عيبـــاً   سوى منع المحبّ من العناق

---

١ — عكن البطن : ما انطوى وتثنّى منها .
٢ — الكشح : ما بين السرّة ووسط الظهر ، والجديل : الحبل المفتول .
٣ — يريد بالمحقّقة : انها كالحقّة .
٤ — الحجلة : ستر يضرب للعروس ، في جوف البيت ، تجلس فيه .

على خدّها الأيمن خال [1] ، القلوب منه بخال [2] ، كأنّه نقطة زاج [3] ، على صفيحة عاج [ص٩٤].

ترى خدّها المصقول والخال فوقه
كورد عليه طاقة من بنفسج

بثغر كالأقحوان [4] ، وشفتين كالمرجان ، أو الأرجوان ، وشارب كخضرة الريحان .

شاربٌ من زبرجدٍ وثنايا	من أقاحٍ وريقةٌ من عُقار

تفترّ عن ثغر كالبرد ، أو بارقة الغمام ، لها نكهة كالمسك ، ذرّ على ماء العناقيد .

نكهتها [5] عنبرٌ وغالية	وثغرها لؤلؤٌ وكافور

آخر

قينة بيضاء كالفضّـ	ـة سوداء القرون
أقبلت مختالةً بيـ	ـن مها حورٍ وعين
لم يصبها مرض ينـ	ـهك إلاّ في الجفون

والهفاه على تلك السوالف [6] والخدود ، والغدائر الجعدة السود ،

١ ــ الخال : الشامة أو النكتة السوداء في الخد أو البدن .
٢ ــ الخال : الثوب الذي يوضع على الميت يستّر به .
٣ ــ الزاج : وهو الملح اليماني ، من أخلاط الحبر .
٤ ــ الأقحوان ، وجمعه أقاح : نبات أوراق زهره صغار مفلّجة ، من أجمل أزهار الحدائق بألوانه وأشكاله المتعددة ، تشبه به الأسنان .
٥ ــ النكهة : رائحة الفم .
٦ ــ السالفة : صفحة العنق عند معلق القرط ، أقول: لما كان شعر الصدغ ينسدل على =

[م٥٣] عمر الفاسق [1] الذي كان قبلي

للغــواني بشعـــره خــلاّبــا

لو رأى وجهها اذا فتحوا البــا

ب وقيل ادخلي وشــالوا الحجابــا

وعليهـــا وقايــة نسج الحـــا

ثك في مصر طرزها لبلابا [ص٩٥]

وهي تلوي نقابهـــا ببنـــانٍ مشرق اللون يشبه العنّابا

ببنان مثل المدارى لطـــافٍ وبما سوّدت عليها الخضابــا

= السالفة ، فقد سمي سالفة ، ثم حرّف فأصبح اسمه : الزلف .

١ — يريد به عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، المجلّي بين شعراء الغزل في العربية ، ولد سنة ٢٣ وتوفي غازياً سنة ٩٣ ، ولعمري ما أنصفه الشاعر اذ سماه الفاسق ، فقد كان عمر كما وصف نفسه :

اني امرؤ مولع بالحسن أتبعـــه لا حظّ لي منه إلاّ لذّة النظر

شأنه في ذلك ، شأن آخرين من الشعراء المجلّين في الغزل ، كالعباس بن الأحنف القائل :

هل تأذنون لصبّ في زيارتكـم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوءان طـال الجلوس به عفّ الضمير ولكن فاسق النظـر

وكان السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي، طيّب الله ثراه ، من علماء الدين الأعلام ، آية في العلم والفضل ، زاهداً ، ناسكاً ، وهو القائل :

لا تخـل ويك ومـن يسمع يخل انني بالراح مشغوف الفؤاد
أو بمهضوم الحشا ساهي المقـل أشبهت قامته سمر الصعـاد
أو بربّـات خدور وكلـل يتفنّنّ بقـرب وبعـاد
إنّ لي من شرفي بـردا ضفـا هو من دون الهوى مرتهـني
غير أنّي رمـت نهج الظرفـا عفّة القلب وفسـق الألسن

والجــواري الروم العذارى يخبّبـ ن [1] عليها قبل الغداة الثيابا
كسفت بهجة الهــلال وقــد لا حَ وقامت مقامه حين غابــا
كان لا يؤثر الثريّــا ويدعو الـ ـربّ للوقت أن يميت الربابا [2]

تدخل المجلس ، تعطّره من نسيمها بالمسك الأذفر ، والكافور والعنبر .

يفضــــل عنهــا قميص لاذ معصفر اللون جلّناري [3]
تحـــت عطــاف بنفسجيّ سكبٍ خفيف مثل الغبار [4]

أو تجيء عليها غلالة جري الماء [5] ، وسراويل شقّ المرارة [6] ،

---

١ ــ تخبيب الثوب : تقطيعه وتفصيله .
٢ ــ يقول : إنّ عمر بن أبي ربيعة لو رآها لفضّلها على حبيبتيه اللتين تغزّل بهما ؛ الثريا والرباب .
٣ ــ قميص اللاذ : ثوب الحرير الأحمر ، والمعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو صبغ أصفر اللون ، والجلنار : زهر الرمان : فارسية .
٤ ــ العطاف : الرداء الذي يقع على العطفين ، أي على ناحيتي العنق ، والسكب : الثوب الرقيق .
٥ ــ الغلالة : ثوب رقيق شفاف يلف البدن ، راجع في وصفها معجم الألبسة لدوزي ٣١٩ ــ ٣٢٢ ، وقوله : جري الماء ، أي ان الغلالة في نسجها تموّج يشابه الماء الجاري .
٦ ــ السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من البدن ، والكلمة تقال للمفرد ، والجمع : سراويلات ، وقال صاحب شفاء الغليل ١٠٥ : سرويل : فارسية ، شلوار . أقول : البغداديون يقولون : شروال ، ويريدون بها نوعاً من السراويل يلبسها أهالي سعرت وماردين ، وشق المرارة : لون يختلط فيه الأصفر بالأخضر ، قال الشاعر :

شققنا مرائــر قــوم به لذلك سمّي شقّ المرارة

وتكّة إبريسم خضراء سلقيّة ، من أجنحة طيفيّة ، من عمل الجواري ، وهي معتجرة برداء قصب عودي [1] ، دقيق الاعلام والطرز ، عليه تزايين أحسن – والله – من تحاسين الصين ، مطوياً أربع طاقات ، فوق كوز ذهب مشرق [2] ، كاستدارة الرحى ، مرصّع بالزبرجد الأخضر ، والياقوت الأحمر ، وفي عنقها [ص٩٦] سبحة عنبر شحري ، وصندل مقاصيري ، مفصّل من الحبّ الكبار ، بما يعادل ألف دينار ، والجواري يحملن ثيابها ، ويشلن ذيولها ، وهي كالمبهورة ، من وثارة لحمها ، وترف شحمها ، واهتزاز كفلها ، وتدملج ساقها ، كأنّها خوط بان على نقا ، أو غصن في دعص ، أو قضيب ذهب ، تمشي كالظبية المذعورة من القنّاص ، وقد أتلعت جيدها لروعة قانص .

مشي المهــــاة إلى الريــــاض   أو القطـــــاة إلى الغدير
كأنّ أخمصها بالشوك منتعل

كأنّ تلألؤ الحلي في صدرها ، وميض برقٍ في غمام ، أو مصابيح تلألأ في ظلام ، أو زهر الربيع وقد تجرّد من الأكمام ، أو كواكب الجوزاء لاحت ، كأنّما نيطت بلبّتها الثريّا ، كأنّ سوارها هلال ينير ، وخلخالها لهب مستدير .

[٥٤] لو لم يكن من بَرَدٍ ساقها   لأحترقت من نار خلخالهـــا

فتجلس ، ويمدّ في وجهها إزار قصب أبيض رقيق ، وهي [ص٩٧] من ورائه في إزار أزرق ، إلى أن تبلغ القلوب الحناجر ، فحينئذ تقبض

١ – الاعتجار لفّ المعجر على الرأس ، والمعجر : ثوب تلفّ به المرأة رأسها ، وثياب القصب : ثياب تتخذ من الكتان رقاق ناعمة . وقوله : عودي ، يعني بلون العود .
٢ – الكوز : اسم لهنة مستديرة كالأسطوانة أو المخروط ، تضعها المرأة على رأسها ، كالقلنسوة ، وتعتجر عليها .

حافظتها [1] الإزار إليها ، فتبدو متنقّبة ، لا يرى منها إلا المحاجر [2] ، تحت المعاجر ، وإلاّ طرّة سكينيّة [3] ، وأطراف ذوائب كأنّها النايات السود ، في أيدي الزمّار ، أو أساود ملتفّة ، أو حبال مضفورة ، أو قنوان [4] النخل ، أو عناقيد الكرم ، والاصداغ كالعقارب ، مع بياض خدّها ، كالسبج في العاج ، أحسن من العافية في البدن ، فنضرع إليها

١ ــ الحافظة ، وتسمى أيضاً الرقيبة : رفيقة للمغنّية ، تصاحبها اذا خرجت للغناء ، وتكون على الأكثر من العجائز ، وقد يكون الحافظ خادماً ، أي خصياً ، راجع في نشوار المحاضرة للتنوخي حـ ٤ ص ١٤٣ رقم القصة ٦٩/٤ قصة الرقيبة الّتي كانت أجمل وجهاً من المغنّية ، وكانت عريب المغنية ، ترافقها رقيبة اسمها مظلومة ، جميلة الصورة ، فقال فيها الشاعر :

لقد ظلموك يا مظلـــــوم لمـــا   أقاموك الرقيب على عريـــب
ولو أولوك انصافــاً وعـــدلاً   لما أخلوك أنت من الرقيـــب

راجع في الأغاني ١٧٥/٧ قصة الحسين بن الضحاك الشاعر ، وما قاله في نجح الخادم الذي كان يحفظ المغنية فتن ، وكان الجمّاز يتعشّق جارية يقال لها : طغيان ، وكان حافظها خادم اسمه سنان ، وكان يتعشّق الجارية أيضاً ، ويمنع الجماز من الدنو منها ، فقال : [المحاسن والمساوىء ٢٠٩/٢] :

ما للمقيـــت سنان   وللظبـــاء الملاح
أليس زان خصــيّ   غـــاز بغير ســلاح

٢ ــ المحجر : ما دار بالعين .

٣ ــ الطرّة السكينية ، أو الجمة السكينية : نسبتها إلى السيدة سكينة بنت الإمام الحسين الشهيد عليه السلام ، وكانت السيدة سكينة أجمل الناس شعراً، وكانت تصفّف جمّتها تصفيفاً لم ير الناس أحسن منه ، حتى عرف ذلك وشاع وقلّده الناس ، وسميت : الجمة السكينية ، وكان عمر بن عبد العزيز ، أمير الحجاز ، إذا رأى رجلاً يصفف جمّته السكينيّة جلده وحلقه (الأغاني ط بولاق ١٦٥/٤) .

٤ ــ القنوان : العذق .

بِوَلَّهِ القلوب ، ولهب النفوس ، وهي تتشاجى ، وتتدلّل ، بحديث كلذّة النشوان ، أو زهر الجنان ، أو صوب الغمام ، أو جنى النحل ، أعذب من الماء الزلال ، وأعلق بالنفوس من السحر الحلال .

وحديثها السحر الحلال لو أنّه
لم يجن قتل المسلم المتحرّز
إن طال لم يملل ، وإن هي أوجزت
ودّ المحدَّثُ أنّها لم توجز
شرك النفوس ، ونزهة ما مثلها
للمطمئنّ ، وعقلة المستوفز [1]

آخر

وحديث ألذّه هو مما
يفتن العاشقين يوزن وزنا [ص٩٨]
منطق صائب ، وتلحن أحيانا ، وخير الحديث ما كان لحنا[2]

آخر

حديث لو أنّ اللحم يترك فوقه
غريضاً [3] ، أتى أصحابه وهو منضج

آخر

وبتنا على رغم الحسود وبيننا
حديث كريح المسك شيب به خمر

١ ـــ العقلة : ما يعقل به أي ما يربط به ، والمستوفز : الذي يقعد غير مطمئن ، كأنّه يتهيأ للوثوب . والأبيات لابن الرومي (ديوان المعاني ٢٤٢/١) .
٢ ـــ البيتان لأسماء بن خارجة .
٣ ـــ الغريض : الطري ، ويريد به هنا : النيء .

حديث. لو أنّ الميت نـودي ببعضه
لعاد صحيحاً بعد ما ضمّه القبر

آخر

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح : هيا ربّا

آخر

[م٥٥ب] إذا هنّ ساقطن الأحاديث خلتها
سقاط حصى المرجان من كفّ ناظم

إلى أن تكاد تقطع نياط القلوب ، ثم تحسر النقاب عن درّة الصدف ، لا بل كما انكشف السحاب عن الشمس ، المستغاث بالله .

أعن البدر عشاءً رفعت تلك السجوف [ص٩٩]
أم عن الشمس ضحى زا ل نقابٌ أو نصيف (١)
أم على ليتي (٢) غزال علّقت تلك الشنوف (٣)
أم أراني الحسين ما لم يره القومُ الوقوف
إنّ حكم الأعين النجـ ـل على قلبي يحيف

آخر

لا تبرزي والشمس طالعة فيشكّ أهل الأرض في الشمس

---

١ ـ النصيف : من البرد ما له لونان .
٢ ـ الليت : صفحة العنق .
٣ ـ الشنوف : الحلي التي تعلّق في الآذان .

ثم تحسر النقاب عن خدّ كالورد ، والخمر ، والتفّاح ، والشقيق ، والجلّنار ، والمشتّري في الأسحار ، والورد في الأشجار .

روحــــي الفداء لوجنـــــة   كالخمر واللبن الحليـــــب

فتلحظ الندماء بعين كأنّهما رنّق [أجفانها] النعاس، أو فتّر ألحاظها السكر .

بفتور عين ما بهـــا رمـــــدٌ   وبها تداوى الأعين الرمد
وكأنّها وسنى إذا نظـــــرت   أو مدنف لمّـــا يفق بعــــد

آخـــر

وكأنّهـــا بين النساء أعارهـــا
عينيه أحور من جآذر جاسم [ص١٠٠]
وسنان أقصده النعاس فرنّقـــت
في عينه سِنَةٌ وليس بنائم (١)

تحت حاجبين كقادمتي خطّاف ، أو خطّ النون .

وجبينها صلت (٢) وحاجبهـــا   شخت المخطّ أزجّ ممتدٌ (٣)

وتبرز معصماً كأنّه نجم يلوح ، وكفّاً كالجمّار ، أو سبيكة الفضّة ، وتتناول عوداً من عودٍ أو ساج ، منقوشاً بالعاج ، في خريطة ديباج ،

١ ــ البيتان لعديّ بن الرقاع .
٢ ــ الجبين الصلت : الواضح .
٣ ــ الشخت : الضامر من غير هزال ، والأزجّ : الدقيق في طول .

وتجس أوتاره بأنامل كأنّها مساويك إسحل [1] ، مطرّفة بالعنّاب [2] ، أو قوادم حمامة ، أو أنابيب لؤلؤ ، أو مدارى فضّة [3] ، أو أقلام لجين ، مقمّعة بالعقيق .

[م٥٦] أثمرت أغصان راحتهـا   لجناة الحسن عنّابـــا

آخـــر

ولها بنـــان لـــو أردت لـــه   عقداً بكفّـك أمكن العقد

آخـــر

لطيفة طيّ الكشح تسند عودها   إلى ناجم في ساحة الصدر فالك [4]
اذا هي مالت في الشفـــوف أضاءهـــا   سناها فشفّتْ عن سبيكة سابك [ص١٠١]

منظر يختلس فؤاد من أبصره ، ويستغيث العود إلى من نجره ، ثم تجسّه ببنان كالبلّور ، مقمّع بالمرجان .

في كفّ جارية كأنّ بنانهـــا   من فضّة قد قمّعت عنّابا

١ ــ المسواك ، وجمعه المساويك : أعواد بيضاء معتدلة ، أشبه شيء بالأصابع ، يستاك بها من أجل تنظيف الأسنان وجلائها ، والأسحل : شجر تتّخذ منه المساويك .
٢ ــ مطرّفة بالعنّاب : يريد أنّ رؤس أصابعها محنّاة أي مخضوبة بالحناء .
٣ ــ المدرى : أداة تشبه القلم تتخذ من الخشب أو المعدن أو العاج ، تلفّ به خصل الشعر لكي تتجعّد ، أو لتحبس على شكل معين في الطرّة أو الشابورة ، قال عمر ابن أبي ربيعة :

أشارت بمدراها وقالت لأختهـــا   أهذا المغيريّ الذي كان يذكر
لئن كان ايّاه لقد حال بعدنـــا   عن العهد والانسان قد يتغيّر

٤ ــ الناجم : البارز ، ويقال : فلك ثدي المرأة ، إذا استدار .

وكأنّ يمناها إذا عبثت بـــــه   تلقي على يدها الشمال حسابا [1].

وتفتتح غناءً أعذب من تيّار الفرات في أيّام الزيادات ، غناء تستنزله من الرأس ، وتستقبله بضفو الصدر ، وتفيته في مجاري الحلق ، وتكسره في مجاري النَفَس .

ليس تخفى أنفاسهـــا إنّهـــا أنـــ   ـفاس مهضومة الحشا خمصانه

ثم تبتدىء نشيداً [2] :

يا من إليها من جورها الهرب   رَدُّ فؤادي أقلّ ما يجب
ردّي فؤادي إن كنت منصفةً   ثم إليك الرضى أو الغضب
يا من عليها إن متُّ وزر دمي   ومَنْ إليها الحياة والعطب
طلبتِ قتلي ، فلم أفُتْكِ بـــه   سبحان من لا يفوته الطلب

وتتبعه ببسيط [3] :

يا صحيـــح القلـــب قلـــبي   منك مجروح عليل [ص١٠٢]
يا كثـــير الغـــدر صبري   عنك مذ غبت قليـــــل
يـــا عزيــــزاً أنا ما عشـــ   ـتُ له عبـــدٌ ذليـــــل
كـــلّ شيء منك عنـــدي   فبـــه الضدّ بديــــل

ثم تعود فتنشد :

[م٥٧] إلاّ أراك إذا ظلمـــــ   ـتَ فقد يراك اللهُ ربّك

١ — يريد ان يدها اليمنى إذا ضربت بالمضراب (الريشة) على أوتار العود ، تحركت أصابع يدها اليسرى على الأوتار كأنّها تحسب .
٢ — النشيد : ما يبتدىء به المغني من الغناء ، راجع قاموس الموسيقى العربية ص ٢٤٠ .
٣ — البسيط في الغناء ، يتلو النشيد (قاموس الموسيقى العربية ١٥١) .

إصنع – فديتك – ما تحـــبّ وجــدتّ إنسانـــاً يحبّك
الله يعلـــم أيـــن قلــــبي من هواك وأين قلبك

ثم تتبعه بهزج [1] :

وشـــادن بخلقـــه دليـــل فينا على قدرة الحكـــيم
يفعل بالشمس في ضحاهـــا ما تفعل الشمس بالغيـــوم
يعلّـــم الغصـــن وهـــو يمشي تثنّي الغصن في النســـيم

هناك ، لا تسمع – والله – إلاّ شهقة عالية ، ولا ترى إلاّ مقلة دامية ، وإلاّ جيباً مشقوقاً ، وفؤاداً يطير خفوقاً .

هذه أحوال لا أراها بأصفهان ، إنّما أرى قردة [ص١٠٣] كأنّها مسورة عرضيّة [2] ، أو غول طلع من بزيّة ، لها شعر من فضّة ، وثغر من ذهب ، بشَعْرٍ كالعهن المنفوش [3] ، ووجهٍ كالميت المنبوش ، وأطراف المساويك ، تنبي عن مساويك .

ريقـــةٌ لو تمجّ مجّـــاً على الأفـــعى لباتت بليلة الملـــدوغ

---

١ – الهزج في الغناء يلي البسيط ، والهزج هو الذي تتوالى نقراته ، نقرة ، نقرة ، راجع في أوزان الغناء مقدمة الجزء الأول من كتاب الأغاني للأصبهاني ، طبعة دار الكتب ، والموسوعة التيمورية ١٦٧ – ٢٢٦ والجزء السادس من العقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب قاموس الموسيقى العربية للدكتور حسين محفوظ .

٢ – المسورة : المخدّة التي يضعها الانسان خلفه إلى الحائط ، يستند اليها اذا جلس على الفراش ، وتكون عادة محشوّة حشواً تارزاً وفيها طول وعرض وارتفاع ، أما قوله : العرضية ، فالنسبة فيها للعرضي ، وقد أسلفنا الحديث عنه ، وهو الذي يسميه البغداديون الآن : الأرسي .

٣ – العهن : الصوف .

آخـــر

ولـــو تنكـــه [1] في صلـــد صفا لانفطــــر الصلــد

آخـــر

واسعــــة الفم عجوز لهـــــا في ريقها من سلحها مرجة [2]

آخـــر

دفعـــت في استهـــا الأيـــو ر إلى حلقهــــا الخـــرا

كأنّها طاقة نرجس .

فيقال : يا أبا القاسم أين يذهب بك ؟

فيقول : أخطأتُ أو أصبتُ ؟

فيقال : وكيف أصبتَ ؟

فيقول : نعم ، رأسها أبيض ، ووجهها أصفر ، وساقها أخضر [3] .

١ ــ النكه : التنفس ، والنكهة : ريح الفم .

٢ ــ المرج : الخلط ، قال تعالى : فهم في أمر مريج ، أي مختلط ، وقال : مرج البحرين يلتقيان ، ومنه أخذ المرج ، وهو الموضع الذي يكثر فيه النبات ويختلط ، أنظر مفردات الراغب مادة : مرج ص ٤٨١ و ٤٨٢ .

٣ ــ أخذ التوحيدي هذا الحديث ، عن كنايات الثعالبي (ص ١٧) قال : حدثني أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : طلب رجل غريب ببغداد امرأة حسناء يتزوّجها ، فقالت له دلالة : عندي هنا امرأة كأنّها باقة نرجس ، فخطبها ، وتزوّجها ، فلما دخل بها ، اذا هي دميمة ، فدعى بالدلالة ، وقرعها على كذبها ، فقالت : ما كذبتك حين قلت لك كأنها باقة نرجس،وإنما كنيت عن صفرة وجهها ، =

مخلوجة الأنف إلى داخـــل [1]   في وجهها ناتئة البظـــــر

[م٥٨] ويحكم ، أعجبكم هذا ؟ ما من شيء — والله — حسن محمود ، إلاّ وفيها منه شبه أو معنى موجود ، لها من البدر كلفه [2] ، من الدرّ صدفه ، ومن الدينار قصره.وصفرته ، ومن السحاب ظلمته، ومن الأسد نكهته ، ومن الورد شوكته ، ومن الحمار صوته ونهيقه [ص١٠٤] ، ومن النار دخانه وحريقه ، ومن الجمل أسنانه ، ومن الثور ضخامة لسانه ، ومن الطاووس رجله وزعقته ، ومن الفهد خلقه ونفرته ، ومن الماء زبده وكدورته ، ومن النمر جرأته وفخّته [3] ، ومن الحمر خمارها ، ومن الدار كنيفها وآبارها ، المستغاث بالله ، لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم [4] ، تنظر من خرت إبرة [5] ، بحدقة كأنّها عنبة ذاوية ، في جفنها برص ، وفي جوفها رمص .

في كل يـــوم على محاجرهـــا   شياف اينو سما مع الحضض [6]

= وبياض شعرها ، وخضرة ساقها . وراجع كذلك كنايات الجرجاني ص ٦٨ والبصائر والذخائر ٢٤١/٤ .

١ — الخلج : الجذب .

٢ — الكلف : ندب في الوجه من غير لونه ، كالسواد في الصفرة .

٣ — في الأصل : وقحته ، واحسب أن الكلمة مصحّفة ، وصوابها: وفخّته ، لأن النمر لم يشتهر بالقحة ، وإنما اشتهر بجرأته وفخّته ، والفخّة: صوت يصدر مثل غطيط النائم .

٤ — ١٠١ — م المائدة ٥ .

٥ — خرت الأبرة ثقبها ، والبغداديون يسمونه : خرم الابرة .

٦ — الشياف : الدواء الذي يستعمل للعين ، واينوسما : داء في العين أعراضه غلظ في الأجفان عن مادة غليظة رديئة أكّالة بورقيّة ، تحمر لها الأجفان وينتثر الهدب ، ويؤدي إلى تقرح أشفار أجفان العين ،ذكره الشيخ الرئيس ابن سينا في القانون=

آخـــر

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينهـــا
وان عالجته كان فوق المحـــاجر

تحت حاجبين ينسج منهما غرائر ، ويعقد شعرهما ضفائر .

وفي حاجبيهـــا ان جززت غـــرارة
وان حلقا كانا ثـــلاث غرائـــــر

وترقوة كأنها معلف شاة ، وثديان أحدهما كالقربة المدهقة ، وآخر كالبلوطة المحرقة .

وثديـــان اما واحـــد فكمـوزة   وآخر فيه قربة لمســـــافر

آخـــر

فواحد عنـــــد راس ركبتهـــا   كأنّه قربة من القرب [ص١٠٥]
وآخـــر عند عظـــم لبّتهـــــا   كأنّـــــه صعوة بلا ذنـــب

دونهما بطن في قدر الدنّ ، تشمله أعكان رهلة ، كتلافيف الشنّ[١] ، رخوة قد غطّت فخذيها ، كأنّها بطن بقرة حامل .

وبطن لها رخوة كالوطــــاب   تزيد على كرش الأكرش
كأنّ الثآليـــل[٢] في وجههـــا   اذا سفرت بدد الكشمش [٣]

= ١٣٢/٢ ووصف له شيافاً ، والحضض : دواء يستعمل للعين ، ذكره الشيخ الرئيس في القانون ٣١٢/١ وابن البيطار في جامعه ٢٣/٢ .

١ ـــ الشن : القربة الخلقة الصغيرة ، وتلافيف القربة : أجزاؤها الملتفة والملتوي بعضها على بعض .

٢ ـــ الثؤلول : وجمعه : الثآليل : حبات تنبت في الجلد ، والبغداديون يسمونه : فالول ، مفرده : فالولة .

٣ ـــ ورد الشعر في الحماسة .

[م٥٩]رسحاء [1] كأنها ضفدع ، كأنّما لحسها من خلفها الذيب ، أو أكل لحم أليتها السياط والشيب [2] .

وأرسح من ضفدع غثّـــــة تنقّ على جانب الحائر [3]

آخـــر

رسحاء مبعرها في أصل عصعصهـــا
كأنّه بربخٌ في حائـــط خرب

لها حرٌ ، كأنّه ظلف غزال ، وساق يلتوي من الدقة والهزال .

لها كعثب مثـــل ظلف الغزال أشدّ اصفراراً من المشمش
وساق مخلخلهـــــا أحمشٌ كساق الجرادة أو أحمش [4]

آخـــر

ما شقّها النيك عـــــلى أربـع إلاّ من الطاق إلى الطـــــاق
في جوفهـــا شوطـــان للشنفـرى وللفتى عمـــرو بن بـــرّاق

نعم ، وتبرز كفّـــاً ككفّ ضبّ ، فيها أظفار كأنّها مخالب باز ، [ص١٠٦] ، وتتناول دفّاً [5] كأنّه شنّ بال ، وتبدي ذراعاً كأنّه ذنب ملعقة ، لا بل ذنب مغرفة .

فأرى مثـــــل هـــــذه في الزوايـــا مكـــوّره

١ ــ الرسح : قلة لحم العجيزة .
٢ ــ الشيب : السوط .
٣ ــ الحائر : المنطقة التي تضم قبر الحسين عليه السلام بكربلاء .
٤ ــ الحمش : دقة الساق .
٥ ــ الدف : من آلات الطرب .

ذات عـــين كليلـــة ولحـــاظ مذكـّــره
ثـــم تبـــدي نقابهـــا عن عجـــوز مزوّره
عـن عجوز مأكولـة الـ وجه أيضاً مجـــدّره
بنـت تسعـين في الحسـا ب وعشر محـــرَّره
ولأسقاطهـــا الـذي نبذتهـــنّ مقـــبره
بجبـــين معكّــنٍ وثنـــايـــا مكسّره
وبريـــق مطحلـــبٍ ولهـــاة مزنجـره
ونســـيم كأنّـــه روث خيـــل مضمّره
ونـــواة كأنّهـــا أذن فيل ممعّـــره [1]

آخـــر

بل أرى شوكة تقصّف يبســاً فوقها وجه فارة محلــوق

آخـــر

[م٦٠] مفلوجـــة تنفخ في جـانب
وتعصر الكسب على جانب [ص١٠٧]

آخـــر

ترى شيبها تحت القناع كأنّـــه ضفائر ليف في هديّة حجّاج [2]

آخـــر

بنت سبعين في ثمانين في ســـ ـتّين في أربعين في تسعين

١ ــ الممعّر : الذي ذهب شعره .
٢ ــ البيت لابن المعتز ، وله أخ يسبقه ، وهو :
عجوز تصابى وهي بكر بزعمهــا
ومن ألف عام قد وجى خدّهـــا الواجي

آخـــر

ضيّقت عينهـا ووسّع فوهـا ومشقّ آستها وثقب المبال
فهي شيء كأنّمـا صاغـه الله لصفع القفا وقفد القذال [1]

آخـــر

معـروورة عصعصهـا قد حـفّ فيـه الجـرب
جائعـة إلى الخصـى كما تراهـا تثـب
فـي كسّها معصـرة يعصر فيهـا العنـب
ولاستهـا قرطلّـة [2] يلقـط فيهـا الرطـب

آخـــر

قردةٌ نردةٌ[3] ، حصاةٌ نـواةٌ ثومةٌ بومةٌ ، عظـامٌ بـوالي

آخـــر

ليس إلاّ عظامهـا لو تراهـا قلتَ : هذي أرازنٌ في جراب[4]

آخر [ص١٠٨]

قحبـة لا تميّز النـاس في النيك تحبّ الغريب مثل النسيب
بازها في آستها تصيد من الكـر كي اذا آستودقت إلى العندليب

---

١ ــ القفد : صفع القفا بباطن الكف ، والقذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس
قال ابن الرومي ، يصف أحدباً :
قصرت أخادعـه وطال قذالـه فكأنّه متربص أن يصفعـا
وكأنّـه قد ذاق أوّل صفعـة وأحسّ ثانية لهـا فتجمّعا
٢ ــ القرطلّة : عدل الحمار .
٣ ــ نردة : النرد جوالق واسع الأسفل مخروط الأعلى ، يتخذ من خوص النخل .
٤ ــ الأرزن : شجر صلب العود تتخذ منه العصي .

آخـــر

قحبة ، كلبة ، صبور ، نخور   حين تلقى طعن الأيور كلاها

آخـــر

كبعـــرة الشـــاة ولكن لهـــا   بظرٌ يغطّي عنق الناقـــة

آخـــر

[م٦١] قحبـــة لحيـــة آستها   بفساهـــا مدخّنـــه
حرهـــا قبلـــة الفيـــا   شل والبظر مئذنـــه

آخـــر

الجعس ندٌّ إذا هي آبتسمـــت   في البيت والقرد عندها قمـــر
هملاجـــة تحمـــل اللجـــام إذا   صمّم في دارة آستهـــا الثفـــر

آخـــر

ريقتهـــا كالنـــار محرورة   وسرمهـــا كالثلـــج مبرود
وللبـــواسير وقـــد فرّخـــت   في كرم مفساها عنـــاقيد

وهي مخضوبة الراس زيادة .

وعلى رأسهـــا ولا قصب الخـــ   ـص ردا حائلٌ كلون التراب
فتوهّمـــت رأسهـــا من بعيـــد   قفصاً فيه طائر عنّابي [ص١٠٩]
ذات عجز له مجـــال فسيـــح   يلعب الأير فيه بالطبطـــاب
وبكسٍّ تندق في لحمـــه الرخو   نصول الخشوت والنشّـــاب

آخـــر

وفي شعر عانتهـــا بلقـــة   كما آختلط الضان والمـــاعـــز

آخـــر

وسرمهـــا بلحيـــة   مثل السجـــاف المسبـــل

كأنّهـــا مـــن عظمها   لحيـة شيـخ عدمـل
مـــع عنبـــل كأنّــه   عروة راس الموجـــل
وكذكـــد كأنّــــه   رزّة باب مقفـــل
وشعــــرة كأنّهـــا   رأس فريك السنبـــل
ومبعـــر يصفـــر نصـ   ـف الليل مثل البلبـــل
وبظرهـــا كأنّــه   منقار رأس المعـــول
لا تشتهـــي من الشـــوا   غـير عسيـــب الجمل
[م٦٢] امـــرأة بكسّهـــا   تغلــب ألفي رجـــل
عجوز ســوء سرمهـــا   كالشنّ نضو قد بـلي
نحـــو الثمـــانين لهـــا   حولاً وكــفٌ خـردل

آخر [ص١١٠]

وبظراء تمشيْ في الطريق ورجلها
بليف رشا شعر آستها تتعثّـــــر

آخـــر

وتراها إن أسرعت بخطـــاها   تتعثّر ببظرهـــا المجرور

آخـــر

قرعـــاء لكـــن سرمهـــا   بخراه معلوف الضفائـــر
مـــخّ آستهـــا وَدِكٌ ولا   دهن الهرائس في الغضائر

آخـــر

يسيــح في جانب مفساتهـــا   عين خرا بالطول خرّاره
تنزو إلى حـــدّ شعور اللحـى   كأنّهـــا تخــرى بفوّاره
تبــــول من جبٍّ ولكنّهـــا   تضرط من ثقبة زمّـــاره

لها اذا صالت فحول الزنـــا شقشقة بالليـــل هـدّاره
كـــأنّ ساقيهـــا إذا نصّتـــا كراع شاة فوق قِنّاره

آخــر

تفســو فيجري الخرا من استٍ كأنّهـــا منخــل الدقيــق

آخــر

تخـــرا على ساقهـــا مـن استٍ كأنّها بربخ معلّـــق

آخــر

جحرها قصعة الخبيص ولكــن حِرها جعبة الأيور الطوال[ص١١١]

وفي هذه الستّ ، معان أخر تزيدها كمالاً :

لها كعبٌ مثل ظلف الغـــزال وأصل نواة كخفّ الجمل
وعينـــان في هذه كوكــب يبص وفي تلك ريح السبل (١)
وساقان من أرجل العنكبــوت سفّا (٢) وجيد كجيد الجعل
[٦٣] وإبط كأنّ نسيم الصنان تقطع فيه بياض البصـــل
مورّمة الخصر تشكـــو الضنى روادفها ونحـــول الكفل
مغنّيــــة سخنــــة للعيــون صرار البطون عليها تُحَـــلّ
إذا ما تغنّتْ بثـــاني الثقيـــل ضرطنا عليه خفيف الرَمَل (٣)

١ ــ السبل : غشاوة تحصل في العين .
٢ ــ سفّ الخوص : نسجه .
٣ ــ ثاني الثقيل : الرابع من الايقاعات العربية ، وهو اثنتان ثقيلتان ثم واحدة خفيفة (قاموس الموسيقى العربية ١٦٤) وخفيف الرمل : الثامن من الايقاعات العربية ، وهو الذي تتوالى نقراته ، نقرتين ، نقرتين (قاموس الموسيقى العربية ١٧٢) .

آخــر

تبول من شقّ مهزول به عجف   وقد تفقّا عليه بظرها سمنا
يرغي ويزبد شدقاه إذاً آختلفا   كأنّه شدق مفلوج حسا لبنا[1]

آخــر

لها جِرٌ أشيب ذو لحية   كثيفة المنبت كرديّه
وشعرة بيضاء بصّاصةٌ   خفيفة التلميع فضّيّه
كأنّها من فوق أوراكها   شاة على المحمل مكّيّه[ص١١٢]
كأنّها وهي على ظهرها   دجاجة في النار مشويّه
مفتوحة المفسا كأنّ آستها   باب تنحّت منه جسريّه[2]

آخــر

لها طرفان معلمان ضراطها   على صنجها بعد العشا ونخيرها
أبى جعسها أن يستجيب لوقته   فيخرجه نحو الكنيف زحيرها

آخــر

غداف شعر آستها يصيح إذا   جاع إلى اللحم باسم يعقوب
كأنّ شعر آستها إذا ضرطت   عشٌ عليه ذرق الغرابيب

آخــر

في درزها فتق يزيد لأنّه   درزٌ ضعيفٌ الخيط غير مسفتج[3]
تخرى منا كسب وتعصر كسبها   بزحيرها فتبول منّي شيرج
يحمي آستها دون الفياشل عصعصٌ   إفريزه متكلّل بالعوسج

١ ـ البيتان لابن الحجاج ، راجع اليتيمة ٣/٧٨ .
٢ ـ كذا ورد بالاصل.
٣ ـ المسفتج : من سفته الفارسية : المحكم ، المضبوط .

آخـــر

[م٦٤] لكعثبهـــا طاق وفي الطاق كوّة
على رأسها من فضلة البظر خربشت [1]

آخر [ص١١٣]

يحكي بدم الحيض وشعر آستهـــا قطناً قد انصبَّ عليـبـه مـــري

آخـــر

تمشي بشفـــرين مــــن مـداد وشعرة في نقـــا اللجـــين
كأنّهـــا فـــرخ شاهمـــرك [2] فوق جناحي غراب بين

آخـــر

نديّـــة خفشلنجهـــا لـــــزجٌ في حالبيها رقيقه الجعس

آخـــر

دحداحة ، بومـــــة ، ربوخ بقباقـــــة السرم واقواقــــه

آخـــر

شعرتهـــا حول بـــاب مبعرهـــا مثل سبال على فم أبخر

آخـــر

لهـــا حِرٌ أشمط مستكـــرش شابَ وما يترك إرضاعــه
منقلــــب الشفرين مستضحك ما هـــو إلاّ جيب درّاعه

١ ــ الخربشت : فارسية ، خرپشته : بمعنى الخيمة أو الايوان .
٢ ــ الشاهمرك : فارسية ، شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير ، طائر طويل الساقين ، يأكل الحيات والحشرات والجيف (الحيوان للجاحظ ٢٨/١ و ٣٣٦/٣ و ١٦٦/٤ و ٣١٠ و ٣٧٤/٦) .

آخــر

لها حِرٌ أشمط قد شاب مفرقه عليه بظر طويل فيه تدوير
كأنّه رجل قد جاء من حلب شيخ على رأسه المحلوق طرطور
وسرمها الكزّ ، حلق الأير في يــده
طول النهار وطول الليل معصــور
تفرّ منه فياش المنعظين كمــا تفرّ من فزع القخّ العصافير [ص١١٤]

آخــر

كأنّ مبعرها في أصل شعرتهــا بثق أعدّوا عليه الشوك والحطبا
[م٦٥] والشأن في أنّها العقلاء مطربة
غناؤها وهي تفسو يشنف الطربا [1]

آخــر

وهـي بشرب الراح مفتونــة لأنّهــا البظــراء جنيّــة

اسمها صفيّة ، أو عائشة ، أو خديجة ، كأنّها من بيت النبوّة ، أعيذها بالله .

لــو أنّ بلقيس شاهدتهــا صارت لها عبدة ذليلــة

وتغنّي : كلك بكَوى برسان نه بيرون دل اوارى، أي : كان من الواجب أن لا تفعلي كذا .

بظراء ، تتكلّمين في حدود المنطق ، سلّط الله عليك آفات سوق الدواب .

فيقال : يا أبا القاسم ، آفات سوق الدواب ما هي ؟

---

١ ــ الشنف : البغض والاعراض .

فيقول : لكمة ، صدمة ، زحمة ، لطمة ، رمية ، زرقة ، قرعة ، تفور منها دمعة ، آفاتها — والله — كثيرة ، كم تشغلني يا أبله ، وتسألني عن الأباطيل ، وتقطع كلامي بما لا يفيدك .

ما أرى — والله — على رأس أحدكم غلاماً نظيفاً [ص١١٥] ، غنج الحركات ، حلو الشمائل ، خنث الأعطاف ، بابلي الطرف ، يحيّر النور[١] ، ويسرّ [٢] الجمهور ، يمشي بخصر دقيق ، وردف ثقيل ، غنّت عليه المناطق ، ودلّ على حسن صنعة الخالق ، قد نوّر خداه جلّناراً ، وعيناه نرجساً ، وشاربه زمرّد ، وشفتاه مرجان أو عقيق ، وثغره درّ ، وريقه رحيق ، كأنّه دينار منقوش ، أو جرعة عسل ، لو علّق قطر ، ولو جذب عضو منه انفطر ، أرقّ من نسيم الهوا ، وألذّ من الماء بعد الظما ، كأنّه طاقة ريحان ، أو غصن بان ، أو قضيب خيزران ، أو طاقة آس ريّان ، كأنّ جبينه هلال ، وكأنّ حاجبه خطّ بقلم ، كأنّ عينيه عينا جؤذر ، وكأنّ أنفه حدّ سيف ، وكأنّ وجنته الخمر واللبن الحليب ، أو لون الراح ، وحمرة التفّاح ، أحسن من نَور زهر الربيع الباكر ، على الغصن الرويّ ، أحسن من الروض الممطور ، كأنّ شاربه طراز بنفسج على ورد جنيّ .

[م٦٦] تفتّحت وردتا خدّيه من خجلٍ
وزيدتـــا بعذاريه [٣] تزايينـــا

---

١ — يحيّر النور : في احدى هاتين الكلمتين تصحيف لم أهتد لمعرفته ، وتعسّر عليّ اعادته إلى أصله .

٢ — في الأصل : ويسور .

٣ — العذار : أول ما تخط شعيرات اللحية على جانب الخد .

كأنّ شاربه زئير الخز الأخضر [1] ، وعذاره طراز المسك الأذفر [ص١١٦] ، على الورد الأحمر ، إذا تكلّم كشف حجاب الزمرّد والعقيق ، عن الدرّ الأنيق .

تأمّل ترى من خضرة الشارب الذي
على الشفة الحمراء والمبسم العذب
زمرّدةً خضراءَ فوق عقيقة
وزانهما سمطان من لؤلؤ رطب

كأنّ صدغه قرط من المسك ، على عارض البدر .

قد خطّ فوق حجاب الدرّ شاربه
بنصف صاد ودار الصدغ كالنون

كأنّ فمه حلقة خاتم ، وكأنّ ثغره البَرَد ، أو أقحوان تحت غمامة ، وكأنّ فاه الخمر ، نبت فيه الدرّ ، كأنّ عنقه إبريق فضّة ، وسالفتيه السيف الصقيل ، كأنّما ألبس بدنه قشور الدرّ ، كأنّه فضّة قد مسّها ذهب ، كأنّ بطنه قبطيّة [2] ، وساقه برديّة ، وقدمه لسان حيّة ، وأما في الجملة ، فكأنّ وجهه الشمس ، وكأنّه دارة القمر ، وكأنّه المشتري ، وكأنّه الزهرة ، وكأنّه الدرّة ، وكأنّه الغمامة ، أطهر من الماء الزلال ، وألذّ من معانقة الخيال ، وأزهر من النار وأزكى من الأرض التي تنبت البنفسج والورد ، مع ملح المنثور ، والظرف المأثور [ص١١٧] ، والحلاوة التي لا تستحيل ، والتمام الذي لا يحيل ، كالظبي الغرير ، والقمر المنير ، والغصن النضير ، والمهاة على الغدير ، له ردف كأنّه عجنة من لباب

١ ــ الزئبر : ما يعلو الثوب من الزغب ، والبغداديون يسمونه : الخمل ، فصيحة .
٢ ــ القباطي : نوع من القماش الكتان أبيض اللون .

السميذ ، قد حمصت[1] في دهن الفالوذج ، تدع الأير في عقبه يزلق فيقع في بطنه .

يمشي بموج ويجي ببدر يفعل بالليل فعال الفجر [2]
مكحولة أجفانه بالسحر في خدّه عقارب لا تسري
من سَبَج ٍ قد قيدت بالعطر

آخر

ذو طرّة قاطرة بالعنبر وملثم يكشفه عن جوهر
وكفل يشغل فضل المئزر تخبر عيناه بفسق مضمر

الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره .

[م٦٧] محتلم شاربه آبن عامه يكنّ بدر الأفق في لثامه

آخر

شادن شارب الزبرجد منه واقف بين لؤلؤ وعقيق

اسمه فاتن ، رائق ، بديع ، نسيم ، وصيف ، ريحان [ص١١٨] .

رقّ فلو مرّت به نملة في رجلها نعل من الورد
لمزّقت ديباجتي خدّه من غير أن جازت على الجلد

آخر

يكاد لحظ العيون رامقة يسفك من خدّه دَمَ آلخجل

١ – حمص الحب : حمسه وقلاه ، وفي الأصل : خمصت بالخاء وهو تصحيف .
٢ – قوله : يمشي بموج ، يعني ردفيه المرتجّين ، ويجي ببدر ، يعني وجهه ، وقوله: يفعل بالليل فعال الفجر ، يعني انّه مثل الشمس يطرد الظلمة .

إنّما أرى – والله – دبّاً هرثمياً [1] ، في طول المنارة ، وعرض الغرارة [2] ، قد خرج من حدّ الاعتدال ، وذهب ذات اليمين وذات الشمال ، تيسٌ يبخّر المجلس بصنانه ، كأنّه بغل خلّي من عنانه، وخم ثقيل ، كأنّه روثة فيل ، عابس كأنّه عضّ على بصلة ، أو أكل فجلة ، بوجه قمطرير كأنّما أسعط بالخردل ، جهم كأنّما نضح وجهه بالخلّ ، له وجه كأنّما تبرقع بالخنادس ، أو اكتسى قشور الخنافس ، أوحش – والله – من أيّام المصائب ، وليالي النوائب ، وسوء العواقب .

خلقتــه حجّة أهــل الزندقــة	صارت به أقوالهم محقّقة.[3]
صوّره مــن ساحة منتقــة	خالقُهُ لا مضغة مخلّقــة
أطحل [4] يحكي لونه ورق النعـم	كأنّه ينفخ ليلاً في فحم[ص١١٩]
ذو نمشٍ [5] بوجهه قــد انتظـم	كأنّما فيه ذباب قد ونم [6]
أسنانه مصفرّة اذا كلح	كأنّ مبطوناً عايه قد سلح
قد حزن من طرامة [7] ومن قلح [8]	طرائقاً كأنّها قوس قـــزح
أثقـــل مـــن طـود أبي قبيس	لعرفه نتن كنتن التيس
يهرب من رؤيتــه ذو الكيس	لأنّه أشأم من طويس [9]

١ – الهرثمة : السواد بين منخري الحيوان .
٢ – الغرارة : (بالغين) : الجوالق .
٣ – يريد ان قبح خلقته يحقق أقوال الزنادقة في انكار الخالق .
٤ – الأطحل : الذي أصيب في طحاله .
٥ – النمش : نقط بيض وسود أو بقع تقع في الجلد تخالف لونه .
٦ – الونم : سلح الذباب .
٧ – الطرامة : الخضرة البادية على الأسنان .
٨ – القلح : صفرة تعلو الأسنان .
٩ – طويس : لقب لقب به المغني عيسى بن عبد الله المدني (١١ – ٩٢) ، وكان على ما روى المؤرخون مشهوراً بالشؤم، وفيه قيل المثل « أشأم من طويس » وقد رتّب =

يلحس ما يجري على بساطـــــه ... من قيح عينيه ومن مخاطه

ويصرع الليــث لدى نشاطــه ... بالنتن من فيه ومن آباطه

كأنّ ريح ابطه ريـــح البصـل ... تدمع عند شمّها منه المقل

[م٦٨]قدولدت في عينه ريح السبل (١) ... فهو يرى الإبرةَ في قدّ الدقَل

وكل من يولج فيه يخشـم (٢) ... وكل من يدنو اليه يزكـم

فقد حوى منه رياحـاً تسقـم ... سرم وإبطان وأنف وفـم

يعقد شعـــر ابطـــه بشعرتـه ... كعقد شعر أنفه بلحيتـــه

يسمع صوت الجوز عند مشيته ... عن عس (٣) معلّق في فقحته

تفوح من كميــــه ريح تنكـر ... كانما في العطف منه صيّر (٤)

لثوبـــه المغســول حـين ينشر

ريح صليق البيض حين يقشر [ص١٢٠]

آخـــر

طلعة قيست القـــرود إليهـــا ... فرأينا القرود كالأقمـــار

= له تاريخ في الشؤم ، فقالوا انه ولد يوم وفاة النبي صلوات الله عليه ، وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل علي (الأعلام ٢٨٩/٥) أقول : احسب ان هذه الأحاديث عن طويس مصنّعة ، وان لقبه طويس هو السبب في اتّهامه بالشؤم ، لأنّ طويس تصغير طاووس ، والطاووس قد تعارف الناس على أنه طير مشؤوم ، وما يزال البغداديون إلى الآن يتحامون تربيته في بيوتهم .

١ — السبل : غشاوة تعرض في العين .

٢ — الأنف الأخشم : المتغيّر الرائحة .

٣ — كذا وردت في الأصل .

٤ — وردت في الأصل : صبر (بالباء) ، والصيّر (بالياء المشدّدة المكسورة) : القـبر .

من سواد في صفرة دعت النـــا س بأن لقبوه سلح المرار [1]

آخـــر

ذو صورة شوهاء إن لم تكـــن قرداً ففي قالبـــه مفرغـــه
كأنّمـــا يمضـــغ سلحـــاً إذا مجمج منه اللفظ أو مغمغه [2]
وليس يختـــــال ولكنّـــــــه يحسّ في أسفله دغدغــــــه
في أستٍ له للأيـــر صبّاغـــــة لا ترسل الغرمول أو تصبغـــه
ليس يلذّ العود مـــا لم تصـــل نغنغة العود إلى النغنغه [3]
ثلاثـــــة ليس لهـــــا رابـــع هذا الفتى والحشّ والمدبغـــه

آخـــر

ذو لثّة غرويّة الريّـــا وذو لحم أصلّ [4] وذو لعاب حامض
واهي النظام تسيل لثّته [5] دمـــاً وكأنّما شفتيه شفرا حـــائض

آخـــر

قـــــاتل للسرور يفغر عن أنـــــ
ـياب عَود [6] يصيح من ثقل حمل[ص ١٢١]
وكـــأنّ الأنفاس منه ريـــاحٌ حملت ريح جيفة يوم طـــلّ

١ ــ المرار : شجر شديد المرارة .
٢ ــ مجمج في حديثه : لم يبيّنه ، وكذلك مغمغ في كلامه .
٣ ــ نغنغة العود : حركته ، والنغنغة : غدة في الحلق .
٤ ــ أصلّ اللحم : أنتن .
٥ ــ في الأصل : منته .
٦ ــ العَوْد (بعين مفتوحة وواو ساكنة) : المسنّ من الابل ، والأعراب يسمون الرئيس : العَود .

آخـــر

تقدّر فاه في الدجى وكر هدهـــدِ وتحسبه قرداً تلقّم قنفـــــذا

[م٦٩] أنتن – والله – من هدهد ميت ، في جورب عفن ، أبرح من ثقل الدين ، وأمرّ من وجع العين ، اسمه أحمد اللاق ، أو محمود الرويدشي . أو حسن الكرجي .

عليـــــه أير وحــــق رأسي يطول مترّاس باب دارِ
يصلح اما يكون فيجـــاً [1] يعدو إلى الريّ أو مكـــــارِي

آخـــر

مستدخـــل سرمه بـــــلا شرج إذا فسا وهو نائم سلحـــا

آخـــر

أجوف يستدخل الفياشـــــل في جوفٍ كجوف الحمـــار منفوخ

آخـــر

منبطـــــحٌ والشيـــــب طاقاته تنتف بالمنقاش من لحيتـــه

آخر [2] [ص١٢٢]

ثـــمّ أير يريك والليـــل داج عنباً أهدل الخصى وسنامـــا

١ – الفيج : في الأصل تطلق على رسول السلطان الذي يسعى على قدميه ، ثم أطلقت على كل من اتخذ نقل الرسائل وسيلة للرزق ، وبذلك أصبح « التفيّج » صناعة ، ويعني نقل الرسائل من بلد إلى بلد ، وكان للفيوج زي خاص ، يفرضه عليهم التخفف من حمل الرحل ، فكانوا يلبسون المرقّعة ، ويحملون ركوة لشرابهم ، وعصا في أيديهم ، وتاسومة في أقدامهم ، إضافة إلى الخريطة التي تودع فيها الرسائل ، راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي، في القصص المرقمات ٢٢١ و ٢٨٤ و ٣٢٩ .

٢ – يظهر انه قد سقط من أصل الكتاب ورقة أو أكثر .

آخـــر

مدمج كلمـــا استقامت عصـاه ... وربا بيضه وزاد صلابـه
شال رأساً كأنّــه قونس الــد ... نّ وأرخى خصيين كالقرّابـه

ما هذه الغثاثة والوخامة ، بئس – والله – هذه الأبدال السخينة في الأحداق ، من البدور الطالعات لنا بالعراق ، ساءت هذه العلوج الواطئة على القلوب والأجفان ، أعواضاً من أولئك الولدان ، وشوادن الغزلان [1] .

يا بديعاً طغى به الحسن جــدّاً ... وتعدّى جمالــــه فتعــدّى
مشبهاً للغزال والبـــدر والغصـــ ... ن جميعاً جيداً ووجهاً وقدّاً
لابساً فــوق درّ فيه عقيقـــاً ... فارشاً تحت نرجس العين وردا
لو تبدّى في ظلمـــة لاستنارت ... أو تمشّى على الصفا لتنــدّى
لا تلمـــني فلست أوّل حـــرّ ... صار في الحبّ للأحبّـــة عبدا [2]

آه ، سقى الله مدينة بغداد .

[م٧٠] ذكر الكرخ نازح الأوطـــان
فبكى صبوة ولات أوان [ص ١٢٣]

ليس لي مسعد يعين على الشـو ... ق إلى أوجه هنـــاك حســـان
نازلات عـــلى الصراة بكرخـــا ... يا إلى الشطّ ذي القصور الدواني
إذ لبـــاب الأمير صدر نهاري ... وعشيّي إلى بيوت القيـــان

آخـــر

يـــا ليالي بالمطيرة والكـــر ... خ ودرب السوسيّ بالله عودي [3]

١ – الشوادن ، مفردها ، الشادن : ولد الظبية .
٢ – أورد التوحيدي هذه الأبيات في البصائر والذخائر .
٣ – هذا البيت يتحدّث عن مواطن من متنزّهات سامراء ، فالمطيرة ، قال ياقوت في=

كنت عندي أنموذجات من الجنّـ ـة لكنّهـا بغير خلـود

آخـر

إنّ ليلي بالكرخ ليـلٌ قصيرٌ ليس فيه إلاّ الزجاج يـدور
وعزيف القيان يلهين صحبي حبّذا ذاك لـذّة وسرور

آخـر

ألا حبّذا الكاسات والنقر بالوتـر
وقطربّلٌ ذات البساتين والزَّهَرْ (١)
ففيها فسل عنّي إذا ما طلبتني ولاسيما والورد يضحك في السَّحَرْ
وقد صـاح يدعونا مؤذّن قريـة
على شرفٍ عـالٍ يصفّق من أشرْ (٢)
ككسرى عليه تاجه يوم شربـه إذا صفق الكفّين من طرب نعر (٣)

= معجم البلدان ٥٦٨/١ انها قرية من نواحي سامراء ، كانت من متنزّهات بغداد وسامراء ، أقول : هي التي قال فيها ابن المعتز :

سقى المطيرة ذات الظلّ والشجر ودير عبدون هطّال من المطر

ودير عبدون من أديرة سامراء ، قال ياقوت في معجمه ٦٧٨/٢ انه بسامراء جنب المطيرة سمّي باسم عبدون بن مخلد ، أخي صاعد بن مخلد ، كان عبدون كثير الالمام به والمقام فيه ، وما دامت المواضع التي ذكرها في البيت من سامراء ، فيكون الكرخ الملحق بها ، كرخ سامراء ، ذكره ياقوت في معجمه ٢٥٦/٤ .

١ ــ قطربّل : قال ياقوت في معجمه ١٣٣/٤ عن قطربل ، انها قرية بين بغداد وعكبرا ، منتزه البطالين ، وحانة الخمارين ، قالوا : ما كان شرقي الصراة فهو بادوريا ، وما كان في غربيها فهو قطربل ، قال الشاعر :

كم للصبابة والصبا من منـزل ما بين كلواذى إلى قطربّـل

٢ ــ المؤذّن : الديك ، والأشر : البطر والمرح .

٣ ــ نعر : صاح وصوّت بخيشومه .

وطـــاف بأقداح المدامـــــة بيننـــا
بنات النصارى قد تزيّن ّ بالحبر [ص١٢٤]
وتحت زنانير شـــددن عقودها   زنانير أعكان معاقدها السرر

ثم يقول : والله ، إنّي أقول شيئاً آخر .

فيقال : يا أبا القاسم ، قل .

فيقول : ما فيكم — والله — مستمتع ، أين تلك المغنيات الماجنات ، أين تلك الألفاظ الملاح ، أين تلك الأوجه الصباح ، والله ، إنّ نادرة واحدة منهنّ في اليوم الواحد لتفي بما يسمع من مغنّياتكم الطفسات الفجّات [1] ، لاسيّما إذا تمالحن ، فيرمين القلوب بالثلج ، حتى لا ترى — والله — ضاحكاً ، ولا مستعيداً ، سلام على ساكنات العراق ...

ويلي على ساكن شاطي الصـــراة   أمَرَّ حُبُّيه عليّ الحيـــــاة

* * *

ما طاب في سمعي حديث ولا   لذَّ بفيَّ الماءُ والـــراح
هيهات أن أتـــرك قلبي وقـــد   فارقت مغنى الأنس يرتـــاح

[م٧١] ليت شعري ما كنتم تصنعون ، كيف كنتم تفتنون ، لو شاهدتم جارية فصيحة ، عبارتها تشجي ، وحديثها يلهي ، عيّارة [2] ، شموعاً [3] ، لعوباً ، من جواري بغداد ، من بذلة عوامّها ، فضلاً عن حظايا ملوكها ، ثم سمعتم نوادرها التي كانت تجري في خلال الأغاني ،

١ — الطفس القذر ، والفج : الثقيل .
٢ — يريد بالعيّارة هنا : المرحة ، المزّاحة ، اللعوب .
٣ — الشموع : المزاحة اللعوب .

وتسير سير السواني ، مثل جارية ابن جمهور [1] ، زاد مهر [2] ، وغيرها من متماجنات [ص١٢٥] بغداد ، الذين قد جمعوا [3] حسن الخَلق

١ ــ أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور الكاتب ، العمي ، الصلحي ، البصري ، وصفه القاضي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة (حـ ٣ ص ٢٥٨) بأنه صاحب الستارة ، المشهور بالأدب والشعر ، وتصنيف الكتب ، ووصفه في موضع آخر من نشواره (حـ ٤ ص ١٠٩) فقال عنه : انه من شيوخ أهل الأدب بالبصرة ، كثير المصنفات لكتب الأدب ، وكان كثير الملازمة لأبي (القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي) وكان جيّد الخط ، وحرّر لي خطّي لما قويت على الكتابة ، وأثبت التنوخي في نشواره شيئاً من شعره ، وقال عنه الشابشتي في الديارات ٢٦٥ ــ ٢٦٩ أنه كان ظريفاً ، متأدباً ، مليح الشعر والكتابة ، سافر في طلب العلم ، وتطرح في مواطن اللهو ، وعاشر أهل الخلاعة ، وطرق الحانـات والديارات ، ثم أقام بالبصرة ، وحسنت حاله بها ، وصارت له نعمة كبيرة ، وكان له مجلس بالبصرة ، فيملي أخبار أهل البيت عليهم السلام ، فاذا فرغ من الاملاء ، ابتدأ جواريه فقرأن بألحان ، ثم قلن القصائد الزهديات ، فاذا فرغن من ذلك ، انصرف من انصرف ، واحتبس عنده من يأنس به ، وعمل الغناء والشرب ، وأثبت الشابشتي في الديارات شيئاً من شعره ، ونتفاً من أخباره ، مع زادمهر التي كانت جارية المنصورية ، ثم انتقلت اليه ، راجع في الأغاني ٢٥٧/٣ سبب التسمية بالعميّ ، أقول : المذكور عنه في الكتب ، يخالف ما ثلبه به التوحيدي في هذه الرسالة ، ولكنّ طبع التوحيدي في ثلب الناس ، والكرام منهم خاصة ، أمر معروف .

٢ ــ زادمهر : أحسب أن الكلمة فارسية : زاد : حر ، ومهر : محب ، أو ملاك الحب . قال عنها ياقوت في معجم الأدباء ٤٩٨/٦ أنها جارية المنصورية ، وذكر الشابشتي في الديارات ٢٦٧ ان ابن جمهور تعشقها وهي عند المنصورية ، ثم انتقلت اليه ، والقصص المنقولة عن زادمهر في الديارات ٢٦٥ ــ ٢٦٩ وفي هذه الرسالة تدل على أنها تمتاز بالأدب والذكاء اضافة إلى ما امتازت به من الملاحة وخفة الروح والجواب الحاضر واتقان الغناء .

٣ ــ كذا وردت في الأصل فأبقيتها على حالها .

والخُلق ، أين لطافتهم من كثافتكم ، ونعومتهم من خشونتكم ، ولينهم من غلظكم .

فيقال : يا أبا القاسم ، لو تفضّلت ببعض تلك الحكايات ، لكنت قد أتممت الأنس بأحاديثك .

فيقول : مولاي ، تحبّ المساخرة ؟ تريد من تضحك عليه ؟ مسخرة دوست ، لا يا سيّدي ، أطلب لنفسك غيري تضحك عليه .

فيقول ذاك : الله ، الله ، يا أبا القاسم ، إن أنعمت شكرناك ، وكنت السيّد الموقّر ، غير مأمور ، وإن أبيت لم نطالبك بما يشاكل هذا ، وكنت المعظّم الموقّر عندنا .

فيقول : هذي زادمهر ، جارية أبي علي بن جمهور ، كانت بارعة الجمال ، طيّبة الغناء ، كبيرة الأتراب والنسوان ، وكان صاحبها هذا — من أبرد الناس وأوحشهم ، وكان يكثر التعاتب ، والتهاجر ، والدلال ، والملال ، فدخل عليه أبو الحسن الدورقيّ [1] ، واقترح عليه غناءها ، فكتب اليها ، وهي كالغضبانة عليه : يا ستّ مولاها ، عندي اليوم صديقي أبو الحسن ، وما حضر إلاّ ليسمعك ، فأحبّ أن تتفضّلي وتحضري ، ولا تتماجني ، فإنّ الرجل ليس بصاحب مجون .

فكتَبَتْ في الجواب : هوذا أراه مقرطم السبال [ص١٢٦] ، جبّ خراء كما هو ، وأنا — والله — ما أقدر أفتح عيني من الصداع ، وحلقي منطبق من الباذنجان الذي أكلته أمس .

فكتب إليها : قد — والله — عرّفته العذر ولم يقنع به ، وقال آجعلي

١ — الدورقي : نسبة إلى دورق ، بلد بخوزستان ، قال عنه ياقوت في معجمه ٦١٨/٢ انها مدينة ، وكورة واسعة ، وأهلها كرام .

هذا [الصوت] اليوم ، زكاة غنائك .

فكتبت على ظهر الرقعة: أسخن الله عينك، وهذا سيّدنا أبو الحسن أعزّه الله ، إن اقترح زيادة ، وطلب فرداً [1] ، وقال : اجعليه زكاة حرك العام ، أعطيه عن اذنك ، ليس — والله — أقدر أفتح عيني ، كم أقول ، وي ، دعني ، خلّصني ، خلّصني الله منك .

وقال لها يوماً : يا ستّ مولاها ، خذي من ذلك اللوز المقشّر ، وبخّريه بخوراً طيّباً ، فإنّ محلب السوق غير طيّب ، واطرحي [م٧٢] في الأشنان أرزاً مطحوناً ، وطيناً خراسانياً ، وقليل كندر .

فقالت له : سخنت عينك ، يا مطرمذ [2] ، يا مشقعان [3] ، ما رأيت مَنْ خبزُهُ شعير ، وضراطُهُ حوّارى غيرك [4] .

وكان هذا أبو علي ، أهدل الشفتين ، واسع الفم ، غليظ اللسان ، وتلك المسكينة ضيّقة الفم ، فقال لها ليلة : بحياتي عليك ، أدخلي لساني في فيك .

فقالت : لِمَ ؟ قد قامت القيامة ، حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط [5] .

١ — الفرد : كناية بغدادية عن الاتصال الجنسي ، راجع كتاب المستبصر لابن المجاور ص ٨ .

٢ — المطرمذ : كلمة شتيمة بغدادية ، لعلها من طرمذ : صلف وفاخر بما ليس فيه .

٣ — المشقعان : كلمة شتيمة بغدادية ، لعلها من الشقع ، وهو السب والشتم .

٤ — تريد ان طعامه ليس كما ينبغي من الكثرة والاتقان ، فلا معنى للاهتمام بالأشنان لغسل اليد .

٥ — سم الخياط : خرت الابرة ، تشير إلى الآية الكريمة : ولا يدخلون الجنة حتّى يلج الجمل في سم الخياط (٤٠ ك الأعراف ٧) .

وكان إذا تعاطاها يعزل عنها ، فضجرت ليلة ، ورمت به عن نفسها ، وقالت [ص١٢٧] : ما أقلّ حاجة الدرداء إلى السواك [١] .

ودخل عليه يوماً فتى من مشاقيع بغداد ، في الشتاء ، بغير جبّة ، بغلالة ، فاحتبسه على غنائها ، وكانوا قد أكلوا ، فعرض عليه عرضاً سابرياً [٢] الطعامَ ، وامتنع من الأكل تظرّفاً ، وهو في الموت من الجوع ، وتعمّل رياء للجارية ، وجعل يشرب من نبيذ حلوٍ ، فأسرع السكر إليه ، وأظلمت الدنيا بضيائها في عينيه ، فأقبل على ورد في المجلس ، يأكله ويمعن فيه ، فلحظته الجارية ، وفطنت لما به ، فقالت لصاحبها ، من جانب دفّها : بالله عليك ، استدع لهذا بشيء يأكله ، وإلاّ صار خراه جلنجبين معسّل [٣] ، ولما تناهى بالفتى السكر ، وبرد عليه الليل ، جعل يرتعد من البرد ، ويصرّف أسنانه ، وهو في غلالة قصب ، فقال ، وهو في تلك المحنة ، للجارية : أشتهي أن أعانقك ، فقالت له : يا مدبر ، أنت إلى أن تعانق جبّة أحوج منك إلى عناقي [٤] ، ومضى الفتى وفي نفسه من الجارية

١ — روى التوحيدي هذه القصة في البصائر والذخائر ٢٧٨/١ عن أحمد بن يوسف وزير المأمون وجاريته ، ويرويها الآن في الرسالة عن زادمهر وصاحبها ابن جمهور .

٢ — العرض السابري : هو العرض الذي لا يبالغ فيه ولا يؤكّد ، والبغداديون يقولون : عرض عليه « من وراء خشمه » وذلك أن الثياب السابرية كانت لجودة صنعها ، وإقبال الناس عليها ، يكفي أن يعرضها البائع عرضاً بسيطاً مرة واحدة لتباع .

٣ — روى التوحيدي هذه النادرة في البصائر والذخائر ٢٢٤/١ عن الجماز ، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حماد بن عطاء بن ياسر (الملح والنوادر ٩٤) والجماز كان معاصراً لأبي نواس وأين زاد مهر من الجماز فإنهما لم يكونا متعاصرين ، وكلمة : كلنجبين ، فارسية ، كل : بمعنى ورد ، وأنكبين : عسل أو كل شيء حلو .

٤ — روى التوحيدي هذه القصة في البصائر والذخائر ٢٧٨/١ عن الجماز ، وشأنها في التعليق عليها شأن سابقتها .

حرارة ، فأخذ في آستعطافها بالمراسلات ، والمكاتبات ، والجارية بغداديّة ، لا تعرف إلاّ الدنيا والدينار (1) ، وجعل يصف لها في [ص١٢٨] رقاعه ، عشقه ، ورقاعاته ، وسهره في الليالي ، وتقلّبه على مثل حرّ المقالي ، وامتناعه من الطعام والشراب ، وما يشاكل هذا من الهذيان الفارغ ، الذي لا طائل فيه ولا نفع ، فلما أعياه أمرها ، ويئس من تعطّفها عليه ، كتب إليها في رقعة : وإذ قد منعتني زيارتك ، أو آستزارتك ، فمري — بالله — خيالك أن يطرقني ، ويبرّد حرارة قلبي .

أرشديني إلى خيالك حتّى ... أتقاضاه موعداً لي عليه

[م٧٣] آخر

إن كان هجرك دلاّ ... فادلل عليّ خيالك

قال : فقالت لرسولته : ويحك ، قولي لهذا الرقيع يا مدبر ، أنا أعمل بك ، ما هو خير لك من أن يطرقك خيالي ، إحمل دينارين في قرطاس ، حتّى أجيك بنفسي وقد انفصل [ما بيننا] (2) .

١ — راود علويّ ، جارية بغدادية ، فلما أرادها ، قالت : الدراهم ، فقال لها : دعي هذا عنك ، ويحك ، مع قرابتي من رسول الله ، قالت : دع هذا ، عليك بقحاب قم ، هذا لا ينفق على قحاب بغداد (البصائر والذخائر م ٣ ق ٢ ص ٥٣٦) .

٢ — انّ جارية مثل زادمهر ، في أدبها وترفعها ، لا يعقل أن تبعث مثل هذه الرسالة ، ولكن التوحيدي يتخيّل ثم يخال ، ويزوّر الكلام في صدره ، ثم يثبته على القرطاس ، ولا أصل له ، وقد تعرضت لهذه القصة ، لكي أثبت حالاً كان في بغداد ، في القرن الرابع ، وهو أن جذور الغناء ، وجذور الخلوة ، كانت تدفع مقدماً ، راجع فيما يتعلق بجذور المغنين كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٢ ص ٦٦ و ج ٧ ص ٧٣ ، وفيما يتعلق بجذور الخلوة ، راجع البصائر والذخائر ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ و م ٣ ق ١ ص ١١٩ و ٢٠٦ و م ٣ ق ٢ ص ٥٣٦ و ج ٥١/٤ ، والأغاني =

وكان هذا ، أبو علي بن جمهور ، على الحقيقة ، من كبار التجار ، قد أعطاه — يا سيّدنا — من إذا أعطى ، لم يبخل بعطائه ، أعطاه من المال ما لو أنّه كان على حمار ، كان الشوك ، وكان العقر على عتاق الخيل ،

= ٢٦٥/٢٢ والمحاسن والمساوىء ٢٧٧/٢ ومطالع البدور للغزولي ٢٠٧/١ — ٢٠٩ وتاريخ الحكماء ص ٢٩٨ ولم يكن جذر الحلوة مقصوراً على النقد ، فقد يكون مقابل طرح صوت من أصوات الغناء ، (الأغاني ٧/١١ ٢٨) أو تنفيذاً لاتفاق ناتج عن مراهنة (البصائر والذخائر ٢٣٣/٤) أو ثمناً لقصيدة من الشعر (المخلاة للبهائي ٧٣) ، أقول : أما المتعارف في وقتنا هذا ببغداد فيما يتعلق بالجذور عامة ، أن تؤدى مؤخّراً ، وفي هذا معنى لطيف ، وهو الثقة بالمسؤول عن الاداء ، وكذلك الحال في المقاهي ببغداد ، على عهدنا ، فقد كان من يرتادها ، يتناول ما يرغب فيه من مكيفات أو مرطبات ، وأثمانها متباينة ، فاذا نهض من مكانه ، مرّ على صاحب المقهى ، وناوله ثمن ما شرب ، أخذ المال دون أن ينظر إلى مقداره ، ودسّه في كيسه ، أو ألقاه في صينيّة تلقاءه ، وقال : أنعم الله ، دون أن يتساءل عما تناوله ، أو يعاين مقدار ما دفع ، وهذا آيين بديع ، يدل على عظيم الثقة بين الطرفين ، وعلى مقدار ما يتمتع به صاحب المقهى من ظرف وفتوة ، وثمة قصة سمعتها عن صاحب مقهى في أحد محلات بغداد ، جمع فيها بين الفتوة ، وبين الذكاء ، وحضور الذهن ، قالوا : حدث ذات يوم أن كان أحد الفتيان في مقهى المحلة ، فنزل به ضيوف غرباء ، ولم يكن في يده ما يضيفهم به ، فرحب بهم ، وأجلسهم ، وطلب لهم الشاي والقهوة ، ولما أراد أن ينهض بهم إلى داره ، نادى على صاحب المقهى ، وأخرج كيس نقوده ، وأدخل يده في الكيس ، فأخرج خاتمه ، ودسّه سرّاً في يد صاحب المقهى ، من حيث لم ير أحد ذلك ، فانتبه صاحب المقهى ، وأسقط الخاتم في كيسه ، ثم رده إلى الرجل ومعه حفنة من النقود ، يوهم الموجودين ان الرجل سلّم اليه ديناراً من الذهب (ليرة ذهب) ، هذا ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، أذكر اني كنت في القاهرة في السنة ١٣٩٠ (١٩٧٠م) ، واحتجت إلى مراجعة طبيب ، فأخذوني إلى طبيب ، قالوا انه زوج السيدة أم كلثوم المغنية ، فطالبني كاتبه بأن أؤدي جنيهين أجر المعاينة قبل أن أدخل عليه ، ولما أظهرت تعجبي من هذا التصرف الذي لم أشاهد له مثيلاً في حياتي لا في بغداد ولا في غيرها من مدن العالم ، أجابوني ان هذا هو المتعارف هنا .

وأذلّ له ما أعزّه لغيره من صامت وناطق ، وكانت زادمهر [ص١٢٩] جاريته ، وله بنت عمّ ظعينته (١) ، وهو منهما بين جمرتين ، تحرّقه هذه بنارها ، وتَسِمُه تلك بأوارها ، وهو في محنة قائمة ، فحمل الجارية إلى البصرة ، والمرأة إلى واسط ، وأقبل هو إلى بغداد ، وبغداد جنّة الموسر ، وعذاب المعسر ، فأقبل على تجشّم المعالي ، ونشيش المقالي ، ومعاقرة الدنان ، وسماع القيان ، ومواصلة السرور ، ومقابلة البدور ، بين آسٍ وبهار (٢) ، وكأس وعقار ، ورنين أوتار ، وحنين مزمار ، وهات ملآن ، وخذ فارغ ، وتخلّى عنها بأنسه ، وخلا كما أحبّ لنفسه ، فضجرت زادمهر في البصرة ، وكتبت إليه مكاتبات يطول شرحها منها :

كتابي إليك من البصرة ، عن حال سلامة ، على رغم أنفك القاطولي ، الذي كأنّه أنف عنز عاقولي ، وقد كتبت عدّة كتب ، ما قرأتُ لأحدها جواباً ، هذا من ذكائك وحسّك ، أم من خسّة نفسك ؟ ، أخبرني على من تركتني في دارك المشومة بالبصرة ، عوّلت بي على ضياعك الخراب ، أو على وكلائك السفل ، والله ، ما أشبّه دارك ، إلاّ بدير هزقل (٣) ، وأنا محبوسة فيها ، مثل بعض المجانين ، لا يرجع [ص١٣٠]

١ — الظعينة : الزوجة .

٢ — البهار : فارسية ، تعني موسم الربيع ، ثم أطلق على العرار ، وهو ورد يظهر وقت الربيع ، أحمر الوسط ، أصفر الورق ، فسمي بهاراً ، أقول : أما في بغداد ، فان كلمة بهار وجمعها : بهارات ، تطلق حصراً على التوابل .

٣ — دير هزقل : (دير حسقيل) ، دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم (في الأهواز) كان موضعاً يحجز فيه المصابون بعقولهم ، قال دعبل الخزاعي ، يهجو أبا عباد وزير المأمون ، وكان أبو عباد عظيم الحدّة : [معجم البلدان ٧٠٦/٢] .

أولى الأمور بضيعةٍ وفساد ... أمر يدبّره أبو عبّاد
يسطو على كتّابه بدواته ... فمضمّخ بدم ونضح مداد
وكأنّه من دير هِزْقِلٍ مفلتٌ ... حرد يجرّ سلاسل الأقياد

عليّ شيء إلاّ من أجرة دورك ، خمسة وثلاثين درهماً في الشهر ، كأنّها رضاضة الزجاج أو بعرة الدجاج ، لو شربتُ بها فقاعاً[1] ما كفتني ،ولو شربت بها دبقاً [2] ما أغنتني ، أو عسى تريد أن أتركه لك بريشه ، لا أملشه [3] ، حتى تعود أنت اليه ، وتضع كفّك عليه ، فتعلم أنّه لم يمسّه أحد غيرك، خشت في فؤادك[4] ، أم تريد أن أطوّل [م٧٤] لك ضفائره ، طعنة في كبدك ، لا بدّ من تنظيفه ، خاصّة وقد أحوجتني إليه ، وعوّلت بي عليه ، وهوذا أخرج للغناء ، ويتبعه الزناء ، فان فضل عن مؤونتي من الجذر شيء خبيّته لك ، وحياة كحالك لا تمضي شهور حتّى يجيء ، مقموط مدهون ، أضع يده في زعفران ، وأوجّه بالكتاب [5] ، وبارك الله

---

١ ـ الفقاع : شراب يتّخذ من الشعير ، سمي بذلك لما يعلوه من فقاقيع الزبد ، ويشرب الفقاع في الكوز ، وهو اناء طويل العنق ، ضيّق الفوهة ، فاذا انصب منه الفقاع سمع له صوت وقرقرة ، قال أبو الحسن البتّي :

يا ربّ ثـدي مصصتـه بكراً ... وقد عراني خمار مغبوق
لـه هدير إذا شربـت بـه ... مثل هدير الفحول في النوق
كأن ترجيعـه إذا رشف الـ ... راشف فيه صياح مخنوق

وذكر ياقوت في معجم الأدباء ٢٣٩/١ ان أبا الحسن البتّي ، سقاه الفقاعي في دار فخر الدولة فقاعاً ، فلم يستطبه ، فرد الكوز مفكراً ، فقال له الفقاعي : في أيّ شيء تفكّر ؟ فأجابه : في دقّة صنعتك ، كيف أمكنك أن تخرى في هذه الكيزان كلّها ، مع ضيق رؤوسها ؟

٢ ـ الدبق : غراء لاصق ، يوضع على الأغصان ، فيلصق به الطير ، ويصاد ، وأحسب أن النساء يستعملنه في إزالة الشعر .

٣ ـ الملش : النتف ، وملش الريش : نتفه .

٤ ـ الخشت : النبلة .

٥ ـ تشير إلى أنها سيولد لها ولد .

لك في قلمك ، ولنا في دواتنا ، وفي آست المغبون منّا عود .

وكتبَتْ إليه : يا ابن جمهور ، ابعث لي بنفقة تكفيني ، وكسوة ترضيني ، وإلاّ ، والله ، خرجتُ وغنّيت ، وقمت بطنّ نفسي وعشرة معي[1] ، وأنت تعلم أنّ الجارية إذا خرجت للغناء ، دخل سراويلهـا الزناء ، وقد أعلمتك وأنت أبصر [ص١٣١] ، إن كنت تشتهي أن ينيكني إنسان ، فأنا لا أضايقك ، وأبلّغك شهوتك ، يا ابن جمهور ، عليك بالقحاب اللواتي يشبهنك ، فأنّهن كلّ سبعة بصفعة ، إذا قمتَ عن الواحدة ، قمتَ وفي كمّك عشرون ضرطة ، يفتخرن بك ، ويقلن كنّا عند أبي علي تاجر السلطان ، العظيم الجليل ، أنت يصلح لك مثل الحمارة البلهاء التي في دارك ، تكسر الجوز على رأسها ، ولا تجسر تكلّمك ، تظنّ أنّك الوزير ابن الزيات ، أو ابراهيم بن المدبّر ، فامّا زاد مهر التي تدقّك دق الكشك[2] ، وتهينك هوان الكتّان[3] ، فليست من ابزارك[4] ، والله ، ما أشبّه دارك بالبصرة ، إلاّ بدير هزقل ، وأنا فيها بعض المجانين المحبوسين ، خلّصني الله من ذنوبي ، كما خلّصني منك ومن رؤيتك ، فصرتُ أسعد الناس ببعدي عنك ، وان كنتُ في هذه المحنة ، ولكن من أخذي بهذه المحنة ، أن أبلي جسدي ، وأضيع شبابي ، على انتظارك ،

١ ــ الطن : بدن الانسان ، ومنه قولهم : لا يقوم بطن نفسه .

٢ ــ الكشك : طعام يتخذ من البرغل يداف باللبن ليختمر ، ثم يجفف ، ويدقّ ، حتى يعود دقيقاً .

٣ ــ الكتان : نبات تدقّ أغصانه ، وتستخرج منها ألياف يتخذ منها نسج الكتان ، وتهرس بذوره ، وتعصر ، فينتج منها زيت للاستصباح ، وانما قيل : هوان الكتان ، لأن أغصانه تدقّ ، وبذوره تهرس وتعصر .

٤ ــ الابزار ، والجمع أبازير : التوابل ، تريد أنه لا يليق لها ولا يستحقّها ، أما البغداديون الآن فيقولون : هذا مو أكلك .

وأنت مشغول عني بهزارك، مع اخوانك المدابير [1] مثلك ببغداد ، وأنا بالبصرة جالسة على الكرند ونقش البارية [2] .

ويلك يا ابن جمهور [ص١٣٢] سخنت عينك ، قد صرت لوطياً صاحب غلمان ومردان ، أعوذ بالله من البطر ، فإنّ الحايك إذا شبع سمّى آبنته ملكة ، وحياتك ، إنّي أخرج وأغنّي وأناك بالبصرة ، وغلمانك في بغداد يؤاجرون ، وتكون أنت ، في الوسط ، ابن جمهور ، الطيّب النفس ، ليس أنا على حكم نشاطك ، حتّى تكون تارة صاحب غلمان ، وتارة صاحب نساء ، وحياة أنفك المعوّج ، وكحلك ، وشوابيرك [3] [م٧٥] لأكافينّك صاعاً بصاع ، إذا أخذت أنت في الغلمان ، أخذتُ أنا الأخدان [4] ، وإذا أخذت في النساء ، ساحقتُ ، ولكنّي أزيد عليك ، لأنّك لا تراد حتّى تعطي ذهباً ، وأنا أراد وأعطى ذهباً ، وفي آست المغبون منّا عود ، لا خار الله لك فيما اخترت لنفسك ، وحياة شوابيرك المحذّفة ،

١ ـ المدابير ، مفردها : المدبر ، من الادبار ، كلمة شتيمة ، كانت مستعملة كثيراً في القرن الرابع ، قال الشاعر :

ولا تساعـد أبداً مدبـراً وكن مع الله على المدبر

٢ ـ الكرند ونقش البارية : احسب انهما صنفان من أصناف البسط الرخيصة ، والبارية : الحصير المنسوجة من القصب ، ما زال هذا اسمها ببغداد .

٣ ـ الشابورة : اسمها الآن عند البغداديين : كذله (بكاف فارسية) ، وكانت تسمى : الجمة ، أو الطرّة ، وهي مجتمع شعر الرأس ، اذا فرق في الوسط ، كان كل قسم منه يميل على الجبين فهو شابوره ، أقول : لعلها مأخوذة من الفارسية : شاهپر ، وهي أكبر ريشة في جناح الطير .

٤ ـ في الأصل : الأحداث .

وأصداغك المصفّفة[1] ، وملاحة الكحل في عينيك ، وبوائكك الواسعة [2] . وتمشكيك [3] ، ما كنت أنتظر إلاّ مثل هذا منك ، وأن تشتغل عنّي وأشتغل عنك ، فإن عشقتَ ، تعشّقتُ من هو أحسن منك ، وإن تزوّجتَ ، تزوجتُ من هو أظرف منك ، ويحك ، كأنّ ملحك على ركبتك ،[4] [ص١٣٣] نسيتنا واشتغلت عنّا ، إبعث لستّك العزيزة نفقة ، واحملها إليك من واسط ؛ حتى لا يضيق صدرها . واستعمل لي ، بحياتي ، عوداً بحاشية ساج . منقوشاً بعاج ، ويكون ظهره ديباج [5] ، حتى أجيء أغنّي به ، شه عليك يا ابن جمهور ، ما أعجل ما نسيت ذاك الذي كنت تقول : ما يهنّيني النوم حتى أمسكه بكفّي وأنام ، أو لعلك صادفتَ أكبر منه ، وأنعم ،

١ ــ الصدغ ، في اللغة : ما بين العين والأذن ، ثم سمي صدغاً ، الشعر الذي يتدلى على الصدغ ، قال الشاعر :

اذا كنت للتخميش والعض كارهاً فكن أبداً يا صاحبي منتقبـــا
ولا تبرز الأصداغ للنـــاس فتنـــة وتجعل منها فوق خديك عقربا

٢ ــ بوائكك الواسعة : لم أفهمها ، ولعل فيها تصحيف لم أفطن إلى اصلاحه .

٣ ــ تمشكيك : لم أفهمها .

٤ ــ ملحك على ركبتك : هذه الكناية ما زالت مستعملة ببغداد ، يراد بها انه ما دام الملح على الركبة ، فإن صاحبه ينفضه عنها إذا قام ، أي انه لا يـــدوم على عهد ولا يصبر على طعام ، وفي كنايات الجرجاني ص ١٢٧ : تقول العرب : ملحه على ركبتيه ، أي انه سيّء الخلق يغضبه أدنى شيء ، قال الشاعر :

لا تلمهـــا إنّهـــا من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

٥ ــ في الأصل : وشاح .

وأحرّ ، وأضيق ، فاشتغلت بذاك عنه ، والك [1] ، بحيـــاتي أصدقني عن هذا ، وان كان الصدق عندك غير موجود .

هذا غيض من فيض من كلامها .

وقال بعضهم : دخلت درب الزعفران [2] ، فاذا بين يديّ جارية تتغنّـــى :

١ — والك : أصلها ويلك ، خففت إلى والك ، وقد يقال : واك ، والعامة الآن ببغداد ، يقولون : وِلَك ، بواو مكسورة ولام مفتوحة ، أو : لَك بلام مفتوحة وكاف ساكنة ، يقولونها عند الخصومة والتحدي ، بخلاف اللبنانيين ، فانهم يقولون : ولك ، للتحبّب ، وقد يقولون : ولك يا حبيبي ، وكان الوزير علي بن عيسى ، قد تعوّد أن يقول والك ، حتى قالها للخليفة الراضي ، فحقدها الراضي عليه ، وأراد أن يبطش به ، راجع القصة ٣٧/٥ جـ ٥ ص ٨٠ و ٨١ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، وراجع كذلك الفرج بعد الشدة للتنوخي ، جـ ٤ ص ٣٦٤ لما قال الخليفة المقتدر للجارية القهرمانة ، التي حملت عشيقها في الصندوق : والك ، يا فلانة ، أيّ شيء في صناديقك ؟ ، وفي معجم الأدباء ٣٨٨/١ عن جحظة البرمكي ، قصّة عـــن الوقّاد الذي تغنّى بأبيات من الشعر ، فيهـــا كلمة والك وهـــي :

أنـــا أهواك ونـــور الـــــلـه فافعل ما بـــدا لك
إن تكـــن تمنعـــني شخـــصك فابعث لي خيـــالك
قـــد أخـــذت الـــدن والـطنبور والكـــاس فمـــالك
قـــل لمـــن في جنبك الـــقمعوث من دسّك والك

٢ — درب الزعفران : قال ياقوت في معجم البلدان ٥٦٢/٢ انه درب ببغداد كان يسكنه التجار وأرباب الأموال ، وبعض الفقهاء ، قال الشاعر :

اذا ذكـــر الحسان من الجنـــان فحيّهلا بوادي الماوشـــان
فيا لك منـــزلاً لولا اشتيـــاقي أصيحابي بدرب الزعفـــران

كثُر العتاب ، فقلت : إن عاتبتـه　　كان العتاب لودّه آستهلاكا
ورجوت أن تبقى المودّة بيننــا　　موفورة ، فوهبت ذاك لذاكا

ثم قالت : واطرباه ، واحرباه ، واشوقاه ، والتفتَتْ فرأتني . فقالت : ليس إلى مثلك .

وحدّثني آخر ، قال : رأيت جارية سوداء ، ضخمة بدينة ، في درب ببغداد [ص١٣٤] ، فقلت لرفيقي : ما يكون في الدنيا أضرط من سوداء ، فقالت سريعاً : في لحيتك يا شيخ (١) .

وقال آخر : استعرضت جارية مليحة ، وتوقّفت عن شرائها لعَرَجٍ كان بها . فقالت : إن كنت تريد جملاً تحجّ عليه ، فما أصلح لك ، وإن كنت تريد جارية للمتعة ، فالعرج لا يمنعك من ذلك .

وقال آخر : استعرضت جارية حسناء ، وكانت قدمها كبيرة ، فاستام صاحبها خمسة آلاف درهم ، فقلت : مع هذا القدم ؟ ونهضتُ ، فقالت : [م٧٦] هذه القدم وقت الحاجة تكون من ورائك .

وقال آخر : كنت واقفاً على باب الكرخ ، وإذا آمرأة كأنّها الجمل البختي (٢) أو قبّة فضّة (٣) ، تتكسّر في أعطافها ، فقلت لرفيقي : ليت كانت تلك الخفاف موضوعين على عاتقي ، فالتفتت اليّ ، وقالت : يا سيّدنا بلا القالب (٤) .

---

١ ــ أورد التوحيدي هذه النادرة في البصائر والذخائر .
٢ ــ الجمال البختية : هي الابل الخراسانية ، وتنتج من لقاح عربية بفالج ، وتكون ضخمة طوال الأعناق .
٣ ــ تشبيه المرأة بقبة من فضة ، تشبيه طريف .
٤ ــ تريد بالقالب : قدميها ، وقولها : بلا القالب ، يعني أن يصفع بالنعلين على عاتقـــه .

وقال آخر لجارية عيّارة : ليتك أمسيت تحتي ، فقالت : نعم يا سيّدي ، نعم ، مع ثلاثة أخر ، أي اذا كنتَ على الجنازة [1] .

وذكاء البغداديّين ، [وأخبار] مجونهم أكثر من أن[ص١٣٥] تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، فما ظنّك بخرعوبة [2] ، من بنات الملوك ، قد قد جمعت الذكاء مع الملاحة ، والفطنة مع الفصاحة .

منعّمة كانت لها في مساعط الـ زبرجد والياقوت تحلب ظيرها[3]

ومن خشب العود الذي وزن درهـم
بألف صحاح كان منه سريرهـا
يكـال بقفزان الدنانير مهرهـا
إذا قصّرت بالغانيات مهورهـا

قد أطرّ الفتاء [4] شاربها ، وزوى الاباء حاجبها ، ورخّم الدلال ألفاظها ، وفتّر النعيم ألحاظها ، وأرهف الظرف أعطافها ، وألانت النعمة أطرافها ، ولذّ للراشف مقبّلها ، واغتص بالبُرين [5] مخلخلها ، وآطّرد ماء النعيم بين رياض وجناتها ، وترقرق جريال الشباب [6] على صفحاتها ، وتورّد من صبغ الحياء خدّها ، واهتزّ من نضارة الصبا قدّها ، وشخص

١ ـ أورد التوحيدي هذه النادرة في البصائر والدخائر .
٢ ـ الخرعوبة : في اللغة : الغصن السامق الغضّ ،وتطلق الكلمة على الشابة الرقيقة ، الناعمة ، الحسنة القوام .
٣ ـ الظئر : المربّية .
٤ ـ الفتاء : الشباب .
٥ ـ البُرين : مفردها البرة ، وهو الخلخال .
٦ ـ الجريال : ماء الذهب ، واستعير اسماً للخمرة للمشابهة في اللون (شفاء الغليل ٥٩) .

للطراوة نهدها ، وارتجّت من الشحم أردافها ، وتشرّبت أنوار الحسن سوالفها ، ثم اعتدّت [1] ساخطة على محبّها ، وقد قطب التيه جبينها ، وشمخت النخوة بعرنينها[2] ، وطفقت[ص١٣٦] تعدّد عليه ذنوبه بأناملها المطرّفة [3] ، وتأبى قبول معاذيره المزخرفة ، حتى اذا انتهى عاشقها في الاستكانة والخضوع ، وبلّ أكمامه بسوارب الدموع ، افترّت مبتسمة عن شتيت الدرّ ، ونضحت بلطيف كلامها على ذلك الحرى [4] والحر ، ثم أقبلت نرجستا عيناها تدمعان [5] ، رحمة لعاشقها المبتلى ، فترى — والله — حباب الدموع ، وخمر الخجل ، ونفساً تموت ، فتحييها بزاد من القبل ، وتجشّمت — بعد ذاك — زيارته ، في ملاءة من الظلام ، ووافته وهو سادر في ساعة الأحلام ، وقد سرى أمامها أرج المسك الفتيق ، وعبق الجوّ منها بريّا الراح العتيق،وانثنت [م٧٧] متمايلة ، وقد بلّ البهر [6] غلائلها ، وفتّر الأين [7] مفاصلها ، وأرعد الوجد فرائصها ، وغمز المشي أخامصها ، وجعلت تمتنّ عليه بإلمامها ، وتدّعي فضل غرامها ، وتناسمه [8] من أحاديثها بما هو أقرّ لعينه ، وأشهى إلى نفسه ، من طول بقائها ، وبلوغ نعمائها ، تدوي بألحاظها ، وتداوي بألفاظها [9] ، تردي بمقلتها ، وتحيي

١ — في الأصل : أعيدت ، وقد تقرأ : اغتدت .

٢ — العرنين : الأنف .

٣ — الأنامل المطرّفة : المخضوبة أطرافها بالحنّاء .

٤ — الحرى : العقدة .

٥ — المألوف تشبيه العين بالنرجسة ، فيقال : أقبلت نرجستاها تدمعان ، أمّا ذكر المشبّه والمشبّه به ، بأن يقال : أقبلت نرجستا عيناها ، فأحسب ان ذلك من خطأ الناسخ .

٦ — البهر : انقطاع النفس ، ومنه سميت البهيرة ، وهي المرأة الشريفة الثقيلة الأرداف التي إذا مشت انبهرت ، أي انقطع نفسها وتتابع من الأعياء .

٧ — الأين : التعب والاعياء .

٨ — المناسمة : المحادثة والمسارّة .

٩ — تدوي : تمرض ، من الداء ، وتداوي : تبرىء ، من الدواء .

بقبلتها ، والعاشق [ص١٣٧] المسكين ينشد :

فديتُ مـــن طرقتـــني حتّى وفت لي بنـــذري
فقلت ، والعـــين منّـــي في حلبة الحسن تجري
ما لي أرى الشمس صـارت في ظلمة الليـــل تسري
قالت : تباهتَ بعـــدي وأنت تعـــرف عذري
الليـــل يحفـــظ سرّي والصبح يهتك ســتري
ثـــم آنثنـــتْ تتشكّـى إلـــى وصائف عشر
قـــالت : خـــذوني إليكم قد هدّ ركـــني خصري
وقـــد حنى غصنَ بانِي آلــ رطيبَ رمّـــانُ صدري
مـــا للّذي كان يشكـــو إليكـــم فـــرط هجري
مـــذ صار يصبر عنّـــي قد خانني فيـــه صبري
قد جئتـــه وهـــو لاهٍ في بيتـــه ليس يـــدري

ثم يأخذان في الشكوى ، ويطيلان النجوى ، ويطفئان نار الاشتياق بالضمّ والعناق .

وتزوّد المشتـــاق مـــن لثم وضمّ واعتناق [ص١٣٨]
وآقتصَّ للحقـــب الخـــوا لي بل تزوّد للبـــواقي

ثم ينشد طرباً لذكرها ، وطلباً لشكرها :

زارت على غفلـــة الرقيب ويـ ـناها تداري وشاحها[1] القلقا
فبتُّ منهـــا معانقـــاً رشـأً ينفح مسكاً وعنبراً عبقـــا
لو شئت أنشأت من ذوائبهـــا ليلاً ، ومن نور وجهها فلقا [2]

١ ــ الوشاح : الثوب أو القماش يدخل تحت الابط ويلقى باقيه على المنكب .
٢ ــ الفلق : الصباح .

هذا — والله — الديباج ، الخسرواني ، كما ترى .

وليت شعري ، مع هذه الأحوال ، كيف كنتم تكونون ، لو عاشرتم ظراف بغداد ، وملوكها ، وسمعتم [م٧٨] أغاني جواريهم المحسنات ، اللاتي يختلسن العقول ، ويخلبن القلوب ، ويسعرن الصدور ، ويعجّلن بعشّاقهن إلى القبور ، حين ترى قهوة ، جارية ابن الرصافي ، تغنّي :

هجرتني ثم لا كلّمتني أبداً
إن كنت خنتك في حالٍ من الحال
فسوّغيني المنى كيما أعيش به
ثم آحبسي البذل ، ما أطلقت آمالي (١)

أو ترى صلفة ، جارية أبي عائذ الكرخي ، وقد أخذت في هزارها ، واشتعلت بنارها ، وغنّت :

قالت بثينةُ لمّا جئت زائرها
سبحان خالقنا ما كان أوفاكا [ص١٣٩]
وعدتنا موعداً تنتابنا عجلاً
ثم آنقضى الحول عنّا ما رأيناكا
إن كنت ذا غرضٍ ، أو كنت ذا مرضٍ
أو كنت ذا خلّة أخرى عذرناكا (٢)

١ — أورد التوحيدي القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٦/٢ على غير ما أوردها هنا ، اذ سمى المغني « ابن الكرخي » والمستمع الذي طرب « السندواني » ، وزاد في الأبيات فجعلها أربعة ، والبيتان الزائدان هما ، بعد البيت الأول :

فلا انتجيت نجياً في خيانتكم ولا جرت خطرة منه على بالي

وبعد البيت الثاني :

أو ابعثي تلفاً إن كنت قاتلتي إليّ منك باحسان وإجمال

٢ — أورد التوحيدي القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٦/٢ وسمّى المغنية « حلية »، =

أو شاهدت طرب ابن الحريري الشاهد [1] على غناء بنت حسنون ، وتواجده بها [2] ، حين تغنّي :

رسل الغرام إليك تترى بالشوق طالعة وحسرى
إنّ الصبابة لم تدع منّي سوى جسدٍ معرّى
ما جفّ للعينين بعـ ـدكَ يا قرير العين مجرى [3]

أو ترى خلوب ، جارية أبي أيّوب القطان ، إذا آحتفلت ، واستهلّت ، ثم غنّت :

فيا لك نظرة أودت بعقلي وغادر سهمها منّي جريحا
فليت مليكتي جادت بأخرى وإن نكأت بها منّي قروحا
فاما أن يكون بها شفائي وإما أن أموت فأستريحا [4]

= جارية « أبي عائذ الكرخي » ولم يشر إلى من يطرب على صوتها ، وذكر الأبيات الثلاثة .

١ ـ يريد بالشاهد ، الرجل الذي عدله القاضي ، اذ كانت الطريقة المتبعة في ذلك الحين ، أن يتحقّق القاضي عمن عرف بالفقه والتقوى والنزاهة ، فيستمع شهادته في قضية من القضايا المعروضة عليه ، ويصدر فيها حكمه استناداً إلى تلك الشهادة ، ويعتبر ذلك « تعديلاً » للشاهد ، أي اعتباره عدلاً مقبول الشهادة ، ويكون مركزه مركز الكاتب العدل في أيامنا هذه ، اذ يشهد على الصكوك والمقاولات وتعتبر شهادته حجّة .

٢ ـ التواجد : اظهار الوجد ، وهو الفرح الغامر أو الحزن الشديد اللذان يدلاّن على على شدّة التأثّر .

٣ ـ أغفل التوحيدي ايراد هذه الفقرة في الامتاع والمؤانسة .

٤ ـ أورد التوحيدي القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٦/٢ وأورد الأبيات الثلاثة على أنها من غناء ظلوم جارية أبي سعيد الصائغ ، وان مولاها هو الذي طرب على غنائها ، أقول : لأبي سعيد الصائغ قصة لطيفة مع الواعظ ابن سمعون ، لما بعث اليه=

ثمّ ترى أبا عبيد الله المرزباني (١) ، وقد سمع هذا الغناء ، فتمرّغ في التّراب ، وهاج ، وازبد ، ونعر ، واستعر ، وعضّ بنانه ، وركل برجله ، ولطم وجهه ألف لطمة في ساعة، وخرج [ص١٤٠] في الحكاية كأنّه عبد الرزاق المجنون بباب الطاق ، أو تسمع علم القضيبيّة ، إذا تبارت في استهلالها ، وسمعها ابن خيرون ، فمزّق أطماره ، وخلع عذاره ، ودقّ برأسه الحيطان (٢) .

فيقال له : يا أبا القاسم : كلّ هذا يجري لسماع غناء .

فيقول : يا سيّدنا ، هذه سورة [م٧٩] إذا استولت على أهل مجلس ، وجدت لها عدوى لا تملك ، وغاية لا تدرك ، لأنّه قلما يخلو الانسان من صبوة ، أو صبابة ، أو حسرة على فائت ، أو فكر في متمنّى ، أو خوف

= مزنة ، جارية أبي سعيد خمسمائة خشكنانجة (البغداديون يسمونها كليجة) فكسر واحدة منها فوجد فيها ديناراً ، فكسرها كلها ووجد في كل واحدة ديناراً ، راجع القصة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي حـ ٧ ص ٢٤٠ رقم القصة ١٣٨/٧ .

١ – أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (٢٩٧ – ٣٨٤) : اخباري ، مؤرخ أديب ، ولد وتوفي ببغداد ، له أكثر من عشرين مؤلفاً ، قال عنه أبو علي الفارسي : أبو عبيد الله من محاسن الدنيا ،وكان له في داره خمسون ما بين لحاف ودواج معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عنده (تاريخ بغداد لابن الخطيب ١٣٥/٣ و١٣٦) .

٢ – أورد التوحيدي القصة في الامتاع والمؤانسة ١٦٧/٢ وسمّى المغنّية قلم القضيبية ، وذكر أنّ الذي طرب على صوتها هو أبو الوزير الصوفي ، وأورد ثلاثة أبيات لم يوردها في هذه الرسالة ، والقضيبيّة : هي التي تضرب مع غنائها بالقضيب على مخدة من الجلد ، وهي طريقة معروفة منذ القديم ، راجع نشوار المحاضرة للتنوخي حـ ٢ ص ٣٤٣ رقم القصة ١٨٠/٢ ، وفي الموسوعة التيمورية ٢١٢ سماه : قضيب القول ، أقول : سبب هذه التسمية أن الغناء إذا كان في حفلات صوفية ، أو في أبيات من الشعر صوفية ، سمي قولاً ، تمييزاً له عن الغناء الذي هو من لون آخر .

من قطيعة ، أو رجاء لمنتظر ، أو حزن على حال ، فالناس كلهم على جديلة واحدة في هذه الحال .

أو تشاهد طرب ابن صبر القاضي ، على غناء درّة جارية أبي بكر الجراحي [1] ، في درب الزعفراني[2] ، إذا غنّت :

لست أنسى لهـا الزيارة ليـلاً طرقتنـا وأقبلت تتثنّـى
طـرقت ظبيـة الرصافة ليلاً فهي أحلى من جسّ عوداً وغنّى
كم ليال بتنـا نلذّ ونلهـو ونسقّى شرابنا ونغنّى [ص١٤١]
هجرتنـا فمـا إليها سبيـل غير أنّا نقول كان وكنّا [3]

فترى — والله — اذا بلغت « كان وكنّا » عجباً في عزّ رجب ، من دمع منهمل ، وباكٍ متحرّق ، وسرّ مكتوم قد بدا ، ودليل للعشق قد أفصح عن صاحبه ونادى [4] .

أو طرب ، قاضي القضاة ابن معروف [5] ، على غناء عليّة ، إذا

---

١ — أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل ، المعروف بابن الجرّاح (ت ٣٨١) ، كان يقول : كتبي بعشرة آلاف درهم ، وجاريتي بعشرة آلاف درهم ، وسلاحي بعشرة آلاف درهم ، ودوابي بعشرة آلاف درهم ، وكان فارساً ، يلبس أداته ، ويركب فرسه ، ويخرج إلى الميدان ، ويطارد الفرسان فيه ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي حـ ٤ ص ٤٠ رقم القصة ١٦/٤ .

٢ — كذا في الاصل ، وفي معجم البلدان ٥٦٢/٢ : درب الزعفران .

٣ — أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧١/٢ بالأسماء التي أوردها في الرسالة ، والشعر المغنّى به .

٤ — أثبت التوحيدي هذا الكلام بنصه في الامتاع والمؤانسة ١٧٢/٢ .

٥ — أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف ، قاضي القضاة ببغداد (٣٠٦ — ٣٨١) : كان رجلاً جليلاً ، أديباً ، متكلماً ، فقيهاً ، وسيم المنظر ، ظريف الملبس ، طلق اللسان ، بليغ العبارة ، فطناً ، عارفاً ، مجرباً ، محنكاً ، صارماً في أحكامه ، عفيفاً ، نزهاً ، كان أثيراً عند الخليفة المطيع ، وعند الطائع ،وكان الصاحب بن عباد=

رجّعت في حلقها الشجيّ ، وغنّت :

أنيري مكان البدر إن أفــل البــدر
وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر
ففيك مــن الشمس المنيرة نورها
وليس لها منك المحاجر والثغر (١)

أو طرب أبي اسحاق الجرجانيّ ، على صوت درّة البصرية ، إذا غنّــت :

فــديت مـــن زار وما زارا كأنّـــه مقتبس نـــارا
قام ببـــاب الــدار مستعجلاً ما ضرّه لو دخل الــدارا
نفسي فــداء لك من زائـــر ما حلّ حتّى قيل قد سارا (٢)

= يتشوّق إلى رؤياه ، راجع خبره مع العيار البغدادي بباب الطاق ، في الامتاع والمؤانسة ١٨٨/٣ وعن صلابته في الحق راجع تجارب الأمم ٣٣٩/٢ و ٣٤٠ والمنتظم ٦٤/٧ و ٧٦ ، وراجع في اليتيمة ١١٢/٣ ، ما كتبه الصاحب عنه ، وراجع أخباره في نشوار المحاضرة للتنوخي في القصص المرقمات ٥٨/١ و ٧٢/٣ و ١١٦/٣ و ٥/٥ و ١٥٠/٦ .

١ — أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٢/٢ وذكر اسم المغنية « علية » وان من يطرب على غنائها ، قاضي القضاة ابن معروف ، وذكر البيتين .

٢ — أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ، وذكر اسم المغنية ، كما ذكر أن من يطرب على غنائها ، أبو اسحاق الطبري ، والطبري والجرجاني واحد ، وهو ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري المقرىء ، قال عنه التنوخي ، انه كان أحد الشهود ببغداد ، وشهد أيضاً بالبصرة ، والابلة ، وواسط ، والأهواز ، وعسكر مكرم ، وتستر ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، وأمّ الناس بالمسجد الحرام أيام الموسم ، وما تقدّم فيه من ليس بقرشي غيره ، وهو مالكي المذهب ، وكان يكتّم مولده ، ويقال انه ولد سنة ٣٢٤ (نشوار المحاضرة حـ ٦ ص ١٣ رقم القصة =

أو طرب ابن الحجّاج الشاعر ، على غناء فتوّة القصريّة ، وهي جارته وعشيقته ، وله معها أحاديث ومشابكات [ص١٤٢] ، ومع زوجها أعاجيب وهتار ، ومكاتبات ومعايرات ، إذا أنشدت :

يا ليتـني أحيى بقربهـــم فاذا فقدتهم انقضى نحبي

وثنّت بصوتها الآخر :

[م٨٠] هبيني امرءاً إمّا بريئاً ظلمتــه
واما مسيّئاً قد أنــاب وأعتبــا
وكنت كذي داء بغـى لدوائــه
طبيباً ، فلما لم يجده تطبّبــا (١)

أو طرب ابن نباتة الشاعر (٢) ، على صوت خاطف (٣) ، إذا غنّـت :

= ٧/٦) ، وأورد في الامتاع والمؤانسة أبياتاً أربعة ، والبيت الرابع هو:
لــو دخــل الدار وكلّمتــه في حاجتي مــا دخل النارا

١ ـ وردت هذه القصة في الامتاع والمؤانسة١٧٢/٢ وورد اسم المغنية «قنوة البصرية» وهو تصحيف ، والاسم المثبت في هذه الرسالة هو الصحيح، أما الأبيات،وان الذي يطرب عليها ابن الحجاج ، فكما ورد في الرسالة .

٢ ـ أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة السعدي (٣٢٧ ـ ٤٠٥) : ذكره التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ١٣٦/١ و ١٣٧ وقال عنه انه شاعر الوقت ، ولكنه لم يسلم من لسانه ، فقد قال من بعد ذلك « ان فيه شعبة من الجنون وطائف من الوسواس » .

٣ ـ خاطف المغنية (القوّالة) : من شهيرات المغنيات ببغداد ، في القرن الرابع ، كانت تغنّي بالقضيب في الشعر الصوفي ، وهو الذي يسمى « قولاً » وعمرت طويلاً ، وعبرت السبعين وهي تغنّي ، وكان أبو القاسم بن بنت منيع ، وهو ابن مائة سنة ، يمضي إلى مجلس « ستّي خاطف » ويسمع غناءها ، ويتواجد « من قولها » ، راجع نشوار المحاضرة للتنوخي حـ ٢ ص ٣٤٣ رقم القصة ١٨٠/٢ .

تلتهب الكاس من تلهّبهـــا وتحسر العين أن تقصّاهـــا
كـأنّ نـاراً بها محرّشـــة تهابهـا تارة وتغشاهـــا
نأخذهـــا تـــارة وتأخذنـا فنحـــن فرسانهـــا وصرعاها

وغنّت هزجاً :

يقول لي العذول تســلّ عنهـا
فقلت له : أتدري ما تقـــول
هي النفس التي لا بدّ منهـــا فكيف أزول عنها أو أحول [1]

أو طرب ابن الأزرق الكلوذاني ، على غناء سندس جارية ابن يوسف ، صاحب ديوان السواد ، إذا تشاجت [ص١٤٣] ، وتدلّلت ، وتقتّلت ، وتكسّرت ، وقالت : أنا — والله — كسلانة ، مشغولة القلب ، من أحلام أراها رديّة، وبخت إذا استوى ، التوى ، وأمل إذا ظهر عثر ، ثم اندفعت تغنّي :

مجلس صبّـــين عميديـــن ليسا من الحبّ بخلـــوين
قـــد صيّرا روحيهمـــا واحداً وانقسما ما بين جسمـــين
تنازعـــا كأساً على لـــــذّة قد مزجاها بين دمعـــين

١ — أورد التوحيدي هذه القصة ، في كتاب الامتاع والمؤانسة ١٧٠/٢ وذكر اسم المغنية « خاطف » واسم الذي يطرب على غنائها « الشاعر ابن نباتة » وذكر الأبيات الثلاثة الأولى ، التي أولها : تلتهب الكأس ، أما الأبيات الأخرى التي مطلعها : يقول لي العذول ، فقد أفردها في الامتاع ١٧١/٢ في قصة على حدة ، ذكر أن من يغنيها فتى اسمه ابن بهلول ، كان يغنيها (يقولها) في رحبة المسجد بعد صلاة الجمعة ، وان الذي يطرب لسماعها شيخ صوفي اسمه المعلّم غلام الحصري شيخ الصوفيـــة .

والكـأس لا تحسـن إلاّ إذا　　أدرتهـا بين محبّين [1]

أو طرب أبي محمد البرداني ، على غناء علوة جارية ابن علّويه ، في درب السلقيّ بالكرخ ، إذا رفعت عقيرتها ، وغنّت بأبيات الصروي [2] :

بالورد في وجنتيك مـن لطمك　　ومن سقاك المدام قد ظلمك
خلاّك مـا تستفيق من سكـر　　توسع ضرباً وسبّة خدمك
معقرب الصدغ قد ثملـت فما　　تمنع من لثم عاشقيك فمك
بالله يـا أقحوان مضحكـه　　على قضيب العقيق من نظمك [3]

---

١ ـ أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٣/٢ وسمى الجارية المغنية سندس، وذكر انها جارية ابن يوسف صاحب ديوان السواد ، وذكر ان الذي يطرب على سماعها ابن الأزرق الجرجرائي ، نسبة إلى جرجرايا ، وهي مدينة من من مدن النهروان الأسفل (مراصد الاطلاع ٣٢٤/١) أما الكلوذاني ، فنسبته إلى كلواذى ، من قرى بغداد ، في أسفلها (مراصد الاطلاع ١١٧٦/٣) أقول : اسمها الآن : كرارة .

٢ ـ أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٦٥/٢ وذكر اسم المغنية واسم الدرب ، وذكر من يطرب على سماعها باللقب وحده : البرداني ، نسبته إلى البردان قرية من قرى بغداد ، ومنهم من يجعلها من قرى الخالص (مراصد الاطلاع ١٧٩/١) ودرب السلق : من دروب بغداد ، ذكره صاحب معجم البلدان ٥٦٣/٢ ، والصروي هو أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي : شاعر ، أديب ، واسطي ، كان منقطعاً إلى أبي العباس سهل بن بشر عامل الأهواز ، ونقل التنوخي في نشوار المحاضرة شيئاً من شعره وأخباره ، وهو من معاصريه ، راجع نشوار المحاضرة ، القصص ٩٧/٢ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٩٤ ، و ٥٣/٧ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ١١١ .

٣ ـ في الامتاع والمؤانسة ١٦٦/٢ بيتان زائدان عما في الرسالة ، موضعهما بين البيتين الثالث والرابع ، وهما :

تجـرّ فضل الازار منخرق الـ　　ـنعلين قد لوّث الثرى قدمك
أظـلّ من حـيرة ومن دهـش　　أقول لما رأيـت مبتسمك

[م٨١]أو طرب ابن المتيّم الصوفي ، على غناء نهاية ، جارية [ص١٤٤] السلمي ، إذا اندفعت بشجوها ، وقوّست حاجبها بدلالها ، وغنجت عينيها ، وغنّــــت :

استودع الله في بغـــداد لي قمـــراً
بالكرخ من فلك الازرار مطلعــــــه
ودّعته وبودّي لـــــو يودّعني
صفو الحيـــاة وأنّي لا أودّعه (١)

أو طرب ابن غيلان البزّاز ، على ترجيعات ريحانة جارية ابن البريدي (٢) إذا غنّت :

١ ــ البيتان من قصيدة لابن زريق البغدادي ، أقول : أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٦٦/٢ وذكر ان اسم الجارية نهاية ، وانها جارية ابن المغني ، وان الذي كان يطرب على سماعها (ابن فَهْم) الصوفي . وأورد بيتي الغناء ، أقول : أخطأ المحقق في كتابة اسم « ابن فهْم » في الامتاع والمؤانسة فأثبته بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ، وصوابه : ابن فَهُم ، بفاء مفتوحة وهاء مضمومة ، وقد أورد صاحب المنتظم ٣٧/٦ سبب هذه التسمية ، وذلك لأنّه لما ولد ، عمد أبوه إلى المصحف يختار له اسماً ، فكان كلما صفح ورقة ، خرج (فهم لا يعلمون ، فهم لا يبصرون ، فهم لا يسمعون) فضجر الأب ، وسمّى ولده فَهُم ، هذا ولما كان الصوفي ابن فهم قد توفي في السنة ٢٩٠ والتوحيدي يتحدّث عن صوفي من رجال القرن الرابع ، فليس هو ابن فهم على كل حال .

٢ ــ آل البريدي ، أخوة ثلاثة من أهل البصرة ، كان أبوهم عاملاً في البريد ، وأخذ أولاده الثلاثة يضمنون ضياع السلطان ، فتقدموا ، وسيطروا ، ورشوا من يرتشي من العمال والوزراء ، فتمكنوا ، وجيشوا جيشاً ، واستولوا على البصرة والأهواز . وكانوا من الظالمين ، شأن أكثر الحكام المتسلطين في ذلك الحين ، حتى انهم كانوا ينعلون الناس بنعال الدواب ، ويسمّرون أيديهم بالحائط ، ويسلّون أظفارهم ، ويضربون =

أعـــط الشبـــاب نصيبـــه ما دمـــت تعذر بالشبـــاب
وآنعـــم بأيّـــام الصبـــا وآخلع عذارك في التصابي (١)

فيقال له ها هنا : أيش كان يعمل ابن غيلان ، عند هذا الغناء ، حتّى تعجب منه ؟

فيقول : يا سيّدنا ، إذا سمع هذا ، انقلبت حماليق عينيه ، وسقط مغشياً عليه ، وهات الكافور ، وماء الورد ، ومن يقرأ في أذنه آية الكرسي ، والمعوّذتين ، ويرقى بشراهيا مراهيا ، أيش يعمل يا بارد ؟ هكذا يعمل .

نعم ، يا سيّدنا ، أو طرب ابن الصوفي ، إذا سمع غناء ترف الصّبابة (٢) ، في صوتها ، عند نشاطها ومرحها [ص١٤٥] ، وهواها حاضر ، وطرفها اليه ناظر :

= لحومهم بالقصب الفارسي ، للتفصيل راجع كتابنا موسوعة العذاب ، وكان آخر أمرهم ، أن قتل كبيرهم أبو عبد الله أخاه الثاني أبا يوسف ، أما الثالث أبو الحسين فقتل صبراً ببغداد ، وتأمر أبو القاسم بعد أبيه أبي عبد الله ، ولكن معز الدولة البويهي طرده من البصرة فالتجأ إلى هجر ، ثم استأمن إلى معز الدولة ، وقدم عليه بغداد ، فأعاد عليه ضياعه ببادوريا ، وأقطعه ضياعاً جديدة ، وأنزله بدار الموزة بمشرعة الساج محتاطاً عليه ، وأقام ببغداد ومات سنة ٣٤٩ ، والظاهر أن اهله وجواريه ، أقاموا ببغداد ، راجع أخبار البريديين في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، وتجارب الأمم .

١ ــ أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٦٦/٢ وذكر أن اسم الجارية « بلور » وقال انها جارية ابن اليزيدي ، وهو تصحيف ، صوابه : ابن البريدي ، كما ورد في هذه الرسالة .

٢ ــ لم أجد فيما لديّ من مراجع ذكراً للصبابة ، ولعلها محرفة عن القصّابة ، أي الزمّارة التي تزمر بالقصب ، راجع كتاب قاموس الموسيقى العربية ص ٤٥ .

لـــــبّ الهوى كلمــا دعاكا ولاح ِ في الحبّ من نهاكـــا
من لام في الحبّ أو لحاكـــا فزده في غيّه آنهماكـــــا
إن لم تكن في الهوى كذاكـــا فإنّ أربابه سواكـــا [1]

أو طرب ابن البخاري على غناء أقحوان ، جارية ابن الأعمى ، بين السورين ، في مجلسها الغاص بنبلاء الناس ، إذا غنّت :

أمـــا ومحلّ ذكـــرك من لساني وقلبي حين أخلـــو بالأماني
لقد أصبحت أغبط كلّ عينٍ تعاينها فأسعد بالعيان [2]

أو طرب ابن الوراق النحوي ، على غناء روحة ، جارية ابن الرصافة . إذا غنّت :

إذا أردت سلوّاً كان ناصركـــم
قلبي فهل أنا من قلبي بمنتصر
فأكثروا أو أقلّوا من إساءتكـــم
فكلّ ذلك محمول على القـــدر
وضعت خدّي لأدنى من يطيف بكم
حتى آحتقرتُ وما مثلي بمحتقر [3]

---

١ ــ أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٠/٢ وذكر اسم المغنية ترف الصائبة ، وهو تصحيف ، وذكر اسم من يطرب على صوتها ، فسماه : ابن العوذي .

٢ ــ أورد التوحيدي هـــذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٦/٢ وسمى الجـــارية روعة ، جارية ابن الرضي في الرصافة ، وان الذي يطرب على صوتها ، هو ابن الوراق .

٣ ــ الابيات للعباس بن الاحنف ، أقول : أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٧/٢ وسمى الجارية خلوب ، جارية أبي أيوب القطان ، وان =

[م٨٢] يا سيّدنا ، بسبب هذا ونظائره من شعر آبن [ص١٤٦] الأحنف ، عابه الواسطيّ ، وقدح في دينه ، وألصق به الريبة ، وآستحلّ في عرضه الغيبة ، ولقّبه بالمنفرّ عن المذهب ، وقاطع الطرق على المسترشد ، وقد رأيت أنا هذا الواسطي ، وقد حضر بعض الأربطة ، وسمع من غنّى بقول العباس بن الأحنف :

فأكثروا أو أقلّوا من إساءتكم فكلّ ذلك محمول على القدر

فجنّ ، واستغاث ، وشقّ الجيب ، وحولق ، واستغفر ، وقال : يا قوم أما ترون إلى العباس بن الأحنف ، لا يكفيه أن يمجن ، حتّى يكفر ، متى كانت الفضائح ، والذنوب ، والعيوب ، محمولة على القدر ، ومتى قدّر الله هذه الأشياء ، وقد نهى عنها ، ولو قدّرها كان قد رضي بها ، ولو رضي بها لما عاقب عليها ، ولو قدّرها على عبده وعاقب عليها كان من الظلم الذي يقبح بالمخلوق ، فكيف بالخالق ، إنّا لله ، لعن الله الغزل إذا شيب بالمجانة ، ولعن المجانة إذا قرنت بما يقدح في الديانة ، حتّى قال له أبو صالح الهاشمي : هوّن عليك يا شيخ ، فليس هذا كلّه على ما تظنّ ، القدر يأتي على كل شيء ، ويتعلّق بكلّ شيء ، ويجري على كل كل شيء ، [ص١٤٧] ، وبكل شيء ، وهو سرّ الله المكتوم ، والعلم الذي يحيط بكل شيء ، وكل ما جاز أن يحيط به علم ، جاز أن يجري به قدر ، وإذا جاز هذا ، جاز أن ينشر عنه خبر ، وما هذا التحارج والتضايق ،

= الذي يطرب على غنائها هو الزبيري وأورد الأبيات الثلاثة ، وعلّق عليها التعليق الذي كان قد أثبته في هذه الرسالة من تكفير العباس بن الأحنف ، ولكنه في كتاب الامتاع ذكر أن المكفّر هو أبو عبيد الله المرزباني ، وان المدافع عن العباس هو أبو صالح الهاشمي ، مع انه في هذه الرسالة يقول أن المكفّر هو الصوفي الواسطي ، هذا ، وقد ذكر صاحب الأغاني ٣٥٤/٨ ان الذي كان يلعن العباس ابن الأحنف ويكفّره من أجل هذين البيتين هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المعتزلي المتكلم المتوفى سنة ٢٣٥ .

والشاعر يهزل ويجدّ ، ويقرب ويبعد ، ويصيب ويخطىء ، ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به الرجل الديّان ، والعالم ذو البيان (١) .

نعم يا سيّدنا ، أو طرب ابن مهدي ، على منتظم وعلوة ، جاريتي بنت خاقان ، إذا غنّتا :

أروّع حين يأتيني الرسول وأكمد حين لا يأتي رسول
أؤمّلكم وأعلم أنّ قلبي إلى كذب المنى فيكم يؤول (٢)

أو طرب ابن غسّان البصري المتطبّب (٣) ، إذا سمع حبابة ، جارية أبي تمام الزينبي (٤) ، إذا غنّت :

---

١ ــ يقول التوحيدي انه رأى بعينه الواسطي ، وقد حضر في رباط من الأربطة وسمع أبياته ، فأخذ في تكفير العباس بن الأحنف ، مع أنه في الامتاع والمؤانسة ١٧٧/٢ ينسب التكفير وهذه الأقوال بنصّها إلى آخر غير الواسطي ، هو أبو عبيد الله المرزباني الذي يسميه شيخنا .

٢ ــ أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٧٨/٢ وذكر البيتين ، ولكنه ذكر اسم علوة وحدها ، ولم يذكر منتظم ، وذكر ان الذي كان يطرب على الصوت : ابن المهدي .

٣ ــ في الأصل : النصراني المتأدب ، وهو تصحيف ، وصوابه : البصري المتطبب ، وهو أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار الداري الصيدلاني البصري ، الطبيب ، الشاعر ، طبيب من أهل البصرة ، خدم بصناعته ملوك بني بويه ، ترجم له ابن القفطي في تاريخ الحكماء ٤٠٢ وذكره صاحب اليتيمة ٤٢٨/٣ وترجمه أبو حيان في الرسالة ترجمة كررها بنصها في الامتاع والمؤانسة ١٦٩/٢ و ١٧٠ ، وذكره التنوخي في نشوار المحاضرة في أكثر من موضع .

٤ ــ أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي الهاشمي : كان من وجوه أهل البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكانت بينه وبين الوزير المهلبي مصاهرة ، ولما توفيت زينة ابنة الوزير المهلبي ، وكانت مستترة من بختيار الديلمي ، احتملها أبو تمام إلى داره ، وتولى =

[م٨٣] وحياة من أهوى لأنّي لم أكن
أبداً لأحلف كاذباً بحياته
لأخالفنّ عواذلي في لذّتي
ولأسعدنّ أخي على لذّاته [1]

فيقال له ها هنا : هذا ابن غسان ، زيادة ، أيّ رجل كان يا أبا القاسم ؟

فيقول : هذا ابن غسّان ، كان فتى مليحاً ظريفاً [ص١٤٨] ، حسن الأدب ، محذّقاً فيما بين الأطبّاء ، وهو الذي يقول في أبي نصر العامل [2] ، وقد عالجه من علّة ، فلم يتفقّده ، ولم يقض حقّه :

هب الشعراء تعطيهم رقاعاً مزوّرة كلاماً في كلام
فلم صلة الطبيب تكون زوراً وقد أهدى الشفاء من السقام
عجبت لمن نمته أرض لؤم وبخل كيف يحسب في الكرام
وتربة أصفهان تفيد شؤماً ولؤماً مستقرّاً في العظام
نسبتّ إلى السماحة لا لشيء سوى تفضيل لؤمك في اللئام

وكان آخر أمره المسكين ، أنّه غرّق نفسه في كرداب كلواذى [3] ، وذلك لأسباب اجتمعت عليه من صفر اليد ، وسوء الحال ، وجرب أكل

= أمرها ، ودفنها في مقابر قريش ، راجع في كتابنا موسوعة العذاب سبب استتارها ، وما سامها به بختيار .

١ ــ أورد التوحيدي في الامتاع والمؤانسة هذه القصة ١٦٩/٢ ولكنه ذكر أن ابن غسان كان يطرب على غناء « ابن الرقّاء » ، المغني .

٢ ــ أبو نصر هذا ، كان عامل الأهواز (اليتيمة ٤٢٨/٢) وفي الأصل : أبو مضر العاقل وهو تصحيف .

٣ ــ كرداب ، فارسية ، معناها : دوامة البحر ، والبغداديون يسمونها: سوّيرة .

بدنه ، وعشق حرّق قلبه ، على غلام الآمدي ، الحلاوي بباب الطاق ، وحيرة غرب معها عقله ، وبخذل رأيه ، حتى جرّ إلى نفسه حينها بما أقدم عليه ، نسأل الله تعالى حسن العقبى ، بدرك المنى ، فليس إلى الانسان من أمره شيء ، وما هو آيض إليه ، فهو مملوك عليه ، متصرّف فيما يتصرّف فيه ، وهو يظنّ أنّه مأتيٌّ من قِبَلِه ، ولعمري من غُلِّطَ غلط ، ومن [ص١٤٩] غولط تغالط ، والكلام في هذا حماش ، والاغراق فيه توسوس ، والافراج عنه أجلب للأنس ، وأفضى لسلامة القلب من الوساوس والهواجس ، وما أحسن ما قال القائل :

إذا استعتقت رقّي من ليـــال   تخلّصني فأسري في خلاصي [1]

وحبابة ، هذه التي ذكرت حالها وغناءها ، كانت تنوح أيضاً في الكرخ ، وظلت واحدة ، لا أخت لها ولا نظيرة ، آنس الله المجلس والحاضرين ، وأعاذهم من كلّ سوء ، والناس تهالكوا عليها وعلى نوحها ، بالعراق ، وكان قدم بغداد خراسانيّ ، من أهل شاش ، فاشتراها بثلاثين ألف درهم عزّيّة [2] ، وخرج بها إلى المشرق ، وقيل ، إنّها لم تعش هناك إلاّ دون سنة ، لكمد لحقها ، وهوى لها [م٨٤] ببغداذ ماتت منه ، وأنا رأيت لها أختاً يقال لها صبابة ، وكانت في الحسن والجمال فوقها ، وفي الصنعة والحذق دونها ، وزلزلت هذه بغداد في وقتها ، ولم يكن للناس إلا حديثها ، في نوادرها ، وأجوبتها الحاضرة ، وحدّة مزاجها ، وسرعة حركتها ، بغير طيش ولا إفراط ، وهذه [ص١٥٠] معان إذا اجتمعت في جارية ، بل في عدّة من المغنّيات ، ملكن بها الأسمـــاع

---

١ — الذي ذكره أبو حيان في هذه الرسالة ، أورده بنصه في كتاب الامتاع والمؤانسة ١٦٩/٢ و ١٧٠ .

٢ — الدراهم العزّيّة : التي من ضرب عز الدولة بختيار الديلمي ابن معز الدولة البويهي .

والقلوب [١] .

أو طرب ابن سمعون الصوفي [٢] ، على آبن بهلول ، إذا أخذ القضيب ، وأوقع ببنانه الرخصة ، ثم زلزل الدنيا بصوته الناعم ، ورنّته الرخيمة ، وإشارته الخالبة ، وحركته المدغدغة ، وظرفه البارع ، ودماثته الحلوة ، وغنّـى :

ولو طـاب لي غرس لطابت ثمـاره
ولو صحّ لي غيبي لصحّت شهادتي
تزهّدتُ في الدنيـا وإنّي لراغب
أرى رغبتي ممزوجة بزهـادتي
أيا نفس ما الدنيا بأهل لحبّهـا
دعيها لأقوام عليها تعاوتِ [٣]

أبو طرب أبي سعد البادراني ، على غناء غلام الأمراء ، إذا غنّى :

وجاءني في قميص الليـل مستتراً
يستعجل الخطو في خوف وفي حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنـا
مثل القلامة قد قدّت من الظفر [٤]

١ ـ الذي ذكره أبو حيان في هذه الرسالة ، في بحثه عن حبابة ، وأختها صبابة ، أورده بنصه في الامتاع والمؤانسة ١٨١/٢ و ١٨٢ .

٢ ـ ابن سمعون الصوفي ، هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن اسماعيل (٣٠٠ ـ ٣٨٧) ولد وتوفي ببغداد ، وكان زاهداً ، واعظاً ، لقب بالناطق بالحكمة ، حتى قيل : أوعظ من ابن سمعون (الاعلام ٢٠٤/٦) .

٣ ـ أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ، وذكر الأبيات الثلاثة . راجع الامتاع والمؤانسة ١٧٣/٢ .

٤ ـ ذكر التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ١٧٤/٢ اسم المغني غلام الأمراء ، ولكنه=

وغلام الأمراء هذا ، هو الذي يقول فيه القائل :

أبـــو العباس قد حــــــــجّ وقد عاد وقد غنّى [ص١٥١]
وقـــــد علّـــق عنّـــازاً [١] فهذا « هَمْ كما كنّا » [٢]

وأصحابنا البغداديّون يستملحون قولهم « هَمْ كما كنّا » ويرونه من العيّ الفصيح [٣] .

أو طرب أبي سليمان المنطيقي [٤] ، إذا سمع غناء هذا الصبيّ الموصلي، الذي فتن الدنيا ، وملأها عيارة وخسارة ، وافتضح أصحاب النسك والوقار ، وأصناف الناس من الصغار والكبار ، بوجهه الحسن ، وثغره المبتسم ، وحديثه الساحر ، وطرفه الفاتر ، وقدّه المائد ، ولفظه الحلو ، ودلّه الخلوب ، وتمنّعه المطمع ، وإطماعه الممتنع ، وتشكيكه بين الوصل والهجر ، وخلطه الاباء بالاجابة ، ووقوفه بين لا ونعم ، إن صرّحت له كنى ، وإن كنيت [م٨٥] له صرّح ، يسرقك منك ، ويردّك عليك ،

= أثبت بيتين ، غير البيتين المثبتين في هذه الرسالة ، كما انه ذكر في الامتاع والمؤانسة ان الذي يطرب على الصوت هو ابن حيويه ، والبيتان اللذان أوردهما في كتاب الامتاع والمؤانسة ، هما :

قد أشهـــد الشارب المعـــدّل لا معروفه منكـــر ولا حصر
في فتيـــــة ليّـــــني المآزر لا ينسون أحلامهم إذا سكروا

١ ــ في الاصل : وقد عانق عياراً ، وهو تصحيف ، والصحيح ما اثبتناه . والعنّاز : طبل كان يعلقه اصحاب الغناء في اعناقهم (الامتاع والمؤانسة ١٧٤/٢) .

٢ ــ هَمْ : بغدادية خالصة بمعنى : أيضاً ، ما زالت مستعملة ببغداد .

٣ ــ هكذا وردت الجملة في الرسالة وفي الامتاع والمؤانسة ١٧٤/٢ ، فتركتها على حالها ، وان كنت احسب ان الصواب : من العاميّ الفصيح .

٤ ــ ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي ، اكبر علماء بغداد في عصره في المنطق والحكمة والفلسفة ، وهو شيخ ابي حيان التوحيدي في الفلسفة .

يعرفك منكراً ، وينكرك عارفاً ، فحالته — يا سيّدنا — حالات ، وهدايته ضلالات ، فتنة الحاضر والبادي ، ومنية السابق والهادي ، في صوته الذي هو من قلائده :

عرفت الذي بي فلا تلحني وليس أخو الجهل كالعالم [ص١٥٢]
فلو كنتُ أبصرتُ مثلاً له إذاً لمتُ نفسي مع اللائم
وكنت أخوّفه بالدعا وأخشى عليه من المائم
فلما أقام على ظلمه تركت الدعاء على الظالم [١]

أو طرب أبي عبد الله النفّريّ [٢] ، على إيقاع ابن القصباني ، إذا وقّع بقضيبه وغنّى :

أنسيت الوصل إذا بتـ ـنا على مرقد ورد
واعتنقنا كوشاح وانتظمنا نظم عقد
وتعطّفنا كغصنيـ ـن وقدّانا كقدّ [٣]

أو طرب ابن المقنعي أبي طاهر العدل ، علي علّون ، غلام ابن عرس ، فإنّه كان إذا حضر ، ألقى إزاره ، [وحلّ أزراره] [٤] ، وقال لأهل

١ — أورد التوحيدي ، هذه القصة بنصّها وفصّها في الامتاع والمؤانسة ١٧٤/٢ و ١٧٥ .
٢ — في الاصل : البصري ، والصواب ما اثبتناه ، وابو عبد الله النفّري الكاتب : كان يكتب النوبة للوزير المهلبي ، وقد ورد اسمه في الامتاع والمؤانسة مصحفاً بالنصري ، وكان الاصل على ما ذكره محقق الامتاع : البقري ، راجع الامتاع والمؤانسة ١٣٢/١ نقل الاسم مصحفاً عن معجم الادباء ١٠٢/٣ سطر ١ ، وورد الاسم في التكملة مصحفاً كذلك ، فقد جاء في الصحيفة ١٨٦ من التكملة : ان المهلبي كان يطرب على اصطناع الرجال ، وممن نوه به ابو عبد الله البقري .
٣ — اورد التوحيدي القصة بتمامها في الامتاع والمؤانسة ١٧٥/٢ .
٤ — الزيادة من الامتاع والمؤانسة ١٧٨/٢ .

المجلس : اقترحوا ، واستفتحوا ، فأنا ولدكم ، بل عبدكم ، أخدمكم بغنائي ، [وأتقرّب اليكم بولائي] [1] ، وأساعدكم على رخصي وغلائي ، من أرادني مرّة واحدة ، أردته ألف مرّة ، ومن أحبّني رياءً ، أحببته إخلاصاً ، ومن مات لي ، متّ عليه ، لم أبخل عليكم بحسني وظرفي ، ولم أتعسّر عليكم ، وإنّما خلقت لكم ، ولم أتطاول عليكم ، وأنا غداً مضطر إليكم [ص١٥٣] إذا بقل وجهي [2] ، وتدلّى سبالي ، وتولّى جمالي ، وتكمّش خدّي ، وتعوّج قدّي ، حاجتي — والله — إليكم غداً ، أشدّ من حاجتكم اليّ اليوم ، لحا الله سوء الخلق ، وشراسة الطباع ، وقلّة الرعاية والحفاظ ، واستحسان الغدر .

فيمرّ في هذا ، وما أشبهه من مثير الكلام ، حتّى لا يبقى في الجماعة أحد ، إلاّ وينبض عرقه ، [ويهشّ فؤاده] ، ويذكو طبعه ، [ويفكه قلبه ، ويتحرّك ساكنه] [1] ، وتتدغدغ روحه ، ويومي اليه بقبلته ، ويغمزه بطرفه [3] ، ويخصّه بتحيّة ، ويعده بعطيّة ، ويقابله بمدحة ، ويضمن له لطيف تحفة ، ويعوّذه بلسانه ، ويفضّله على أقرانه ، ويراه أوحد زمانه ، فترى ابن المقنعي ، وقد طار في الجو ، وحلّق في السكاك [4] ، ولقط [م٨٦] بأنامله النجوم ، وأقبل على الجماعة بفرح الهشاشة ، ومرح البشاشة ، فيقول : كيف ترون آختياري ، وأين فراستي من فراسة غيري ؟ أبى الله إلاّ ما يزينني ولا يشينني ، ويزيد في جمالي ، ولا ينقص من حالي ، ويقرّ عيني ، ويقصم ظهر عدوّي ، هات يا غلام ذلك

١ — الزيادة من الامتاع والمؤانسة ١٧٨/٢ و ١٧٩ .
٢ — بقل وجه الغلام : نبت شعر وجهه .
٣ — في الاصل : يقبله ، ويغمزه بطرف ، وقد ابدلناها بالجملة الواردة في الامتاع والمؤانسة ١٧٩/٢ .
٤ — السكاك : الجو .

الثوب الدبيقي ، وذلك الرداء الشطوي[1] ، وتلك الفرجية الرومية [2] ، وتلك الشستكة المطيّبة [3] ، والبخور [ص١٥٤أ] المذخور مع الحقّة ، وهات الدينار الذي فيهماية مثقال ، [أهداه إلينا أمس أبو العلاء الصيرفي] [4] فإنّه كما تحبّ ، حسن السكّة ، حلو النقش ، وهو كفايته في هذا الأسبوع ، إلى أن نعمل ما ينبغي ، وعجّل يا غلام ما أدرك من الدجاج ، والفراخ ، والبوارد ، والبودارات [5] ، وتزايين المائدة [6] ، وصل ذلك بشواء قيراط ، وجبن وزيتون من عند كيكي البقال في الكرخ ، وقطائف حبش ، وفالوذج عمر ، وفقاع زريق ، ومخلّط خراساني من عند ابن زنبور ، ولو كنّا نشرب لقلنا شراب صريفيني من عند ابن سريين ، ولكن ، إن أردتم ، أحضرته بسببكم ، ومن أجلكم ، فليس من المروّة أن أمنعكم من لذّاتكم ، بسبب ثقل روحي ، وقلّة مساعدتي ، لعن الله الشهادة ، فقد حجبتني عن كلّ شهوة وإرادة ، وما أعرف في العدالة ، إلاّ فوت [الطلبة ، والعلالة] [7] ، وما أحسن ما قال الأوّل :

ما العيش إلاّ في جنون الصبا فإن تولّى فجنون المـــدام

هذا كلّه يمرّ ، وما هو أكثر منه ، وأشجى وأترف ، وأعجب

---

١ ــ الشطوي : نسبة إلى شطا بلدة بمصر كانت تنسج فيها الثياب الشطوية (مراصد الاطلاع ٧٩٧/٢) .
٢ ــ الفرجية : ثوب واسع يلبس فوق الثياب وصفه دوزي في معجمه ٣٢٧ ــ ٣٣٤ .
٣ ــ الشستكة والشستجة : المنديل (رسوم دار الخلافة ٧٥) .
٤ ــ الزيادة من الامتاع والمؤانسة ١٧٩/٢ .
٥ ــ البودارات : فارسية ، تعني الرياحين وكل ما هو طيب الرائحة .
٦ ــ تزايين المائدة : ما يوضع على الخوان من بقل ومقبلات وكوامخ .
٧ ــ في الاصل : فوت الطيبة ، والتصحيح والاضافة من الامتاع والمؤانسة ١٨٠/٢ .

[ص١٥٥] وأطوف ، ثم يندفع علّون ، ويغنّي من أبيات بشّار :

ألا يا قوم خلّوني وشاني فلستُ بتارك حبَّ الغواني
نهوني يا إمامة عن هواكم فلم أقبل مقالة من نهاني
فإن لم تسعدي ، فعدي ومنّي خداعاً ، لا أموت على بيان [1]

أو طرب ابن العبّاس [2] على غناء مذكور ، إذا نشط وغنّى :

عهود الهوى هاجت لي اليوم لوعة
وذكر سليمى حين لا ينفع الذكر
كأن لم نعش يوماً على خير حالة
بأرض بها أنشى شبيبتنا الدهر
بأرض بها ظلّ الهوى كان وارفاً
علينا وغصن العيش مهتصر نضر
بلى ، ثم إنّ الدهر فرّق بيننا
وأيّ جميع لا يفرقه الدهر [3]

[م٨٧] أو طرب أبي سعد الرقّي ، على غناء دلال ، جارية ابن قهوة ، إذا غنّت :

سررت بهجرك لمّا علمتُ أنّ لقلبك فيه سرورا

١ — اورد التوحيدي هذه القصة بنصّها وفصّها في الامتاع والمؤانسة ١٧٨/٢ — ١٨١ .
٢ — في الاصل : ابن العباسي .
٣ — اورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ، وذكر ان المغني جاريه اسمها مذكورة (الصحيح حذف التاء) وان الذي يطرب على صوتها ابو العباس الرقي ، وذكر أبياتاً ثلاثة غير الابيات الواردة في هذه الرسالة ، فراجعها هناك ، اما الابيات الواردة في هذه القصة ، فقد ذكرها في الامتاع والمؤانسة في موضع آخر ١٨٢/٢ .

ولــولا سرورك مـــــا سرّني ولا كان قلبي عنكم صبــورا
ولكـــن أرى كلـّمـــا ســـاءني
– إذا كان يرضيك – سهلاً يسيرا [1] [ص١٥٦]

أو صوتها المشهور لها :

صددنـــا كأنّا لا مـــودّة بيننـــا
على أنّ طرف العين لا بدّ فـــاضح
ومـــدّ الينـــا الكاشحون عيونهـــم
فلم يبد منّا ما حوته الجوانـــح
وصافحت من لاقيت في البيت غيرها
وكلّ الهوى منّي لمن لا أصافح [2]

أو طرب غلام بابا ، عـــلى جارية طلحة الشاهد [3] ، في سوق العطش [4] ، إذا غنّت :

١ – اورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٨١/٢ بنصها وفصّها .
٢ – أورد التوحيدي هذه الابيات الثلاثة في الامتاع والمؤانسة ١٨١/٢ وذكر انها من غناء حبابة جارية ابي تمام الزينبي ، وان الذي يطرب على غنائها هو ابن مياس .
٣ – ابو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر المعتزلي ، الشاهد (٢٩١ – ٣٨٠) ، نقل عنه القاضي التنوخي في نشواره اخباراً عدة ، وترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٣٥١/٩ ووصفه صاحب شذرات الذهب ٩٧/٣ بأنه الشاهد ، العدل ، المقرىء ، تلميذ بن مجاهد ، وفي المنتظم ١٥٤/٧ انه كان مقدماً في وقته على الشهود : وهو أحد الشهود الذين دخلوا مع قاضي القضاة محمد بن صالح الهاشمي على المطيع العباسي فأشهدهم بأنه قد خلع نفسه ، راجع نشوار المحاضرة ج٣ ص٢٠٦ رقم القصة ١٣٥/٣ .
٤ – سوق العطش : محلة من محلات بغداد ، كانت عامرة في صدر القرن الرابع ، وكانت فيها دار الوزير ابن الفرات ، وزير المقتدر (تجارب الامم ٧/١) ، =

ليت شعري هل تعلمـ ت بأنّي منك عانِ
فلقد أسرته منـ كَ وأطلقت الأماني
وتوهّمتك فـي نفـ ـسي فناجاك لساني
فاجتمعنا وافترقنا بالأماني في مكان [1]

ولو ذكرت هذه الأطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان ، والجواري والحرائر ، لطال ومُلّ ، وكنت كالمزاحم لمن صنّف كتاباً في الغناء والألحان ، ولعهدي بهذا الحديث سنة ستّين وثلثمائة ، وقد أحصيت ، أنا وجماعة في الكرخ [2] أربعماية وستين جارية في الجانبين [3] [ومائة وعشرين حرّة] [4] ، وخمسة وسبعين [ص١٥٧] من الصبيان البدور [5] ، يجمعون من الحسن والحذق والظرف ، ما يفوت

= ولكنها كانت في أيام ياقوت (٥٧٤ — ٦٢٦) ، قد خربت ، ولم يبق لها — كما قال في معجمه ١٩٤/٣ — لا عين ولا أثر ، وذكر انها كانت جنوبي الرصافة (منطقة المقبرة الملكية) ثم قال : وزعم قوم انها كانت شمالي الرصافة ، تحت باب الشماسية (الصليخ) ، وقد عينها الدكتور احمد سوسه في اطلس بغداد ، غربي محلة باب الطاق (الصرافية) .

١ — أورد التوحيدي هذه القصة في الامتاع والمؤانسة ١٨٢/٢ بنصّها .

٢ — قوله إنّه أحصى مع جماعة في الكرخ ، لأنّه كان مقيماً في الكرخ ، في درب بين السورين ، راجع الامتاع والمؤانسة ١٦١/٣ .

٣ — أي في جانبي بغداد .

٤ — في الاصل : وعشر حرائر ، وقد اثبتنا ما ورد في الامتاع والمؤانسة ١٨٣/٢ .

٥ — ما اكثر ما يحصل التصحيف والقراءة الخطأ بين التسعين والسبعين ، والتسع والسبع ، وخاصة اذا كتبت الكلمة دون إعجام ، فان كلمة سبعين في الرسالة ، حرفت إلى تسعين في الامتاع والمؤانسة ١٨٣/٢ ، وقد اسلفنا الاشارة في المقدمة إلى التصحيف الذي حصل في قراءة رسالة التوحيدي إلى القاضي ابي سهل ، فانه كتب اليه « انه في عشر السبعين » فصحف الناسخون ، او الناقلون ، واصبحت الجملة : « انه =

حدود الوصف ، هذا سوى من كنّا لا نظفر بهم ، ولا نصل إليهم ، لعزّتهم ، وحرسهم ، ورقبائهم ، وسوى من كنّا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء والضرب ، إلاّ إذا نشط في وقت ، أو ثمل في حال ، وخلع العذار في هوى قد حالفه وأضناه ، وترنّم ووقّع ، وهزّ رأسه ، وصعّد أنفاسه ، واستكتم جلاّسه ، وكشف حجابه ، وادّعى الثقة بالحاضرين ، والاستنامة إلى حفاظهم ، هذا يا سيّدنا دأبهم ، وهذه آدابهم ، وصف يعجبك ، وقصف يطربك ، ومعان [م٨٨] تروقك ، وأغان تشوقك ، وأحوال توضح لك انّهم — والله — في جنان النعيم ، ومن سواهم في سواء الجحيم ، ثم يقول : آه

يا خليليّ قد طغى الشوق جدّا (١) فامزحا في ملامتي أو فجدّا
بأبي الشادن الذي أخجل البدر ضياءً وحيّر الغصن قدّا
أيّ خدّ رأيته لحبيب يجتني منه لحظ عينيّ وردا
أي ثغر عهدته لحبيب لثمه يثلج الجوانح بردا [ص١٥٨]
أيّ ريّا شممتها تفتق المسك بمسك وتعبق الندّ ندّا
يا خليليّ ، كان هذا ببغداد لنا عند من نحبّ معدّا
يا خليليّ خلّياني وصوتاً جلّ طيب اقتراحه أن يحدّا
« زعموا أنّ من تباعد يسلو وقد ازددتُ مذ تباعدتُ وجدا »

آخر

حفظ الله أواناً كنت فيه بأوانا

= في عشر التسعين » وكان هنا التصحيف سبباً لسلسلة من الاخطاء تلت ذلك ، في احتساب عمر التوحيدي ، وتكذيب الاخبار الصحيحة الّتي وردت عن سنة وفاته .

(١) في الاصل : يا خليليّ قد طوى الشوق حدّا .

ضيف قـــوم يشترون الـ   حمد ما .عزَّ وهانـــا
مَـــعْ أناسٍ ثَـــمَّ يفتـ   ـتنّون في العيش آفتنانـــا
حين يغـــدون خماصـــاً   ويروحون بطانـــا
حـــين يغـدون رجـالاً   ويروحـــون دِنـــانا
في بســـاتين دخلنـــا   مذ دخلناهـــا الجنانـــا
بلـــدة تجمـــع خمـــراً   وقحـــاباً وقيانـــا

أذكر يوماً ، وكنّا بالعمر من أرض واسط (١) ، ومعنا ابن الحجّاج ، أبو عبد الله (٢) ، وأبو محمد اليعقوبي (٣) ، وأبو الحسن بن سكّرة (٤) ، وأبو الحسن الجرجاني (٥) ، نشرف على حديقة نرجس ، منشورة [ص١٥٩] المطارد ، منظومة القلائد ، بين أشجار السرو والنخيل ، سماؤنا النخل ، وأرضنا الريحان والبقل .

١ ــ العمر (بعين مضمومة وميم ساكنة) : دير النصارى ، قال ياقوت ٧٢٤/٣ ، ٧٢٦ ان عمر واسط هو عمر كسكر ، وهو دير حسن جيد البناء ، تحيط به بساتين ، بينه وبين دجلة نخيل، وقد اكثر الشعراء من ذكره ، ومنهم ابن الحجاج، قال من ابيات :

وطائر ناح في خضراء مونقـــة   على شفا جدول بالعشب متّشح
في العمر من واسط والليل ما هبطت   فيه النجوم وضوء الصبح لم يلح

٢ ــ الشاعر ابن الحجاج : سبقت ترجمته .
٣ ــ ابو محمد اليعقوبي : شاعر محدث ، اشار اليه صاحب اللباب ٣١١/٣ .
٤ ــ ابو الحسن محمد بن عبد الله العباسي ، المعروف بابن سكّرة (ت ٣٨٥) كان من كبار الشعراء ببغداد ، كثير الشعر ، ترجم له صاحب اليتيمة ٣/٣ ــ ٣٠ .وأورد كثيراً من شعره .
٥ ــ ابو الحسن الجرجاني : احسبه يريد ابا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، ترجم له صاحب اليتيمة ٣/٤ ــ ٢٦ .

لدى نرجس غضّ وسرو كأنّه
قدودُ جوارٍ رحن في أزر خضر

أشجار كأنّ الحور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، وحلّتها عقودها ، [م٨٩] قد تفاوحت بنوافج المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب المنطق أطيارها .

فترى ألف نزهة نحن فيها بجنانٍ موصولة بجنان
ياسمينٌ غضٌّ ، وورد جنيٌّ أصفرٌ فاقع ، وأحمر قان
وكأنّا ومن نحبّ نفضنا صبغ ألواننا على الأغصان
لا يشكّ الذي يرى ذا وهذا أنّ خيط الصبّاغ في البستان

ونحن نسقى خمر بابل ، على غناء البلابل ، وعلى طبل ابنة العمي ، وعود مواهب (١) التي قال فيها ابن الحجّاج :

أنا بالله جاحد وعلى الله كاذب
إنّ ستّ المغنّيا ت وستّي مواهب
هي بدر الدجى المنير وهنّ الكواكب [ص١٦٠]
وهي ريح الشمال طيباً وهنّ الجنائب
وهي بحر الغنا الذي منه تنشو العجائب
أنا أفديك والفدا لك بالروح واجب

---

١ ــ قال التنوخي في نشوار المحاضرة ج ١ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ رقم القصة ١٤٨/١ : ان مواهب قينة ببغداد ، مشهورة بالاحسان ، كانت لابي علي الحسن بن هارون الكاتب ، واشتراها ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي الكاتب ، فلما تزوج ابو الفضل زينة ابنة الوزير المهلبي ، دفع مواهب إلى المهلبي ، فاعتقها ، وزوّجها غلاماً من غلمانه يسمى غالب ، ويعرف بالشارزادي ، ثم قال : وهي الآن تخدم الامير عز الدولة ، بختيار الديلمي ، بصناعتها .

ويقول فيها :

تمــام الحج أن تقف المطايـــا على دار تحلّ بها مواهب
ولولا أن يقــال صبا لقلنـــا عجائب دون أيسرها عجائب

ونمنا آخر النهار ، ما بين الرياحين ، تروّحنا أنفاس تلك البساتين ، وأبو عبد الله سكران يرنّق في عينيه النعاس ، اذا بالكار [1] يصعد إلى بغداد ، فلحظه على تلك الحال ، فأنشأ يقول :

يا سفن بغداد روحي جدّ عالمـــة
بأنّ قلبي فيك اليوم قد راحـــا

---

١ – الكار : مجموعة السفن تسير مجتمعة كالقافلة ، وقوله : يصعد إلى بغداد ، لأنّ بغداد شمالي واسط ، فالسفن تصعد من واسط إلى بغداد ، فاذا اقبلت من بغداد إلى واسط ، قيل انحدرت ، والبغداديون الآن يقولون للسفن الصاعدة من الجنوب إلى الشمال : غرّبت ، اي انها صعدت نحو الغرب ، ويريدون بالغرب ، الشمال ، ويسمون الهواء العذب الوارد من الشمال : الهواء الغربي ، كما يسمون الجنوب : شرقاً ، والباب الجنوبي في بغداد ، يسمونه : الباب الشرقي ، كما ان الهواء الذي يهب من الجنوب يسمونه الهواء الشرجي (الشرقي) ، والبغداديون ينزعجون من الهواء الشرقي ، لأنّه يجيء حاراً خانقاً ، حتى انهم يقولون عمّن أصيب بالفالج في وجهه : ضربه الشرجي ، واذا شتموا أحداً ، قالوا : سليمه كرفته ، وأصل كلمة بسليمه : سلامى ، وهي ريح الجنوب ، قلب البغداديون الألف ياءً ، بالامالة المعروفة عندهم ، والهواء الشرقي (الجنوبي) في جنوبي العراق ، أعظم أذى وأشدّ ضرراً ، قال شاعر بصري :

نحن في بصرتنا الفيـــــ حاء في عيش ظريـــف
فاذا هبّـــت شمـــال بـــين جنـــات وريف
واذا هبـــت جنـــوب فكأنّـــا في كنيـــف

يا سفن ما ضرّ فيك المصعدين وقد
مدّوك لو جعلوني فيك ملاّحا
تحدوك من نَفَسِي ريح مصاعدة
مع الجنائب إمساءً وإصباحا
وتستمدّين دمعي كي يقلّك إن
جنحتِ حيث يكون الماء ضحضاحا
[م٩٠] يا سفن دعوة صبّ حنّ حين رأى
نهج الطريق إلى الأحباب وارتاحا
يا سفن قولي لمن شطّ المزارُ بنا
عنهم فشتّت شمل القُرْب واجتاحا [ص١٦١]
أنا الغريب الذي يبكي الحمام له
إذا بكى ، وينوح الطير إن ناحا

ثم سرى فيه النوم ، وانتبه في بعض الليل ، فسمع نوح حمامة على فنن ، فصبا ، ونعر نعرة ، وأنشأ يقول :

حمام العُمْر شوّقني هديلا	وأرّقني وقد نمنا طويلا
وساعدني على الأحزان حيناً	فإن أنا متُّ فاندبني قتيلا
وقل للريح إنّ نحول جسمي آلـ	شديد الضعف يمنع أن أقولا
أيا ريح الشمال بحقّ من لا	يروعك بالركود قفي قليلا
فإنّك إن نسمت على فؤادي	شفيت من الجوى قلباً عليلا
ويا ريح الجنوب عليّ مرّي	لعلّك أن تكوني لي رسولا
إلى قوم غدوا في سوق يحيى	وفي دار ابن حجّاج نزولا
إلى قوم هُمُ تركوا فؤادي	يذوب وخلّفوا جسمي نحيلا
وقد حجبوا الكرى عنّي وقالوا	لفيض الدمع يمنعه الوصولا

قال أبو القاسم : فقلت له : ما هذا الحَوَر [1] الذي يضعف المنّة [2] ، فأنشأ يقول :

صدقتَ ، إنّ الهوى يوهي قوى جلدي
وليس ذلك من ضعف على كبدي [ص١٦٢]
لكــن ورائي أبنــايَ فإنّهمــا
لولاهما ما نما في أسرتي عــددي
إذا أطلت الخطا في البين قصّرهـا
ثلاثة لي من أهلي ومن ولدي
أمّا الكبير فعيني ، ليس لي بــدل
ـ ما عشت ـ منها ، ورجلي بعدها ، ويدي
وابني الصغير ففي الأحشــاء مسكنــه
وكيف تسكن إلاّ في الحشا كبدي
وبعد هذا ، فلي زوج عجبــتُ إذا
فارقتها كيف يبقى بعدها جسدي
ثلاثة لهــم أسعى مخافــــة أن
يشقوا بدهرٍ لهم بعدي على رصــد

ثم جعل ينشد ، ويسيل دمعه على خدّيه ، وكأنّه يتذكّر ولداً صغيراً :

ومن عجيب الأمــور أنّـــي نزعت [قلبي] من جوف صدري
[م٩١] وأنّ روحي جنت عليهــا يدا صروف الهوى بأمــــري
قصد مــن الدهــر لي قبيــح الله بيني وبين دهـــري

١ ـ الحور : الضعف والفتور .
٢ ـ المنّة : القوّة .

وينشد ، وكأنه يتذكر صديقاً له آسمه يعقوب بن إسحاق :

يا من يميت ويحيي الخلق كلّهـــم
بقدرة وهو بعدُ الـــوارث البـــاقي

كما رددتَ على يعقوب يوسفـــــه
فاردد على الفضل يعقوب بن إسحاق [1]

فإنّني منذ جدّ البين وآرتحلـــوا
إليهـتفديهنفسيـجدّمشتاق[ص١٦٣]

يقول ها هنا أبو القاسم : هذا هو — والله — شوق من واسط إلى بغداد ، فكيف إليها من أصفهان ؟ واحزناه !

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهـــم وأين من المشتاق عنقاء مُغرب [2]

آخـــر

وما أنا من أن يجمع الله بيننـــا كأفضل ما كنّا عليه بآيس

آخـــر

ما أقدر الله أن يدني على شحـــطٍ
من دارهِ الحزن ممّن داره الصول [3]

١ — لا احسب ان الشعر لابن الحجاج ، لان ناظمه ذكر ان اسمه الفضل ، ولم اتوصل لمعرفة الفضل ، ولا يعقوب بن اسحاق .

٢ — البيت للمتنبي .

٣ — الحزون كثيرة ، والحزن غير المضاف ، طريق بين المدينة وخيبر ، راجع معجم البلدان ٢٦٠/٢ ، وصول : مدينة من بلاد الخزر (معجم البلدان ٤٣٦/٣) قال الشاعر : =

الله يطوي بساط الأرض بينهما
حتى يرى الربع منه وهو مأهول

ثم يقبل على صاحب الدار ، ويقول : صدعتنا ، آتنا غداءنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (١) .

فيقول : نعم ، أيش تقترح يا أبا القاسم ، فقد فزّعتنا منك مما تشنفه (٢) .

فيقول : لا بأس ، لا أضايقكم في المطاعم ، معاذ الله .

فيقال : قل يا أبا القاسم ، فيقول :

أريد منك رغيفا ... يعلو خواناً نظيفا (٣)
أريد ملحاً جريشاً ... أريد خلاً ثقيفا (٤)
أريد لحماً نضيجاً ... أريد بقلاً قطيفا [ص١٦٤]
أريد جدياً رضيعاً ... أولاً فسخلاً خروفا
أريد ماءً بثلج ... يغشى إناءً طريفا
أريد ديدان مرد(٥) ... ولست أرضى طفيفا
[م٩٢] إمّا جواداً عتيقاً ... يزفّ تحتي زفيفا (٦)

= في ليل صول تناهى العرض والطول ... كأنّما صبحه بالليل موصول
ليل تحيّر ما ينحطّ في جهة ... كأنّه فوق متن الارض مشكول

١ ـ ٦٢ ك الكهف ١٨ .

٢ ـ الشنف : النظر إلى المقابل كالمعترض عليه ، وفي الاصل : مما تنشفه .

٣ ـ الخوان : السفرة وليس عليها طعام ، فان وضع الطعام ، فهي مائدة .

٤ ـ الثقيف : المتناهي في الحموضة .

٥ ـ في الاصل : ديدان مرد ، واحسبه يريد بها دندان مرد اي اسنان الرجل القوي .

٦ ـ الزفيف : الاسراع .

أو مسمعـــات (1) صواف　　يقمـــن دوني صفوفـــا
أريـــد خشفـــاً رشيقـــاً　　أريد خصراً نحيفـــا
كالبـــدر هشّـــاً لطيفـــاً　　عـــلى القلوب خفيفـــا
أريـــد ردفـــاً ثقيـــلاً　　أريـــد أيراً لطيفـــاً
أريـــد منك قميصـــاً　　وجبّـــة ونصيفـــا (2)
يا حبّـــذا أنـــا ضيفـــاً　　لكم وأنـــتَ مضيفـــا
رضيـــت منك بهـــذا　　ولم أرد أن أحيفـــا

فيقال : يا أبا القاسم ، أكلّ هذا تريد ؟ أمر — والله — عظيم ، لا والله ، اقتصِدْ ، فيقول :

إنّ الهريســـة أهواها وتعجبني　　وبالبهطّة (3) قلبي جد مفتـــون
وإن ذكرت شواءً هاج لي طرباً　　وإن أتى بعده لونان يكفيني [ص١٦٥]
وللأرزّة (4) عنـــدي موقع عجب　　إذا تصدّت لنا بيضاء في لـــين
والزيرباج (5) طعام ليس يشنؤه　　من البريّة إلاّ كلّ مجنون
هذا الذي كلّه في دار سيّدنا　　فإنّ لي فيه رأياً غير مغبون

١ — المسمعة : المغنّية .
٢ — النصيف : كلما غطى الرأس من خمار أو عمامة أو نحوه .
٣ — البهطة : الارز يطبخ باللبن والسمن بلا ماء .
٤ — الارزّة : طعام يتخذ من الارز والحليب والسكر ، يسمى الآن في لبنان وسورية : رزّ بحليب ، أما في بغداد فأرزتهم الآن من طحين الارز مع الحليب والسكر ، ويسمونه المحلّبي ، ويكنون عنه بطين الجنّة ، كما يكنون عن اللوزينج (البقلاوة) باحجار الجنّة ، راجع كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .
٥ — الزيرباج : طعام يتخذ من اللحم والتوابل ، سبق وصفه .

ويقول : قيل لجمّيز : أيش تشتهي ؟ فقال : نشيش مقلى ، بين غليان قدر ، على رائحة الشواء [1] .

وقيل له : أيّ الفواكه الرطبة أحبّ إليك ؟ قال : الكباب .

فقيل له : فاليابسة ؟ قال : القديد .

فقيل له : إنّ ها هنا أعرابياً يقول : الغناء زاد الراكب ، فقال : إنّما يقول هذا لأنّه لا يعرف الخبز السميذ ، وشواء باب الكرخ ، وبقل السرداب . والفالوذج المصري .

ويقول : أنشدنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه [2] ، قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد [3] للأقيشر [4] :

يا عمـــرو إنّ شفاءنا في مجلس ... تغدو عليه شواؤه ودجاجـــه
ومعتّق حرم الوقود كرامة [5] ... كدم الذبيح تمجّه أوداجه
ضمن الكروم له أوائل حملـه ... وعلى الدنان تمامه ونتاجـــه

---

١ – روى التوحيدي هذه النادرة في البصائر والذخائر ج ٢ ق ١ ص ٢٠٢ ثم اثبتها في هذه الرسالة ، ثم اثبتها في الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٠٢ فزاد فيها في آخرها جملة : بجنب خبيص .

٢ – أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان النحوي (٢٥٨ – ٣٤٧) : عالم ، فاضل ، نحوي ، له عدة مؤلفات (الأعلام ٢٠٤/٤) .

٣ – المبرّد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي(٢١٠ – ٢٨٦) : امام العربية في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، ولد وتوفي بالبصرة (الاعلام ١٥/٨) .

٤ – الأقيشر : أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض الأسدي (ت نحو ٨٠) : شاعر عالي الطبقة ، أحد مجان الكوفة وشعرائهم ، سكير ، عمر طويلاً ، لقب بالأقيشر لحمرة وجهه (الاعلام ٢٠٠/٨) .

٥ – قوله حرم الوقود : يعني انه خمر في الشمس ، أما الذي يخمّر بالنار ، فيسميه البغداديون : المطبوخ .

فيقال : يا أبا القاسم ، زدتنا نفوراً بهذه المقدمات . [ص١٦٦] .

فيقول : معاذ الله .

فيقال : فقل .

فيقول : ويحكم ، رغيف أرعن [١] ، جبنة تدمع ، قديد [٢] من طرائف بلدكم ، هش يتبسّم ، وشيء من حواضر السوق [٣] ، وبعض ما عندكم من [م ٩٣] تطاريف اللقم [٤] ، يعني سرحات الكوامخ [٥] ، لم تتعقّدون كذا ؟ ما هذا العرض السابري .

فيحمل – مثلاً – طبق عليه ما استدعاه من الجبن ، وشيء من الكواميخ ، فيقول ، كما يراه :

إنّما الجبن آفة الجسم سقماً وعلى القلب كربة الأوهام
بدّلوه بلقمتي سكباج أو شواء مفصّل من عظام

ويقول :

شيّب رأسي وحنى أعظمي طول ائتدامي الخبز بالكامخ

١ – الرعن : الاسترخاء ، والرغيف الارعن : الهشّ .
٢ – القديد : اللحم المقدد ، اي الذي قطّع وجفّف .
٣ – حواضر السوق : الطعام الذي يباع مهيأً في الأسواق ، ويختلف باختلاف المواضع والاوقات ، وحواضر السوق في بغداد ، في ايامنا هذه ، الدجاج المشويّ ، وكبّة البرغل ، والهريسة ، والكباب ، والحلاوات على اختلاف انواعها .
٤ – التطاريف : البقايا ، وتطاريف الطعام : بقاياه ، وما فضل منه ، والتطريف بلوغ الطرف من الشيء ، يقال تطرفت الشمس اي دنت للغروب .
٥ – السرحات ، أحسب ان صوابها : السريحات ، والسريح : المعجّل ، والكامخ وجمعه : الكوامخ والكواميخ : ادام يؤتدم به ، فارسية : كامه .

فهو إلى نفسي من بغضـــــه يعدل سمّ الأسود السالخ [1]

ويتنادر بهما ساعة ، ويتعلّل ، ويقول في تنـادره :

دعـــوةٌ ينتسب القحـــ (م) ط أيهـا والمحـــــول
ليس إلاّ العطش القـــــا (م) تل والمـــاء الثقيـــل
مجلس فيـــه لأرباب الـــ (م) خنا قال وقيل [ص١٦٧]
وضراط مثلمـــا أنشـــ ق الديبقي الصقيـــل

ثم يغسل يده ، ويقول : أين أبو الجلب ؟ أين أبو الصنّاج ؟ يعني النرد [2] والشطرنج [3] ، فيحمل – مثلاً – الشطرنج .

فيقول : من ينشط ؟ من ذا الشقيّ الذي يبيح دمه ؟ فيتنافرون من

١ – الاسود السالخ : الحية السوداء ، وصفت بالسالخ ، لانها تسلخ جلدها في كل عـام .

٢ – النرد : لعبة اصلها فارسي ، تعرف الآن في بغداد وما جاورها ، بلعبة الطاولي ، وفي لبنان ومصر والشام ، بلعبة طاولة الزهر ، وتشتمل على رقعة وفصّين وثلاثين حجراً نصفها ابيض ونصفها اسود ، والرقعة مرتبة على اثني عشر بيتاً ، بعدد شهور السنة ، والاحجار وهي ثلاثون ، بعدد أيام الشهر ، والفصوص مثل الافلاك ، ورميها وتقلبها ، مثل تقلبها ودورانها ، والنقط في الفصوص بعدد ايام الاسبوع : كل وجهين سبعة ، راجع التفصيل في كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .

٣ – الشطرنج : لعبة مشهورة ، تشحذ اللب ، وتدرّب على الفكر ، وهي معرّب « شطرنك » أي ستّة ألوان ، لأنّ القطع في اللعب ستّ ، وهي : الشاه ، والفرزان (ويسمى في بغداد الوزير او الفرز) والفيل ، والفرس ، والرخ ، والبيدق ، والاغلب ان اللعبة هندية ، لزيادة التفصيل راجع كتاب « الفرج بعد الشدّة » للتنوخي ج ٣ ص ٤٦ و ٤٧ وقد اطلعت مؤخّراً على كتاب في الشطرنج لزهير احمد القيسي ، جمع فيه أخباراً طريفة وقصصاً لطيفة تتعلق بالشطرنج .

ملاعبته ، فيقول : نعم ، إذا ظهر الوالي اختبأ رقيقم [1] ، إلى أن ينتدب له واحد فيلحظه ، فيقول : جمع الله بزر قطونا والصيدلاني [2] ، أليس هذا أبو الهول ، سيصير إلى ساعة أبا الفزع .

ثم يقول : كيف يلعب أبو مشكا حل ؟ [3]

فيقال : هو جيّد اللعب .

فيقول : البغل الهرم لا يروعه صوت الجلجل ، ويقبل عليه ويقول :

يا ذا الذي عرّض لي عرضه ألّفتَ بين النار والعرفج [4]
إنّ الذي تحتكّ في جلده فإنّما تحتكّ بالعوسج [5]

ويبتدىء بتقديم بياذقه ، وينشد مفتتحاً للهذيان :

خرجنا بكرةً سحراً بليلٍ عشاءً بعد ما انتصف النهار
فصدنا أرنباً وبنات آوى أخذنا الذيب وانفلت الحمار

١ ــ في الكلمة تصحيف لم اهتد إلى صوابه .

٢ ــ يريد ان بزرقطونا ، وهو صنف من اصناف بضاعة الصيدلاني ، فان الصيدلاني يتصرف به كيفما شاء، وبزرقطونا : حب أسود، وصفه ابن البيطار في جامعه ٩٠/١ بأنه شبيه بالبراغيث ، أسود صلب ، وذكر له عدّة منافع في العلاج ، منها انه يبرّد الحرارة ويرطب الامعاء وينفع في الحميات ، أقول : ما زال هذا الحب مستعملاً في بغداد ، وأكثر ما يستعمل في فصل الصيف بان يصب عليه الماء البارد المحلّى بالسكر ، واكثر ما يستعمله الصائمون وقت افطارهم .

٣ ــ أبو مشكاحل : يقولها العامي البغدادي ، لمن يستهزىء به ويفتخر عليه ، قال الاب الكرملي : اصلها مشكاحن ، آرامية ، ومعناها : المتفنن في استنباط الحيل للظفر بالمعيشة .

٤ ــ العرفج : نبات سريع الاحتراق .

٥ ــ العوسج : نبات اغصانه شائكة ، يتخذ من شوكه السياج .

[م ٩٤] فيقدّم صاحبه البياذق ، فيقول : يا أبا مشكاحل ، لقمة [ص١٦٨] لقمة ، تى لا تختنق ، طريقين طريقين ، تى لا يجي أسود ، جملاً جملاً ، تى لا تتكسر المحامل (١) ، أنا أقول بس ، وهو يندسّ ، سَلْلُكَ لا ينفتق يا أستاذ ، لا تعجل يا سيّدي ، العجلة من عمل السنّور الذكر ، ياخذ منّي بيذقتين ببيذقة واحدة ، يا حسن التجارة :

كلمـــا بـــاع لحيـــة   بعتُ سرمـــاً منوّراً

رجل — والله — ظريف

ناقاته في الهـــوى مناقلـــة   فهي إذا قدّرت عليه سعـــل
لو قيل : تجعـــلْ صميم ذقنك ذا   في جوف جحري لم يمتنع وفعل

ويستظهر بفرزان بند (٢) ، ويقول : اصعد بلحاف ، وآنزل بمروحة ، ويُحكِمُ دسته (٣) من الجوانب ، ويقول : في صدع أمّ الفلك ، فإنّه من حجر ، وينشد :

هديّـــة منّي قد عبّيـــت   فيك على آس وريحـــان
أسفلهـــا خـــوخٌ وفي رأسهـــا   كبّـــة تفّـــاحٍ ورمّـــان

وإن فكّ ذلك خصمه ، ونقضه عليه ، يقول :

نـــام ولكنّي بنعـــل الخـــرا
صفعته في الحال حتّى آنتبـــه [ص١٦٩]

١ — تى : مختصر حتّى ، والبغداديون الآن يلفظونها : دا ، بالدال .
٢ — الفرزان : الوزير في الشطرنج ، والبغداديون الآن يسمونه : الفرز ، قال الشاعر :
خذ جملة البلوى ودع تفصيلهـــا   ما في البرية كلّها انســـان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنـت   فالرأي ان يتبيدق الفـــرزان
٣ — الدست : اللعبة الواحدة ، والبغداديون يسمونه : الداس، ومنه اخذت الكناية:=

فانظر إلى أخدعه [1] كيف قد صار من الصفع ولا الدبدبـــه

ويطرح ندّه فرساً في الوسط ، بعد تقديم البياذق ، فيقول : أحسنت ، قـــد ارتفعنا من الكعاب إلى الدوّامـــات [2] ، ويقول : أصبحنا عـــلى ما أمسينا ، ما زلنا في شيء حتى أحكمناه ، يا سيّدنا اخرا وآلعب به ، حتى تعمل عملين ، أقعد على الشطّ ، وشدّ الماباقات [3] ، ثم يقول :

= قام الداس يا عباس ، راجع التفصيل في كتابنا « الكنايات العامية البغدادية » .

١ ـ الاخدع ، والجمع اخادع ، عرقان في جانبي العنق ، قال بشار :

وكنا اذا الجبّار صعّر خـــدّه ضربناه حتى تستقيم الاخـــادع

وما احسن قول ابن الرومي ، يصف احدباً ، والبغداديون ، يسمون الاحدب : قنبوراً ، قال :

قصرت اخادعه وطال قذالــه فكأنه متربص ان يصفعـــا

٢ ـ الكعاب : لعبة يلعب بها الصبيان ، تتخذ من عظام تستخرج من كعاب الضأن ، وتجرى اللعبة بأن يرمي اللاعب كعبه ، فان وقع على هيأة : ألج ، كان رابحاً ، وان سقط على هيأة : طاي ، كان خاسراً ، راجع التفصيل في كتابنا « الكنايات العامية البغدادية ، فقرة « حظّه ألج » ، أما الدوامات ، مفردها دوّامة ، والبغداديون يسمونها : المصارع ، مفردها المصراع ، وهي قطعة منجورة من الخشب ، لها رأس دقيق ، قد ثبتت فيه قطعة دقيقة الرأس من النحاس ، يسمونها نبلة ، وعليها يدور المصراع ، وذلك بأن يلف خيط على الدوامة (المصراع) ثم يقذف بها على الارض ، فتدوم اي تدور ، وكانت الدوامة في أيامنا ، على صنفين ، احدها يسمى الناعوري ، وفي المصراع الناعوري حفرة صغيرة ، فاذا دار حول نفسه ظهر له صوت نعير ، أما الصنف الآخر ، ولا حفرة فيه ، فيسمى : الونّاني ، من الأنين ، لاحظ ان البغداديين لا يتلفظون الهمزة ، فان كانت آخر الكلمة حذفوها ، وان كانت في اولها او في وسطها ، غيروها وابدلوها بواو او ياء .

٣ ـ شد الماباقات : لم أفهمها .

طَرْحُ الساتر رأي ، يا مدبر ، خبزك مطليّ بلبن ؟ فلولا أنّك تريد الشرّ لما أكلت خبزك ناحية .

فإذا أخذ ندّه بعض بياذقه بيده ، وحرّكه على أن يأخذه ، قال : إذا رأيت الدجاجة تنقر آست الديك ، فاعلم إنّها تقول له نيك ، ثم يحجم عندما يتبيّن له الخطأ ، فيقول : هيّن ، الأعمى يخرا فوق السطح ، ويظنّ أنّ الناس غافلين عنه ، يا مدبر ، الذي ضرط في لحيتك من قراحي [1] أكل اللوبيا ، يدك إلى السماء أقرب منها إلى هذه ، الطابع في الريح ضراط في سباله [2] .

ويقول [م٩٥] لبعض الحاضرين : لم لا تشرف على هذا اللعب [3] ، فتتأمل العجايب ؟ فينشط ذلك الحاضر يسيراً ، ويتكلّم بشيء يكرهه ، من تنبيهه لندّه ، فيقول : يا سيّدنا ، قلت لك [ص١٧٠] أشرف ، ما قلت لك تكربس ، دعه ، حتى يقع في الرزّة إصبعه [4] ، فأريك كيف أصفعه .

ويسهو ندّه ، فيقول : ويحكم ، أيش تريدون منه ؟ ما أشغل الزامر بزمره عن سفّ الدقيق .

فان ترنّم من كربه بشيء ، فيقول : وهو يغنّي غناء الزنبور في ثباته[5] ، فرغ من شغله ، قعد يبكي على حماته ، كم يهذي — أعزّه الله — كأنّه سنديّة مطلّقة [6] .

١ — القراح : الارض المزروعة ليس فيها اشجار ، وهي : المبقلة ، والبغداديون يسمونها الخضرة .
٢ — السبال : الشارب .
٣ — الاشراف : الاطلاع .
٤ — الرزّة : حديدة كالحلقة يدخل فيها القفل ونحوه ، ما زال هنا اسمها ببغداد .
٥ — الثبات : داء يعجز عن الحركة .
٦ — هذه امثال بغدادية كانت متداولة في القرن الرابع ، وقد درست الآن .

فان قيل له : خذ ذلك البيذق ، ببيذقة من بياذقك ، ورأى أن ليس فيه فائدة ، تركه ، وقال : إذا كان قرد بقرد ، فالمستأنس أولى .

ثم يأخذ بيذقاً من بياذق الطرف ، ويقول :

إذا عـــزّ بك الـــورد فشـــمّ العرطنيثـــا [1]

ربّ شيء تحقره فيخرج لا يسوى شيء ، ويأخذ ندّه بيذقة له ، فيقال : ويحك يا أبا القاسم ، لم أهدرتها ؟ فيقول : إلى النار ، وحلفاء دابـــق [2] .

ويأخذ هو بازائها فرزاناً أو فرساً ، فيقول : يا سيّدنا ، ضربـــة بالفنطليس [3] خير من ثلاثة آلاف بالمطرقة ، فيقول ندّه : لا باس ، فيقول : إذا سمعت في الحرب لا باس ، فاعلم أنّ الخرا فوق الراس .

ويسهو ندّه عن إحكام لعبه ، ثم ينتبه ، ويأخذ في التلافي ، فيقول : [ص١٧١] بعد الضرطة شدّ الاست [4] .

---

١ – عزّ : قلّ فلا يكاد يوجد ، والعرطنيثا : بخور مريم ، نبات له زهر جميل ، ذكره ابن البيطار في جامعه ١١٩/٣ .

٢ – حلفاء دابق : الحلفاء نبت سريع الاشتعال اذا يبس ، ودابق : ان كانت فعلاً فهي بمعنى لاصق ، وان كانت اسماً ، فهي مدينة بينها وبين حلب أربعة فراسخ (معجم البلدان ٥١٣/٢) .

٣ – الفنطليس : حجر لأهل الشام يطرق به النحاس .

٤ – الكناية البغدادية الآن ، قولهم : بعدما ضرطت صمّت ، وهي كناية عمن اهمل التحرز والتحفظ حتى حلّ به ما يخافه ، وأخذ من بعد ذلك يحاول ان يتدارك أمره ، ومن لطيف ما يروى في هذا الباب عن ابي الفضل ابن العميد : وزير ركن الدولة ، فانه بعد ان تغلّب على الغزاة الخراسانية ، في السنة ٣٥٥ ، وطردهم عن الريّ،باشر ببناء سور ضخم حول دار ركن الدولة ، فقال له علي بن القاسم=

ويريد ندّه أن يعدل بفرسه إلى جانب ، فيراه ممتنعاً عليه ، فيقول له : يا مدبر ، إن تركوك تحجّ فخذ على طريق المداين [1] ، فيردّه إلى موضعه ، فيقول : الحبّة تدور تدور ثم ترجع إلى الرحا .

= العارض : هذا كما يقال ، الشدّ بعد الضرط ، فقال له ابو الفضل : هذا ايضاً جيّد ، لئلا تنفلت اخرى (اخلاق الوزيرين ٤٤٥ و ٤٤٦) راجع قصة الغزاة الخراسانية في تجارب الامم ٢/٢٢٢ — ٢٢٨ .

١ — المداين : اسمها الآن : سلمان باك ، واسمها الاول : طيسفون ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٤٥ انها تبعد عن بغداد ستة فراسخ ، في جنوبيها ، كانت مسكن الملوك الاكاسرة الساسانية ، فتحها العرب سنة ١٦ على يد سعد بن ابي وقاص ، في عهد الخليفة عمر ، وهي الآن بليدة ، شبيهة بالقرية ، وأهلها فلاحون ، وبالمدينة الشرقية قرب الايوان ، قبر سلمان الفارسي ، رضي الله عنه ، اقول : للبحتري في وصف ايوان كسرى ، ويسميه فيها ابيض المدائن ، قصيدة تشتمل على ٥٦ بيتاً كلها غرر ، مطلعها :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي ... وترفعت عن جدا كلّ جبس

وما يزال ايوان كسرى ماثلاً قائماً في المدائن ، وقد سقط احد جناحيه ، واسم المدائن الآن : سلمان باك ، سميت باسم الصحابي سلمان الفارسي ، الذي وردها عاملاً للخليفة عمر ، ومات ودفن فيها ، وباك : معناها الطاهر ، ومنه اشتق اسم باكستان ، وما زال مشهد سلمان الفارسي يزار ، وعليه بناء بناه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني ، وعلى حائط القبة كتابة بالقاشاني تذكر ان الذي قام باعمار القبة ابو الهدى الصيادي في عهد السلطان عبد الحميد ، وللبغداديين تقليد موغل في القدم ، وهو زيارة سلمان باك في موسم الربيع ، فاذا حلّ الموسم ، ترك الكثير منهم اعمالهم ، وجهزوا انفسهم بالخيام والفرش والاواني ، ورحلوا إلى سلمان باك على الظهر ، او انحدروا في الماء ، فيخيمون في المناطق الزراعية المحيطة بالقبر والايوان ، ويمكثون أياماً ، يأكلون ، ويغنون ، ويطربون ، ولهم اغنيّة يتناقلونها ، يكررون فيها هذا الشطر :

والمايزوره لسلمان ... عمره خساره

ثم يتنغّم ندّه بشيء يدل على بعض الكمد والنكد والضجر ، فيقول :

يا ذا الذي أصبح من غيظـــه يعصر كسب آسّي بأنيابـــــه

كم تكمد ، كم تدرد ، كم تحرد [1] ؟ ، ثم يقول : مسكين ، أيش يعمل ، يبدّد دقيقه في الشوك ولا يقدر يضمّه .

ويلعب بشيء ، فيبطله عليه ندّه ، فيصيح : وي ، أحرجني والله ، بالسلال [2] والحرق ، أيش أعمل .

ويخطيء ندّه في [م٩٦] لعب ، فيسلّم له بعض الأشياء ، فيقول له : أحسنت يا زلّة بلا عظام [3] ، ملعقة وجهك في جحري .

ويأخذ ندّه شيئاً ، ثم يبصر الخطأ فيردّه ، فيلزمه أن يأخذه ، ويقول : والله ، لتأخذنّه كرهاً .

فيقال : وأيش يفعل به ؟

فيقول : ما فعلت جارية السكّري .

فيقال : وما فعلت ؟

فيقول : أخذته بيدها ، ووضعته في حرها ...

ثم يقبل عليه ، وينشده [ص١٧٢] :

عارضك المعطــوف بعد العشـــــا

في جوف سرمي الأسود المشعر

١ ــ الكمد : الحزن والغم الشديد ، والحرد : الغضب ، والدرد : الحرد ، يقال : دَرِدَ فهو دَرِد .

٢ ــ السلال : السلّ .

٣ ــ الزلّة : كمية من الطعام تزلّ وتحفظ او يبعث بها لمن لم يحضر المائدة .

فارضَ بمرّ الحــقّ واصبر ، وإن
جزعتَ من قــولي فــلا تصبر
وإن غضبت اليــوم فافعل غــداً
ما فعلــت جاريــة السكّري

ثم يقول : هذا كان — والله — منذ زمان في إبداع هذا اللعب ، حتى أثمر له ما أثمر ، نعم ، الحمار على كرائه يموت [1] ، التبن المجّان يخرق الغرايــر .

ويغريه ندّه بأخذ شيء ، فيمدّ يده ليأخذه ، ويحسبه أنّه مجّان ، ثم يظهر له وجه الخطأ فيه ، فيحمحم ، ويصيح ، وينشد :

أيا ابن من فيشتي مسكرجـــة تذهب في درب سرمهـــا وتجي

آخــــر

يا من إذا ما جـــاءني زائـــراً سعى برجليـــه إلى الحتـــف
أمــــا ترى رخّ يــــدي جائلا وشاه أذنيك عـــلى الكشف

يا مدبر ، من قفز على وتدين ، دخل أحدهما في استه [2] ، ويلتفت [ندّه] إلى واحد ، كالمستشير ، فيقول : إذا احتاج الرقّ [3] إلى الفلك فقد هلك .

١ — المثل البغدادي الآن : الزمال يموت بكروته ، والمعنى واحد ، فالزمال هو الحمار والكروة هي الكراء .
٢ — اورد التوحيدي هذا المثل في البصائر والذخائر .
٣ — الرقّ : ذكر السلاحف ، والبغداديون يسمّون السلحفاة : الرقة ، ويلفظون القاف كافاً فارسية ، احسبه يشير إلى القصة التي اوردها ابن المقفع في كليلة ودمنة عن الرق الذي احتاج إلى مبارحة موضعه لانقطاع الماء عنه،فاستعان=

ويشير ذلك الحاضر بشيء ، فيقبل عليه ، ويقول : خذ من عقله في دوخلة (١) . طلتَ يا زبّي ، حتى خرجت من كمّي (٢) ، وينشد :

أي بلاء قد ساقه وقـــتي قددبدبوا كانّهم على دستي [ص١٧٣]
كانوا حميراً بلــه العقول فقد تهدّبوا كانّهم على بختي (٣)
لست أحابي منهــم مشايخهــم هذي العثانين (٤) كلّها في آستي
إلاّ الصديق الذي رعيت لــه حقّاً ، فأخّرته إلى وقـــت

يعني صاحب الدعوة .

فيقال له : ويحك آستشر من شئت ، ولا تَسْفه على الناس .

فيقول : قطع ظهر آست أمّ من يحتاج في الضراط إلى أكل [م٩٧] اللوبيـــا .

ويضرب ندّه شاه وفيل ، فيصيح ويقول : يا سيّدي — بالله عليك — نصيحـــة .

فيقول : ما هي ؟

فيقـــول :

= برفيقين له من الطيور ، فعض بفيه على عصا ، وحمل رفيقاه العصا من طرفيها وطارا بها ، فلما ابصره الناس عجبوا ، وصاحوا ، ففتح الرق فاه ليلومهم على فضولهم ، فافلتت العصا من فيه ، وسقط على الأرض فهلك .

١ — الدوخلة : سفيفة من الخوص يوضع فيها التمر والرطب .

٢ — الكمّ : الردن ، اقول : أحسب أنّ الصحيح : خرجت من عبّي .

٣ — تهدّبوا : تجمّعوا .

٤ — العثنون : الذقن .

شمّـــر عذاريك جميعاً فقـــد وقعت في بحر خـــرا جاري
بحر لـــه من فَقحتي فوهـــة كأنّمـــا خطّـــت ببركار

ويقول مترنماً :

أبـــا الحسين والحسن قد زدت رأســـاً وبدن
ولحيـــــة عريضـــــة يا ليتها بكون من [1]

ويهذي ويقول :

سلحـــــت أمّ رزيــــــن ذات يـــوم في طحـــين
فسألنـــاها فقـــالت : ذا خمير للعجين [ص١٧٤]

ثم يقول : وأيش يبالي هذا الكشخان ؟ رأس أصمّ ، وقرن صحيح ، وينشـــد :

يـــا زوج الـــتي أبـــا عت سرمهـــا بنسيّـــــه
مـــن درّ دكشاب أيـــري وفوقهـــــا عدسيّـــه
أمـــا ترى كيف نعـــلي معطوفة ديبليـــه [2]
بهـــا أجيك فأحشـــو أزيـــاقك الزمكيّـــــه [3]

آخـــر

يا فتى لحيتـــــه الســـو داء مثل الخزّ سبطـــــه
حصلـــت فيشـــة أيـــري في سرور بي وغبطـــه
في غلاف مـــن خـــرا أ مّك مختـــــوم بضرطه

١ ــ بكون من : فارسية ، معناها : في استي .
٢ ــ النعل المعطوفة : التي في مقدمها انثناء ، والديبلية : نسبتها إلى مدينة ديبل على ساحل بحر الهند (معجم البلدان ٦٣٨/٢) .
٣ ــ زيق الثوب : ما أحاط بالعنق ، والثوب الزمك : الضيق .

آخــــر

يا أخسّ الورى وأدنى عباد آلـ ـلـه عندي قدراً بغير خلاف
رب مستصفع فشختُ [1] بنعلي بين أجفانه شروط [2] العوافي
ظل نهب الطلى [3] مباح حمى الرا س خريب الآذان والأكتاف
[م٩٨] تحت أيدٍ بهن أيدٌ [4] تُصَرِّفُ ن خِفافاً في الرأس غير خفاف [5]
فاتّق الله في غضاريــف أذنيـ ـك وأعصاب أخدعيك الضعاف

ويتّفق له شاه ورخ بفيل ، معجب مليح ، يفغر له ندّه [فاه] من الدهشة [ص١٧٥] ، فيهجر مترنّماً ، ويقول : يا سيّدنا ، هذا من طرائف الأعلاق ، هذا من ندا باب الطاق ، هذا من غرائب الاتّفاق ، ثم يقول : أوصى شطرنجيّ ولده ، وهو يجود بنفسه ، فقال : احذر — يا ولدي — جانب الرخ ، وآخش وثوب الفرس ، وآتّق نزوات الفيل ، ولأن تجلس على أير حمار ، خير من أن تجلس على العراء ، ثم فاضت نفسه .

وصيّة صالحة ، وفريضة — والله — لازمة ، وحقّ أفضى به لولده ، وميراثٌ خلّفه من بعده ، لا رحم الله صداه [6] ، ولا بلّ ثراه .

وينتهي الدست ، ونفس ندّه في الدردور [7] ، فيقول : ويحكم ،

---

١ — الفشخ : اللطم ، وعند البغداديين : كل ضربة في الرأس يسيل منها الدم .
٢ — الشروط ، مفردها ، الشرط : البضع او الجرح .
٣ — الطُلى (بطاء مضمومة) ، مفردها طلية : العنق .
٤ — الأيد الاولى ، هي الايدي مفردها يد ، والأيد الثانية : القوة والصلابة .
٥ — الخفاف الاولى ، جمع خف ، وهو النعل ، والخفاف الثانية من الخفّة .
٦ — الصدى : جسد الانسان بعد موته .
٧ — الدردور : موضع في البحر ، يجيش ماؤه ويدور ، فلا تسلم منه سفينة ، ويغرق =

هذا الفتى — أعزّه الله — في دعوتي اليوم ، ولكن ، هل تعلمون أيش ياكـــل ؟

فيقولون : لا

فيقول : ألف فيشة في رقاقة .

فيجيبه الندّ ، بكلام خشن جريش [1] ، فيحتمله ، ويقول : يا هذا ، للمقهور أن يستخفّ ويستهين ، وعلى القاهر أن يحتمل ويلين ، لا ألومه — والله — فعند هذه العقدة ضرط النجّار .

ويصير شاه الندّ في مضيق ، فيقال : ويحك ، مرجتَ [2] في هذه الزنقة [3] ، فينشد متهانفاً [4] به :

وقـــال دوِّرْهُ قلتُ حِرْهَـــا لو كان يا شيخنـــــا يدور

[ص١٧٦] وتتفرّق بياذق الندّ ، وهو يحتال في جمعها وضبطها ، فيقول : إذا مات الراعي تفرّقت الغنم .

فيقال : وقد مات الراعي يا أبا القاسم ؟

فيقول : مات نصفه ، ونصفه ينزع .

فيقال : وكيف هو على الحقيقة يا سيّدنا ؟

= من صار في وسطه ، أقول : البغداديون يسمون مثل هذا الموضع : سوّيره ، فصيحة ، من المساورة اي المواثبة .

١ — الكلام الحريش : الخشن اللاذع .

٢ — مرج الامر : ضيّعه ولم يحكمه .

٣ — الزنقة : الامر الضيّق .

٤ — المهانفة : الضحك في فتور ، كضحك المستهزىء .

فيقول : في الخرا إلى الحلقوم ، والكلاب حفّاظه ، خبره خبر السلق في الماء الحار ، خرى — والله — في الطست ، بل في الدست ، بل خرى في النعش ، بل ذهب العصير ، وبقي الخثير [1] .

ويهرب عنه ندّه ببعض بياذقه ، فيقول : قيل لوتد ، ما أسرع دخولك ؟ فقال : لو علمتم ما خلفي من الدقّ لعذرتموني .

ثم يتطانز [2] ، ويقول : لقد رأيته أسرع من أير [م٩٩] دخل نصفه، ومن طريد قدّامه خشفه ، ويبلد [3] ندّه ، فيقول : شبكرة النهار عمى قـــائم [4] .

ويقول : يا سيّدنا ، صفعنا ميموناً ، حتى عمينا ، وينشد :

ينصل ندّاً خـــراك عنـدي هذا لعمري من التعدّي

فيقول بعضهم : يا أبا القاسم [ما تقول في الصلح ؟

فيقول :] نعم ليس إلاّ الصلح ، كما يقول الشاعر :

قد وقع الصلح الذي لم يكن منه على الحالات مندوحه [ص١٧٧]
لكنّــه صلــح بسينٍ على لحيتــه ، والسين مفتوحـــه

ويتأمّل الشاه مات على ندّه بفرسه ، فيضربه ، ويقول : طاب ، خذها بيضاء مثل الفحم ، يا سفلة ، وينفض الرقعة على وجهه .

---

١ — الخثير : الفاسد من كل شيء .
٢ — الطنز : السخرية .
٣ — المبلود : المتحيّر .
٤ — الشبكرة : فارسية : شب كوري ، ومعناها العمى ليلاً .

ويسأله بعض من كان غاب وقت القمر [١] ، عما كان بينهما ، فيقول : لقد تصافعنا ، وإليك يشكو ضعف أوداجه .

ثم يقبل على الجماعة ، فيقول : صايمين اليوم نحن ؟

فيجيء غلام ، ويقول : تفضّل ، فيقوم ويقول : جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً [٢] .

وتحضر المائدة ، فيطمئن عليها ، ويرى — مثلاً — تكلّفاً وزينة في بواردها ، فيقلب المجنّ ، ويصير إلى نمط آخر ، كأنّه يبدل ، ويتأمّلها ساعة ، ثم يلتفت إلى من يايه ، ويقول بحيث يسمع صاحب الدار : ذا — والله — شيء مليح ، ذا — والله — مروّة عظيمة ، كأنّه — والله — طَلْعٌ نضيد، كأنّه وشي ديباج ، كأنّه قراح منثور[٣] ، كأنّه نَوْرُ الربيع ، أو وشي البساط الرفيع ، كأنّه — والله — زهرة الرياض .

ثم يوضع الحمل [٤] ، فيقول : يا سيّدنا ، كان لنا ببغداد ، صديق يقول : إنّما يطيب الحمل ، إذا صارت [ص١٧٨] الشمس في الحمل [٥] ، وكان يقول : لا فراش للنبيذ ، أوطأ من الحمل الحنيذ [٦] .

---

١ — القَمْر : الغلبة في اللعب .

٢ — ٨١ ك الاسراء ١٧ .

٣ — قراح المنثور : الأرض المزروعة بالمنثور ، وهو نبات ذكي الرائحة ذو زهر ، سمي منثوراً لأنّه كان يفرش في مجالس الشراب .

٤ — الحمل : الجذع من أولاد الضأن ، والبغداديون يسمونه : قوزي .

٥ — برج الحمل في السماء ، من البروج الربيعية ، يريد انه يطيب اكل الحمل في وقت الربيع .

٦ — الحنيذ : المشوي .

وإن وضع الجدي[١] ، يقول : كان ذلك الصديق ، اذ رأى مثل هذا الجدي ، يقول : مسكين ، ذو أربع بأسنان اللبن ، طفل رضيع شهيد .

ثم يمدّ يده ، بعد الامعان في صنوف البوارد ، [إلى الجدي]، ويكشط جلده ، ويقول : دبيقي — والله — في خلوق[٢] ، ذهبيّ الدثار ، فضيّ الشعار[٣] ، كأنّما ندف فيه القزّ ، ويأخذ كايته ، ويقول : تدري بأيّ شيء شبّه ابن الرومي[٤] كلية الجدي ؟ فيقال : لا ، فيقول : شبّه كليته بلوبيـــا .

ونظر [ابن الرومي] ، إلى ضرع أتان ، فقال : كأنّه طنجير[٥] انكسرت إحدى قوائمه الثلاث .

[م١٠٠] ونظر إلى سوداء تبكي ، فقال : كأنّها مطبخ يكف[٦] .

١ — الجدي : ولد المعز في السنة الاولى .
٢ — يريد ان لون جلد الجدي وهو مشويّ ، يشبه لون الثوب الدبيقي الابيض اذا لوّن بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب اصفر اللون لأنّ اعظم اجزائه الزعفران .
٣ — قوله : ذهبي الدثار ، لأن قشره قد اصفّر بتأثير النار ، وقوله : فضيّ الشعار والشعار : ثوب يلبس ملاصقاً الجلد ، تحت الثياب ، يريد انه اذا قشر عنه قشره الذي اصفر بتأثير النار ، بدا شعاره وهو ثوب من الشحم ابيض اللون .
٤ — ابن الرومي : ابو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي (٢٢١ — ٢٨٣) شاعر من اعظم شعراء العربية ، من طبقة بشار والمتنبي ، ولد ونشأ ومات ببغداد (الاعلام ١١٠/٥) .
٥ — الطنجير : آنية للسوائل ذات ثلاث قوائم ، ومن المنجد : إنّه وعاء يعمل فيه الخبيص ونحوه ، واللبنانيون الآن يطلقون اسم طنجرة على القدر الذي يطبخ به الطعام ، وفي كتاب تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية ص ٤٧ ان كلمة طنجرة ، اصلها تركي ، تنجره ، معناه قدر يطبخ فيها .
٦ — يكف ، من وكف السقف : قطر منه الماء .

ونظر إلى [سوداء] أخرى، في رجلها خلخال فضّة، فقال: كأنّ ساقها أير حمار مفضّض.

ونظر إلى غيم متقطّع في السماء، فقال: كأنّه قطن يندف على حلّة زرقـــاء.

أنظر إلى حسّ ابن الرومي، وحولة تشبيهاته.

وينظر إلى واحد [ينكمش] في الأكل، ولا ينبسط فيه، فيقول له: ويحك، قد أرضعتك أمّ هذا الجدي، حتّى تحامي عليه هذه الحميّة؟ [ص١٧٩] ونطحتنا، فصرنا منتقمين [1]؟ ويحك ما هـــذا التحرّج، ليس هو كبش إبراهـــيم [2]، أو بقرة بني إسرائيـــل [3]، أو حوت

١ ــ هذه النادرة منقولة في أكثر من كتاب، تذكر ان رجلاً كان يأكل على مائدة احد الامراء، فأمعن في الجدي تمزيقاً، فقال له الامير: اراك تمعن في تمزيق الجدي، كأنّ امه نطحتك، فقال له: واراك تشفق عليه، كأنّ أمه أرضعتك.

٢ ــ كبش ابراهيم: قال تعالى: فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي، قال: يا بنيّ اني ارى في المنام اني اذبحك، فانظر ماذا ترى؟ قال: يا ابة افعل ما تؤمر، ستجدني ان شاء الله من الصابرين، فلما اسلما وتلّه للجبين، وناديناه ان يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا، انا كذلك نجزي المحسنين، ان هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، (١٠١ ــ ١٠٨ ك الصافات ٣٧) للتفصيل راجع القصة رقم ٤ في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ج ١ ص ٦٧ ــ ٦٩ ولاحظ ما دعم به الحسن البصري قوله بان الذي كان بسبيل الذبح اسماعيل وليس اسحاق.

٣ ــ قال تعالى: واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرةً، قالوا اتتّخذنا هزواً، قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين، قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون، قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها، قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، قالوا أدع لنا ربك يبيّن لنا ما هي إنّ البقر تشابه علينا وانا ان =

يونس [١] ، أو عجل السامري [٢] ، حتّى تحرّمه على نفسك .

ويقدّم السكباج — مثلاً — فيقول : ذا — والله — أوطأ مهاد للمعدة .

ويستحمضها[٣] ، فيقول : يا سيّدنا ، ثقافة [٤] هذا الخلّ ، مما يرشح الجبين ، ويرعف المخنون [٥] ، وهو — والله — أحمض من الصفع بالظلم ، في غداة باردة ، على رأس محلوق .

ثم يقول : كان هذا الطبيخ ، مما لا يقدر عليه في أيام أنو شروان ، إلاّ بحاتمة أمره [٦] ، لأنّه لون تجيده الخاصّة ، ولا تغلط فيه العامّة ، لعمري ، إنّ السكباجـة أيسر ما يتكلّف للضيف ، وألذ ما يؤكـل في الشتاء والصيف ، تشفي قرم الجائع ، وتفتق شهوة الفاتر ، يؤثرها الحاضر ، ويتزوّدها المسافر ، تتقدم الثرائد ، وتجمّل الموائد [٧] ، يستطاب حارها

= شاء الله لمهتدون،قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون (٦٧ — ٧١ م البقرة ٢) .

١ — قال تعالى : وان يونس لمن المرسلين ، اذ أبق إلى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا انه كان من المسبحين ، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وانبتنا عليه شجرة من يقطين ، وارسلناه إلى مائة ألف او يزيدون (١٣٩ — ١٤٧ ك الصافات ٣٧) .

٢ — قال تعالى : واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨ ك الاعراف ٧) .

٣ — البغدادي الآن ، اذا استحمض مرقة ، قال : سكباج ، وهو الطعام الذي يطبخ بالخل .

٤ — الثقافة : الحموضة .

٥ — المخنون : المصاب بالخنان ، وهو داء يأخذ في الانف .

٦ — الحتم : اللازم والواجب .

٧ — في الاصل : وتحمل الكائد .

وباردها ، ولا يملّها مدمنها ، لها عطرية الزعفران ، ولونه الرائع .

ويقول في باذنجانه : هو — والله — كما يقول السلف (١) : زبد في في وعاء ، لا كما [ص١٨٠] قال صديق لنا أحمق ، كان يعاشرنا ببغداد ، [وذكر] شواء الباذنجان : لونه لون العقارب ، وأذنابه أذناب المحاجم ، وطعمه طعم الزقوم في الحلاقم ، فقلنا له : إنّه يحشى باللحم ، فقال : لو حشي بالتقوى والمغفرة لما أفلح (٢) .

ثم يمعن في أكله ، ويلفّ لفّاً ، فيعتريه كالخجل من سرعة ما تفرغ غضارته (٣) ، فيقول : انما يستدل على طيب اللون بسرعة فنائه .

ويقدّم مثلاً دوغباج (٤) ، فيقول على ذلك أشياء ، يقول : كان ذلك الصديق الذي نعاشره ببغداد ، يقول في مثل هذا الدوغباج : كأنّه كافور مدرّف (٥) باللبن ، أو عروس في غلالة زرقاء تحتها بياض ، يشير إلى زرقة الدهن .

[م١٠١] ويمعن في أكله ، فيقول ، على العادة الأولى في تحسين نهمه : ما من طبيخ الا أوّله خير من آخره ، إلا الدوغباج ، فانّ آخره خير من أوّلــــه .

وتقدّم ثريدة ، فيقول ، على التدريج ، الذي هو دأبه : عجيب ، ثم يقول : قيل لاعرابيّ : أيّ الطعام أحبّ إليك ؟ فقال : ثريدة دكناء

١ — في الاصل : كما يقول السفل .
٢ — روى الغزولي هذه النادرة في مطالع البدور ٣١/٢ نقلاً عن كتاب ملح الممالحة ، وزاد فيها في وصف الباذنجان ، فقال : انوف الزنج ، واذناب المحاجم ، وبطون العقارب ، وبزر الزقوم .
٣ — الغضارة : القصعة الكبيرة .
٤ — الدوغباج ، فارسية : اللبنيّة ، من دوغ : اللبن الرائب ، وبا : طعام .
٥ — المدرّف : المظلّل والمكتنف .

من السمن ، رقطاء من الحمّص ، لها حفاف من اللحم [1] ، قيل له : وكيف يكون أكلك لها ؟ قال : أصدع بهاتين [يعني السبابة والوسطى] ، وأشدّ [ص١٨١] بهذه ، يعني الابهام ، وأجمع ما شذّ بهذه ، يعني البنصر ، وألّف سائرها بهذه ، يعني الخنصر ، ثم أضرب بها ضرب وليّ السوء في مال اليتيم .

وقيل لهذا الاعرابي : كيف أكلك للراس ؟

فقال : أفكّ لحييه ، وأبخص [2] عينيه ، وأكشط خديه ، وأرمي بالمخّ إلى من هو أحوج منّي إليه .

قيل له : أنت أحمق من رُبَع [3] .

فقال : وما حمق الربع ؟ والله ، انه ليجتنب مطلوح [4] العراء ، ويميّز مسارح الأكلاء [5] ، ويراوح بين الأطباء [6] ، فما حمقه يا هؤلاء .

١ ــ في الاصل : تقدّم (شوربا) ، ولما كان الحديث عن الثّريدة ، فقد ابدلنا كلمة الشوربا بالثّريدة ، اقول: روى التوحيدي هذه النادرة في البصائر والذخائر ج ٢ ق ٢ ص ٥٧٥ مروية عن ابي مرّة ، ثم رواها في هذه الرسالة ، وهذا الوصف للثّريدة ، اخذه التوحيدي من العقد الفريد ٢٩٥/٦ اذ وصف بها محمد بن سلام الجمحي لبلال بن ابي بردة امير البصرة مائدة عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر .
٢ ــ البخص : القلع .
٣ ــ الرُبَع : الفصيل الذي ينتج في الربيع .
٤ ــ المطلوح : الفاسد .
٥ ــ الاكلاء ، مفردها : الكلأ : العشب رطبه ويابسه .
٦ ــ الاطباء ، مفردها الطبي : وهو حلمة الضرع لذوات الخف والظلف والحافر والسباع .

ويقدّم بقريّ [١] ، أو حصرمي [٢] ، فيقول : كشاجم [٣] كان يقول : لا تتعرّض للطبيخ البقريّ ، إلاّ في زمن الباذنجان ، ولا الحصرميّ إلاّ في زمن القــرع .

وتقدّم طباهجة [٤] تفور في قدرها ، فينشد :

قد أقبلت دولـــة القلايـــا في عسكر اللحم والبنـــود
تسير زحفـــاً عــلى المقـالي بين برام [٥] إلى حديد
قد أنضجوهـــا حتى تهـــرّت وها هنا موضع السجود

ويقول : يا سيّدنا ، هذه قلايا الحروف ، تزيد إذا بزّرت في الأجــل [٦] .

وتقدّم هريسة ، فيقول : هريسة نفيسة ، كأنّها [ص١٨٢] خيوط خزّ مشتبكة ، كأنّها قمر بالشمس ملتحف ، كأنّ المري عليها عصارة

---

١ ـ الطبيخ البقري ، او البقرية : مرق يتخذ من لحم العجل والتوابل ، راجع نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ ص ١٩٢ رقم القصة ١٢٥/٣ .

٢ ـ الطبيخ الحصرمي او الحصرمية : طعام يتخذ من اللحم والبصل والتوابل وماء الحصرم ، راجع صنعه في كتاب الطبيخ للبغدادي ص ١٧ و ١٨ .

٣ ـ كشاجم : ابو الفتح محمود بن الحسين (ت ٣٦٠) : شاعر ، اديب ، منشيء ، كان من شعراء ابي الهيجاء ، والد سيف الدولة الحمداني ، ثم من شعراء سيف الدولة ، ولفظ كشاجم ، منحوت من علوم كان يتقنها ، فهو كاتب ، شاعر ، اديب ، جدلي ، منطقي (الاعلام ٤٣/٨) .

٤ ـ الطباهجة : طعام يتخذ من البيض واللحم والبصل (الالفاظ الفارسية المعربة ١١١) .

٥ ـ البرام : القدور من الحجر .

٦ ـ الطعام المبزر : الذي وضعت فيه الابازير اي التوابل ، وتسمى الآن ببغداد : البهارات .

المسك على سبيكة [1] .

وتقدّم تنّورية [2] ، فيقول : مرحباً بأبي البركات ، هذه ــ والله ــ صهروج المعدة ونضوحها [3] ، أيش لا يخرج التنور من الطيّبات ، الشواء ، الجواذيب [4] ، الصلائق [5] ، الجزوريات [6] ، النفائس ، جوذابة الفستق .

ثم يأخذ في ذكر الطبّاخ ، وما يجب أن يجمعه من الأوصاف ، ويقول : والله ، لقد رأيت ببغداد ، في دور بني معن ، طبّاخاً حبشيّاً ، اسمه نارنج ، ما أظنّ أنّي شاهدت مثله ، كان ــ والله ــ عنوان النعم ، وترجمان المروّة ، وطبيب الشهوة ، أحذق من رؤي من أهل صناعته ، أطهر من الماء في نظافته ، وأرهفهم [م١٠٢] سكّيناً ، وأعدلهم تقطيعاً ، وأذكاهم ناراً ، وأطيبهم أبزاراً ، كأنّ الموائد التي يعبّيها ، والثرائد التي

١ ــ سبق ان ذكرنا أنّ المري الذي يوضع اليوم على الهريسه في بغداد ، هو الكمون والدارصيني والسكر المطحون ، وهذا المري له لون المسك ، فلعله هو المري الذي كان يوضع عليها قبلا .

٢ ــ التّنورية : طعام يتخذ من لحم عجل او عناق ، راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ٥٣ .

٣ ــ صهرج الحجرة : طلاها بالصاروج ، وهو الكلس وأخلاطه . والنضوح : من الاجزاء المعينة على الهضم .

٤ ــ الجواذيب ، يريد به الجوذاب ، طعام يتخذ من السكر والجوز واللوز والرقاق راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ، الباب الثامن في الجواذيب والاخبصة ٧١ ــ ٧٤ .

٥ ــ الصلائق : القطع المشوية من اللحم .

٦ ــ الجزوريات : طعام يتخذ من لحم العناق والابازير .

يدنيها ، ويتنوّق فيها ، رياض مزخرفة ، أو برود مفوّفة [١] ، كان لا يجمع بين لونين ، ولا يوالي بين طعمين ، يخالف بين طعام الغداء والعشاء ، ويباعد بين ألوان الصيف والشتاء ، يكتفي [ص١٨٣] باللحظة ، ويفهم بالاشارة ، ويسبق إلى الارادة [٢] ، كأنّه مطّلع على الضمير ، من الزائر والمزور ، كان — والله — يطبخ ما يفتق شهوة النعسان ، والشكلان ، والمخمور ، والمغموم ، وكان إذا فرغ من الألوان ، فيقال له : يا نارنج ، إلى أيّ شيء تحتاج ؟ فيقول : إلى قوم جياع [٣] .

وقدّم لنا يوماً من طبائخه ، زيرباجة ، كأنّها ديباجة ، وسكباجة ، كأنّها جارية غنّاجة ، وقدوراً شذاها أطيب من المسك الأصهب ، بالعنبر الأشهب ، طائرة العُرف [٤] ، طيّبة العَرف [٥] ، تهدر كالفنيق [٦] ، وتفوح كالمسك الفتيق .

سقى الله أيّامنا في ظلّ أولئك الملوك ، ويحكم لم لا توردون عنكم شيئاً من هذا ؟ نعم ، أيش تعملون ؟ تضربون بالناب ، إنّ لكم في الانهماك شغل .

ويستدعي في خلال ذلك ماءً ويشربه ، ويقول : والله ، إنّي أظلم أهل أصبهان ، في أقوالي ، عمر الله أصفهان ، ماؤها الماء العذب ، وجليدها البلور الرطب ، ثم — والله — أوانيها ، ومغانيها [ص١٨٤] .

١ — البرود المفوفة : الرقيقة التي فيها خطوط بيضاء طولية .
٢ — أراد الشيء : أحبّه ، وعني به ، ورغب فيه .
٣ — روى التوحيدي هذه النادرة في البصائر والذخائر ٤٣١/١ ونسبها إلى صولون الذي ذكر انه كان طباخاً في صقلية .
٤ — العُرْف (بعين مضمومة وراء ساكنة) : ضد النكر .
٥ — العَرْف (بعين مفتوحة فسكون) : الرائحة .
٦ — الفنيق : الفحل في الابل .

هواؤهـا الفضفاض غضّ الذرى
ومـاؤها السلسل عذب المـذاق
فكيف لا أوثرهـا بالهـوى
وصيفهـا مثـل شتاء العـراق

صدق — والله — شاعرها ، أرض حصاها جوهر ، وترابها مسك ، وماء المدّ فيها قرقف [1] .

ويجري ذكر رجلين — مثلاً — ببغداد ، على الطعام ، فيقال : كيف فلان منهما ؟ فيقول : ايش معنى كيف فلان ؟ يخفى القمر ، حتى تسأل عن الخبر ؟

شمس الضحى أنزع من أن تطمسا [2]

عقد — بحمد الله — في نحر الزمان ، تاج على مفرق الأيّام ، قبلة المحامد ، وكعبة الأماجد ، رجل عار من العوراء ، نشوان من فرط الحياء ، رجل أجرى — والله — من الغيوث ، واجرا من الليوث [3] ، فيه — والله — مسرح للمعاني ، المدح من فعلاته يستخرج ، فيقال : أين فلان منه ؟ فيقول : ويحك ، أيش تقول ؟

والله، نفنف متباعد[4]، ما بين الجوزاء وبين المعزاء[5] ، بين العيوق

---

١ — القرقف : الخمر ، الماء البارد .
٢ — انزع هنا بمعنى أوضح ، ومنه النزوع اي انحسار الشعر عن جانبي الجبهة .
٣ — اجرى الاولى من الجريان ، واجرا الثانية من الجرأة .
٤ — النفنف ، والجمع نفانف ، الشيء البعيد ، او ما بين الارض والسماء ، او ما بين أعلى الحائط واسفله ، أو ما بين شفة البئر وقعرها ، او كل مهواة بين جبلين .
٥ — الجوزاء ، نجوم في السماء ، والمعزاء : الارض الغليظة ذات الحجارة ، وقد جمع ابو زبيد الطائي في ابيات بين الجوزاء والمعزاء قال : =

والعنوق [1] ، ما بين الحسام [م١٠٣] والعصا ، واللؤلؤ [والحصى] ، والذكر والخصي ، بينهما من البعاد ، ما بين النجاد والوهاد [2] ، ما بين الناهق والصاهل [3] ، والناقص والفاضل ، ما بين الحصان [ص١٨٥] والأتان ، والغزالة والذبالة [4] ، ما بين اللؤلؤ والمرجان ، والبقل والباذنجان ، ما بين الحلوة والمرّة ، والدُرّة والذَرّة ، والعرّة والغرّة [5] ، والحق والباطل ، والحالي والعاطل ، ما بين السمين والغث [6] ، والجديد والرث ، والنبع والغرب [7] ، والصقر والخرب [8] ، والشري والضرب [9] ،

ليت شعري واين مني ليـت   ان ليتاً وانّ لـوّا عـناء
اي ساع سعى ليقطع رزقـي   حين لاحت للصابح الجـوزاء
واستظل العصفور كرها مع الضب   واورت نيرانـهـا المعـزاء

١ ــ العيّوق : نجم أحمر مضيء يتلو الثريا ، والعنوق : التراب المذرى بالريح .

٢ ــ النجاد ، مفردها النجد : الموضع المرتفع من الأرض ، والوهاد ، مفردها الوهدة : الأرض المنخفضة .

٣ ــ الناهق : الحمار ، والصاهل : الحصان .

٤ ــ الغزالة هنا : الشمس ، والذبالة : فتيلة السراج .

٥ ــ الغرّة : الحسن الخيّر من كل شيء ، والعرّة : العيب او الشيء المعيب .

٦ ــ السمين : ذو البدن الضخم ، ثم استعيرت لكل شيء حسن محمود ، والغث : المهزول ، ثم استعيرت لكل شيء مذموم ، قال الشاعر :

ربّ مهزولٍ سمين عرضه   وسمين الجسم مهزول الحسب

٧ ــ النبع : شجر صلب الخشب تتخذ من اغصانه القسي والسهام ، والغرب : شجر معروف في العراق ، لا صلابة في خشبه .

٨ ــ الصقر : الطائر المعروف من الجوارح ، والجمع : أصقر ، وصُقور ، وصُقورة ، وصقار ، وصقارة ، وصُقر ، والخرب : الحبارى ، قال الشاعر :

ما رأينا خرباً نقّـــ   ـر عنه البيض صقـر
لا يكون العير مهراً   لا يكون المهر مهـر

انظر قصة هذين البيتين بين اليزيدي والكسائي بمحضر الرشيد في وفيات الاعيان ١٨٦/٦ و ١٨٧ .

٩ ــ الضرب : العسل الابيض ، والشري : الحنظل .

ما بين الحرّة الحسناء ، والامة الشوهاء ، ما بين الروضة الغناء ، والسبخة الغبراء ، ليس السحاب منك بدان ، ليس ذاك من خيل ذلك الميدان ، يا سيّدنا ، أين المنسم من السنام [١] ، والجبس من النضار [٢] ، والخروع من النبع ، والخوافي من القوادم [٣] ، والمغاني من المعالم [٤] ، والثمد من العدّ [٥] ، والجزر من المد [٦] ، والقبول من الردّ ، والوصال من الصدّ ، من يسوّي — يا سيّدنا — بين رجل أغزر من البحر ، وأنشر من الفجر [٧] ، وبين آخر أيبس من القفر ، وأوحش من القبر ، من يقايس بين الشاء والنعم ، ذا — والله — أشفّ من [٨] الياقوت الأحمر ، وذا أسفّ [٩] من التابوت الأغبر ، ذا أخفّ من النسيم ، وذا أثقل من منّة اللئيم ، ذا آنس من الحبيب المنعم ، وذا [ص١٨٦] أنكد من الغريم المبرم ، ذا أوحش من بلد الغربة ، وذا أسرّ من سبق الحلبة ، ذا أخشن من الخناجر على الحناجر ، وذا أحسن من المحاجر في المعاجر ، ذا غرّة واضحة ، وذا عرّة فاضحة ، ذا عذب فرات ، وذا ملح أجاج ، ذا سعد السعود ، وذا سعد

---

١ — السنام : حدبة ظهر البعير ، والمنسم : طرف خف البعير .

٢ — الجبس : الجصّ الذي يبنى به ، والنضار : الذهب .

٣ — الخوافي : ريش الطائر الذي في باطن جناحه ، فاذا ضم جناحه خفيته ، وتكون صغيرة رقيقة ، والقوادم : الريش الذي يكون في مقدم جناح الطائر ، وتكون قوية كبيرة .

٤ — المغاني : المنازل والبيوت ، والمعالم : الرسوم والآثار الباقية .

٥ — الثمد : الماء القليل ، والعِد : الماء الجاري الذي لا ينقطع .

٦ — المدّ : ارتفاع ماء البحر وامتداده على الارض ، والجزر : انخفاض ماء البحر بعد ارتفاعه بالمدّ .

٧ — النشر : البسط ، يقال : نشر الثوب : بسطه ، وانتشر النهار : امتدّ .

٨ — أشفّ : أرقّ

٩ — أسفّ : أحقر وأدنى .

الذابح ، ذا الزلال على الصدى ، ونسيم الورد على الندى ، وذا صاب مدوف بالعلقم[1] ، وزفرة من زفرات جهنّم ، ذا عودٌ شقّ لمواضع السجود ، وذا عودٌ نجر لحشّ اليهود [2] ، ذا أزين من غرّة وجـــه الأدهم [3] ، وذا أشين من مفترّ ثغر الأهتم [4] ، ذا — والله — أندى من القطر ، وذا أجمد من الصخر ، ذا أعزّ من التبر ، وذا أذلّ من البعر . وأقذر [5] من الجعر ، جلجلة بالعراق ، قد طار صيته في الآفاق ، يقايس الى خامل لم يتميّز من اللفيف ، ولم يتجاوز ذكره جانب الكنيف ؟! هتك الله ستره ، أبغى من الكشاتبين ، ومن إبر الخياطين ، ومحابر الورّاقين [6] ، مستهدف [م١٠٤] لرماح الحصى ، متلقّف للفياشل تلقّف العصا [7] ، مخنّث ، ذرّى نعم والده في رياح التخلّف ، وجاء يطاول سادات نفسه [ص١٨٧] بالتكلّف .

ولا يزال يشمّر ويمّر في هذه المعاني ، إلى أن يقول واحد من أهل

---

١ — الصاب : شجر شديد المرارة ، والعلقم : الحنظل وكل شيء مرّ .

٢ — الحشّ : المرحاض ، اخذ هذه الجملة من قول الشاعر :

داود محمود ، وانت مذمّـــم   عجباً لذاك وانتما من عـــود
ولرب عود قد يشقّ لمسجـــد   نصف وباقيه لحش يهـــودي
فالحش أنت له وذاك لمسجـــد   كم بين موضع مسلح وسجود

٣ — الادهم : الاسود .

٤ — الاهتم : الذي تهشمت اسنانه .

٥ — قد تقرأ الكلمة : امذر ، والمعنى واحد .

٦ — الكشاتبين ، مفرده الكشتبان : اداة يضعها الخياط في اصبعه تقيه وخز الابر ، وصفه بالبغاء لتلقيه الابر ،ووصف الابرة بالبغاء لدخول الخيط فيها ، قال الشاعر :

ابغى من الابرة لكنّـــــه   يوهم قوماً أنّـــه لوطـــي

ووصف محابر الوراقين بذلك ، اشارة إلى غمس الاقلام فيها .

٧ — يريد عصا موسى الّتي القاها فأخذت تلقف ما يأفكون .

المجلس : من هذا الذي يصفه الشيخ أبو القاسم بهذه المخازي ؟

فيسمع ، ويقول : أيش تعمل بهذا ، حتّى تستخبر ؟

زوج من في آستهــا ثمانون أيــراً   من بقايا أيور أمّــة لـــوط

عرفته أم لا ؟ فيقول الرجل : لا ، [فيقول له] : اكتف بهذا .

إلى أن يقول ، يعاود وصف المائدة وألوانها ، فيقول : هذه الأطبخة التي ترونها ، أيش يطيب منها [1] ؟

فيقال : هل أنت تعرفها ؟

فيقول : غرفاتها الباردة بالغداة ترقّق عن صبوح [2] .

ثم يقول : يا غلام ، فقّاع .

اسقني الاسكركة [3] الصنّــبرْ (م) في   جعصلفونـــــه [4]

---

١ ــ أيش : لفظة سؤال واستفسار ، اصلها : أي شيء ، اختصرت في كلمة واحدة ، ثم اختصرها البغداديون الآن فأصبحت حرفاً واحداً ، وهو الشين ، فالبغدادي اذا سأل احداً عن صحته ، قال له : شلونك ، وهي مختصر : ايش لونك ، التي هي مختصر : اي شيء لونك ، اما بدو العراق ، فان سؤالهم عن الصحة يكون بكلمتين ؛ وهما : جيف انت ؟ (كيف انت) .

٢ ــ قوله ترقق عن صبوح ، يعني ان غرفاتها الباردة بالغداة ، تبعث على الرغبة في الصبوح ، واصل المثل : عن صبوح ترقق ، ان رجلاً نزل ليلاً بقوم فأضافوه وأغبقوه ، فلما فرغ من غبوقه ، قال لهم : اذا اصبحتموني غداً ، كيف آخذ ؟ فقالوا له : عن صبوح ترقق ، يعني انه يكني في حديثه عن الصبوح ، ويوجبه على من نزل عليهم ، راجع التفصيل في مجمع الامثال للميداني ٢١/٢ .

٣ ــ الاسكركة والاسكرجة : فارسية ، اسكره ، اناء صغير من خزف (شفاء الغليل ١٢ والالفاظ الفارسية المعربة ١٠) .

٤ ــ جعصلفونه : لا ادري ما هي .

واجعل الفيجن [1] ملفـــو (م) فاً عليه بغصونـــه
فهـــو مصفـــاة لأعـــلا (م) ه ومسك لبطونــــه

فاذا امتصّها ، قال : أنشدني السري بن أحمد الموصلي ، لنفسه [2] :

لمّا شكـا ألم الخمار سقيتــه منها مخيض [لبانها المترجرج] [3]
يستلّ فوه لسان ماءٍ طـــاردٍ بالبرد حرّ خماره المتوهّج[ص١٨٨]
كالصولجـان مـن اللجين وجدته
أوفى على كرة من الفيروزج [4]

هذا أحسن من قول أبي علي القرمطي :

ثدايـا ناهدات الزنج ظلّـت تدرّ ثقوبها لبناً صراحـا

ثدايا ناهدات الزنج ؟ جاء بها — والله — قذرة [5] .

فاذا صار إلى الخاتمة والحلاوة ، أخذ يتناول منها ويستطيبها ، ويقول : ذا — والله — نعمة مجموعة ، ولذّة معجونة ، تؤدّي طعم العافية ، وتختم بحسن العاقبة ، وتسري بلذّتها إلى الأرواح .

لو تكون القلوب مأوى طعـام نازعته قلوبنـا الأحشـاء

كان عندنا ببغداد ، من هؤلاء السوقية السفل ، من يقول في مثل هذه الحلاوة : إنّي أضعها في فمي ، فأجد حلاوتها في عرقوبي ، سفلة والله .

---

١ — القيجن : السذاب بنوعيه ، بريّه وبستانيه ، راجع ابن البيطار ١٧٣/٣ .
٢ — السري الرفاء ، ابو الحسن السري بن احمد الكندي (ت ٣٦٦) شاعر ، أديب ، موصلي ، مدح سيف الدولة ، وانتقل بعد وفاته إلى بغداد (الاعلام ١٢٨/٣) .
٣ — في الاصل : مخيص اللبان مذحرج .
٤ — لم أجد هذه الابيات في ديوان السري الرفاء .
٥ — في الاصل : قدره ، بلا نقط .

ثم يغسل يــده ، ويرسخ المجلس ، فتوضع ــ مثــلاً ــ الرياحين ، فيقول : هذه التحيّات الهنيّات ، إذا شمّها المهموم ، [م١٠٥] ومشى صعداءه إلى قلبه ، انساخت عليه الجوانح [١] .

ثم تحضر الفواكه ، فيأخذ واحدة منها ، ويشمّها ، ويقول : وفواكه مما يشتهون [٢] ، والله ، ويقول : الربيع للعين ، والخريف للفم [ص١٨٩]، ويأكل واحدة منها ، ويقول : خريفكم ــ وحياتي ــ للعين والفم ، ومدينتكم ، مما يغالى بها [٣] ، ثم يقول : فيها ــ والله ــ ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين [٤] ، وأنتم فيها خالدون ، يا سادة أصفهان ، ان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها [٥] ، لا مقطوعة ولا ممنوعة [٦] .

ثم توضع القناني ، فينظر إليها وينشد :

أنظر إلى تلك القناني تلفهـــا	لها رؤوس مشرفات وعرى
ترعف إن خرّت ، وان قــام رقا	تزقّ أفراخاً فينهضن روى
تضحك عن أمثال أوداج الظبـا	تدور فيما بيننا دور الرحى
وقد تخلّصت من آخوان الجفـــا	قوم يرون النبل في طول اللحى [٧]
لا علم دنيـــا عندهم ولا تقى	وكلهم في العلم يمشي القهقرى
عدّوا صغاراً ثم خلّوهم سدى	بعرّة الجهل وتأديب النســا

١ ــ الانسياخ : الغوص والرسوب .
٢ ــ ٤٢ ك المرسلات ٧٧ .
٣ ــ في الاصل : وخريفكم مما يقال بها .
٤ ــ ٧١ ك الزخرف ٤٣ .
٥ ــ ١٨ ك النحل ١٦ .
٦ ــ ٢٣ ك الواقعة ٥٦ .
٧ ــ في الاصل : قوم يرون النبل تطويل اللحى .

فلو ترى شيخهم إذا احتـــبى ثم ابتدى في وصف شيء إذ بدا
من رخص سعرٍ ومن آفراط غلا ورفعوا أصواتهم بأن بـــلى
حسبتهم ضأناً تداعت بثغـــا أو سرب بطّ جاوبت سرب قطا
فالعقـــل يزداد صداً إلى صـــدا بقربهم والعلم يزداد فنا [ص١٩٠]

فيقال : يا أبا القاسم ، ما كنت تقول في بغداد شيئاً من هذا النمط قبل هذا ، وإنّما كنت تعيب أهل أصفهان .

فيقول : يا سيدنا ، جمال عبرت ، أحمالها التغافل ، علم الله أنّني أقـــول :

لنبعة من نواحي أصبهـــان أرى
ويابس من قفاف غير محروث [1]
أشهى إليّ وأحلى ما أقمت بها من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث [2]
والليل نصفان ، نصف للهموم فـــلا
أقضي الرقاد ونصف للبراغيـــث
أظلّ حين تشـــقّ الجلد وخزتهـــا
أنزو ، وأخلط تصويتاً بتغويث [3]

أما سمعت — ويحك — في بغداد :

[م١٠٦] فلا يستحر بغداد قلبك إنّها
غـــرور لراجيهـــا بعيد قريبهـــا

برّد الله عظام ابن المعتز ، حيث يقول :

١ — القفّ : أرض المراعي اليابسة .
٢ — التوث لغة في التوت ، والبغداديون يلفظونها بالثاء .
٣ — النزو : الوثوب ، والتغويث : الاستغاثة .

كيف نومي وقد حللت ببغدا   دَ مقيماً في أرضها لا أريم
ببلاد فيهـــا الركايا عليهـــــــ   ـنّ أكاليل من بعوض تحوم
جوّها في الشتاء والفصل [1] والصيـ   ـف دخان وماؤها يحموم [2]

ويقول : [ص١٩١]

أطال الدهر في بغــداد همّـي   وقد يشقى المسافر أو يفــــوز
ظللت بهـــا على كرهـــي مقيمـاً   كعنّين تعانقـــه عجـــوز

ويك ، أما ترى أبا الشيص [3] في قوله :

بغــداد [بعداً] لا سقـــى   ساحاتها صــوب السحاب
عمـــر الالـــه ديارهــــا   بالعاويات مـــن الكـــلاب

وما قصّر – والله – ثم قال :

---

١ – الفصل : الربيع .
٢ – اليحموم : الاسود من كل شيء .
٣ – ابو الشيص : ابو جعفر محمد بن علي بن عبد الله بن رزين الخزاعي الشاعر (ت ١٩٦) شاعر مطبوع ، سريع الخاطر ، رقيق الالفاظ ، وهو صاحب الابيات البديعة ، القليلة المثيل :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي   متأخر عنــه ولا متقــدم
أجد الملامة في هواك لذيـــذة   حبّـاً بذكرك فليلمني اللّوم
وأهنتني فاهنت نفسي عامـداً   ما من يهون عليك ممّن يكـرم
اشبهت اعدائي فصرت أحبّهم   اذ كان حظّي منك حظي منهم

وابو الشيص ابن عم دعبل الخزاعي ، شاعر اهل البيت ، وكنيته ابو جعفر ، وهو يغضب اذا قيل له ابو الشيص ، وكان قد عمي آخر عمره ، وذكر ان امرأة لاقته ، فقالت له : يا ابا الشيص عميت بعدي ، فقال لها : قبّحك الله ، دعوتني بالنبز ، وعيّرتني بالعاهة (الاعلام ١٥٤/٧ ونكت الهميان ٢٥٧) .

تطاول في بغداد ليلي ومـــن يبت ببغداد يلبث ليله غير راقد
بلاد إذا زال النهار تقـــافزت براغيثها ما بين مثنى وواحد
ديازجة [1] شهب البطون كأنّها بغال بريد أرسلت في المذاود

وللاعرابي ، يقول :

فأصبحت سالمت البراغيث بعدمـــا
مضت ليلة منّي طويل رقودها
قواطن عندي كلّمـــا ذرّ شارق
ببغداد ، أنبـــاط القرى وعبيدهـــا

ويحك ، ما يعجبني من مدينة هذه أوصافها ؟ بالله ، قل لي : أهذه تعجب بالله؟أم محالّها: قطيعة الكلاب[2] ،ونهر الدجاج[3] ،ودرب الحمير[4]

١ ــ الديزج : فارسية ، الدغم ، الذي لونه لون الكحل .
٢ ــ قطيعة الكلاب : لم اعثر فيما لديّ من مراجع على قطيعة بهذا الاسم .
٣ ــ نهر الدجاج : قال ياقوت في معجمه ٨٣٨/٤ نهر الدجاج محلّة ببغداد على نهر كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربي ، وفي الاعلاق النفيسة ٢٥٠ انه سمي نهر الدجاج لأنّ اصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده ، أقول : لتعيين موضعه راجع اطلس بغداد للدكتور سوسه .
٤ ــ درب الحمير : لم أعثر فيما لديّ من مراجع على درب بهذا الاسم في بغداد ، إلا اني عثرت في معجم البلدان ٥١٧/٢ عند بحث ياقوت عن دار البطيخ ، وانها كانت في درب يعرف بدرب الاساكفة ، وإلى جانبه درب يعرف بدرب (الخير) ، هكذا وردت ، وأغلب ظنّي ان الدرب هو درب الحمير ، وقد صحّفه محقّق المعجم ، وسبب قناعتي ، انّ دار البطيخ وهي التي تسمّى اليوم عندنا ببغداد ، علوة المخضّر ، تنقل اليها الفواكه والبقول والخضر على الحمير ، فيكون الدرب الذي تجتمع فيه درب الحمير .

أم — بالله — كورها : بعوربا [1] ، وشفطيثا [2] ، وباكسايا [3] ، وطيزناباذ [4] ، [ص١٩٢] ، ونهربوق [5] ، ودير العاقول [6] ، وطسوج البزبون [7] ، والسقاط [8] ، ودمماً [9] ، مواضع النبـــط ، ومساكن

١ — بعوربا : أحسب ان الاسم الصحيح : نغوبا : قرية بواسط (معجم البلدان ٧٩٧/٥) .

٢ — شفطيثا : اسم ضيعة من الضياع بقرب مدينة السلام (تاريخ الحكماء ١٨٩) .

٣ — باكسايا : قال ياقوت ٤٧٧/١ ، انها بلدة قرب البندنيجين (مندلي) وبادرايا (بدرة) ، بين بغداد وواسط ، من الجانب الشرقي ، في اقصى النهروان .

٤ — طيزناباذ : قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٥٧٠/٣ انها بين الكوفة والقادسية ، على جادة الحاج ، على ميل من القادسية ، كانت من انزه المواضع ، محفوفــة بالكروم والاشجار ، والحانات والمعاصر ، تقصد للهو والبطالة ، وهي الآن خراب ، قال ابو نؤاس :

قالوا تنسّك بعد الحجّ قلت لهم : أرجو الاله وأخشى طيزنابــاذا
ما أبعد الرشد ممن قد تضمّنـــــه قطربل فقرى بنّــا فكلواذا

٥ — نهر بوق : قال ياقوت في معجمه ٨٣٦/٤ انها طسوج في سواد بغداد ، قرب كلواذا ، زعموا ان جنوبي بغداد من كلواذا ، وشماليها من نهر بوق ، راجع خارطة بغداد للدكتور احمد سوسه لتعيين موقع طسوج نهر بوق .

٦ — دير العاقول : قال ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٦٧ انه بين مدائـــن كسرى (سلمان باك) والنعمانية ، على مسافة خمسة عشر فرسخاً جنوبي بغداد ، وفيه يقول الشاعر :

فيك دير العاقول ضيّعت أيّـا مي بلهو وحثّ شرب وطرف
وندامـــاي كلّ حـــرّ كريم حسن دلّــه بشكل وظرف

٧ — احسب ان الكلمة مصحفة عن طسوج الذيبين ، احد طساسيج السواد بالعراق ، راجع كتاب الوزراء للصابي ١٥ .

٨ — السقاطية : ناحية بكسكر من ارض واسط (معجم البلدان ١٠٠/٣) .

٩ — دمما : قرية كبيرة على الفرات ، قرب بغداد ، عند الفلوجة (معجم البلدان =

العثراء والسقط ، كيف يكون حال مدينة لا يشرب ماؤها حتى يصلب (١) ، ولا نبيذها حتى يضرب ، يعني الداذي (٢) .

فيقال : يا أبا القاسم ، وأيّ معنى في الداذي ؟

فيقول : الداذيّ ، هو ما يتواجد عليه البغدادي، ويقول : هو [م١٠٧] في النبيذ ، مثل الخلنجان (٣) في القدور ، ويقول : هو أن يؤخذ داذيّ كالمسك ، دقاقه خير من جلاله ، مثل عناقيد العنب ، شماريخ ، جعد ، أبيض ، مورّد ، سمين ، طيّب الرائحة ، لا أقماع الزبيب فيه ، ولا تجير (٤) الصباغين ، ولا قشور الرمان ، إلاّ داذي قطاف من الشجر ، فيضرب في العصير التمري الصافي الزلال ، ويروّق ، ويشمّس ، ثم يخرج — والله — محض ، مائع ، كما قال بعضهم في شاربيه :

= ٦٠٠/٢) اشتهرت بقنطرتها ، وهي قنطرة عظيمة ، ذات ابواب كبيرة وصغيرة ، تفتح لمرور وسائل النقل النهرية والاطواف والقراقير ، وعليها مشاريع ريّ مهمة ، ومن جملة من يستقي من احد مشاريع الريّ المتشعبة من الفرات عند قنطرة دمما ، اهل السارية من اهل بادوريا ، راجع كتاب الوزراء للصابي ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

١ — يريد بصلب الماء ، انه يوضع في الكيزان ، ويعلّق حتى يبرد .

٢ — الداذي : نبات حبه مثل حبّ الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في العرق ، فتعبق رائحته ويجود اسكاره ، وقد فصّل التوحيدي في هذه الرسالة ، كيف ينقى الحب ، وكيف يضرب في العصير التمري ، وكيف يروّق ، وكيف يشمّس ، وهذا الشراب مما يرغب فيه البغداديون ، قال الشاعر البغدادي :

شربنا من الداذيّ حتى كأنّنا ملوك لنا برّ العراقين والبحر

٣ — الخلنجان : قدور وآنية تصنع من خشب الخلنج ، قال ابن قيس الرقيات :

ملك يطعم الطعام ويسقــي لبن البخت في عساس الخلنج

٤ — تجير البسر : ثفله .

لم أر قومـــاً يشربون الخـــــرا قبلهم بالرطـــل في مجلس

فيقال له في أثناء المحاورة : يا أبا القاسم ، تعرف شيئاً من السباحة ؟ فيقول : يا أحمق ، وسواديّ لا يحسن أن يركب البقر ؟ وتركيّ لا يحسن أن ينزع في القوس ؟ أنا — والله — أسبح [ص١٩٣] من الضفدع ، ومن التنّين ، أعرف من السباحة أنواعاً لم يحسنها قط ، سمك ولا بطّ ، أعرف منها الشقّ ، والذرع ، والغمر ، والاستلقاء ، والتراوس ، والشكلبي ، والطاووسي ، والعقربيّ ، والمقرفص ، والموزون ، والكامل ، والطويل ، والمقيّد ، كان أستاذي في جميعها ببغداد ، ابن الطوّا والزنابيري (١) .

فيقول واحد : يا أبا القاسم ، أريد أن أعرف شيئاً من ألفاظ الملاّحين وأحوالهـــم .

فيقول : تحتاج أن تعرف ألوان المراكب ، من السفن ، والسميريات (٢) ،

١ — يظهر من حديث التوحيدي ، وتعداده هذه الاشكال من السباحة ، ان هذا الصنف من الرياضة ، كان البغداديون يهتمون به اهتماماً عظيماً ، وزاد في اهتمامهم به ، انّ معز الدولة البويهي ، لما استولى على بغداد ، في السنة ٣٣٤ شغف اصحابه بالسباحة ، فتعاطاها اهل بغداد ، حتّى احدثوا فيها الطرائف ، فكان الشاب يسبح قائماً ، وعلى يده كانون ، فوقه حطب يشتعل ، تحت قدر ، إلى أن تنضج ، ثم يأكل منها ، إلى أن يصل إلى دار السلطان ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ٤ ص ٢١٩ رقم القصة ١٠٤/٤ وما يزال البغداديون مقبلين على السباحة ، ولكن اقل من اقبال اسلافهم ، وهذه الاسماء الّتي اثبتها التوحيدي لاشكال السباحة ، لا يعرف البغداديون الآن منها شيئاً ، ولعلهم يمارسونها ، ولكن دون معرفة اسمائها .

٢ — السميريات والسماريات ، مفردها : سميرية وسمارية : ضرب من القوارب ، كانت شائعة الاستعمال ببغداد في القرن الرابع ، وتستعمل للتعدية بين جانبي بغداد ، وللانتقال بين موضع وآخر في الماء داخل المدينة ، راجع معجم المراكب والسفن في الاسلام لحبيب زيات بمجلة المشرق م ٤٣ .

والمراكب العماليات [١] ، والزبازب [٢] ، والطيارات [٣] ، والشذوات [٤] ، والبرمات [٥] ، والحراقات [٦] ، ....

---

١ ــ لم أجد ــ فيما لديّ من المراجع ــ ذكراً لسفن او مراكب تسمى العماليات ، ولعله يريد بها السفن التي تكون في خدمة العمال ، اي التي تستعمل لاغراض السلطة الحاكمة ، وهذه قد سماها الصابي (ص ٤٧) بطيارات الخدمة ، يعني انها في خدمة الدولة ، وقد ذكر ان ابن الحواري ، لما صادره الوزير ابو الحسن بن الفرات على سبعمائة الف دينار ، اسلمه إلى ولده المحسّن ، فصفعه ، وضربه بالسياط ، ثم أخرجه إلى الاهواز « في طيّار خدمة » وانفذ معه الحبشي المستخرج ، فطرحه الحبشي في الماء منكّسا وشدّ رجليه في شكّات الطيار ، حتى بلغ موضعاً أسفل الابلّة ، فاخرجه وفيه رمق ، فخنقه غلمان سودان كانوا معه . وذكر Kindermann (ص ٦٧) أنها تعني مراكب للشحن أو للتجارة، قاله إحسان عباس .

٢ ــ الزبازب : مفردها الزبزب ، ضرب من السفن النهرية الصغيرة .

٣ ــ الطيارات : مفردها الطيار ، نوع من السفن ، يدل اسمه على انه سريع الجريان ، وكان مركب الوزراء ورجال الدولة ، قال جحظة البرمكي ، يخاطب وزيراً :

قل للوزير ادام الله دولتــــه اذكر منادمتي والخبز خشكار
اذ ليس بالباب برذون لدولتكم ولا غلام ولا في الشط طيار

وفي السنة ٣٢١ صدر امر القاهر العباسي ، بان لا يركب في طيار سوى الوزير والحاجب والقاضي وعيسى المتطبب (تجارب الامم ١/٢٦٨) .

٤ ــ الشذوات ، مفردها الشذاة ، وربما جمعت على شذا : ضرب من السفن ، قال بعضهم انها عربية ، وقال آخرون انها من اصل غير عربي .

٥ ــ البرمات ، ومفردها البرم : من الزواريق التي ما زالت مستعملة في بغداد ، والبغداديون يسمونه الآن : بلم ، باللام ، ويجمعونه على بلمات وبلام .

٦ ــ الحراقات ، مفردها الحراقة ، وقد تجمع على حراريق ، هي في الاصل سفن فيها مرامي نار يقذف بها العدو ، ثم اطلقت على سفن المعابر ، وكان المترفون يتفننون في بنائها على صور الحيوان والطير ، راجع معجم المراكب والسفن في الاسلام لحبيب زيات ، وذكر الطبري ٨/٥٠٩ ان الامين أمر فعملت له خمس =

.... والزلالات [1] ،

= حراقات في دجلة على هيأة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وانفق في عملها مالاً عظيماً ، فقال ابو نؤاس يمدحه :

سخّر الله للأمين مطايـــا لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا مــا ركابـه سرن برّاً سار في الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يهـوي أهرت الشدق كالح الانياب
سبّحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحيـ ـن تشقّ العباب بعد العبـاب
تسبق الطير في السماء اذا ما اسـ ـتعجلوها بجيئـة وذهـاب

ولما رفعت مرامي النار من الحراقات ، اختيرت سفائن غيرها ، واستعملت لرمي النار ، وسميت البوارج ، وكانت كل سفينة من البوارج، تشتمل على ملاحين ومقاتلة ، ونفاطين لرمي النار ، واشتيام ، وهو رئيس الملاحين ، ونجار ، وخباز ، وفي السنة ٢٥١ دخلت إلى بغداد عشر سفائن من هذه البوارج ، ومدّت إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر (هذه الجزيرة بين سوق يحيى من الجانب الشرقي ، وبين الحريم الطاهري من الجانب الغربي) ، ولعب اصحابها بالنيران ، ثم مدّت إلى ناحية الشماسية (الصليخ) فرمت من كان هناك من الاتراك (اصحاب المعتز) بالنار (الطبري ٩/٣٠٧) .

١ ـ الزلالات : مفردها الزلال ، ضرب من السفائن السريعة ، خاص بالخليفة ، وبمن يأذن لهم في اتخاذه وسيلة للتنقل من كبار رجال الدولة ، وجاء في الديارات ٣٨ ان بعض ولد الرشيد مرض ببغداد ، ولم يقدر على الركوب ، واشتهى ان يتنزّه في الماء ، فاراد ان يبني زلالاً ، فمنعه اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، أمير بغداد ، وقال : هذا شيء لا نحب ان يعمل مثله الا بأمر أمير المؤمنين واذنه ، فكتب إلى المعتصم يستأذنـه في ذلك فخرج الامر إلى اسحاق باطلاقه له ، فكتب اسحاق : ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين باطلاق بناء زلال لم يحدّ لي طوله وعرضه ، فوقفت أمره إلى أن استطلع الرأي في ذلك ، فكتب اليه يحمده على احتياطه ، ويحدّ له ذرع الزلال . وقال الدكتور احسان عباس : ان الزلالات اورد ذكرها كندرمان =

والمالست[1] ،والكمندوريات[2] ، والبالوع[3] ، والطبطاب[4] ، والجدي[5] ،

= (ص ٣٥) وقال ان مفردها الزلال او الزلالة ، وتعني اللفظة ما يقاد بسهولة وتقابل بالانجليزية Bark إلا أنها لا تستعمل إلا في دجلة (الاغاني ط بولاق ١٧٧/٣) راجع دوزي ٥٩٧ وفي تزيين الاسواق ٢٥٨ حاشية : انها نوع من المراكب يشبه الزورق .

١ ـ المالست : قال الدكتور احسان عباس ، اورد ذكرها كندرمان (ص ٩٤) وقال انها وردت مالشت (بالشين المعجمة) في ترجمة غلدا مايستر في GW جوتنجن ١٨٨٢ ص ٤٣٩ وفي مخطوطة آلورد رقم ٩٨١٥ ورد : ومن السفن الخاصة بدجلة اربعة انواع ، هي بالترتيب من الكبير إلى الصغير : الزبزب ، الشبارة ، الرباعية ، المالشت .

٢ ـ الكمندوريات : قال الدكتور احسان عباس ، أورد ذكرها كندرمان (ص ٩٠) وقد قرأها متز كندوريات ، اما دي خويه في المكتبة الجغرافية ١٩٠٢ (ص ٧٣٤) فقد قرأها : كندوريات ، أقول : لعلها زواريق تتخذ للصيد ، مأخوذة من الكلمة الفارسية : كندور ، كند : شباك الصيد ، ودور : للبعيد زماناً ومكاناً .

٣ ـ البالوع : قال الدكتور احسان عباس ، ان هذه الكلمة اوردها كندرمان (ص ٦) ولم يفسرها ، وإنما اكتفى بان اشار إلى أنها وردت في هذه الرسالة .

٤ ـ الطبطاب : قال الدكتور احسان عباس : اورد كندرمان (ص ٥٦) ان الطبطاب ورد ذكره في قاموس الفيروز بادي وتاج العروس ، وهو على الارجح قارب ذو مجذافين ، وفي التاج : ان الطبطاب طائر له اذنان كبيرتان ، قارن بلفظ الطيار لنوع آخر من القوارب ، وكذلك الغراب ، ويقول كندرمان : ان التسمية غريبة ونادرة ، وذكر E.V. Stace في كتابه المعجم الانجليزي العربي ٨٩٣ ان طبطاب بلهجة عدن ، تعني وعاءً خشبياً للماء . اقول : الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها بالكرة ، ولعل هذا النوع من السفن ، من العريض المنبسط ، فسمي بالطبطاب لشبهه بالطبطابة .

٥ ـ احسب ان كلمة : الجدي ، مصحفة ، وصوابها : الحديدي ، وهو نوع من =

والجاسوس [1] ، والورحيّات [2] ، والقوارب [3] ، والخيطيـــات [4] ،

= القوارب ، ذكر صاحب نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٩٧ في القصة رقم ٩٦/٢ ما يدلّ على ان الحديدي والطرادة اسمان لمسمّى واحد ، والطرادة ما زالت مستعملة ببغداد ، وجمعها طراريد ، قارب خفيف الحركة ، سريع الانسياب فوق سطح الماء ، يستعمل الآن في الفرات الاوسط ، وفي حوض دجلة الاسفل في منطقة العمارة وجنوبها ، في الانتقال في المياه القريبة القعر ، وفى صيد طيور الماء في الاهوار . ولعل اسم الطرادة مشتق من طرد الصيد .

١ — الجاسوس : قال الدكتور احسان عباس : اورد كندرمان (ص ١٥) ذكر الجاسوس وقال ان المقدسي ذكرها (المكتبة الجغرافية ٣١/٣) لعلها كانت سفناً لاغراض استطلاعية .

٢ — الورحيّات : قال الدكتور احسان عباس : ان كندرمان ذكرها (ص ١٠٧) قارن بالمكتبة الجغرافية ٢٣١/٤ .

٣ — القوارب ، مفردها القارب ، قال صاحب لسان العرب : ان القارب هو السفينة الصغيرة مع السفن الكبار البحرية ، كالجنائب لها ، تتخذ لحوائجهم ، وأقول : القارب عند البغداديين هو الزورق ، وهم لا يسمونه قارباً ولا زورقاً ، وانما اسمه عندهم البلم ، محرفاً عن البرم ، اما الجنيبة ، وهي سفينة تقطر مع الحراقة او الزلال ، يحفظ فيها ما يحتاج اليه الراكبون من طعام وشراب ومتاع ، وكانت في العهد العباسي تسمى الخزانة ، وفي الاغاني ٣٤٨/١١ و ٣٤٩ ان علي بن هشام ، احد قواد المأمون ، ومن كبار رجال دولته ، اهدى لعلويه المغني ، حراقته ، بخزانتها ، وجميع آلاتها ، فباعها علّويه بمائة وخمسين ألف درهم ، اما الآن فلا توجد في بغداد خزانات تقطر ، إلا أن الزوارق الضخمة التي تسير بالبخار تقطر جنائب تحمل فيها البضائع ، وتنقلها من بلد إلى آخر ، ويسمون الجنيبة : دوبه ، أحسب ان اصلها من الالمانية Dobber بالمعنى عينه .

٤ — الخيطيات : مفردها : الخيطية ، قال صاحب معجم المراكب والسفن في الاسلام : ان المراكب الخيطية ، تصنع بالابلة ، وقد ذكرها القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة ج ٤ ص ٢٥١ رقم القصة ٤٥٤ فذكر ان بصرياً اراد =

والشلملي [1] ، والجعفريات [2] ، شاهدت يوماً — والله — اشترَبه بن دبيس المعبراني وعند[ه] ، مكين الهمّاني ، ورقطا النعماني ، وسلوقا بن الرماني، وعلى رأسه مرامقة [3] ، وعليه زرمانقـــة [4] من لونين بلا جرّبان [5] ، ولا كمّين [6] ، وإلى جنبه [ص١٩٤] اشتيام [7] مكوّر الرأس ، بقواصر من الطين ، كأعظم ما يكون من الدكاكين ، وعليه ما شوكة [8] ، وبين يديه كنور [9] ، وكدل [10] ، ومردي مقيّر [11] ، ومهار [12] ،

= الانتقال إلى الابلّة ، فرأى ملاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة . اقول : الظاهر من تسميتها ، انها دقيقة الشكل ، سريعة الحركة .

١ — الشلملي : قال الدكتور احسان عباس ، ان حروف هذه الكلمة ، مقاربة حروف : شلندي ، فلعلها مصحفة عنها ، والشلندي نوع معروف من السفن .

٢ — الجعفريات : قال الدكتور احسان عباس : ذكر كندرمان (ص ١٧) الجعفريات، وقد وردت في كتاب الحيوان للجاحظ ٢٤/٤ طبعة القاهرة ١٣٢٣ — ٢٤ .

٣ — المرامقة : من البسة الرأس .

٤ — الزرمانقة : جبة من الصوف (شفاء الغليل ٩٨ ومعجم دوزي للالبسة ١٩٣) .

٥ — الجرّبان : طوق القميص .

٦ — الكمّ : مدخل اليد ومخرجها في الثوب .

٧ — في لسان العرب ، الاشتيام رئيس الركاب ، واحسب ان الصحيح رئيس الملاحين : راجع الطبري ٣٠٧/٩ .

٨ — ماشوكه : لم افهمها .

٩ — كنور : لم افهمها .

١٠ — كدل : لم افهمها .

١١ — المردي ، بالميم المضمومة : خشبة تدفع بها السفينة ، اقول : ما زال هذا اسمه ببغداد ، ولكن البغداديّين ، يلفظون الكلمة بميم مفتوحة ، واذا تخلّص البغدادي من ثقيل ، قال : دفعة مردي .

١٢ — مهار : لم افهمها .

ومزارق [1] ، وشكّــة [2] ، وقفز [3] ، وبلدي [4] ، وللكـا [5] ، وهواد [6] ، ومجاذيف [7] ، وشراريف [8] ، وهو يصلح الكـار [9] ، ويدخل فيه الشل [10] ، ويركّب فيه المجذاف ، وتحته ودي خلق ، وفوقه

---

١ ــ لعله يريد بالمزارق ، جمع المزراق : الرمح القصير .

٢ ــ الشكة : جاء في كتاب الوزراء للصابي (ص ٤٧) ان الحبشي المستخرج ، طرح ابن الحواري في الماء منكساً ، وشدّ رجليه في شكّات الطيّار ، وهو سائر ، وذكر محقق كتاب الوزراء ، ان الشكّات يراد بها الخشبات البارزة من السفينة ، وانا انقل هذا التفسير على مسؤوليته .

٣ ــ القفز : لم افهمها .

٤ ــ البلدي : لم افهمها .

٥ ــ اللكا : لم افهمها .

٦ ــ الهواد : الهادي في اللغة : كلّ متقدم ، فالدليل هاد ، والعنق هاد ، والجمع هواد ، وهوادي الخيل اعناقها ، ولم أجد فيما لديّ من مراجع اسماً لآلة من آلات الملاحة بهذا الاسم .

٧ ــ المجاذيف ، مفردها المجذاف : خشبة طويلة مبسوطة احد الطرفين تسيّر بها القوارب . وتلفظ كذلك بالدال بدلاً من الذال .

٨ ــ شراريف ، مفردها شاروفة : لم اعثر على اصل لها في المعاجم العربية ، وذكر لسان العرب انها فارسية بمعنى مكنسه ، وايده شفاء الغليل ، وزاد بأنها معرب جاروب بمعنى مكنسة ، وقد وجدت في ذيل تجارب الامم ص ٥٥ في اخبار عضد الدولة ، ان اعرابياً اعترض سفينة من سفن المعاون (الشرط) واخذ منها قطعة من شاروفة قهراً من صدر السفينة ، فأمر عضد الدولة بأن يعتقل الاعرابي ، فاعتقل واحضرت الشاروفة ، فخنق الاعرابي بها ، في الموضع الذي أخذها ، ثم صلب ، والحديث المتقدم يدل على ان الشاروفة ليست مكنسة ، وانما هي من الادوات التي تستعمل في السفن .

٩ ــ الكار : القافلة المتكونة من مجموعة من السفن ، تتحرك مرة واحد مجتمعة .

١٠ ــ الشلّ : احسب ان مفرده الاشل ، نبطية ، بمعنى الحبل (لسان العرب) .

بارية مربّدة (١) ، يستظل بها على القرقور (٢) ، وأصحابه جالسون بحذائه في المنكور (٣) ، وقد تقنبر (٤) ، وصار يهلّل ، ويكبّر ، ويسبّح . [م١٠٨] ويقول : جوّزني على كهوار الصراط ، وزيّني بودعات الحكمة ، وسلّمني زقاقاً ، وبلغني شبالاً ، بحق مشايخنا ، ثم يشرف على الهور (٥) ، ويبصر القمايا ، ويسمع زمرة المدّادين ، ويناديهم : يا با ، أشوب ، أشوب ، مشّوا عامة من معكم من السفن ، ما دمتم في هذه الشرتا ، تهب غفران ، قبل ما تتحرك قبليّة (٦) ، فلا يتهيأ لكم الصعود

---

١ ــ البارية : حصير ينسج من القصب ، ما زال هذا اسمها ببغداد والبصرة ، وقد مرّ ذكر نوع من الفرش (السجّاد) يوصف بنقش البارية ، لانه يحاك على شكل مشابه لنسيج البارية ، والمربّدة : المصابة بالربدة وهي الغبرة .

٢ ــ القرقور : السفينة الطويلة .

٣ ــ المنكور : لم افهمها .

٤ ــ تقنبر : يلفظها البغداديون ، بكاف الفارسية بدلاً من القاف ، ويريدون بها انه أقعى او جلس القرفصاء ، وبعض البغداديين الآن يقولون قنبص بالصاد ، بعين المعنى .

٥ ــ الهور ، وجمعها اهوار : بحيرة تغيض فيها مياه غياض وآجام ، فتتسع ويكثر ماؤها ، وللهور اسم آخر وهو البطيحة ، وفي العراق اهوار عظيمة ، تشغل مساحة واسعة من اراضيه ، اشار اليها ياقوت في معجمه ٦٦٨/١ وابو الفدا في تقويم البلدان ٤٣ ، فذكرا ان في العراق ثلاث بطائح ، بطائح البصرة ، وبطائح الكوفة ، من فضلات ماء الفرات ، وبطائح واسط ، من مياه نهر دجلة ، وقد حدثت عند اشتغال الفرس بقتال المسلمين في العراق ، ومنها البطيحة العظمى ، وهي بحيرات اربع ، تدخل اليها دجلة من زقاق قصب ، ثم تخرج منها في زقاق قصب ثان إلى البحيرة الثانية ، فالثالثة ، فالرابعة ، وعند انتهاء البطائح ، تخرج منها دجلة ، فتسمى دجلة العوراء ، وبعد ذلك تتفرع منها انهار البصرة .

٦ ــ القبلية : هي الريح الذي تجيء من جهة القبلة ، اي الجنوب الغربي .

إلى دوالي ، وتبمون في الهور الأزرق ، جوزوا — ويحكم — هذا الكهوار ، وهذه الأجراف [1] ، فبينما هو كذلك ، اذا بهم وقد صاروا إلى طبطاب [2] وهالس ، وإلى مسفار ، وكاد [ص١٩٥] الماء يدخل كوثل السفينة [3] ، وقد كشف الملاحون بطكاتهم ، فيقول لمن يمدّ منهم في القمايا ، وهو قائم على رأس السرير : أي معبراني ، ألق الأناجر [4] ، فيمتنع عليه ، فيقول : يا مدبر ، هلكت وأهلكت ، ان في الطاعة شكور السماني ، وفي المعصية ورقاء اليماني ، انسلخ زورقلك في الوسطاني ، ومن كيتي كردي ، ومن كيتي فامي [5] ، ومن قدام اوتا ، ومن خلف لبوة ملبوبة ، لو تركتهم لهؤلاء المعبرانيين لكاشوا بهم ، يا مدبر ، تهروقت ، يجيء في كيتي كيتي ، ومن برابرا ، لا والله ، أوعى من الصدر ، يا مدابير ، أنتم تريدون حملاً خفيفاً ، وكِراً ثقيلاً ، وقلساً دقيقاً ، ومدّاداً نشيطاً رفيقاً ، وراكباً كريماً ، وزاداً كثيراً ، وهذا يكون في الجنة ، لا في نهـــر الصليـــق [6] .

١ — الاجراف ، مفردها الجرف : الجانب الذي اكله الماء من حاشية النهر .

٢ — الطبطاب والهالس : الطبطاب هو الموضع الذي يتلاطم فيه الموج فيحدث طبطبة ، والهالس : لا أعرفه .

٣ — كوثل السفينة : مؤخرها .

٤ — الاناجر ، مفردها الانجر ، والبغداديون يلفظون الجيم كافاً فارسية ، مرساة السفينة ، فارسية ، ما زال هذا اسمها ببغداد .

٥ — الفامي : النبطي ، نسبته إلى فامية ، قرية من قرى واسط بناحية فم الصلح اهلها نبط (معجم البلدان ٣/٨٤٦) .

٦ — نهر الصليق : الصلق في اللغة : القاع المستوي المطمئن ، وذكر ياقوت في معجمه ٣/٤١٥ ان الصليق اسم مواضع كانت في بطيحة واسط ، بينها وبين بغداد ، وكانت ايام ملكها عمران بن شاهين ومن خلفه ملجأ لكل خائف ، ومأوى لكل مطرود ، وفي القصة المرقمة ٧/١٥٨ من نشوار المحاضرة ج ٧ ص ٢٧٨—٢٨١=

لو رأيت هذه الأحوال ، لعلمت أن للملاّحين أيضاً ، ألفاظاً ليست بالدون ، وإن لم تكن من العون العيون .

فيقول له واحد : يا أبا القاسم ، أين مقامك ببغداد ؟

فيقول : مقامي بها في سكّة الجوهري [ص١٩٦] :

ترى النعل فيهـا يبيع القفـا على من يزيد ولا يشتري
ويصفع قحف السقيم المريـب فتندر عين الصحيح البري

أيش تعمل بداري ويحك ؟ حماقة وفضول ، دار أسّست على غير التقوى ، بحمد الله .

دار على الشط لـي سروري بها وان ضويقت منوط
فمـا ألفت الشطـوط إلاّ لأنّ مأوى الخرا الشطـوط

دارٌ مكتوب على بابها :

من دخل الدار فَهُوْ آمـنٌ من كلّ شيء ما خلا النيك

آخـر

[م١٠٩] يبيتُ قِرى ضيفانها كلّ ليلة
بغيّ ، وخنزير ، وخمـر ، وميسر

دارٌ ــ وحقّ الله ــ كما قيل :

فان ترد دار الخنا والحوب (١) ومعدن العصيان والذنوب

= ذكر للخليفة القادر ، لما كان ملتجئاً للبطيحة ، لما كان يحدّث كاتب صاحب البطائح ، فقال له : رأيت البارحة في منامي ، كأنّ نهركم هذا ، وأومأ إلى نهر الصليق ، راجع القصة في نشوار المحاضرة ، وفي المنتظم ١٥٧/٧ .

١ ــ الحوب : الأثم والذنب .

وموطن العاهـــات والعيـــــوب فاعدل إليها تحظ بالمطلوب

لا تسمع — والله — فلان دقّ رمحاً في فلان ، إلاّ على المعنى الأشرف ، وبعد ذلك ، إلاّ ضراطاً كالمقاليع [1] ، طنّت له ما بين درب [ص١٩٧] الحرسي ، وسوق الدواب .

ضراطـــــاً مثلمـــا أنشـــــ ــقّ الدبيقي الصقيـــــــل

وصفعاً على ما وصفت :

يجرّد فيـــه للقفا كلّ صــــــارم
بسيط القفا عضب الشراكين ديبلي [2]

آخــــر

هناك ترى — وحقّك — لي سيوفاً مشرّكة تحكّـــم في الرقاب
سيوفـــاً لا تكـــاد تصيب إلاّ لما تحويه أزياق الجباب [3]

ثم يعاود تقريض أصفهان وساكنيها ، ويصبّ شرابه في القدح ، ويقول : نور — والله — ضميره نار .

١ — المقاليع ، مفردها : المقلاع : اداة ترمى بها الحجارة ، والبغداديون يتخذون المقلاع من حبال مضفورة ، دقيقة الطرفين ، عريضة الوسط ، توضع الحجارة في وسطها ، ثم تحرك حركة دائرة ، حتى اذا بلغت اقصى حركتها ، افلت احد الطرفين ، فانطلقت الحجارة كالسهم ، والبغداديون يسمون المقلاع : معجال ، قلبوا مقلاع إلى معقال ، ولفظوا القاف جيماً مثلّثة .

٢ — الديبلي : نعال تجلب من ديبل على ساحر بحر الهند .

٣ — يريد بها النعال .

نـــار ونـــــور قيّدا بوعـــاء [1]
جوزاء درّ في سماء عقيـــــق [2]

ينخرط — والله — من القدح .
حريق تسعر منه اليـــد [3]
في الكفّ قايمة بغير إنـــاء [4] روح الرجاء وراحة النفس [5]

أصفى من عين الديك ، ومن دمعة المحبّ المهجور ، وأرقّ من دين أبي نواس ، وأذكى من المسك ، وأحسن من الجاديّ [6] ، القدح الأول يسكر ، والثاني يدوّخ ، والثالث يطلب الباب [ص١٩٨] بغير طيلسان .

لهـــا منظر في العين يشهد حسنها
على مخبر يهدي السرور إلى القلب
ولم أر مرموقـــاً إلى النفس مثلهـــا
تشمّ فتلقى بالعبوس وبالقطـــب

زعفرانية اللون في الشعاع ، عطرية النشر في الأنفاس ، تثب في كأسها وثوب الحيّة في الرمضاء ، تتوقّد توقّد المرّيخ في الظلماء ، ما في [م١١٠] الدنيا — والله — ترياق يعادلها ، تبذرق [7]. الطعام إلى غور البدن ، غسول الجسم من عفونات الأخلاط ، نضوح المعدة من غوامض الادواء ، قوت النفس ، شقيقة الروح ، ثم تسلم شاربها إلى وثارة المهاد ، ولذّة الرقاد ، الذي هو جمام الأعضاء ، وراحة الجوانح ، والمرفّه عن الحواسّ ، وبه

١ — ٥ : هذه الاشطر : كل شطر منها من بيت منفرد .
٦ — الجاديّ : الزعفران .
٧ — البذرقة : الخفارة ، وقد تسمى التسيار ، وهي المحافظة على المسافر حتّى وصوله إلى مقصده سالماً .

تمّ أفعال الطبيعة ، ويجود الهضم ، تشبّ الشباب ، وتطرّي[1] المشايخ ، معادلة — والله — للانسان ، في الطبائع الأربع مشابهة لها ، رطوبتها مشاكلة للرطوبة منها ، وقوامها ولونها مثل قوام الدم ولونه ، والطافي منها كالزبد بمنزلة الصفراء ، والراسب منها كالثفل بمنزلة [ص١٩٩] السوداء ، كلّ شراب في الدنيا عيال عليها ، وينشد من اهتزازه إليها :

راض نفسي ، حتى صبت ، إبليسُ
وقديمـاً قد طـاوعته النفـوس
كم أردتُ التقى فمـا تركتـني
خندريسٌ يديرهـا طـاووس
من شراب القربان يوصي بهـا الشـ
ـمّاس خزّان بيتهـا والقسـوس
دم عيسى عند النصارى ونـار ليس فيها حَرٌّ تراها المجوس
وهي عندي خلاف ما اعتقدته كوكب السعد فارقته النحوس
أيّ حسن تخفي الدنان من الـرا ح وحسن تبديه منها الكؤوس
يا نديمـيّ سقّياني فقـد لا ح صباح وأذّن النـاقوس
من كميت كأنهـا أرض تبر في حواليه لؤلؤ مغـروس

ويشرب أقداحاً ، ويطرب ، ثم يقبل على صاحب المجلس ، ويقول :

مولاي يا مـن له وفيـه ما عشت نفسي ترضى وتغضب
زوجة مـن لا يهـواك مثلي أسفل قدر آستها مشعّـب
زوجـة من لا يهـواك مثـلي حائط باب آستها معرقب [ص٢٠٠]
زوجة مـن لا يهواك مثـلي ضرع آستها في الفراش يحلب
زوجـة مـن لا يهـواك مثلي على جذوع الأيور تصلب
زوجـة من لا يهـواك مثلي قربوس سرج آستها مضبّـب

---

١ — التطرية : التحسين والتجديد .

آخـــر

يا من بـــه درج المعـــا لي والنهى متعاليـــه
[م١١١] لا زال من جحري إلى فكّي عدوّك ساقيـــة

آخـــر

يا ملكــاً أروي أحــاديثه روايــة المستبصر الحــاذق
كأنّني أروي حديــث النبي محمدٍ عن جعفر الصادق

آخـــر

مثلك لا يخـــرج الطبيعـــة أو يخرج بزر القثّا من الجزر
وكل من لا [يقول ذاك] ففــي حر أمّه كلّ ليلة ذكري
يدخل بعد العشــا ويخــرج في وقت وقود الحمام في السحــر

أيش أقول :

في كــلّ يوم لي مــن بــرّه باكورة أطرى من الورد [ص٢٠١]
كأنّهــا ريحٌ بهـــا [عنبر] بنفسج بخّــــر بالنـــدّ

آخـــر

الحمـــد لله عـــلى نعمـــة قد أنجز الدهر بها وَعْدَهْ
نلت الذي ما زلت أغرى بـــه على طريق الفال مذ مُدَّهْ
والمـــنّ للمولى عـــلى عبده في فعله لما اشترى عبده

ولا يزال يتلقّاه بهذه المدائح التي ينبيء بها عن صدق الولاء ، وحسن العهد والعشرة والوفاء ، إلى أن يتفرّس في بعضهم سوء اعتقاد في هذا الصاحب الذي يقرّظه بأمثال ذلك ، فيقول له سرّاً : يا سيدنا ، من ذا ؟ ما هو إلاّ طاعون في مجرى النَفَس ، ليتني حممت سنة ولم أعرفه ، ما هو — والله — يا سيّدنا إلاّ كما قال الشاعر :

أنفاسه كذب وعقد ضميره   دَجَلٌ وطلعته سقام الروح

ما نحن ـ والله ـ يا سيّدنا ، ما نحن ـ والله ـ إلاّ كما قال الشاعر :

بلينا ، وقد طاب الشراب وأشعلت
حمّياه في الفتيان نار نشاط
بأبرد في كانون من يوم شمأل
وأكثر فسواً من رياح شباط

آخر [ص٢٠٢]

[م١١٢] يا ويح ريحان تحيّيه به   والويل للكاس الذي يسقيه
والله ما أدري وإنّي صادق   أَمحدِّثٌ أم مُحْدِثٌ من فيه

ما هو إلاّ كما قال الآخر :

أوجع للقلب من غريم   ظل ملحّاً على فقير
ومن خراج في جسم ملقى   يمخض مخضاً على بعير (١)
بغير زادٍ ولا شرابٍ   ولا حميم ولا عشير

ثم يقبل عليه وينشد :

أنا ألقى الله ربّي   يوم ألقاه يهودي
ليس لي في عقد ديني   أخوة غير القرود
أو فشاركت يزيداً   وكفاكم بيزيد
إنّه مولاي بالحـ   قّ وساداتي شهودي
هو معبودي وإلا   فانظروا أين سجودي

ثم يقول : يا سيّدنا ، متّعك الله بهذه المحاسن ، وبهؤلاء الفضلاء الذين

١ ـ المخض : الحركة العنيفة الشديدة .

هم دراري الكواكب ؛ يا سيّدنا .

إحفــظ نداmــاك فهم عصبــة كأنّهم نزهة بستان [ص٢٠٣]
بين كهول لا يــرى مثلهــم حسناً وأحداث وشبّــــان
لو عاشروا كسرى عــلى نبله بلحمّلوا كسرى بن ساسان

ويقبل عليهم ، فيقول :

والله مــا للعيش بعدكــمُ ومجالس اللذات من طعم

يجعل الرجل كدخداه (١) ، والدار كاركاه (٢) ، ويسمع من نجواه ، في أثناء إطرائه للجماعة ، قوله في خفية ونفاق :

قوم هم كدر الحياة وسقمهــا عرض البلاء بهم عليّ وطــالا

آخــر

ترضيهـــــم أكلــة ويسخطهم فقدان أخرى في كلّ حالات
حصلــت منهم في شرّ طائفــة أثكلنيهم ربّ السمــاوات

[م١١٣] فيقال له ، وهو متظاهر بالرضا عن أصفهان ، ويثني على أصدقائه بها : يا أبا القاسم ، قد نسيت إخوانك ببغداد .

فينبسط ، ويقول : محق الله بغداد وساكنيها ، هي :

إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقاها ولا حيّا بها مطــرا
وأرسل الريــح تسفــي في وجوههم
حتّى إذا لم يروا عيناً ولا أثرا[ص٢٠٤]

١ ـ كدخدا : فارسية : الحاكم ، الشخص الموقر ، صاحب البيت ، وكان الولاة في العهد العثماني ، لكل واحد منهم نائب يدعى بالكدخدا .
٢ ـ كاركاه : القصر ، فارسية .

ألقى العداوة والبغضـــاء بينهـم حتّى يكونوا لمن عاداهم جزرا
السارقين إذا ما جنّ ليلهـــــم والدارسين إذا ما أصبحوا السورا
والتاركين على طهر نساءهـــم والناكحين بشطّي دجلة البقرا

ثم يقول : لا على بغداد ، بل على أهلها :

سقيـاً لبغـداد ورعيـاً لهـا ولا سقى صوب الحيا أهلهـا
تعجّبي من سفـل مثلهـــم كيف أبيحوا جنّة مثلهـا

ويقبل ، خلال الأحاديث ، على من يليه من اليمين ، فيفاوضه ، ويتسمّع من أحاديثه ، ويستهشّ لها ، ويقول : يا سيّدنا ، ذا — والله — ليس كلام البشر ، إنّما هو سحر يولّه القلوب والأسماع ، كلام — والله — كبَرْد الشراب ، وبُرْد الشباب ، بل كالنعيم الحاضر ، والشباب الناضر ، قطع الزهر ، وعُقَد السحر ، ما هو إلاّ كالبشرى بالولد الكريم ، إلى سمع الشيخ العقيم ، حسن الديباجة ، صافي الزجاجة ، حلو المساغ ، يعافى به المريض ، ويجبر به المهيض ، يقود سامعه إلى السجود، ويجري مجرى الماء في العود ، قد اتّسع له — بحمد الله — مشرع الاطنـــاب [ص٢٠٥] وانفرج عنه مسلك الإسهاب ، فهو ينثر الدرّ على الدرّ .

فيقول الذي على يساره : في أيّ شيء أنتم ؟

فيغمز إليه بعينه ، ويقبل عليه ، ويقول : يا سيّدنا ، أنا في محنة صلعاء ، بلا طاقة شعْر ، في كلام أثقل من الجندل ، وأمرّ من الحنظل ، هذيان المحموم ، وسوداء المهموم ، لمثله يتسلّى الأخرس عن كلمه ، ويفرح الأصمّ بصممه ، كلام — والله — يصدي الخاطر ، وإن لم يعشِ الناظر ، كلام تتعثّر الأسماع من حزونته ، وتتحيّر الأوهام من وعورته ، لا مساغ له في الأسماع ، ولا قبول في الطباع .

ثم يلتفت ثانياً [م١١٤] إلى اليمين ، فينشده صاحبه الذي يليه منها

شعراً ، فيقول : أعيذه بالله ، ما أصفى نظره ، وأنقى درره ، وأغزر بحره ، وأحكم نحته ونجره [1] ، صوب للعقول [2] ، وغرّة في نواصي الفحول ، لو جعل خلعة على الزمان ، لتحلّى بها مكاثراً ، وتجلّى فيها مفاخراً ، شعر — والله — يختلط بأجزاء النفس ، الآذان — والله — تصير أصدافاً لهذا الدرّ .

ويلتفت عنه ثانياً إلى اليسار ، فيقول : يا سيّدنا ، أما كنت تسمع ذا الشعر البارد العبارة ، الثقيل الاستعارة [ص٢٠٦] ، وتلك الاشارة الفاترة ، يا سيّدنا ، بلا حلاوة ، ولا طراوة ، ليس إلاّ إقواء [3] ، وإيطاء [4] ، واخطاء ، لو شعر — أعزّه الله — بالنقص لما شعر [5] .

ثم يقبل على اليمين ثالثاً ، ويأخذ في تقريظه ، ويقول : سيّدنا — بحمد الله — كريم الأخلاق والأطواق ، المجد لسان أوصافه ، والشرف نسب أسلافه ، ما ورث المحاسن عن كلالة [6] ، ولا ظفر بها عن ضلالة ، شجرة طيبة أصلها في الماء ، وفرعها في السماء ، ثم هو — بحمد الله — في الكرم والجود ، بحر لا يظمأ وارده ، ولا يمنع بارده ، لو أنّ البحر مدّه ، والسحاب مدّه ، والجبال ذهبه ، لقصرت عما يهبه ، وفي العلم البحر الممدّ لسبعة أبحر ، كأنّما يومه — بحمد الله — فيه أعمارُ سبعة أنسر ، شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ،

١ — النجر : الاصل واللون ، والصناعة .
٢ — الصوب : العطاء والفائدة .
٣ — الاقواء في الشعر : المخالفة في قوافي الابيات برفع قافية وجر أخرى .
٤ — الايطاء في الشعر : تكرار القافية في ابياته لفظاً ومعنى .
٥ — شعر الاولى من الشعور والاحساس ، وشعر الثانية من الشعر اي القريض .
٦ — الكلالة : اطراف الأقارب ، يريد انه ورث المحاسن من آبائه كابراً عن كابر ، ولم يستعرها من اباعد .

هذا — بحمد الله — مع خلق كنسيم الأنوار ، على صفحات الأشجار ، في نفحات الأسحار ، خلائق في ذكاء الخلوق[1] ، وشمائل في صفاء الشمول[2] ، أذكى من حركات الريح بين الريحان ، جدّ كعلوّ الجدّ[3] ، وهزل كحديقة الورد ، سبحة [ص٢٠٧] ناسك ، وتفّاحة فاتك[4] ، وعشرة يكاد ماؤها يقطر ، وصحوها من الغضارة يمطر ، ثم المنظر الذي تبهر وضاءته العيون ، متبرقع — والله — ببديع الجمال ، متعوّذ من عين الكمال ، متخلّل مخايل الاقبال ، أحلى — والله — من الوبل على المحل ، الخلق وَضيّ ، والخلق رَضيّ ، والفضل مُضِيّ ، محاسنُ ، أنا — والله — منها في روضة وغدير ، بل في جنّة وحرير[5] .

ويلتفت عنه إلى اليسار ، ويقول لمن يليه ، على العادة في النفاق والحديث : ذا والله — سخنة عين ، غضارة لوم[6] ، في قرارة خبث[7] ، كالكمأة ، لا أصل لها ثابت ، ولا فرع نابت ، لو قذف — والله — الليل بلومه ، لطفيت أنوار نجومه ، لا يبضّ حجره[8] ، ولا [م١١٥] يثمر شجره ، جمّة لا تروي[9] ، وزند لا يوري ، قالب جهل مستور بثوب ، يعثر في

١ — الخلوق : ضرب من الطيب اعظم اجزائه الزعفران .
٢ — الشمول : الخمر .
٣ — الجد الاولى : ضد الهزل ، والجد الثانية : الحظّ .
٤ — قال الصاحب بن عباد : ان أردت فاني سبحة ناسك ، او احببت فاني تفاحة فاتك (شرح المقامات الحريرية ١/١٩٥) ، والفاتك : الجريء الشجاع ، وترد هنا في وصف من يجرأ على هجر الوقار ، وتطلّب الملذات ، والامعان في الخلاعة .
٥ — ١٢ م الانسان ٧٦ .
٦ — غضارة لؤم : حذف الهمزة من لؤم ، على طريقة البغداديّين .
٧ — القرارة : ما لصق بأسفل القدر من الطعام .
٨ — بضّ الماء : سال قليلاً قليلاً ، وقوله : لا يبضّ حجره : اي لا ينال خيره .
٩ — الجمة : البئر ذات الماء ، وفي الاصل : حجّة لا تروى .

عنان جهله ، ويتساقط في ذيول خرقه ، صخرة خلقاء [1] ، لا تستجيب للمرتقى ، وحيّة صمّاء لا تتسمّع إلى الرقى ، كأنّي إذا ناظرته أسفر منه عـَوداً [2] ، وأهزّ طـَوداً ، ثقيل الطلّة [3] ، بغيض التفصيل والجملة ، يحكي ثقل الحديث المعاد ، ويمشي على العيون [ص٢٠٨] والأكباد ، هو — والله — في العين قذاة ، وبين النعل والأخمص حصاة ، كأنّ وجهه — على الحقيقة — هول المطلع ، النحس يطلع من جبهته ، والخلّ يقطر من وجنته ، وجهٌ يشقّ على العين ، وكلام لا يسوغ في الأذن ، ما كنت أدري — والله — أيحدث أم يحدّث ، مدخل أكله ، أمذر [4] من مخرج ثفله ، لا يفرّق — والله — بين محساه ومفساه .

يكون هذا دأبه ، وينقضي دور الغناء ، فيطرب ، ويقبل على الطنبوريّ ويقول :

كلّ مغنٍّ بكلّ طنبور دونك حتّى النفخ في الصور

ويقبل على العوّاد ، ويقول :

تمّ لمولاي فضلُ رتبته بين الأغاني والبمّ والزيرْ [5]
إذا أتتك العيدان مقبلة تغيّرت أوجه الطنابيرْ
قمريّة والمغنّيات إذا ضجّوا بأصواتهم عصافيرْ

ويقول للمغنّية :

---

١ — الصخرة الخلقاء : الملساء ؛ وهضبة خلقاء : مصمتة ملساء لا نبات فيها .
٢ — السفار : هنة توضع في أنف البعير ، والعـَوْد : البعير المسنّ .
٣ — الطلّة : الاشراف ، يريد بها هنا : المنظر والمرآى .
٤ — أمذر : أقذر .
٥ — البمّ والزير : اسماء اوتار في العود ، راجع قاموس الموسيقى العربية ص ٦٥ .

كـل ّ الثياب عليها معرض حسن
وكل ّ ما تتغنّى فهو مقترح [1] [ص٢٠٩]

ويقول : المستغاث بالله

غنّـــت فلم تبق فيّ جارحة إلاّ تمنّيت أنّهـــا أذن

آخـــر

تتغنّـى كأنّهـــا لا تغنّـــي من سكون الأوصال وهي تجيد
مدّ في شأو صوتها نَفَسٌ كـا فٍ كأنفاس عاشقيها مديد [2]

وجه كالصباح ، وغناء في غاية الاقتراح

لما تغنّت حسبتهـا سمحـــت بروحها خلعة عـــلى روحي

آخـــر

[م١١٦] ناي وعود وحلـــق في غايـــة الاصطـــلاح

وغريرة ، لما تغنّت

تمّت محاسنها وساعد شَجْوَهَا نايٌ يرفّ على القلوب وعـــود
فكأنّنا في الخلد نسقى خمـــرة مشمولـــة وكأنّهـــا داوود

ويحاضر بعض أصدقائه ، ويقول : قال الشاعر متمثّلاً :

---

١ ــ الصوت المقترح : هو الذي يطلبه الحاضرون من المغنّي ، يقول : انها تغنّي الحاضرين بما يوافق طباعهم ، فكأنهم هم الذين اقترحوا الاصوات .

٢ ــ هذان البيتان من قصيدة بديعة لابن الرومي في مدح وحيدة المغنّية مطلعها :

يا خليليّ تيمتني وحيـــد ففؤادي بها معنّى عميـــد

لنـــا سمكٌ نكبّبه مشبّـــر [1] وعند غلامنا جنب مبزّر [2]
وفرّوجان قد رعيـــا جميعـــاً لباب البرّ في بلدان كسكر [3]
وقـــدر كلّمـــا فـــارت أثـــارت
قتاراً عَرْفه مسك وعنبر [4] [ص٢١٠]
وراح عتّقت في الدنّ ممـــــا تخيّر كرمها كسرى وقيصر
وخودٌ مثل ضوء الشمس تشدو وأخرى مثل لون الليل تزمر
فكن نكتـــــابنا هذا جوابـــاً فقد كدنا من الأفراح نسكر [5]

ويقول : يا سيدنا ، بصوت شجٍ

عدّ في الطيـــب فتية خلقـــوا من عنبر أشهب وكافور
نهـــاية ليس منهـــم عـــوض لمغرم بالسمـــاع مسرور
لهم معانٍ غرّاً كأنّك مـــــن فنونها في قراح منثـــور

١ ــ السمك المشبر : أحسب انه يريد بالمشبر : المقطّع ، من الحزوز التي في الذراع ، منها حزّ الشبر ، وحزّ نصف الشبر ، وربعه ، كل جزء منها صغر أو كبر فهو مشبر .

٢ ــ الجنب المبزّر : الجنب : الشق ، ويريد بالجنب المبزّر : فخذ الخروف المطيّب بالابازير اي التوابل (البهارات) .

٣ ــ الفراريج الكسكرية : كانت كسكر مشهورة بالفراريج ، وكانت تكثر بها جداً ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢٧٤/٤ انه رأى الفراريج بكسكر تباع كل ٢٤ فروجاً كباراً بدرهم واحد ، وذكر ابن طيفور في كتابه تاريخ بغداد ١٢٢ ان قهرمان دينار بن عبد الله ، قال لاحمد بن ابي خالد الاحول ، وزير المأمون : عندي فراريج كسكرية بخبز الماء وماء الرمان ، وذبح له منها عشرين فروجاً ، فأكلها كلّها .

٤ ــ القتار : ريح الشواء والمطبوخ .

٥ ــ يريد ان يكون حضوره هو الجواب عن الكتاب .

يا سيّدي فاستمع دعـاء فتى هش ٌ كما الخبز بالأبازيـر [1]
ورح مـن الراح بينهم ثملاً وأغدُ عليهم غدوّ مخمور
ولا تفـرّط فـانّ مثلك ان فرّط في اللهو غير معذور

ثم يقول : غداً – والله – نستأنف هذا المجلس والسرور ، ويقول : كانت عليّة بنت المهدي تقول : من أصبح وعنده طباهجة ، وقنينة ناقصة ، وتفّاحة معضوضة ، ولم يصطبح [2] ، فلا تعدّه من الفتيان [3] ، عفلاء ! ما ألطف ما قالت .

ثم يقول لبعضهم : تدري [ص٢١١] كيف يقضى حق الصبوح ؟ فيقول : لا .

فيقـول :

---

١ – الهشّ : الليّن ، والهش الوجه : الطلق المحيّا ، والهشّ البشّ : الفرح المسرور وخبز الابازير : الخبز يكون فيه لحم وتوابل (بهارات) ، والبغداديون الآن يسمونه : خبز العروق ، محرفة عن : خبز العراق ، والعراق بقايا اللحم في العظم .

٢ – الاصطباح : الشرب بالبكور ، ويكون الاصطباح ، على الاكثر ، لاتمام شرب سابق ، والبغداديون الآن لا يعرفون الاصطباح : ومن أسرف في الشراب ليلاً ، وأصابه خمار ، تناول في الغداة كأساً ، يسمونه كسر خمارية .

٣ – جاء في كتاب الاغاني ١٧٣/١٠ : ان عليه بنت المهدي ، كانت تقول : من أصبح وعنده طباهجة باردة ، ولم يصطبح فعليه لعنة الله ، وجاء في كتاب مطالع البدور ١٣٩/١ ان دنانير ، جارية البرامكة ، كانت تقول : من اصبح وعنده قنينـة ناقصة ، وزبدية طباهجة باردة ، وتفاحة معضوضة ، ولم يصطبح ، فهو أحمق ، فاسد المزاج ، وذكر القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٠٤ عمن قال : من أصبح في يوم سبت ، وعنده طباهجة عنبرية ، وبالقرب منه باقلاني ، ولم يصطبح ، فلا صبّحه الله بخير ولا عافية .

إنّ حقّ الصبوح أن تقلب الـــدنـ (م) يا بخفق الطبول بين السراني [1]
بين رقص يعدو على أثر الزيــــ (م) ر وزمر يشتدّ خلف المثـــاني
[م١١٧] من حسان مثل البدور طياب
محسنات ومطربات حســـــان
صلح إيقاعهـــم يتمّ ولكــــن باصطخاب الأوتار في العيدان

ثم يقبل على المطربين ، وقد قارب السكر ، وينشد :

وصوتٍ لبـــي الأحـــــرا ر أهـــل السيرة الحسنى
شـــجٍ يستغـــرق الأوتـا ر حتى كلّهـــا تفنى
فمـــا أدري يـــدي اليسرى بهـــا أسقى أم اليمـــنى
وقلنـــــا لمغنّيـــــــه وقد غنّـــى عـــلى المثنى
ألا يـــا ليت هـــذا الصـو ت طول الدهـــر لا يفنى
فقـــــد أيقـــظ للّـــــذا ت عيناً لم تـــزل وسنى
ومـــا أفهـــم ما يعـــني مغنّيـــه إذا غنّـــــى
ولكنّـــي مـــــن حبّـــي لـــه أطـــرب للمعـــنى

وينظر إلى المغنّية ، وقد اعترض بينه وبينها إنسان ، فيقول [ص٢١٢] :

فديت من أصبحتْ وأمســـت عنّي بوجه الرقيب تُحجَبْ
بعيدة ، وهي مـــن وريـــدي أدنى محلاً منّي وأقـــرب

ويأخذ قدحاً دوستكان [2] ، ويمضي إليها ، ويلحظها ساعة ، وينشد :

ذرّ في وجههـــا الملاحـــة ذرّاً خالقٌ هزّ غصنها تحت بدر

---

١ ــ السراني : مفردها السرناي ، وهو مزمار معروف (شفاء الغليل ١٠٢) .
٢ ــ الدوستكان : القدح ، والبغداديون يسمونه الآن : الاستكان ، وهذا التعبير مقصور على الاقداح الصغيرة التي يشرب البغداديون بها الشاي .

وينشد قول الشاعر :

مقسومة بين نقا وغصن ... محسودة منصورة بالحسن

آخر

بأبي من حمّلتني في الهوى ما لا أطيقُ
غادة ريقتها مسكٌ وشهدٌ ورحيق

آخر

خلقت لي كما أشا ... قينةٌ تخجل الرشا
يدهش الشيخ حسنها ... وسبيلي أن آدهشا

آخر

[م١١٨] بنت عشر وثلاث ... تملأ المرط العشاري (١)
خدّها يقطف منه اللـ ... ـحظ وردَ الجلّنار
ها هنا أتلفت مالي ... ها هنا بعتُ عقاري

ويلحظ آخر ، من جانبها الآخر ، ويقول : [ص٢١٣]

بين رقيبين يحجران على ... ساحرة في الهوى ومسحور
كأنّها تمرةٌ قد التزقت ... بعقرب فوقها وزنبور .

آخر

وما ذات جنب ولا نقرس ... إلى مفصل دبّ في مفصل (٢)

١ ــ المرط : الثوب غير المخيط ، أو كساء من الصوف يؤتزر به ، والعشاري : ذو العشرة أذرع .
٢ ــ المفصل الاولى : السكين القاطعة ، والمفصل الثانية : كل ملتقى عظمين .

ولا وجع الضرس عند الرقـــاد ووخز الدبيلـــة في المقتل[1]
ولا الشرب في تور حجّـــامة عليها الوضارة لم تغســـل
ولا الثلـــج دام بمرج القـــلا ع [2] على القافلين به النـــزّل
ولا الحمل زاد عـــلى تسعـــة فماج وجار عـــلى المهبـــل
ولا الصخر ينقـــل فوق الرؤوس ومشي الحفاة على الجندل
ولا مرتقـــى جبلٍ شـــاهـــق على خائف وجلٍ مسبل [3]
ولا سير شهـــر بديمومـــة [4] على غير ماءٍ ولا منزل
ولا حمّة [5] بات مطروقهـــا يسهّد في ليلّـــه الأليل
ولا الأسر في القُفص أو كابـــل بقيدٍ إذا شدّ لم يحلل [6]
بأثقـــل مـــن وجهـــه طلعـــة ولا الربع تأخذ بالأفكل [7]
وأثقـــل من وجهـــه روحـــه فإن لم تخبّر به فاسأل [ص٢١٤]
فيا سفلـــة الناس والأصدقـــاء ويا سفلة الكسب والمأكـــل

١ ـ الدبيلة : خراج أو دمّل في الجوف .
٢ ـ مرج القلاع : سماه ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٨٨ مرج القلعة ، وقال : هو بين حلوان وهمذان ، على بعد منزل واحد من حلوان .
٣ ـ المسبل : الماشي في السبيل ، وهو الطريق .
٤ ـ الديمومة : الصحراء البعيدة الاطراف
٥ ـ الحمّة : الحمّى .
٦ ـ القفص : منطقة جبلية في كرمان ، قال ياقوت في معجم البلدان ٤/١٢٨ و ١٢٩ : ان هذه الجبال يسكنها قوم لا ديانة لهم ، وهم يعظّمون الامام علياً ، لا للديانة ، وانما لأمر غلب على فطرتهم ، من تعظيم قدره ، واستبشارهم عند وصفه ، وهم من القسوة بمكان ، فلا يقنعون بسلب من مرّ ببلادهم ، بل يقتلونه ، وكابل : حضرة بلاد افغانستان .
٧ ـ الربع : حمى الربع ، وهي الحمى التي تترك ثلاثة أيام وتعاود في الرابع ، والافكل: الرعدة .

بــــراك الإلـــــه لنـــا آيـة وشبّه أعـــلاك بالأسفـــــل
فمـــــا فيك للهـــزل مستمتع ولا للحقيقة مـــن محمـــل
فلو كنت من سلفي هـــــاشم ومن عبد شمس ومن نوفـــل
وحزتَ تراث بني طــــاهــر فأعطيتنـــاه ولم تبخـــــل
وكنّـــا بوجهك نسقـــى الغمام إذا ما فقدناك لم ينـــزل
[م١١٩] لكنتَ البغيض وكنتَ المقيت
فأدبـــر ذميمـــاً ولا تقبـــــل

ثم يطرق ساعة ، ويفور به الغضب ثانياً ، ويستأنف النمط الأوّل ، ويقول :

يا فقد ماءٍ ليلة الحريـــق
يا ثقل الـــدين عـــلى المضيـــق يا رجعة المسلوب في الطريق
يـــا غرق الزورق في كانـــون يا ضيقة دامت عـــلى مديـــون
يا مجلساً ضنكاً ويا غلاً قمل (١) وعسرة دائمـــة عـــلى مقلّ
يا توبة المضغوط من تحت الأسد (٢)
يا فزع الورّاد في يوم بَـــرَد
يا فسوة الفيل إذا الفيل اتّخـــم يا وكف بيت قد تداعى وانهدم

١ ــ الغلّ ، وجمعه أغلال وغلول : طوق من الجلد يطوّق به العنق ، والغلّ في حد ذاته خانق ، فكيف اذا كان مملوءاً بالقمل .
٢ ــ الضغط : العصر والزحم ، والمضغوط تحت الاسد ، لا عبرة بتوبته ، لأنّ الحكم الشرعي في التوبة ، ان يتوب الانسان من ذنب ، ما دام قادراً على ممارسته ومعاودته ، فلا تقبل توبة الزاني ، اذا جبّ او خصي او اصيب بالعنّة ، وكذلك يشترط على من يتوب ، ان يبادر اولاً بارضاء من كان سبباً للاضرار به ، كأن يعيد ما سرق ، إلى صاحبه ، أو أن يعوّض من أضرّ به ويرضيه ، وعليه من بعد ذلك ان يتوب ويطلب الغفران من الله تعالى .

يا قرّة الأعين للحسّاد [ص٢١٥]		يا حسرة المسكين في الأعيـاد
يا رفسة البغل على الطحـال		يا صفعة بالنعل في القذال
يا لسعة الزنبور في المـآقي		يا غدوة البين على العشاق
يـا فجعـة الحرّة بالطلاق		يا عوز الحبر على الورّاق
يا شرقـاً من ضغطة الخنّـاق		يا نهشة الأفعى بلا ترياق
يا كلّ شيء موحش مهـول		يا رأس خنزير ووجـه غول
يا قبح شيب لاح من نصـول		يا شدّة العزل عـلى المعزول

آخـر

يا شربة اليارج [1] يا أجـرة الـ		ـمنزل يا وجه العذول الثقيـل
يـا نهضة المحبوب في غفلـة		يؤذن فيها باقتراب الرحيل
يـا رجعة المحـروم من سفرة		لم يحظ فيها بنوال المنيـل
ويـا كتاباً جـاء من مخلـفٍ		للوعد مشحوناً بعذر طويل
ويـا طبيباً قد غـدا بكرةً		على أخي سقم بماء البقول
يا شوكةً في قـدم رخصةٍ		ليس إلى اخراجها من سبيـل
يا عثرة المجذوم في رحلـه		ويا ذباباً في إناء الشمول [ص٢١٦]
يـا حيرة المكـروب في أمـره		ويا صعود السعر عند المعيل [2]

١ ــ اليارج ، والايارج : دواء مسهل .

٢ ــ هذه الابيات لجحظة البرمكي ، اثبتها الحصري في الملح والنوادر ص ١٨٢ ومطلعها :

يا لفظة النعي بموت الخليل		يا وقفة التوديع بين الحمول

والابيات الزائدة في الملح :

يا طلعة النعش ويـا منزلاً		اقفر من بعد الانيس الحلول
يا بكرة الثكلى إلى حفـرة		مستودع فيها عزيز الثكول
يا وثبة الحافظ مستعجـلاً		لصرفه القينات عند الاصيل
يا ردّة الحاجب عن قسـوة		ونكسة من بعد برء العليـل

آخـــر

يا جبهة الليث ويا وجه الهـــدف   يا روثة الفيل ويا لحم الصدف

[م١٢٠] يا أجرة البيت قضاء وسلف

يا ليلة الخان إذا الخان وكف [1]

---

١ ـ يريد بالخان هنا ، خان المسافرين ، اي الفندق ، والظاهر ان هذه الخانات ، لم تكن تلاقي العناية ، وقد تحدّث عنها ابن الرومي ، في بائيته العجيبة ، التي مطلعها :

دع اللوم ان اللوم عون النوائب   ولا تتجاوز فيه حـــدّ المعاتب

ومما وصف به الخان : [الملح والنوادر ٢٤٥]

لقيت مـــن البرّ التباريح بعدمـا   لقيت من البحر ابيضاض الذوائب

سقيتُ على ريّ به ألف قطـــرة   شغفت لبغضيها بحب المجادب

ولم أسقها بل ساقها لمكيـــدتـي   تحامق دهر جدّ بي كالملاعب

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت   برحلي أتاها بالغيوث السواكب

سقى الارض من اجلي فأضحت مزلّة   تمايل صاحيها تمايل شـــارب

فملت إلى خان مـــرثٍّ بنـاؤه   مميل غريق الثوب لهفان لاغب

فما زلت في خوف وجوع ووحشة   وفي سهر يستغرق الليل واصب

يؤرّقني سقف كأنّي تحتــــــه   من الوكف تحت المدجنات الهواضب

تراه اذا مـــا الطين أثقل متنــه   تصرّ نواحيه صرير الجنـادب

وكم خان سفر خان فانقض فوقهم   كما انقضّ صقر الدجن فوق الارانب

اقول : هذه الخانات ، كانت في طرق القوافل بين المدن ، يطرقها المسافرون بين مرحلة ومرحلة ، ولم تكن ثمة خانات في داخل المدن ، إلا في القليل ، لأنّ أهل المدن كانت بيوتهم مفتوحة الابواب للاضياف ، شأن كلّ عربي ، مقتراً كان أو غنياً ، وحدثني الحاج عبد المجيد جميل طيب الله ثراه ، قال : لما كنت حاكماً (قاضياً) في عانة ، كنت أزور راوه مرة في الإسبوع ، انظر في الدعاوى ، وفي أول زيارة لي إلى راوه ، انهيت عملي في المحكمة ، وخرجت إلى المسجد الجامع لأصلّي ، وبعد أن صلّيت ، جلست انتظر السيارة لتحملني إلى عانة ، واذا بشيخ ضرير ، يتلمّس طريقه ، فجاء ، وسلّم عليّ ، وجلس إليّ ، وقال =

يا ملح ، يا مـــالح في فيه جيـف　　يا نوبة الحمّى ويا سنّ الخرف
لا زلت من دهرك في شرّ كنـف　　مالك في بغضك [1] إن متّ خلف

يا أوّل ليلة الغريب ، إذا بعد عن الحبيب ، يا طلعة الرقيب ، يا يوم الأربعاء في آخر صفر [2] ، يا لقاء الكابوس في وقت السحر ، يا حرّ آب

= لي : انت غريب ، واني جئت اليك ارجو منك ان ترافقني إلى بيتي لتتغدّى سوية ، فقلت له : كيف عرفت اني غريب ؟ فقال : لأنّ الوقت وقت غداء ، وقد صلى القوم الظهر ، وعاد كلّ إلى بيته ، وبقاؤك في المسجد دليل على انه لا بيت لك تأوي اليه ، فعلمت انك غريب ، فاعتذرت منه ، واخبرته باني في انتظار السيارة لتحملني إلى عانه ، وعرضت عليه ان اوصله بالسيارة إلى بيته ، فشكرني ، وقال : اني منذ ان شبيت ، لا استطيع ان آكل وحدي ، ولا بد لي من ان اجد ضيفاً يأكل معي ، وقد درجت على ان احضر إلى المسجد الجامع ، في كل يوم ، في مثل هذا الوقت ، لعليّ اجد غريباً يتغدى معي ، فان لم أجد ، امسكت بمن أصادفه وعرضت عليه ان نتغدى سوية .

١ – البغض : كناية بغدادية عن ثقل الروح .

٢ – العراقيون عامة ، لا يرتاحون إلى يوم الاربعاء ، فلا يسافرون فيه ولا يتزوّجون ، ولا يعقدون فيه صفقة مهما كانت (الامامة والسياسة ٣٦/٢ و ٣٧) ، كما انهم لا يرتاحون إلى شهر صفر ، ويعتبرونه شهراً نحساً ، وآخر أربعاء في صفر ، يجمع عندهم بين النحسين ، قال السريّ الرفاء : [اليتيمة ١٥٥/٢]

أربعاء حسامـــه مشهـور　　حين يأتي وشرّه محـذور
نتوقّاه أوّل الشهر ان دا　　ر ونخشاه آخراً لا يـــدور

ومما يذكر ان الحجاج بن يوسف الثقفي ، اراد ان يستفيد من هذا التشاؤم عند العراقيين ، فواقعهم ، في معركة دير الجماجم ، في يوم الاربعاء ، وقد وجدت في البصائر والذخائر للتوحيدي ، وفي محاضرات الراغب الاصبهاني ، اخباراً عما يتشاءم منه البغداديون ، فاحببت أن أثبتها هنا ، واكثر ما ورد فيها ، ما يزال إلى الآن موضع تشاؤم عند البغداديين ، قال ابو حيان التوحيدي في كتابه البصائر=

....

= والذخائر جـ ٢ ق ٢ ص ٦٥٢ – ٦٥٨ : هذه نتف الّفتها ها هنا ، فبعضها مسموع من العامة ، وبعضها مرويّ عن الخاصة التي تروي عن العامة ، وهي تجري مجرى الامثال المبتذلة ، فيها طيب ، ومع الطيب عبرة ، ومع العبرة فائدة ، وقد خلت من الاصول الدالة على الفروع ، ومن العلل المقتضية للاحكام ، وقد عرضتها على علية الناس ، أسأل عن اسرارها ومدارها ، وكيف كان قديمها ، وفاتحتها ، وكيف انتشرت الآن بين العامة ، وكيف أشكل على الجميع معانيها ، فلم ألحق الناس ، إلا رجلاً واحداً ، في الجهل بها وباسبابها ، وقد سردتّها لتشركنا في التعجب والطيب ان شاء الله ، يقول : اذا دخل الذباب في ثياب أحدهم يمرض ، واذا حكّته يده ، قال : آخذ دراهم ، واذا حكّته رجله ، قال : أمشي إلى مكان بعيد، واذا حكّه أنفه ، قال : آكل لحماً ، وان حكّه وسطه ، قال : آكل السمك ، وان اختلجت عينه من فوق ، قال : أرى إنساناً لم أره منذ حين ، وان اختلجت من اسفل ، قال : سوف أبكي ، اسأل الله السلامة ، واذا وجد ثقلاً في المنام من المرّة السوداء ، قال : وقع عليّ بختي ، وعضّ ابهام نفسه ، وقال : دلّني على كنز ، ولا يقولون بالليل حيّة ، ويقولون : طويلة ، واذا غلط احدهم ، وقال : حيّة ، قالها ثلاث مرات ، واذا اشار إلى صاحبه بالسكين ، غرزها في الارض ، وقال : الشيطان يعمل عمله ، واذا كسف القمر ضربوا الطست ، وقالوا : يا رب خلّصه ، واذا طنّت اذن احدهم ، قال : ترى من ذكرني ، واذا أراد أحدهم ان يبول بالليل ، بصق أوّلاً ، ثم بال ، واذا صاح الغراب ، قالوا : خير خير ، وانت شرّ طير ، واذا أراد أحدهم أن يشدّ زرّه اذا انقطع ، أخذ في فيه تبنة ، وقال : حتى لا يكذب عليّ أحد ، ولا يقولون : عقرب ، ويزعمون انها تعرف اسمها فتهرب ، واذا ذكروا الجن بالليل ، اخذوا بأطراف آذانهم ، ويكرهون البول في الميزاب ، ويقولون : هي منازل القمر ، ويقولون : دية النمل تمرة ، ويقولون : في كل رمانة حبة من الجنّة ، واذا مسح أحدهم يده بثوب صاحبه ، بصق ، وقال : حتى لا ابغضه ، واذا رشّ على وجه انسان ماء ، قبّل يده ، وقال : حتى لا يصير نمش ، واذا صاحت البومة ، قالوا : منا السكين ومنك اللحم (أقول : البغداديون اليوم ، اذا صاحت البومة، قالوا: سكين=

....

= وملح ، اي ان قولهم الآن محرّف عن قول اسلافهم) واذا رأوا الخنفساء ليالي الشتاء ، قالوا : مباركة ميمونة ، واذا رأوها في ليالي الصيف ، قالوا : رسول العقرب ، واذا طار الخفّاش بالليل فسمعوا صوته ، قالوا : هذه الساحرة تطير ، لا اله إلا الله ، كأنما طيرانها ثوب يشقّ ، ويكبّون الطست ، ويقول : باطل ، وبطل ما كانوا يعملون ، واذا غاب لاحدهم غائب ، صوّتوا في البئر ، ونخلوا الرماد بالليل ، وزعموا ان الجن يثبتون حاله في الرماد ، واذا صدع احدهم ، قالوا : انفرج رأسه ، وقدّره بتكّة ، ويطرحون في حبّ الدقيق جوزة لها ثلاثة خطوط ، يزعمون ان فيها بركة ، واذا رأوا الشمس حارّة ، قالوا : يجيء غداً مطر ، واذا طارت من السراج شرارة إلى فوق ، قالوا : ينقص من اهل البيت واحد ، واذا وقعت إلى أسفل ، قالوا : يجيء غداً زائر ، واذا غسلت السنور وجهها ، قالوا : هديّة ، ويزعمون ان عوج بن عوق ، كان يصيد السمك من قرار البحر بيده ، ويشويها في الشمس ، ويزعمون انه لا يرتفع إلى السماء من الدخان ، إلاّ قتار الكندر ، ويقولون : ان للزنادقة كبشاً ينثر الدراهم من صوفه ، فاذا اشتروا بها ، تحولت عند البائع ورقة آس ، وان الشيطان يحسد على الزكام والدمّل ، وان الاسد محموم بالنهار ، فاذا كان الليل أفاق ، وان الحمار لا يدفأ إلاّ يوماً من أيام تموز ، وهو في سائر أيام السنة مقرور ، واذا نكس احدهم في مرضه اخذوا له دهناً من سبع دور ، ودهنوا به رأسه ، واذا خرج باحدهم دمّل ، شدّ في تكته عفصة غير مثقوبة ، واذا بكى الصبي ، لطخوا اسفل رجليه بنيلج ، واذا اصابته العين ، اخذوا له بول سبعة أنفس ، أحدهم حبشي ، وصبّوه عليه ، واذا حمّ احدهم الربع ، بخّروه بقرن كبش ، واذا أخذه الفواق ، عقد بيده أربعاً وثلاثين ، وزعم أنه يسكن (لمعرفة كيف يعقد الانسان أربعاً وثلاثين ، راجع حساب الاصابع في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٠٤ — ١٠٧ رقم القصة ٥٣/١) واذا خرج به قوباء (داء يتقشر منه الجلد) خط حولها خاتم سليمان ، ومسحه بالتراب ، وقال بالغداة : كيف اصبحت لا أمسيت ، وبالعشيّ : كيف أمسيت لا اصبحت ، واذا لسعته عقرب ، غسلوا الحصى وسقوه ماءه ، واذا خرج على لسانه بثرة ، قال : خبأ لي انسان شيئاً طيّباً وأكله ،=

عند سكّان العراق (1) ، يا خراجاً بلا غلّة ، يا سفراً مقروناً بعلّة ».

= واذا اشتكى فم معذته ، ذهبوا به إلى اللوابة (أحسب ان الكلمة مصحّفة) واذا رأوا في الدار حيّة ، بخروها بقرن أيّل ، وقشور البيض (اقول : الآن يضعون في الموضع الذي اختفت فيه شيئاً من البطنج ، ويقولون انها تفرّ من رائحته ، ويقولون في الكناية عن اثنين يتباغضان ، حية وبطنج) وزعموا ان من أكل لحم سنّور أسود ، لم يعمل فيه السحر ، واذا رأوا في الافق حمرة ، قالوا : في السماء نار ، وصاحوا : الصلاة ، الصلاة ، ويضربون بالشعير (؟) وينظرون في البخت ، واذا عثر احدهم بصاحبه ، أخذه يده ، وصافحه ، وربما قالوا : لئلا نتخاصم ، وزعموا ان عبد الله بن هلال ، صديق ابليس ، كان يغوص بالكوفة في الطست ، ويخرج من ساعته بتاهرت ، وقال الراغب الاصبهاني ، في كتابه محاضرات الادباء ١/١٥٥ من علوم العامة : تزعم العامة ، ان الفأرة ، كانت يهودية طحّانة ، تسرق الدقيق ، فمسخها الله فأرة ، وان سهيل (النجم) كان عشاراً ، فمسخه الله كوكباً ، وان الوزغة كانت تنفخ نار ابراهيم عليه السلام ، فلعنها الله ، وان الخنزير تولّد من عطسة الفيل ، وان الهر تولّد من عطسة الأسد ، واذا كسفت الشمس يقولون : يا ربّ خلّصها ، واذا أراد احدهم ان يبول بالليل ، بصق أوّلاً ، واذا طنّت ذبابة كبيرة ، قالوا : بشّرك الله بخير ، واذا أصلح زرّه ، عضّ خرقة أو خشبة ، يقول : حتّى لا يكذب عليّ ، واذا دخل الذباب ثياب أحدهم ، يزعمون انّه يمرض ، واذا احتكّ طرف أنفه ، يقولون : يأكل اللحم ، واذا احتكّ وسطه ، يقولون : يأكل السمك ، ويقولون : اختلاج العين يدلّ على رؤية من لم يره منذ حين ، واختلاج الجفن الاسفل من العين : يدلّ على البكاء .

١ — العراق : يراد به القسم الجنوبي الداني من البحر ، قال ابن الاعرابي : انما سمّي العراق عراقاً ، لأنّه سفل عن نجد ، ودنا من البحر ، أخذ من عراق القربة ، وهو الخرز الذي في أسفلها ، راجع نشوار المحاضرة ج ٥ ص ١٧٠ ومعجم البلدان ٦٢٨/٣ .

يا أخلق من طيلسان ابن حرب[1] ، يا أشأم على نفسه من ضرطة وهب[2] ، يا أبغض من قدح اللبلاب [3] في كفّ المريض ، وأنكر من نظر المفلس في وجه الغريم البغيض ، يا أنتن من الكنيف في سحر الصيف ، وأثقل من طلعة البغيض على الضيف ، يا وجه المستخرج في يوم السبت [4] ، يا إفطار الصائم على الخبز البحت ، يا أبرد من الشمال في كانون[5] ، وأوسخ

١ ـ طيلسان ابن حرب : الطيلسان قطعة من القماش توضع فوق الكتفين ، او فوق العمامة ، ويسمى الطرحة أيضاً ، وكان للفقهاء طيلسان اخضر يسمى الساج ، وقد أدركت في بغداد قسماً من الشيوخ يرتدون الطيلسان ، ويسمونه شاله ، اما قصة طيلسان ابن حرب ، فان احمد بن حرب ، ابن اخي يزيد المهلبي ، اهدى إلى ابي علي اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه الشاعر الاديب ، طيلساناً خليعاً ، فنظم الحمدوي فيه عدة مقاطيع ظريفة ، قال عنها ابن خلكان في وفيات الاعيان ٩٥/٧ ـ ٩٨ انها بلغت ما يقرب من مائتي مقطوع ، نقل القاضي ابن خلكان منها عشرة ، أوّلها :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ملّ من صحبة الزمان فصدّا
طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحــده لتهــدّى

٢ ـ قيل ان وهب بن سليمان بن وهب ، وكان احد كتاب الديوان ، ضرط بحضرة الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، والظاهر ان وهب لم يكن محبوباً من الناس ، فتبارى عدد من الشعراء في نظم ابيات تتحدّث عن ضرطة وهب ، راجع معجم الادباء ١٢٨/٢ و ١٣٠ والكنايات للجرجاني ص ٤٥ .

٣ ـ اللبلاب : نبات لورقه عصارة لزجة ، يستعمل مسهلاً ، ذكره ابن البيطار في جامعه ٩٢/٤ .

٤ ـ المستخرج : المكلّف باستخراج اموال المصادرات من المطالبين ، وهو يستخرجها عادة بالضرب والتعذيب ، وكان المطالب يراح يوم الجمعة ، فلا يطالب ، ويواجه المستخرج في يوم السبت .

٥ ـ يريد بالشمال ، ريح الشمال ، والبغداديون يسمونها: الهوا الغربي، لانهم =

من فراش الجَرِبِ المبطون [1] ، يا أقذر من ذباب على جعس [ص٢١٧] رطب ، وأحقر من قملة في أذن كلب ، يا أقذر من جعس كلب ، يا أمذر من جفنة الدبّاغين ، وأنتن من ريح القصّابين ، يا أبلد من حضيض الحمّام ، وأنتن من حانوت الحجّام ، يا أقذر من طين السمّاكين ، يا أوحش من شخص الظالم في عين المظلوم ، وأكره من صوت البوم ، إذا صكّ سمع المحموم ، يا أبرح من غمّ الدين ، وأشدّ من وجع العين ، وأوحش من بكرة يوم البين ، يا ليلة المسافر ، في كانون الآخر ، على إكافٍ يابس ، وبرد قارس ، يا أذلّ من ناسج برد ، ودابغ جلد ، وراكب عرد ، وسائس قرد [2] ، يا أثقل من طفيليّ يعربد على الندماء ، ويقترح أنواع الغناء ، ويتشهّى بعد أكل الغداء والعشاء ، ألوان الصيف في الشتاء ، مجمّشاً للساقي ، قاطعاً على المغنّي ، يواثب ويزنّي ، يا أشدّ على الأحرار من تطاول الحجاب ، وعبوس البوّاب ، وجفاء الحجّاب ، وسوء المنقلب والاياب ، يا أشد من كربة صاحب المتاع الكاسد ، وأضيق من قلب الكاشح الحاسد ، وأكرب من الاستماع إلى المغنّي البارد ، يا أكره من هجران الصديق ، ومن النظر إلى زوج الأمّ على الريق ، ومضيق الطريق ، بل من سوء القضاء [ص٢١٨] ، وجهد البلاء ، وشماتة الأعداء ، وحسد [م١٢١] الأقرباء ، وملازمة الغرماء ، وخيانة الشركاء ، وملاحظة الثقلاء ، وملابسة السفهاء ، ومساءلة البخلاء ، ومعاداة الشعراء .

= يسمّون الشمال غرباً ، وريح الشمال يجيء بارداً في جميع فصول السنة ، فيكون في كانون أشدّ برداً .

١ — الجرب : المصاب بمرض الجرب ، والمبطون : المصاب بداء البطن وهو الاسهال .

٢ — كانت في الاصل : راكب قرد وسائس عرد ، ولما كان القرد لا يركب ، فقد ابدلت بين الكلمتين ، وسائس القرد ، هو الذي يرافقه ويعرضه على الناس ، والعرد : كل شديد ضخم من الدواب وغيرها .

حويت الشؤم حتّى الكــــف (م) عن صفعك قد تنبـــو
وحـــتّى السحــب ان جـــاور (م) تها لم تمطــر السحــــب
وجـــتّى الخيــل لو امطيــــ (م) تها لاسودّت الشهـــب
وحـــتّى لـــو بـــدا خلقـ (م) ـك جسماً حسن الـــدبّ
وحـــتّى لـــو غـــدا طبعـ (م) ـك في عروة [1] لم يصـب
وحتّى لـــو صحبت الوحـ (م) ش لم ينبت لهـــا عشب
وحـــتّى لـــو نزلـت البـد (م) و مات الذئـب والضبّ
وحـــتّى لـــو رأى شخـ (م) ـصك أهل الخلد ما استبّوا [2]
وأنـــت البـــين والديـــن (م) يفاجا بهمـــا الصـــبّ
وأنـــت الخسف في دار آمـــ (م) رىء عرفه السرب [3]
وأنـــت الحش قـــد هـــا (م) جَ خــراه وامتلا الجـب
وأنـــت الوكـف قـــد با (م) تَ على الديباج ينصبّ[ص٢١٩]
وأنـــت الضيّـــق الضنك وأنـــت الواســع الرحب
مـــتّى سمّيـــت إنســـاناً فانّ الناس قد سبّـــوا
فان كنـــت مـــن النـاس فما فوق الثرى كلـــب

---

١ ـ عروة بن حزام العذري (ت ٣١) من مشاهير العشاق ، تعشّق ابنة عمه عفراء ، فزوجوها بغيره ، فمات عشقاً (الاعلام ١٧/٥) .

٢ ـ اوردنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان محلة الخلد ببغداد ، كانت بادىء الامر مقر قصور الخلفاء ، ثم انحدر امرها ، فأصبحت ملفى للسفهاء العيارين المسارعين إلى الخصام والسباب ، وأصبحوا مضرب المثل في العيارة ، حتّى ان ابا حيان التوحيدي قال في كتابه اخلاق الوزيرين (ص ١٧٣) هذا سخف لا يليق باهل القرضة ، والذين نشأوا بالمزرفة ، واختلفوا إلى الخندق ودار بانوكه والزبد والخلد ، يقول : ان اهل محلة الخلد المسارعين إلى الخصومة والسباب ، لو رأوه ما إستبوا فيما بينهم ، ولأفرغوا سبابهم على رأسه وحده .

٣ ـ كذا في الاصل ، ولم افهمها ولم استطع ان اردها إلى الصحة .

فيـــا من رشـــده غــيٌّ ويا مـــن صدقه كـــذب
ولـــولا عرضـــه لم يعـــ(م) رف اللعـــن ولا الثلـــب
ولـــولا جسمـــه لم يحـــ(م) سن الضرب ولا الصلـــب
ولـــولا نقصه ما صـــــ(م) نّفت في الناقص الكتب

آخـــر

هـــذا ثنـــائي وثنـــاء الـــورى عليك يا نطفـــة قرنـــان
خذها وإن قصّرتِ في طولها فانّهـــا نزهـــة بستـــان

ويضحك واحد من القوم ، فيلحظه ، ويقول : ضحك الأفعى في جراب النورة [1] ، ضحك الدب بين الكلاب ، ضحك الراس عند الروّاس ، كما ضحك البغل إلى الزيار [2] ، وجحفلته منه لم تهشهش [3] ، ضحكٌ مثل صرير الساقية [م١٢٢] ضحك البغاية [4] ، إذا عذلتها الداية ، تضحك منّي يا ابن الخروط [5] الضروط ، التي تسلح وتسوط [6] ، وتبيعه [ص٢٢٠] بحساب البلوط ، سخّم الله وجهك يا ابن الحبقة [7] الشبقة الودقة [8] ، المصيتة ، المكفوفة ، المفتوقة ، المزبّدة ، المستنيكة ،

١ ـ في الاصل : في خواب النويره .
٢ ـ الزيار : خشبة يضغط بها البيطار جحفلتي البغل (أي شفتيه) .
٣ ـ الهشهشة : الحركة .
٤ ـ البغاية : الفاجرة ، من البغاء .
٥ ـ الخروط : الجموح .
٦ ـ السوط : الخلط ، ومنه سمي السوط ، لأنّه يسوط اللحم بالدم ، أي يخلطهما عند الضرب .
٧ ـ في الاصل : الحلقة ، والحبق : الضراط .
٨ ـ الودقة : التي تطلب الفحل .

المشبكة ، الدفاقة ، النهاقة ، السقراقة ، الرقراقة ، جعل الله سرمي مقدحة ، ولحيتك حراقة ، المجدّر سائس القرد ببغداد في فصيل الخلد ، متطيلس بساقي زوجتك ، وأيره في بطنها إلى حد النواة ، يا ابن المكؤوبة الممخورة[1] ، لو أن شفر أمّك هاشمي محذّف بشابورة [2] ، لنتفت سباله في مسجد المدينة داخل المقصورة [3] ، وحياة سرمها الخلنجي ، وشعر حرهـــا الخفشلنجي ، ونواة بظرها اللقلقي ، وشعر آستها الأبلق العقعقي ، لأنتفنّ سبالك الحرقي .

يا ابن بظراء سرمهـــــا قد غدا مدبراً خـــرف
يلعـــب الأيـــر في آستهـــا بخراهـــا شقف لقف

وتجتمع الجماعة في حيرة ، ويقولون : أيش نعمل في التخلّص منه ؟

١ ـ المخر : الشق ، والمخرة : الرائحة الخبيثة الخارجة من الفم .

٢ ـ الشعر المحذّف : الذي طرّر وسوّي وأخذ من نواحيه حتّى استوى ، ويريد بالمحذّف هنا الذي حذّفت لحيته وسوّيت مع شعر رأسه ، والشابورة : الطرّة ، ويسميها البغداديون اليوم ، الكذله ، بكاف فارسية ، وهي خصلة من الشعر تميل على الجبين ، ومما ينبغي ايراده ان الهاشميين (ويريد بهم العباسيين) والعلويين ، كانوا لا يحلقون شعر رؤوسهم ، وكان العلويون يمتازون بضفيرتين تنسدلان على اعناقهم ، ولذلك سمّي التيس ذي الحلمتين المتدليتين من عنقه ، بالعلوي ، تشبيهاً لهما بضفيرتي العلوي .

٣ ـ المقصورة : حجرة تتخذ من الخشب ، توضع في المسجد الجامع امام المحراب ، يصلّي في داخلها الخليفة والمقربون اليه من اهل بيته ورجال دولته ، وذكر صاحب الاغاني ٢٨٦/٥ ان اسحاق الموصلي طلب من المأمون ان يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ، فضحك المأمون ، ولم يأذن له ، وقال له : ولا كل هذا يا اسحاق ، واول من اتخذ المقصورة معاوية بن أبي سفيان لما حاول احد الخوارج ان يغتاله .

فتقرّر الرأي على أن يسقى أقداحاً بالدوستكانيّات حتّى ينام ، فيقوم من لم يعربد عليهم من القوم ، وبأيديهم كؤوس ، ويقبلون [ص٢٢١] إليه ، فيلحظهم ويقول : مهلاً ، يا بهائم الله ، جملاً جملاً ، لا تنكسر المحامل ، لا زلّم قرن واحد [١] .

تفرّقت الظباء على خراش فما يدري خراشٌ ما يصيد

ويقبل على واحد منهم ، ويقول : يا زوج ألف بغّاية ، خرّاية ، دعوة مثل دعوة الاخلاص

يا ابن التي في بظرها سلعة [٢] كأنّها أصل سنام الجمل

آخر

اسقني هيّا ، وهيّا اسقني خمسين لا تنقصه شيّا

آخر

يا من توضّأ في جوف لحيته الشيب ولكن عليه عقل صبي
يقعد شيخي على خراه ففي قعوده راحة من التعب

ويقبل على آخر ، ويقول : يا ابن الكشاخنة ، يا أخس من طق بق ، يا أنذل من فار السجن ، يا أخسّ من الخسّ ، وأنتن من فسا الكرفس ، يا أردى من الجبن الدينوري والقنبيط

١ ـ لا زلّم قرن واحد : دعاء عليهم بالضعف والمسكنة ، حتّى يكونوا جميعاً قرن شخص واحد .
٢ ـ السلعة : الغدّة او الورم .

[م١٢٣] يا ابن التي مدخل باب استها
بروشنٍ عالٍ وساباط (١)
لا يبصر الأير طريقاً به
إلاّ إذا يمشي بنفّاط (٢)

هات اسقني ، فيرى فيه قذاة ، فيدخل فيه إصبعه على أن يخرجها . [ص٢٢٢] فيقول : أفيّه (٣) ، يا وسخ ، هذا الذي تدخله فيه ، أنجس مما تخرجه منه ، لا قطع الله يدك إلاّ بحرّان في معدن الزيت .

ويقبل على آخر ، فيقول : يا مخنّث ، يا مؤنّث ، يا ملوّث ، يا مطبّل ، يا مكرّع ، يا مدفّف (٤) :

من لي بأن ألقاك وحدي ولو كنت دبيساً وهو في الحلّه (٥)

---

١ ـ الروشن : البلكون ، والساباط : سقيفة بين دارين بينهما طريق .

٢ ـ النفاط : الذي يحمل فانوس النفط في الموكب لينير الطريق للسالكين .

٣ ـ أفيّه : تقال الآن في بغداد للاستحسان ، وكذلك أفيّش ، راجع كتابنا في الكنايات العامية البغدادية ، والظاهر انها كانت في عصر التوحيدي تقال للاستهجان .

٤ ـ المطبّل : النسبة فيه للطبل ، والمكرّع : النسبة فيه إلى طبل الكراعة ، وهو طبل صغير تعلقه الكراعة (الراقصة) في عنقها ، وتضرب به وهي ترقص ، والمدفف : النسبة فيه للدفّ .

٥ ـ دبيس : ابو الاغر نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد الاسدي ، امير بادية العراق ، ولي الامارة وهو ابن ١٤ سنة ، ودامت امارته ٦٧ سنة ، وتوفي سنة ٤٧٤ والذي أنشأ الحلّة ولده صدقه ، ولكن المدينة نسبت إلى الاب دبيس ، لأنّ افراد جيشه واتباعه كانوا يقيمون في موضع الحلّة ، في بيوت من القصب ، وهي تسمى الحلل ، ومنها سميت المدينة بالحلة ، ولما عمرها صدقة بنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وتنوّق اصحابه في مثل ذلك ، وصارت ملجأ ، وقصدها التجار ،

فكنت مثل البرق أخرى عـــلى ذقنك بالطول وحقّ الله [1]

آخـــر

يا ٱبن الزنيم ويـــا ٱبن ألفي والـدٍ يا ٱبن ٱلطريق لصادر ولـــوارد
ما فيك موضع لسعة لبعوضـــة إلاّ وفيه نطفة من واحد

آخـــر

يا ٱبن الّتي تكشف من شفرها وجهاً طويل الخدّ مسنونا
ولا تحـــبّ الأيـــــر إلاّ إذا كان عديم العقل مجنونـــا

ويشرب أقداحاً ، إلى أن لا يبقى في بدنه عرق ينبض إلاّ عرق النبيذ ، ويرنّق النعاس في عينيه ، فيفتحها تارات على الحاضرين ، ويلحظ واحداً كان عربد عليه ، وهو متزوٍ [ص٢٢٣] من خوفه في جانب من المجلس ، فيقـــول :

أنـــا في نعمـــة بصدّك عنّـــي أكّد الله نعمتي بالسبوع [2]

آخـــر

ســـــلام ميمـــــــــه حاءٌ [3] على ذقنك مـــن سرمي

= فصارت احسن بلاد العراق ، لزيادة التفصيل راجع معجم البلدان ٢٦٣/٢ ووفيات الاعيان ٤٩٠/٢ و ٤٩١ .

١ ــ قوله : وحقّ الله ، بالامالة ، تشير إلى طريقة البغداديين في الامالة ، فهم يقولون : هليل في هلال ، وظلامي في ظلامة ، وسلامي في سلامة ، اما الآن فقد زالت هذه اللهجة من بغداد ، ولكنها ما زالت في الموصل والشام ولبنان .

٢ ــ السبوع : الحيوانات المفترسة .

٣ ــ يريد بالسلام الذي ميمه حاء : السلاح اي النجو والغائط .

فقــــد أحرجتــــني جـــداً وقد أسرفت في ظلمـــــي
وقــــد صحّ عـــلى صفـــعك بالنعل غـــداً عزمي
فيــا من ذقنـــــه في آســتي إلى الصدغ وفي آست أمّي
كـــــذا توحش مـــن يهـــوا ك يـــا هـــذا بلا جـــرم

[م١٢٤] ويلحظ واحداً آخر ، وهو أيضاً متفادٍ منه ، متباعد عنه ، خالٍ في بيت ، فيقول :

يا غائب الشخص إنّ جحـري يقرا على ذقنك السلامـــا
ويـــا طويل السبـــال يـــا من قد جنّ سرمي به وهاما
أنفك هـــذا الـــــذي أراه قد تمّ في الحسن وآستقامـــا
لو قـــد تولّى ديـــوان جحري ردّ إلى ذقنك السلامـــــا

ثم يقبل على سائر القوم في المجلس ، ويقول : يا كلاب ، يا ذياب ، يا ذباب ، يا نطف السكارى ، في [ص٢٢٤] أرحام القحاب ، يا قرود ، يا ردود ، يا يهود ، يا بقايا عاد وثمود :

يــــا سفـــل الناس وأوباشهـــم من بين صفعان إلى ضارط
ومـــــن غـــدا أكثر تـــرداده من موضع الأكل إلى الغائط

خذلكم الله ، أخذكم الله ، أخزاكم الله .

جزاكـــــم الله عنّـــــي تصحيف لفـــظ الجزاء (١)

* * *

يا تيوســـاً قرونها في صعـــود وكلاباً نفوسها في هبوط

يا فراش النار ، وقماش الدار (٢) ، ومجامع الأقذار ، وكلاب الدباغين

---

١ – تصحيف لفظ الجزاء : الخراء .
٢ – قماش الناس : رذالتهم ، وقماش البيت : رذالة امتعته .

في سقوط الأقدار ، سبيتموني ، سلبتموني ، ظلمتموني ، بيني وبينكم هذا الملك غداً ، يا بني العواهر

يـــا سيّدي أنـــت ربّي	لو أنّ حـارس دربـي
في مثـل حـالي لأبكى	عيـني عليـه وقلبي

يا سفل العالم ، إذا أسكرتموني من يزني حينئذ بأمّ هذا الديوث الذي أنا في داره ، وأمّهاتكم ... إلى قوله اللاتي دخلتم بهن ّ[1] ، ما يشفي غليلي منكم إلاّ هذا السلطان الذي أسأل [ص٢٢٥] الله بحقّ محمد وآله أن يطيل مدّته ، ويوري زنده .

وينشد ، كأنّه يخاطب السلطان ، مستعيناً به عليهم ، ومستغيثاً :

ويـا أخـا المجـد والمعـالي	أنخ على أخـوة القرود
مـالك في دورهم عتيـد	فانهض إلى الحاصل العتيد [2]
[م١٢٥] بادر إلى منهل قريب	داني المدى ممكن الورود
الشيء في وجـده فبـادر	ما عدم الشيء كالوجـود
يـا معشر السـامعين منّي	بـين قيـام إلى قعـود
قـد قلت مـا قلتـه بنصح	أنتم عليه غـداً شهـودي

---

١ ـ الآية من سورة النساء (٢٣ م النساء ٤) : حرمت عليكم امهاتكم ، وبناتكم ، واخواتكم ، وعماتكم ، وخالاتكم ، وبنات الاخ ، وبنات الاخت ، وامهاتكم اللاتي أرضعنكم ، واخواتكم من الرضاعة ، وامهات نسائكم ، وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ ، ويشبه هذه الشتيمة ، قول ابن بسام :

فاللواتي عليـه حرمهن الـ ـله في سورة النساء زواني

٢ ـ العتيد : الحاضر المهيّأ .

آخــر

يا سيّدي آسمع إلى كلام فتى ... أصدق في القول من أبي ذرّ
للقوم مالٌ هنـــاك مجتمـــع ... يزيد أعداده عـلى القطر
وفيـــه أيضاً ودائـــع حملت ... مملوءة باللجـــين والتـــبر
فخذه من قبـــل أن يفوت ولا ... تخشَ ــ وحقّ الاله ــ من وزر

ثم يقول : ما ظلمني ــ وحقّ جبريل ، وما نزل به من التنزيل ــ إلاّ هذا القوّاد الذي يقود على زوجته ، القرنان الذي أنا في [ص٢٢٦] دعوته .

يا عضد الدين آغتنم مصرعـــاً ... من كائد الملك ومغتالـــه
فهـــو حلال الـــدم والمال إن ... نظرتَ في ظـــاهر أحواله
والرأي كـــلّ الرأي في قتلـــه ... بالسيف وآستصفاء أمواله

ويتناوم ، وينشد ، كأنّه قد تمكّن من السلطان ، فهو يخاطبه :

سيّدي إن وليت نصري وإلاّ ... لم يكن لي بحرب خصمي طوق
معـــه الجاه والدنـــانير والمـــا ... ل وما لي عليه غيرك خلق
عنده جوف بيتـــه ألف ألف ... وَرِقاً (١) ما لبابها لا يدقّ
هي وُرْقٌ (٢) الأمير والله يحتا ... ط على كلّ ماله فيه رزق

آخــر

يا سيّـــدي إنّ ذا الكلـــــــ ... ـب شرّه قـــد تمـــرّد
سكـــران من بطـــــر (٣) المـا ... ل لا الشراب المـــبرّد
وكلّمـــا أسكرتـــه الـــ ... ـدراهم الصرف عربـــد

١ ــ الوَرِق (بواو مفتوحة وراء مكسورة) : الفضة ، يريد بها الدراهم .
٢ ــ الورْق (بضم الواو او كسرها وراء ساكنة) : الدراهم المضروبة .
٣ ــ البطر : الطغيان بحلول النعمة .

وتخرج اليه امرأة ، وتقول : أيّها الشيخ ، ما بك ، حتى تبكي تارة ، وتصيح أخرى ؟

فيقول : [ص٢٢٧] :

يـا أخت لو قد رأيت حـالي بكيت مما شهدت منّـي

آخـر

[م١٢٦] محنـة أوقعت فيهـا يا لهـا من قبح زلّـه
ليس لي فيهـا احتيـال ولو أنّ آمّي دلّه [1]

آخـر

ضربـوني والشيـخ يبـ ـكي ويخرى إذا ضرب

ثم يغلبه النوم ، إلاّ انّه يهجر بقول الشاعر ، وكأنّه يعني تلك المغنّية الّتي كان يحبّها ، ويطمع فيها ، في المجلس :

ويـلك ستّـي كلّميـني قبل أن أبصر مُثله [2]
أدركيـني وأغيثيـ (م) ني على الخدّ بقبلـه
أنـا أبغـي منك مالا تكـره الحـرّة بذلـه
شعـر بـاب آستك سبط انتفي لي منـه خصله
العـبي بالليـل باللـ (م) ه بزبّي نارطلـه [3]
هـاك أيـري أبصريه أكرمـي شيـخ المحلّه
فلـه في نيك ستّـي حملـة في إثر حملـه

---

١ – لم افهم معنى دلّه هذه .
٢ – المثلة : التنكيل والاهانة .
٣ – كذا في الاصل .

ويقـــول :

حوريـــــة قـــــد شربت بالرطل مـــاء الكوثـــر
سخيفـــــة في مــــــذهـبي تضرط ان لم أنخر [ص٢٢٨]

ولا يزال يسحرها ويخلبها ، ويقول :

تجمّـــلي لي فانّ فيّ لمـــــــن يرزق مثلي نهاية الفخر

آخــــر

دعي عنك ما فوقـــه عمّـــتي فإنّ جمالي ورا تكّتي (١)

فتقول المرأة : ويحك ، أما تعلم أنّك شيخ ، فيقول :

شيـــــخ يـسرى مقلتـــــــه تفــدى ولكــــن بالمهـــج

آخــــر

شيـــــخ ولكـــن عليه أيـــر تقصر عن طوله السراويل

آخــــر

[م١٢٧] عضوٌ ولا ملعقة فوقها بالليل لوزينجة رطبـــــه
يا سيّدي هـــل هو الا وتـــد أدقّه بالطول في هبّـــه

يا سيّدتي :

زبّـــه مثل طعـــم الـــــــ ـفانيذ (٢) بين الزبـــاب
يصبّ في البطــــن شيئـــاً أحـــلى من الجـــــلاّب

١ ـ البيت لابن الحجاج ، راجع اليتيمة ٥٩/٣ .
٢ ـ الفانيذ : السكر المصفّى .

فيقال : في أيّ شيء أنت معها يا أبا القاسم ؟ فيقول :

أصبح أيري ما شاء يسألها أيّده الله غير منقبض

فيقال : يا أبا القاسم ، ما هذه الرعونة ؟ فيقول : يا سيّدنا :

حماقة منّي ومذ كنتُ لي حماقة تعرض حمصيّة[1] [٢٢٩]
وفيّ عند النيك تيسيّة [2]

ثم يشرب لها ، ويقول : بالله عليك ، اشربي وأنا حاضر ، فتأخذ القدح ، ويستغيث هو وينشد :

كأنّها والكأس في كفّها بدر الدجى في يده الزهرة

ويقول : آه

تجزع روحي شغفاً إنّها من جانبي شقّ آستها تُدخِلُ

آخر

بأبي من أعزّها وأنا عند خراها أخسّ من حيرخجة

ثم يقول : أيش اعمل

صار في بطني هواها مثل مسمار مقبّب
حبّها – والله – في قا بي دوشاب [3] محبّب

١ ـ بشأن الحماقة المنسوبة إلى أهل حمص ، راجع معجم البلدان ٣٣٨/٢ ومدينة حمص من ألطف المدن ، وهي قديمة فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر .
٢ ـ من شعر ابن الحجاج (اليتيمة ٧٦/٣) .
٣ ـ الدوشاب : النبيذ الاسود المصنوع من التمر ، قال ابن الرومي : (شفاء الغليل ٨٧)

علّني أحمد من الدوشاب شربة نغّصت عليّ شبابي

وتبقى عنده يلاعبها ، إلى أن يظهر منها بعض النبوة ، فيسيّب واحدة طنّانة ، فتقول المرأة : أسخن الله عينك من شيخ ضروط ، فيقول :

قد غضبت ستّي وقد أنكرت فرقعة تعرض في ظهري
[ص٢٣٠]وليس لي ذنب سوى أنّني أضرط بالليل ولا أدري
فليت شعري وهي حردانة [1] من جحرها أضرط أم جحري

[م١٢٨] ثم ينقلب عنها إلى موضعه منشداً :

عذراء في حكمي وإن لم يكن لا المزح يثنيها ولا الجدّ
قد صرفتني مثل ما تصرف الـ ـمائدة الاشنان والسعد

فيقول له صاحبه : يا أبا القاسم ، ما كان ذلك السرار الطويل ؟

فيقول : كنت أطرح بيننا سافاً [2] من المودّة ، فنفرت منّي ، وجمحت [3] عليّ .

فيقول : وايش قلت لها مما يوجب النفار ؟

فيقول : قد قلت أيضاً ذلك ، وقلت :

مالك ؟ لم قد نفرتِ يا ستّي ؟ وأيّ شيّ عليك لو بتِّ
أبوك تربي ، وأنت لي ولد فلا تعقّي أباك يا بنتي

فيقول جليسه : وما قالت لك في جواب ذا ؟ فيقول :

١ ــ الحردان : الغضبان ، والابيات لابن الحجاج ، راجع اليتيمة ٣/٨٠ .
٢ ــ الساف : الصف من الآجر او اللبن في بناء الحيطان ، والجمع : آسف وسافات .
٣ ــ جمح : استعصى .

قالت : كذا [أنت، أنت غير أبي]
أخاف من أن تنيكني في آستي
قلت لها : فاعملي ، [وأعمل لو
بتّي] على أن يكون ما قلتِ
قد ناك كسرى من قبليَ ابنته
فمن أنا بعده ومن أنت [ص٢٣١]

ثم يقول :

لا حاطها الله من مكابرة تجبهني بالخلاف والبهت
ماذا عليها تحت اللحاف إذا ندفت قطن آستها ببرنستي

ويقول : لعنها الله ، من النساء نساء ، ومنهن ضراط في كساء .

ويقال له ، وقد تناهى به الطرب : أيّ شيء تقترح ؟ وفي أيّ شيء ترغب من لطائف ما يحضر ؟ كأنّه يشير إلى منديل أو عطر ، فيقول : يا سيّدنا :

أقول الحق ، لا أر (م) غبُ في المنديل والعطر
ولا في نائل نزرٍ بلى أرغب في الصُفْر (١)
وفي البيض (٢) على الجام من العقيان والتبر (٣)
وفي المركب والملبس للزينة والفخر
وفي الشهب المماليج (٤) وفي الدهم وفي الشقر
وفي الفهدة والبازي وفي الشاهين والصقر

١ — يريد بالصُفْر : الدنانير الذهب .
٢ — البيض : يريد بها الدراهم الفضة .
٣ — العقيان والتبر : الذهب .
٤ — المماليج ، مفردها المملاج : البرذون الحسن السير في سرعة وبخترة .

[م١٢٩] ثم يلحظ غلاماً ديلمياً ، فيقول : بالله عليكم ، ذا من هو ؟ ترى أنّ رضوان نام ، فانسلَّ هذا من الجنّة ، وينشد [ص٢٣٢] :

كأنّ سلاف الخمر من ماء خدّه
وعنقودها من شعره الجعد يقطف
وإنّي لأنسى جفن عيني إذا بدا
فأبقى إليه باهتاً لست أطرف

ويقول : المستغاث بالله

قاتلي شادن بديع الدلال أعجمي الهوى فصيح المقال

آخر

بالحسن ملتهب هل من أراه بشر ؟
يفترّ عن برد لولا الجمود قطر

آخر

غلالة خدّه ورد جنيّ ونون الصدغ معجمة بخال

آخر

خنث الشمايل قلبه حجر حلو إذا ما ذاقه النظر

آخر

شدّت مآزره على كثب عُفْر

آخر

والغصن بينهما تحرّكه ريح أرقّ ذيولَها السحرُ
لولا قطوب التيه كان يرى في طرفه لدلاله أثر [ص٢٣٣]

ويقول :

أرى ليلاً من الشَعْرِ على شمسٍ من الناس
أترضى لرجائي فيـ ـك أن يختم باليأس

وقال :

أيّ ورد في خدّ هذا الغزال أيّ ميد [1] في قدّه واعتدال
أيّ درٍّ إذا تبسّم يبديـ ـه وسحرٍ في طرفه ودلال

فيقبل الديلمي ، ويجي إليه بالدوستكان ، فيقوم أبو القاسم إليه ، ويقول : قال الشاعر :

ليت شعري أفي المنام أرى ذا قمراً زارني على غير وعد
صار تُرْبُ أصبهان مسكاً وكافو راً وندّاً وماؤها ماء ورد

آخر

[م١٣٠] قمر يحمل شمساً مرحباً بالنيّرين
ذهب في ذهب [يسـ ـعى به] غصن لجين

آخر

ويح القلوب من العيون لقد قامت قيامتهنّ في الدنيا

آخر [ص٢٣٤]

صدغاه قد مالا على خدّه مثل العناقيد على الورد

آخر

على بستان خدّيه زرافينٌ [2] من السبج

١ — في الاصل : ميل ، وهو تصحيف ، والميد : التمايل .
٢ — الزرافين ، واحدها الزرفين : فارسية ، الحلقة الصغيرة ، يريد أنّ شعر الصدغ (الزلف) النازل على جانبي خدّيه قد تلوّى حلقات .

آخــر

غيّـــروا عارضـــه بـا لمسك في خدّ أسيـــل
تحـــت صدغيـــه يشيرا ن إلى وجـه جميـــل

آخــر

كأنّ سود عناقيـد بلمّتـــه أهدت سلافتها صرفاً إلى فيه

آخــر

شـــادن خــدّه وعيـــناه وردي ونـــرجسي
إن يجـــدلي بخمـــر فيــه فقــد تسمّ مجلسي

وينشد كالمتحسّر :

نــوره ران [1] وملمســـه ناعـــم هيهات من يجده
مشرب طــابت مشارعــه جامد في خمـــره برده
هــو سقمي حــين أفقــده وشفاء النفس لو أجـــده

فيمد الفتى يده ، ليشرب القدح ، فينشد :

الكفّ عاج ، والحبــاب لآلىءٌ والراح تبرٌ ، والزجاج زبرجد

ويقول :

بدر الدجى قرّط بالمشتري [ص ٢٣٥]

ويستغيث ، ويقول :

[م١٣١] يا معشر النظّار من ذا رأى
بنفسجــاً يطلــع مـــن ورد

١ ـــ ران : اشتدّ .

ويكرع الفتى في الكأس ، فينشد :

ملت للكاس وهو يكرع فيهـا

وينشد قول الشاعر :

ومهفهف تمّـت محاسنـه حتى تجاوز منية النفس
أبصرتـه والكاس بين فـم منه وبين أنامـل خمس
فكأنّـه والكـاس في يده قمر يقبّل عارض الشمس

آخـر

حيّـاك من أجفانـه بالنرجس وسقاك من يده حياة الأنفس
فكأنّه قمـر سقاك بكفّـه شمساً تدور بها بروج الأكؤس

ويرنو إليه ، فيتعثّر بمشيته خجلاً ، فينشد :

ويخجـل حين يبصرني كأنّي أنقّـط خـدّه بالجلّنـار

آخـر

قد ظلّ صبّاغ الحياء بخـدّه تعباً يعصفر تارة ويورّد

آخـر

بنفسي مـن يصير إذا رآني كأنّ الجلّنار بوجنتيه[ص٢٣٦]
فلا أدري أيستحيـي لظلمـي أم التشوير [1] من نظري إليه

آخـر

بأبي من إذا نظرت إليـه حار [2] ماء الحياء في وجنتيه
قمـز نظرتي إليـه دهتـني ليتني لم أكن نظرت إليه

١ ـ التشوير : الخجل .
٢ ـ حار : تحيّر ، اي انه وقف في موضعه لا يقدم ولا يرتدّ .

فيقال : في أيش أنت يا أبا القاسم ؟

فيقول : في شغل بإنسان ، لا يهتدي لإحسان ، ويقبل عليه ويقول :

يا مليح الدلال يا أخضر العـــا رض يا من أموت بين يديه
يـــا ينابيع كلّ طيب وحسن فيه من قرنه إلى قدميه (١)

ثم يقبل على العوّاد ، ويقول : بالله عليك ، خذ لي على الزير ، وينعر ، ويغنّي :

[م١٣٢] أأخيّ إنّ الدهـــر فـانٍ بـــين المثـــالث والمثـــاني
فـــــرد ولكـــــن أيّ معـــ ـنى ثَمّ من ظرف المعاني

فيأخذه عنه المغنّي فيعيده ، فينعر ثانياً ، ويقول :

غنّى فأذكى نـــار الصبابة في فؤاد صبّ الفؤاد مشتاق
ثم اختلطنـــا فما يبين لنا الشـ ـارب في مجلس من الساقي [ص٢٣٧]

وينشد :

قد وجدنا غفلـــة من رقيب وسرقنا نظرة من حبيب
ورأينا ثَمّ وجهـــاً مليحـــاً فوجدناه حجّـــة للذنوب

ثم يقول للجماعة : بالله عليكم تطابقوا ، تعانقوا ، اجعلوها دائرة ، ويقول للساقي :

أدر الكـــــاس علينـــــا هَمْ كما نحن حضورُ
إنّـــــه أطيـــــب يـــوم شربـــت فيه الخمـــــور
إنّـــــه أطيـــــب يـــوم وزنـــت فيـــه الجـــذور

١ ــ القرن : اعلى الانسان ، اي موضع القرن في رأسه لو كان .

ويقول : يا قوم، قد بلغنا في السكر الحدّ الذي يوجب الحدّ[1]، ولكنّ أوزار السكر ، محمولة على ظهر الخمر ، وبساط الشراب يطوى على ما فيه من الخطأ [2] .

ويتعاقل ، ويقول : اعلموا انّ متابعة الأرطال [3] ، تترك الشيوخ كالأطفال ، إلاّ أن العيش مع الطيش .

وينظر إلى واحد لا يشرب ، فيقول : لعل سيّدنا بايع الجماعة على أن يأخذ من نقلهم ، ويضحك من عقلهم ، فليس يقصّر — بحمد الله — في الأمرين .

ويعيد نظره مرّة أخرى في [ص٢٣٨] الديلمي ، وينشد :

زيقته عنــــبرٌ وراحٌ ووجهه في الدجى صباح
من ولد الجنـــد أعجمـــيّ سِلاح شعر آسته السُلاح

آخــر

شـــادن سرمـــــــه أرقُّ (م) وأحلى من العنــــب

١ — الحدّ الاول : المنتهى ، والحدّ الثاني : العقاب الذي فرض الشرع انزاله بشارب الخمر .

٢ — شرب طوقان المغنّي ، عند أحد الاشراف ، فسرق رداؤه ، فلما اصبح افتقده ، وقال : قد سرق ردائي ، فقال له الشريف : سبحان الله ، من تتّهم منا ؟ اما علمت أنّ النبيذ بساط يطوى بما عليه ، فقال : انشروا بساطكم ، حتى آخذ ردائي ، ثم أطووه إلى يوم القيامة (الملح والنوادر ١٥٣) .

٣ — الرطل : مقدار من الشراب ، يقابله في وقتنا هذا عند الافرنج الليتر ، قاله كوركيس عواد في الديارات ٤٢ .

آخــر

فيشّي بـــاب سرمـــــه بالخرا قــد تكــوّرت
لم تـــزل تثقب الأيـــو ر آسته تي تهــــوّرت

آخــر

[م١٣٣] شادن قد نظمت من مقل بعر آسته سبــح
كلمـــــا دقّ طـــارق باب شق آستـــه فتــح

آخــر

يوقـــظ الأيــرّ أستـــــه بالفسا كلّمـــــا نعس
وهــــو سرم فديتـــــه قلّمـــا يحبس النَفَس

آخــر

وجهـــه العذر عند مـــن لام في الحبّ أو وعظ
ولـــه نـــاظر يشـــــــ ـــوّش عقلي إذا لحــظ

آخــر

كـــلّ حســن مفــرّق هو فيـــه قد آجتمع
قطـــع الوصلَ بيننـــــا أنّه يبتغي القطع [1]

آخــر

مخطــف الحصر ، سرمـــه يتفقّا من السمن [ص٢٣٩]
يحلــب الأيــر في آستـــه كل يوم رِطليْ لـــبن

آخــر

سرمـــــه مـــن جلالـــه فيه تيـــه وأبّهــــه
ولـــه آستٌ في ضحكها آخــر الليل قهقهـــه

١ — القطع ، مفردها القطعة : ترد هنا بمعنى الدراهم .

ولا يزال ينشد مثل هذا الشعر ، فاذا قيل له : ويحك ، إلى متى هذا السخف أيّها الشيخ ، أما تستحي ؟ يقول : يا سيّدنا

شيخ سخيف ولكـــــن   يأتي بسخف مليـــــح

ثم يقول للمغنّي ، خذ خفيفاً على إيقاع ما خوري [1] ، ويثب ، ويأخذ في الرقص ، وينشد :

صلابة الأيـــر ولين الحـــرا   في الجحر هوذا يعجباني معا
يا ويلتا من شوم بختي فمـــا   أحلاهما عندي إذا آستجمعـــا
لقد أبى إصرارُ أيـــري من آفـ   تنانه في النيك أن يقلعـــا

[م١٣٤] ويستغيث في خلال ذلك ، ويقول :

المستغـــاث [بـــربي]   من كسّ ستّي وزبّني
قد كلّفـــاني نيكـــاً   يكاد يقصف صلـــبي
لكـــن أقـــول عـــلى مـا   ترون من شغل قلبي [ص٢٤٠]
الكسّ ليس عليـــــه   عندي طريـــق لعتـــب
ولا يؤاخـــذ يومـــاً   مـــن الزمان بذنب
الـــزبّ زبّـــي آلعنوه   فانّـــه زبّ كلـــب
زبّ يحـــــنّ إلى نيـــ   ـك كلّ كس أزبّ
كأنّـــه رأس عَـــود   من الجمال خدبّ [2]
اليـــوم يـــوم مجوني   ويوم رقصي ولعـــبي

١ ــ بشأن الماخوري راجع قاموس الموسيقى العربية ص ٢٢٥ والموسوعة التيمورية ٢١٤
قال ابن الحجاج : (اليتيمة ٧١/٣) .
فاستحضر العود ووجّه بـه   حتى نصلّـي بالطنابـر
الركعة الاولى سريجيّـــة   وركعة التسليم ماخـــوري
٢ ــ الخدبّ : الطائش الاحمق .

ولا يزال يرقص ، إلى أن يسقط على الأرض ، من بهر الرقص [1] ، وكظّة الشراب [2] ، ويقول في ابتهاره ، وسوء حاله ، للمغنّي : بالله اشف غليلي بصوت شجٍ .

فيسخط المغنّي ، ويقول بالفارسية : من هذا الطاعون الذي امتحنتمونا به الليلـــة ؟

فيفهم بالطاعون ما قال ، ويقبل عليه ، ويقول : يا كلب ، أنا طاعون ، تعرفني ؟

أتستخـــفّ بقـــدري　　　قـــم يا مخنّـــث عنّي
ولا تطـــاول عـــليّ　　　تطـــاول المتعنّـــي
فلـــو بلغـــت الثريّـــا　　　ما كنت إلاّ مغنّي [ص٢٤١]

ويقـــول :

لمـــا تبظرمتَ بهـــذا الغنـــا　　　وجدتُ قلبي غير مسرور
وكدتُ أن أكسر من قبح ما　　　تسمعنيه كلَّ طنبـــور

آخـــر

لا طيـــب صوت حسن　　　ولا شجا مســـدّد
يشبهـــه إذا شـــدا　　　حين يصيـــح الهدهـــد
أو بـــوم حشّ أو صـــدا　　　أو الغـــراب الأســـود

١ ـــ البهر : انقطاع النَفَس .
٢ ـــ الكظة : ما يعتري الانسان عند الامتلاء من الطعام .

آخـــر

[م١٣٥] وكأنّ ضرب بنانه ضرب الطلى (١)
وكأنّمـــا إيقاعـــه انقـــاع (٢)

ثم يدخل في نفس العربدة ، ويقول : يا ابن الشاسعة من الخير ، الواسعة من الأير ، محابض (٣) عيدان العوّادين ، وأعناق طنابير الطنبوريين ، وسائر دفوف الدفّافين ، وتفاريق كفاف طبول الكرّاعات ، ونايات الزناميات ، مرفوعات وموضوعات ، على رفاف الخزاين المستنضرات (٤) ، في أسرام أهل بيتك ، من العمّات ، والخالات ، والأمهات ، يا ابن العفلاء على سائر المقالات [ص٢٤٢]

خسّـــة هذا الغنـــاء تشهـــد لي أنّك مذ كنت سفلة ساقط
يا بربخـــاً سائـــلاً بلا جرف ويا كنيفاً ملأى بلا حايط
أيور بغداد في حر امّك مـــع فياشل المنعظين في واسط

آخـــر

وكلّ من آستجاز خلاف قولي وجاوز سرّه في ذاك سرّي
فلحيتـــه ولحيـــة كـــلّ نـــذل يقول بقوله في جوف جحري

ويقول واحد من أهل المجلس : ويحك ، أيش عمل هذا المسكين ، حتّى تواجهه بكل هذا ؟

١ ـــ الضرب الاول : العزف ، والضرب الثاني : الضرب بالسيف .
٢ ـــ الايقاع : اتفاق الاصوات وتوقيعها في الغناء ، والانقاع : دفن الميت .
٣ ـــ المحابض : أوتار العود ، مفردها : محبض (قاموس الموسيقى العربية ١١٧) .
٤ ـــ استنضر الشيء : وجده ناضراً . والرف : وجمعه رفوف ورفاف : خشبة او نحوها تشد إلى الحائط ، فتوضع عليها طرائف البيت .

فيقول : يا ربّ ، هوذا يتعصّب له عليّ .

أفيّـــه من خستّي فإنّـــي قد صرت قرداً من القرود

آخـــر

يا آبن اللواتي بهن تحـت الـــــظلام تستقرن البعـــول
يا كركدناً [1] عليـــه قـرن بروقِهِ [2] تنطح الوعـول
أردت أن تستفيـــد سخفي ودونــــه مورد وبيـــل
يـــا زوج من دقـــن نائكيهـــا مع شعر خدّ آستها يطـــول
فاسدة الرحـــم منذ دهـــرٍ تحيض أضعاف ما تبول [ص٢٤٣]
ترى دم الحيض وهـــي تمشي على عراقيبهـــا يسيـــل
زاكيـــة الأرض كلّ يـــومٍ يغرس في سرمها فسيـل
لهـــا حِرٌ قد أجـــاف حـــتّى خيّل لي أنّـــــه قتيـل
[م١٣٦] عليه طاقٌ يضيـــق إلاّ عن ناقة خلفهـــا فصيـــل
ومبعرٌ فيـــه ألف أشـــل [3] فأنظر بكم تزرع الأشول
أأنـــت ممن عـــليّ أيضـــاً مع خسّة الدهر يستطيـــل
لقـــد تجاللتَ إي لعمـــــري ما أنت إلاّ فتى جليل
دلائل المجد فيك [تبـــــدو] شهودهـــــا كلّهـــم عدول

١ ـــ الكركدن : نبز للقوّاد او الديّوث ، لمكان القرن ، قال ابن بسام :

كان للكركدنّ قرن فأضحى قرنه اليوم دون قرنك مدرى
من يكن قرنه كقرنك هـــذا فليكن بيته كايوان كسرى

٢ ـــ الروق : القرن ، قال المتنبّي يمدح ، وهذا مما أخذ عليه :

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزّ يقلقـــل الاجبـــالا

٣ ـــ الأشل : اصطلاح بصري لمقياس من الذرع معيّن ، هو ستّون ذراعاً طولاً (مفاتيح العلوم ٤٣) .

قرنٌ شريف المـــدى ونفس   ألصقهـــا بالثرى الخمـــول
وآستٌ بنار الحريـــق تكـــوى   فليس يشفى لهـــا غليـــل
يتلـــو أحاديثهـــا علينـــا   بالليـــل أصحابك الفحـــول
من كل ذي فيشـــة جمـــوح   لرهزها في الحشى صليـــل
مقـــابح الكلب فيك طـــراً   تزول عنهـــا ولا تـــزول
والكلب وافٍ وفيك غـــدر   ففيك عن قدره سفول (1)
وقـــد يحـــامي عن المواشي   ولا تحامي ولا تصول [ص٢٤٤]
انّ جليســـاً يراك لحظـــاً   لصابر للأذى حمـــول
مستفعـــل فاعل فعـــول   مستفعـــل فاعـــل فعـــول
بيت كمعنـــاك ليس فيـــه   شيء سوى انه فضـــول
يـــا سلحة زجّهـــا مريض   متّخـــم جوفـــه عليـــل
وقبلهـــا كان ليس يخـــرا   مذ نحو شهر ولا يبـــول
خذها على الريق إنّ فيهـــا   اطـــريفلا فيه زنجبيـــل

ويقبل على واحد ، ويقول :

تأمّـــل كيف أهـــوى لي   خسيس الفـــرع والأصـــل
بـــلا نفس ولا حسٍّ   ولا فهـــم ،ولا عقـــل
أتـــى ذا الكلـــب مـــن بعد   لكـــي يصفـــع بالنعـــل
وبـــالقلس وبالســـوط   وبالكفّ وبالرجـــل

ثم يقول : أحسنت

---

١ ــ هذا الابيات ، والابيات الاربعة التي تليه ، لابن الرومي ، وأوّل ابيات ابن الرومي هو :

وجهك يا عمرو فيه طـول   وفي وجوه الكلاب طول

لا زال سرمي إذا ما شئـت تـرحمني
في جوف ذقنك محلوساً [1] ومكبوسا

[م١٣٧] ثم يقول :

أيـا ابن النـزّة العصعص والمنهـزّة السفـل
ومن تشوي استـه العصبـا ن بالليل ولا تقلي [ص٢٤٥]
تهـدفتَ بـأذنيـك لأن تصفـع بالنعـل

آخـر

يا ابن تلك المنيكـة المتوخـا ة الضروط السحّاقة التوّابـة
[ربّ] قدٍّ خنقته فيك حتى سيّلت ضغطة الخناق لعابه
وعصيب شواه تنـوّر مفسا ك فألقيت تحته جوذابـه

يا كلب ، وقع نقبك على خلاء ، نخست البربخ بقصبة ، اشخص إليّ بعينيك ، واصغ إليّ بأذنيك ، لا تحرّك يديك ولا منكبيك ، نبّه مستضعفاً ، والك ، أصدقائي أكثر من خوص البصرة [2] ، وبلّوط الجبل [3] ، وخردل مصر ، وعدس الشام ، وحصا الجزيرة [4] ، وشوك القاطول [5] ، وحنطة

١ ـ الحلس : الملازم الذي لا يبرح .
٢ ـ الخوص ، مفرده الخوصة ، ورق النخل ، وانما ذكر خوص البصرة ، لأنّ النخل في البصرة ، يزيد على النخل في جميع انحاء العالم اضعافاً مضاعفة .
٣ ـ الجبل ، او الجبال : هي المنطقة التي ما بين اصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري (معجم البلدان ١٥/٢) .
٤ ـ الجزيرة : المنطقة التي تشتمل على ديار بكر وديار مضر سميت الجزيرة لانها بين دجلة والفرات ومن امهات مدنها الموصل وماردين وآمد وميافارقين ونصيبين وسنجار (معجم البلدان ٧٢/٢) .
٥ ـ القاطول : نهر حفره الرشيد في منطقة سامرا قبل ان تعمر ،وكان فوقه القاطول=

الموصل ، ونبق الأهواز ، وزيتون فلسطين ، والك ، أصدقائي طفسه ، وزيبقي ، وصباح الطاق ، وسخطة بن أبي البغل ، وموسى سلحة ، وجعيفر بن الكلبة ، وكردويه ، وزريق بن وردان ، وعاقول الأرمني ، وغلبية أخو حربة بن السلقي ، وعلوان الباقلاني ، وركويه المكاري ، وحرمل بن خردل ابن عم السماط الصقلبي ، والك ، تعرفني أو لا ؟ أنا آكل رمل ، أخرا [ص٢٤٦] صخر ، أبلغ نوى ، أخرا نخل ، والك ، أنا الموج الكدر ، أنا القفل العسر ، أنا النار ، أنا العيّار ، أنا الرحى إذا آستدار ، أنا مشيت أسبوعين بلا راس ، أنا الذي أسّست الشطارة ، وبوّبت العيارة ، أنا فرعون ، أنا هامان ، أنا نمرود بن كنعان ، أنا الشيطان الأقلف ، أنا الدبّ الأكشف ، أنا البغل الحرون ، أنا الحرب الزبون ، أنا الجمل الهائج ، أنا الفيل المغتلم ، أنا الدهر المصطلم ، أنا العسر اللزوم ، أنا السبع الغشوم ، أنا بوق الحرب ، وطبل الشغب ، أنا طوف الله الجانح في بحر القلزم ، أنا القدر ، أنا الحذر ، أنا الحجر ، أنا أخرق الصفوف ، وأضرب [م١٣٨] العسكرين ، أنا مشهور في الآفاق ، بضرب الأعناق ، أنا الربيع إذا قحط الناس ، أنا الغنيّ إذا ظهر الافلاس ، أنا أشهر من العيد ، أنا أشدّ من الحديد ، أنا اللنجر ، أنا مرداس بن عمرو ، أنا الأشتر ، أنا الجلندي بن كركر ، أنا أبو علي الأعور ، إبليس إذا رآني أدبر ، أنا الباقعة الشاطر ، أنا قلاّع القناطر ، أنا أهدى من القطاة ، وأحذر من العقعق ، وأولع من الذباب ، وألجّ من الخنفساء ، وأحدّ من النورة [ص٢٤٧] وأغلى من التّرياق ، وأمرّ من العلقم ، وأشهر من الزرافة ، أنا حبستُ في أجمة فأكلتُ ما فيها من السباع ، وجعلت الحشيش بقلي ،

= الكسروي حفره كسرى انو شروان ، يأخذ من جانب دجلة في الجانب الشرقي ، وعليه شاذروان (سدّ) فوقه يسقى رستاقاً بين النهرين من طسوج بزرج سابور (معجم البلدان ١٦/٤) .

وطعامي الصيد ، وشرابي الدم ، ونقلي أدمغة الأفاعي ، قطعت عروقي بكلّ خنجر ، ورضرضت عظامي بكل منجر [1] ، جوّاب المحابس والمطابق [2] ، وقطعت فيها بالصبر أكباد الخلايق ، أنا شهدت الغول عند نفاسها ، وحملت جنازة الشيطان ، وشققت شدق النمر ، وشدّيت [3] على الأسد الإكاف ، أنا قتلت ألف ، وأنا في طلب ألف ، هذا وجهي إلى الآخرة ، أنا مرتشي ، هل لك حاجة إلى مالك خازن جهنم ؟ والك ، تعرفني ؟ هذا حمدون ربي في حجري ، يجني جناية ودقّ منها الصلب [4] ، وحمدان [أنا] ربّيته ، أنا ضربت ألف سوط فما عبست ، نفيت — ونور الله — إلى الشاش وفرغانة ، ورددت إلى طنجة ، وافرنجة ، وأندلس ، وإفريقية ، وإلى قاف ، وخلف الروم ، وإلى سدّ ياجوج وماجوج ، وإلى كلّ موضع لم يبلغه ذو القرنين ، ولم يعرفه الخضر ، فما قلقت لها ولا علقت فيها [5] ، البيضة مني — ونور الله — تسوى [ص٢٤٨] ألفاً ، لو حُضِنَتْ يخرج منها ألف شيطان ، لو ضرب عنقي ما متُّ — وقدر الربّ — بعد سنة ، لو كلّمني رجل رأسه فوق العيّوق [6] ، ورجلاه يلعبان في الرثوق [7] ، لم أكلّمه إلّا كلمة أبدّد بها عظامه ، فلا تجمع إلّا في

١ — المنجر : الحجر المحمي يسخّن به الماء .
٢ — المطبق : السجن تحت الارض ، سمّي بذلك لانه يطبق على المسجون ، فيحول بينه وبين رؤية النور ، ويتركه في ظلام دامس ، وعزلة موحشة للتفصيل راجع كتابنا موسوعة العذاب الباب الرابع : الحبس والغل والقيد ، الفصل الاول : الحبس ، القسم الثاني : السجون غير الاعتيادية ، البحث الثاني : الحبس في المطبق .
٣ — شدّيت : عامية بغدادية ، ما زالت مستعملة ، فصيحها : شددت .
٤ — فيها تصحيف لم اهتد إلى اصلاحه .
٥ — القلق : الاضطراب والانزعاج .
٦ — العيوق : من نجوم السماء .
٧ — الرثوق : الظلمات ، وفي الاصل : الدبوق .

أشهر ، أو خزمت أنفه ، وجعلته في قرنه ، وصفعتُ بهما أصلع رأسه ، مع رطلين من خراه ، لو كلّمني رجل رأسه من حديد ، وبدنه من نحاس ، ورجليه من رصاص ، لصفعته صفعة أطيّر بها أنفه من قفاه ، لو كلّمني رجل يطفي بسباله النار ، لعقدت شعر أنفه إلى شعر إبطه ، وأدرته حتى يشم فسا باب [م١٣٩] استه، لو نخرت نخرة [١] لخرّت صوامع النصارى، وتحطّمت قصور بني اسرائيل ، والك ، أنا زريق الجنّي ، ما يتهيأ لفرعون أن يقطّب في وجهي ، أو يقوم بقربي ، أو يناظرني كلمة بكلمة ، رأسي سندان ، ولحيتي خنجر ، وسبالي نافروت [٢] ، ونابي سكين جزار ، ويدي مطرقة حداد ، عسى ينطق واحد ، يا ابن الصفعانة ، يا ابن الطردانة [٣] ، لعلّك تتكلم بكلمة يا ابن الذوّاقة [٤] ، الهرّاشة [٥] ، الفراشة [٦] ، الحوّاشة [٧] ، يا كلب ، انبح ، املا عينك منّي ، تملأها من [ص٢٤٩] شيطان اسمه سقلاب ، يلعب بك في الطبطاب [٨] ، ويفسو عليك فسو الصبعوة في الوطاب [٩] ، لولا انّي أخاف على الثرى لنخرت

١ ــ النخرة : مدّ الصوت والنفس في الخياشيم .
٢ ــ نافروت : فارسية ، غير متهدّلة ، بمعنى ان سباله اي شاربه مرفوعة إلى الاعلى والبغداديون يعبّرون عنها على سبيل الطنز بانها « قعّيدي » .
٣ ــ يقال : الماء الطرد ، اي الذي تخوضه الدواب ، ومكان طرّاد ، اي واسع ، ويقال : أطردنا الغنم ، أي ارسلنا التيوس في الغنم .
٤ ــ الذوّاقة : السريعة النكاح ، السريعة الطلاق (لسان العرب) .
٥ ــ الهراشه : المهارشة : المواثبة والمقاتلة .
٦ ــ الفراشة : فرش النبات ، انبسط على وجه الارض ، وفرّش الطائر ، رفرف بجناحيه ولم يقع ، وفي الكلمة كناية عن عهر الخلوة .
٧ ــ الحوّاشة : المنسوبة إلى الحواشة وهي كل ما يستحيا منه .
٨ ــ الطبطاب : صوت الماء بالوادي اذا سال .
٩ ــ الوطاب : مفرده الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه .

نخرة نصفها صاعقة ، ونصفها زلزلة ، والك ، والله ، انّي أضعك في جيبي ، وأنساك حتّى تعفّن ، أقطع رأسك وأجعله زرّ قميصي ، أستنشقك فلا أعطسك إلاّ في الجحيم ، أشربك فلا أبولك إلاّ على الصراط المستقيم ، إذا صاح آدم وامفقوداه ، أحسوك ، ثم أفسوك ، ثم أردّك إلى كلّ ما يسوك [1] ، والك ، تعرفني ؟

أنـــا الذي لو مزج البحـــر بي ... تكدّرت بي لجّة البحـــر
أنـــا الذي لو عثر النيـــل بي ... أصبح ماء النيل لا يجري
أنا الذي لو وسّدوني الـــثرى ... ضججّت قبور الناس من قبري
أو قرن الشيطان في الليـــــل بي ... تعوّذ الشيطان مـــن شرّي
والسبـــع لو لاطمتـــه حـــاسراً ... فلّ شبا مخلبه ظفـــري
ولـــو تلقّيـــت صدور القنـــا ... كسرتها بالطعن في صدري
والسيف لو أجريتَ ذكري لـه ... ولّى وقد قطّعـــه ذكـــري
أنا الذي يخـــرا ولكنّــــه ... بذقن أمثالك يستبري [2] [٢٥٠]

والك ، تعرفني ؟ لو كلّمني الفيل لخرس ، ولو ضمّني البحر لييس ، ولو عضّني الأسد لضرس ، ولو رآني نمرود لاتّرس ، يا كلب ، أنا أنا ، من أنت يا آفة ، يا عاهة ، يا عرّة ، يا خرا في صرّة ، يـــا حشف منبوذ ، يا خرا اليهود ، يا رجيع الهنود ، يا رأس الطومار ، يا يا ذنب الحمار ، يا خرا الفار ، يا سواد القار ، يا درديّ العصّار [3] ،

١ – مايسوك : اصلها ما يسوءك ، حذفت الهمزة على طريقة البغداديين في حذفها .
٢ – الاستبراء : طلب البراءة ، اي النظافة والاستنقاء من بقية ما في الهن من بول بتحريكه ونثره ومسحه حتّى يقطر جميع ما فيه .
٣ – الدرديّ من النبيذ والزيت : الكدر الراسب في اسفله .

يا كدين القصّار [1] ، يا مجمع الأقذار ، يا قدر [م١٤٠] بلا ابزار ، يا بيرم النجّار [2] ، يا زنبيل القمّاش [3] ، يا خلقان الكدّاش [4] ، يا أحمق يا طيّاش ، يا قلساً مفتول ، يا حائطاً موصول ، يا دبّاً مغلول ، يا مسدّ المجراة ، يا حشو المخلاة ، يا ورق الكمأة [5] ، يا طين الحمأة [6] ، يا خشونة السَفَن [7] ، يا دلواً بلا رسن ، يا برد العجوز ، يا كرب تمّوز ، يا درهماً لا يجوز [8] ، يا وسخاً في مغابن البدين [9] ، يا خجلة العنّين ، يا حديث المغنّين ، يا وطأة الكابوس ، يا تخمة الرؤوس ، يا رمد العين ، يا فراق المحبّين ، يا ثريد الزقوم ، يا طريد اللوم ، يا نتن الثوم ، يا خوف الوعيد ، يا كلام [ص٢٥١] المعيد ، يا أقبح من حتّى ،

١ ـ الكدن : جلد كراع يدبغ ويستعمل مثل الهاون يدقّ فيه ، والقصار الذي يحوّر الثياب ويبيضها .

٢ ـ البيرم : العتلة ، وهي العصا الضخمة من الحديد ، او الهراوة الغليظة .

٣ ـ زنبيل القمّاش : الزنبيل معروف ، وقد يسمى زبيلاً ، بحذف النون ، وعاء ينسج من الخوص ، والقمّاش : الذي يجمع القماش وهو الرديء من كل شيء ، وقماش الناس رذالهم .

٤ ـ خلقان الكداش : الخَلَق : البالي من كل شيء ، والكداش : الشحاذ ، اقول : الكدّاش ، كلمة يطلقها البغداديون على الذي يسوق الاكديش ، قال الملاعبود الكرخي :

صارت فرطنه ويطعن بها الكدّاش

٥ ـ ورق الكمأة : يعني لا شيء ، لأنّ الكمأة لا ورق لها .

٦ ـ طين الحمأة : الطين معروف ، والحمأة : الطين العفن ويسمونه في بغداد : السيان

٧ ـ خشونة السفن : السَفَن قطعة خشناء من جلد ضبّ أو سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة .

٨ ـ الدرهم الذي لا يجوز : الذي لا يصرف ، والبغداديون يسمونه : قَلْب .

٩ ـ المغابن : طيّات البدن .

في مواضع شتّى [1] ، يا بربخ الكنيف ، يا تنحنح المضيف ، عند قلب الرغيف ، يا جشأ المخمور ، يا قلق المصدور ، يا وتد الدور ، يا أربعاء لا تدور [2] ، يا رحى على رحى ، يا داء بلا دوا ، يا عمى على عمى ، يا سطحاً بلا ميزاب ، وعوداً بلا مضراب ، ورعداً بلا سحاب ، ويا قميصاً بلا زرّ ، ونهراً بلا خرّ [3] ، ويا بهراً على بهر ، يا راس الأفعى في الطريق ، يا برنس الجاثليق ، يا بول الخصيان ، يا لهف النسيان ، يا سبت الصبيان[4] ، يا مؤاكلة العميان، يا دفع العيان، يا قرار المخازي، يا فضول الرازي ، يا بخل الأهوازي ، يا قراد القرود ، يا لبود اليهود ، يا فسوة السود ، يا نكهة الأسود [5] ، يا ضرطة في السجود ، يا عدماً في وجود ، يا كلباً في الهراش ، يا قرادة في الفراش ، يا قرعة [6] بماش ، يا دخان النفط ، يا صنان الابط ، يا بذل الطلاق ، ومنع الصداق ، يا وحل الطريق ، ويا ماء على الريق ، يا قلح الأسنان ، يا وسخ الآذان ، يا أشدّ من قلس ،

١ ــ لم أعرف وجه قبح حتى في مواضعها الشتّى ، فانّ حتّى تأتي في عدّة مواضع ، تأتي حرفاً جاراً يدل على الانتهاء ، نحو : اكلت السمكة حتّى رأسها ، وتدخل المضارع منصوباً بأن المصدرية المقدرة ، فتفيد الغاية ، نحو سرت حتّى أدخل المدينة ، أو تفيد العلة ، نحو ترهبت حتّى أتوب ، وتأتي حرف عطف بمعنى الواو ، نحو : اكلت السمكة حتّى رأسها ، وتكون حرف ابتداء نحو : فواعجبا حتّى كليب تسبني .

٢ ــ اسلفت ان البغداديين يتشاءمون من يوم الاربعاء فلا يسافرون فيه ، ولا يتزوجون ، واما الاربعاء التي لا تدور فهي آخر أربعاء في الشهر ، لأن الشهر ينتهي قبل ان تعود في أيامه .

٣ ــ الخرّ ، ما خدّه السيل من الارض .

٤ ــ سبت الصبيان : يلزمهم الرواح إلى الكتّاب بعد عطلة الجمعة .

٥ ــ المشهور المتعارف بين الناس ان الاسد أبخر كريه النكهة .

٦ ــ كذا في الاصل ، وصوابها : يا قرعية بماش ، اخذهـــا من المقامة الدينارية من مقامات الهمذاني ص ٢٢٠ والقرعية طبيخ القرع .

يا أقلّ من فلس ، يا أحطم من جراد ، يا أوحش [ص٢٥٢] من رماد ، يا أكره من غريم أتى على ميعاد ، يا أبشم [1] من حديث يعاد ، يا أبرد من الثلج فوق الجليد ، يا أوحش من القيح بين الصديد ، يا

خيارة في الثلــج مدفونــــة يوم شمــــال بنهاوند [2]

يا أمرّ من طعم السؤال ، يا أضرّ من معاداة الرجال ، يا أنكر من ضغث شوك في حديقة نرجس ، وأجهل من طالب خطبة من أخرس [3] .

١ ــ البشم : السآمة .

٢ ــ نهاوند : وتسمى ماه البصرة ، مدينة عظيمة في قبلة همذان، على جبلها ثلج لا يذوب في الصيف ، للتفصيل راجع معجم البلدان ٨٢٧/٤ ــ ٨٣٠ .

٣ ــ اورد التوحيدي هذا الكلام في البصائر والذخائر ج ٤ ص ١٧١ ــ ١٧٤ مع بعض الاختلاف ، ونسبه هناك إلى اربعة من الشطّار ، تزاحموا على امرد ، وقد رأيت من المستحسن ان أثبت في هذه الرسالة ، ما اورده هناك ، لزيادة الفائدة ، قال : اجتمع اربعة من الشطّار ، يقال لاحدهم صحناة ، وللآخر حرملة ، وللثالث غزوان ، وللرابع طفشة ، ومعهم غلام أمرد ، يريد ان ينقطع إلى واحد منهم ، فتحاكموا إلى شيخ منهم ، فقال الشيخ : ليذكر كل واحد منكم ، ما فعله ، وما يقدر عليه ، حتى أخيّر الغلام ، فيصير إلى من أحبّ ، فقام صحناة ، فقال : وال أمّك ، صغروني في عينك ، وتراني يا ابن الغلابة ، انا هامان ، انا فرعون ، انا عاد ، انا الشيطان الاقلف ، انا الذيب الاكلف ، انا البغل الحرون ، انا الحرب الزبون ، انا الجمل الهايج ، انا الكركدن المعالج ، انا الفيل المغتلم ، انا الدهر المضطرم ، انا البعير الشارد ، انا بوق الحرب ، انا طبل الشغب ، محبوس (؟) شرّي وعرّي ، ضروب قايم ونايم ، مبطوط الاليتين ، معطل الدفتين ، لو ضرب ربك عنقي قمتُ بعد سنة ، وقام حرملة ، فقال : يا ابن الصفعانة ، أنا حبست في واحة ، أكلت ما فيها من السباع ، وجعلت الحشيش بقلي ، أنا طوف الله الجانح في بحر القلزم ، لو كلمني رجل بغر (؟) سباله ، لعقدت شعر انفه إلى شعر استه حتى يشم فساه القنفذ ، ولو كلمني رجل ، لكمته لكمة فأدقّ عظامه ، فلا تجتمع في شهر ، لو كلمني ، أخزم أنفه،واخرزه في قربة ، =

....

= وأصفعه صفعة فأقلع رأسه ، طعامي الصبر ، وشرابي الدم ، ونقلي أدمغة الافاعي ، انا اسّست الشطارة ، انا بوّبت العيارة ، يا ابن الذراعة ، الهراشة ، الفراشة ، الملاشه ، النغاشة ، من يتكلم ؟ قولوا ، فقال غزوان : أيش تقول ، يا ابن الطردانة ، انا القدر ، انا الحذر ، انا الصخر ، أنا أبو ايوان كسرى ، جواب المحابس والمطابق ، انا قطعت أكباد الخلايق ، أنا أخرق الصفين ، واضرب العسكرين ، رفاقي صيّاح اللكم ، وجعفر بن الكلب ، وموسى سلحة ، وعيسى زكرة ، ودكويه الباقلاني ، ومروح الشماط ، ونفطويه المكاري ، نقلوني — ونور الله — إلى الشاش وفرغانة ، وردّوني إلى طنجة وافرنجة ، واندلس وافريقية ، وبعثوا بي إلى قاف ، وخلف الروم إلى السدّ ، وإلى يأجوج ومأجوج ، إلى موضع لم يبلغه ذو القرنين ، ولم يعرفه الخضر ، انا شهدت الغول عند نفاسها ، وحملت جنازة الشيطان ، انا فرعون ذو الاوتاد ، غير جبار ان لم اقنص روحك ، مشيت سنة بلا راس ، قطعت عروقي بكل خنجر ، ورضت عظامي بكل منجر ، لو نخرت نخرة خربت صوامع النصارى ، وحطمت قصور بني اسرائيل ، لو عضّني — ونور الله — القرس لضرس ، ولو كلمني ابليس لخرس ، ولو رآني العفريت لخنس ، من ينطق بعد هذا ؟ فقال طفشة : انا قتلت الف ، وانا في طلب الف ، يا ابن الجارية ، يا اخ القحبة ، تقطّب في وجهي ، وتقوم تعيّرني ، وتناظرني كلمة وكلمة ، اما تعلم ان رأسي مدوّر ، ولحيتي خنجرية ، وسبالي مقصلي ، واستي خرسا ، وانا مشهور في الآفاق ، بضرب الاعناق ، لا يجوز عليّ المخراق ، انا الربيع اذا قحط الناس ، انا الغني اذا كثر الافلاس ، انا اشهر من العيد ، سل عنيّ الحديد ، في المطبق الجديد ، البيضة مني — والله — تسوى الف ، ولو حضنت خرج منها ألف شيطان ، انا شققت شدق النمرود ، وشدّيت على الاسد الاكاف ، انا كلب ، انا انبح ، انا السحر ، انا الجلندي بن كركر ، انا الامير طاهر الاعور ، لو كلمني رجل راسه من نحاس ، ورجليه من رصاص ، اصفعه صفعتين ، فأصيّر أنفه في قفاه ، انا السيل الهادر ، انا الغيث الماطر ، انا قلاع القناطر ، انا العب بك في الطبطاب ، وافسو عليك فسو الصعوة [في الوطاب]، اسم شيطاني سقلاب، انا أقسى من الحجر ،وأهدى=

يـــا قراداً في آســـت قـرد يا خرا فارة عَرْد [1]
يا صنان الزنـــج في أصـــ ـل خصا دبّاغ جلـــد

آخـــر

[م١٤١] يا ذنب القرد ويا قملـــة في أصل مفسا جرب المخرج

آخـــر

يا دبلة في الفؤاد قـــد نغلـــت من أسف قاتل ومن كمد
ويا مقيتاً جرى إلى ثقـــل الـــر وح بلا غاية ولا أمـــد
ويا فتى أرخصت نوادره الغـــ ـثّة سعر الثلوج والـــبرد
يا طلق حبلى كالقرن متئمـــة ماتت على طلقها ولم تلد[ص٢٥٣]
يـــا ورماً في المعى يدلّ عـــلى برد مزاج الطحال والكبد
يا طعنة في الوريد نافـــــذة الـ خرق بلدن المهزّ مطّرد
يا ضربة في الوتـــين قاطعـــة بمرهف الحدّ غير ذي أود
لم يغن منهـــا لباس سابغـــــة ذات غضون وشيجة الزرد
أردد جوابي فما أظنّك بالـــــ جواب ذا قوّة وذا جلد
وإن أردت الفرار فانـــجُ وإن ملتَ إلى العود بعدها فعُد

= من القطا ، وأزهى من الغراب ، وأحذر من العقعق ، وأولع من الذباب ، وألجّ من الخنفساء ، وأحدّ من النورة ، وأغلى من الدرياق ، وأضرّ من السم ، وأمر من العلقم ، وأشهر من الزرافة ، انا الموج الكدر ، انا القفل العسر ، راسي سندان ، أيش ترون ، من ينطق ؟ واورد التوحيدي كذلك في البصائر والذخائر ج ٣ ق ١ ص ١٢٠ و ١٢١ سباباً مماثلاً لما اورده في هذه الرسالة ، قال : سمعت مخنثاً يشتم آخر ، ويقول : يا سفل السفل ، انظروا يا قوم إلى فمه كأنّه فقحة ، وإلى عينيه كالخصيتين في است ملاح ، يا طاعون ، يا ملمّع ، يا أوحش من هول المطلع ، يا خرا الاعلاج ، يا مصاص الاوداج ، رأيت في بطنك ألف خراج .

١ — في الاصل : يا حدا ماره عرد .

آخــــر

يــا نذل إنّ القبيح عنــــدي	حماقه [1] حــــاضر مروّج
يا آبن التي تنشر المخـــاصي	في الليل ثوب آستها المدمّج
يا آبن التي تلكــم المخـاصي	في الليل فلكّ آستهــا المعوّج
يا آبن التي تنهش المخــاصي	في الليل لحم آستها الملهوج
يا آبن التي فوق رأس أيــري	اقطاع قطن آستها المخرّج [2]
عجوز ســوء تمشي بســـرم	إذا مشى في الكنيف هملج
خذهــا ففيهــا حريــق نيك	على حرِ الأمّ قد تعجعج
وانتظـــرن بعــد ذاك صفعـــاً	فرداً بنعل الخرا ومزوج [ص٢٥٤]

ثم يصيح ويقول :

يــا معشر القــــوم الحضورِ	بإمامكـــــم يوم الغديــر
وبحـــقّ قرّة عينــــه الـــ	ـمدفون في قبر النذور [3]

١ ــ الحماق : مرض يشبه الجدري .

٢ ــ المخرّج : الملوّن بلونين ، الابيض والاسود .

٣ ــ قبر النذور : هو قبر عبيد الله بن محمد العلوي ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢٨/٤٠ انه « مشهد بظاهر بغداد ، على نصف ميل من السور » ، وقال التنوخي في نشوار المحاضرة ج ٥ ص ٣٦ : انه رافق عضد الدولة في سفره إلى همذان ، وانّ عضد الدولة خيّم خارج بغداد ، « بالقرب من مصلّى الاعياد » فوقع طرفه على البناء الذي على « قبر النذور » ، ومصلّى الاعياد هو البراح الذي كان الخليفة في يوم العيد يستعرض فيه جيشه، ثم يصلّي العيد ، وهذا الموضع كان في آخر محلّة المأمونية ، قرب الحلبة (معجم البلدان ٦٦٥/٤) ، ويتضح مما تقدم ان قبر النذور ، يقع خارج السور ، قرب باب الحلبة ، حيث الطريق الذي يسلكه المسافر إلى همذان ، وقد رأيت الدكتور مصطفى جواد ، والدكتور احمد سوسه ، عيّنا موقع قبر النذور في خارطة بغداد (ح٢ رقم ٣٤) ودليل خارطة بغداد (ص ١٠٨ و ٣٢٠) داخل =

اصغوا إليّ وتمّموا … بسماع إنشادي سروري
هذا الذي عَصَر الخرا … في جوف لحيته بجير
[م١٤٢] قد صار من إدباره الـ … ـكشخان يغضب من حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا … مثل الفسا بعد البخور
فتفضّلوا قولوا له … يا فسوة الطفشيل طيري
يا فسوة الطفشيل مهـ … ـلاً قد سقطت على الخبير
يا ابن التهالك في الزنا … يا ابن التمرّد في الفجور
يا ابن التي تدعو الأيور … إلى خراها بالنفير
فترى الزناة على استها … مثل الغزاة على الثغور
لكنّ ثغر حمى استها … يغزى بصلب الروس عور
هذا يقول تفلّقي … تحتي وذاك يقول دوري
قوم إذا طرقوا استها … في الليل بالجمّ الغفير [ص٢٥٥]
حلبوا الفياش على فرا … ش الشيخ والدك الغيور
ركبان (١) ما مخضوا له … من ذلك اللبن الغزير
يا ابن التي حرها تحتـ … ـم شفره بالجاوشير
يخشى عليه مثل ما … يخشى على الطفل الصغير
يا هيضة عرضت لشيـ … ـخ مقعد زمن ضرير
يخرى فيخرج سرمه … شبرين من وجع الزحير
يا ابن التي في بطنها … جمعت أضابير الأيور
يا تخمة بعد العشا … في الصوم من تخم السحور
يا نتن ريح خرا اليهو … د الفجّ في عيد الفطير

= محلة الرصافة (منطقة المقبرة الملكية) شمالي محلة باب الطاق (الصرافية) ظنّاً منهما بأنّ قبر أبي رابعة ، هو قبر عبيد الله بن محمد العلوي .

١ ـ كذا في الاصل ، ولم افهمها ، ولم استطع ان اردها إلى اصلها الصحيح .

وفـــا النصـــارى في التنـــ ـهسّ قبل صومهـــم الكبير
يـــا ريح سرقـــين البغـــا ل يداف في بول الحمير
يـــا نـــتن رائحة الطبيـــ ـخ إذا تغيّر في القـــدور
يـــا عثرة القلـــم المرشـّ ش بين أثنـــاء السطـــور
يـــا أربعـــاء لا تـــدو ر ويا محاقات الشهـــور
يـــا قرحـــة في نـــاظـر غلطوا عليها بالذرور [ص٢٥٦]
فتسلّخـــت مع مـــا يليـ ـها في الجفون من البثور
[م١٤٣] يا طول حمى الرنح تهـ ـدم قوّة الشيـــخ الكبـــير
فـــاذا استحالت صالبـــاً أصلته في نـــار السعير
يـــا ضجـــرة المحموم بالـ ـغدوات من مـــاء الشعير
يـــا حدّة الرمـــد الـذي لا يستفيق من القطـــور
يـــا خيبـــة الأمل الطويـ ـل أغرّ بالعمـــر القصير
يـــا غمّـــة الكنّاس مـــن شـــمّ الذرائـــر والعبير
يـــا قعـــدة في دجلـــة والـــريح تلعـــب بالجسور
يـــا جلســـة في [شمس آ ب] على التراب بلا حصير
تحـــت السما والشمس تـــو قد نارهـــا حرّ الهجـــير
يـــا كـــلّ شيء متعـــب متعقّد صعـــب عسير
يـــا ابن الزنا بالحـــايضـا ت وقد بعدن من الطهـــور
يا همـــة القـــرد الوضيـ ـع ونكهة الليث الهصـــور
يـــا نهشـــة الأفعى الأصـ ـمّ وعضة الكلب العقور
يـــا ذلّ عـــان موثـــق في القيد مغلول أسير [ص٢٥٧]
وقعـــت عليـــه بنو كـــلا ب والمشوم بلا خفير (٢)

١ — الحمى الصالب : الحمى الشديدة ومعها رعدة .
٢ — في اليتيمة : (٣٨/٣) :
من لي بان تلقاك خيـــ ـل بني كلاب بلا خفير

يا ذلّـــــة المظلـــوم أصـــــ	ـبح وهو معدوم النصير
يـــــا فجأة المكــــروه في الــ	ـيوم العبــوس القمطريــر
يــــا طلعـــــة الإدبار والـــ	ـخذلان والشــوم المبــــير
يــــا حـــيرة الشيخ الأصـــ	ـمّ وحسرة الحدث الضرير
يــبا حرقـــة العطشان وقـــ	ـت الظهر في وسط الهجير
يـــا عسر مجــرى البول لـــ	ـجٍّ بمقعد شَنِـجٍ (١) فقير
يـــا وحشـــــة الموتى إذا	صاروا إلى ظلـــم القبور
يـــا مأتمـــاً فيــــه تـــذا	ل وجوه ربّـــات الخدور
كلّــت مقـــاريض النــــو	ائح فيه من جزّ الشعور
يــــا شوم بخت شقيّــــــة	قد عمّرت عمـــر النسور
[م١٤٤] شق القوابل صدعهـــا	عن تسعـــة مثل البــدور
حـتّى إذا شبّـــوا لهـــا	وتلاحقوا مثــل الصقــور
وقعــــت عليهـــم سترة (٢)	بالطول في يــــوم مطير
فرأتهـــــم ولحومهـــــم	في الدار تجرف بالمرور (٣) [ص٢٥٨]
ثكلتك أمّك هـــــــل تحـــ	ـسّ بما ارتكبت من الغــرور
أرآك (٤) مـــن خالفتـــــه	جهـــلاً مخالفـــة النظــير

= وأرى بعيني لحمك الـــــ	ـمطبوخ في نـــار السعير
في الارض ما بين السبـــا	ع وفي السما بين الطيور

١ ـ الشنج : الذي يعرض له تقلّص في الاعصاب يحول بينها وبين الانبساط .

٢ ـ السترة : من السّتر وهو الحاجز الذي يحجب النظر عما وراءه ، والسّترة : حائط يدور حول سطح الدور يحجب من فيه ، والبغداديون يسمّون السّترة في السطح : تيغه ، فارسية ، بمعنى كل ذي طرف حاد ، وسبب هذه التسمية لان السّترة تبنى بطبقة واحدة من الطابوق (الآجر) تتراكب على اطرافها الخفيفة .

٣ ـ المرّ : اداة تشبه الفأس ، يكرخ بها التّراب والطين .

٤ ـ في الاصل : أيراك .

مـــن صفعـــة منه يبـــ — ـطّ بها قفا بهرام جور
مـــن ليس يكنس بـــابـه — إلاّ بلحيـــة أردشـــير
مَـــنْ دون دون غلامـــه — رَبُّ الخورنـــق والسديـــر
مـــن سيفـــه نقل العصـــا — ة من القصور إلى القبور
مثـــل السجـــلّ كتابـــه — يبقى إلى يـــوم النشور
بكـــرٌ إلى خطّـــابهـــا — في الوشي تهدى والحريـــر
أحببـــتُ أن تحظـــى بهـــا — فخرجت فيها من قشوري [1]

ثم يقول :

مـــن ثاور الليث وهـــو مجتهد — أودى به الليث غير مجتهد
أو وطي الصلّ وهو معتمـــد — أودى به الصلّ غير معتمـــد

ثم يقبل على أهل المجلس ، ويقول : يا قوم ، والله

لقد طـــال صبري على النـــائبا — ت وما يبتليني به المبتـــلي
فلـــم أر صبري على محنـــة — كصبري على ذا الفتى الأرذل [ص٢٥٩]
فمـــا ما الذراريح [2] باكرتـه — بمـــاء العقـــاقير والحنظـــل
ولا تربدٌ [3] بات فـــوق الفـــؤا — د وأصبح فيه ولم يعمـــل
وسفّك صـــبراً [4] واهليلجـــاً — جريشين صبّاً على المنخل

١ — أورد الثعالبي في اليتيمة ٣/٣٧ — ٣٩ ثلاثة وأربعين بيتاً من هذه القصيدة ، منها ابيات لم يوردها التوحيدي ، فراجعها هناك .

٢ — فما ما الذرايح : اصلها : فما ماء الذراريح ، حذفت الهمزة من ماء .

٣ — التّربد : دواء مسهل فظيع الطعم ذكره ما سرجويه ، وابن سينا ، راجع ابن البيطار ١/١٣٦ و ١٣٧ .

٤ — الصبر : نبات عصارته شديدة المرارة ، قال ابو فراس : صبرت على شيء أمرّ من الصبر .

بأبشـع منـه ولا مبضـع على قرحة أو على دمّـل

آخـر

إن قلـت ستّي أين هـو ؟ تقول في جوفِ حـري
أصيـح في نيكي لهـا : تقدّمـي تأخّـري
[م١٤٥] أحسنت زه هَمْ هكذا مـدّي وشـدّي وآعصري
العيش مـا أطيـب ذا يـا مهجتي يـا بصري
لمثـل ذا الوقـت أنتفـي أو آحلقي أو نوّري [1]

ويسهو ثانياً كأنّه يتصوّر ذلك الديلمي الذي كان قد فتن به في المجلس ، ويقول :

يـا حياتي طوبى لمن يـردك حماك عنّي العدى فما أجدك
قدّك غصن لا شكّ فيـه كما وجهك شمس نهارها جسدك

آخـر

صورته أحسن من كلّ الصور
ثم القفا أحسن من وجه القمر [ص٢٦٠]
مثيلـه في الدير من قبل السحر مبارك يجلو القذى عن البصر

آخـر

شرط الزنـاء بابة اللـواط منعّمٌ أبيض كالقبـاطي
جـاء بسرم كوسج سنـاط تحزّ فيه نغمـة الضراط

١ ـ الابيات من نظم ابن الحجاج ، راجع اليتيمة ٧٧/٣ .

وينشد ، وكأنّه يخاطبه :

أنا وحدي إمام أمّـــة لـوط ... فاكفني منك كثرة التخليط
لا يهولنّ بـــاب سرمك بالليـــل نخيري وضجّتي وغطيطي
أنا أيري المجرود ينسيك بالليـــل حديث الكبربج المخروط
فيشتي في نعومـــة الخزّ ليناً ... ولعابي كالمرهم القيروطي

ثم يتمّ في النوم ، فيسمع بالغداة أوّل ما يسمع ، صياحه ويقول : أصبحنا وأصبح الملك لله ، مرحباً بالنهار الجديد ، والكاتب الشهيد ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول أبو القاسم علي بن محمد التميمي البغدادي ، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، ربّنا آمنّا بما أنزلت .... الآية [1] [ص٢٦١] ، [م١٤٦] ، بسم الله الرحمن الرحيم ، آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين [2] ، يهمس فيها ، ويجهر منها بقوله تعالى : تتجافى جنوبهم ... الآية [3] .

فيتبسّم من الجماعة واحد ، فيقول : ويحك ، أكلّ هذا الطرب بعد قتل الحسين الذبيح عليه وعلى آبائه الطاهرين السلام

لعن الله من يعـــادي عليّـــاً ... وحسيناً من سوقة وإمـــام

وينشد الأبيات على المنسوق في أوّل الرسالة ، والناموس الموصوف فيها ، ثم يقوم ويلبس الطيلسان على هيأته الأولى ، ويقول : سلام عليكم .

١ ــ تمام الآية : ربنا آمنّا بما انزلت واتّبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين (٥٣ م آل عمران ٣) .

٢ ــ ٢ ك السجدة ٣٢ .

٣ ــ الآية : تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم ينفقون (١٥ و ١٦ ك السجدة ٣٢) .

هذه حكاية أبي القاسم البغدادي التميمي ، وأحواله التي توضح لك أنّه كان عرّة الزمان ، وعديل الشيطان ، ومجمع المحاسن والمقابح ، متجاوزاً للغاية والحدّ ، متكاملاً في الهزل والجدّ ، موفوراً من الاخلاص والنفاق ، متخلّقاً منها بأخلاق أهل العراق ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيّه وآله والسلام .

* * *

رموز

= راجع

الارقام المطبوعة بحروف سوداء تشير إلى التراجم

م يشير إلى أرقام صفحات مطبوعة متن

ص يشير إلى أرقام صفحات النسخة الاصل

الفهارس العامة

فهرس أسماء الاعلام

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

ذ

ر

ز

س

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس جغرافي

فهرس عمراني

ح

د

ص

ظ

ع

غ

ق

ل

هـ

فهرس الكتب والمراجع

ابن الاثير = الكامل في التاريخ.

الأخبار الطوال : الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري — (ت ٢٨٢) — طبع القاهرة ١٩٦٠ .

أخلاق الوزيرين : التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس — طبع دمشق .

أدب الغرباء : الاصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الاموي — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — طبع بيروت ١٩٧٢ .

إرشاد الاريب الى معرفة الاديب : الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي — طبعة مرجليوث — سنة ١٩٢٤ — ٧ مجلدات .

اطلس بغداد : سوسه ، الدكتور احمد — طبع بغداد .

الأعلاق النفيسة : ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر — طبع ليدن ١٨٩١ .

الاعلام : الزركلي ، خير الدين — الطبعة الثالثة — ١٤ مجلداً .

الأغاني : الاصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الاموي — طبع بولاق — عشرون جزءاً في عشرة مجلدات .

الأغاني : الاصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي — طبع دار الكتب بالقاهرة — ٢٤ جزءاً في ٢٤ مجلداً .

الألفاظ الفارسية المعربة : أدي شير — المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

الامامة والسياسة : ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم — تحقيق الدكتور الزيني ١٩٦٧ .

الامتاع والمؤانسة : التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس — تحقيق احمد امين واحمد الزين — طبع بيروت — ٣ اجزاء في مجلد واحد .

الانوار : الشمشاطي ، أبو الحسن علي بن محمد العدوي التغلبي — طبع بغداد .

البصائر والذخائر : التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس — تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني — طبع دمشق — ٦ مجلدات .

البلدان : اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح .

البيان والتبيين (١ ـ ٤) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ـ تحقيق عبد السلام هارون ط . مصر ١٩٦٠ م .
ابن البيطار = الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .
تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ـ طبع بيروت ـ ـ ١٤ مجلداً .
تاريخ بغداد : ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الكاتب ـ طبع بيروت ١٩٦٨ .
تاريخ الحكماء : ابن القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ـ تحقيق ليبرت ـ طبع ليبزك ، ١٩٠٣ .
تاريخ الخلفاء : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ـ ط ٣ ـ القاهرة ١٩٦٤ .
تاريخ الرسل والملوك : الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير ـ طبع دار المعارف بمصر ـ ١٠ مجلدات .
تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي ، أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح ـ طبع دار صادر ببيروت ـ مجلدان اثنان .
تجارب الأمم : ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد ، تحقيق آمدروز ـ طبع مصر ١٩١٤ ـ مجلدان اثنان .
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : الصابي ، أبو الحسن هلال بن المحسّن ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ طبع البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٨ .
تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ـ طوبيا العنيسي ـ دار العرب للبستاني بالقاهرة ، ١٩٦٥ .
تقويم البلدان : أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة ـ دار الطباعة السلطانية بباريس ، ١٨٤٠ .
تكملة تاريخ الطبري : الهمذاني ، محمد بن عبد الملك ـ تحقيق ألبرت يوسف كنعان ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت .
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية : ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي ـ أربعة أجزاء في مجلدين اثنين ـ طبعة بولاق ١٢٩١ .
جمع الجواهر في الملح والنوادر : الحصري ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ـ طبعة الخانجي ـ القاهرة سنة ١٣٥٣ .

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام لأبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري (مخطوطة ليدن رقم : ٤٨٠) .
الحيوان : الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب — ٧ مجلدات — تحقيق عبد السلام محمد هارون — طبع البابي الحلبي — القاهرة ١٩٤٧ .
دائرة المعارف الإسلامية — الترجمة العربية — ١٥ مجلداً ، ١٩٣٣ .
الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة (١ — ٢) : الأصبهاني ، حمزة بن الحسن — تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر — ١٩٧٢ م .
الديارات : الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد ، تحقيق كوركيس عواد — ط ٢ — بغداد ١٩٦٦ .
ديوان البحتري : البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد — تحقيق رشيد عطية — بيروت ١٩١١ .
ديوان الرصافي : الرصافي ، معروف بن عبد الغني — ترتيب محيي الدين الخياط — تحقيق الشيخ مصطفى الغلاييني — نشر المكتبة الأهلية ببيروت .
ديوان السري الرفاء : السري بن أحمد بن السري الكندي — طبع مكتبة القدسي — مصر ١٣٥٥ .
ديوان العكوّك : أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الابناوي — جمعه الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف بمصر — ١٩٧٢ م .
ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (١ — ٢) ، القاهرة ١٣٥٢ .
رسوم دار الخلافة : الصابي ، أبو الحسن هلال بن المحسّن — تحقيق ميخائيل عواد — طبع بغداد ١٩٤٦ .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي — طبع بيروت — ٨ مجلدات .
شرح المقامات الحريرية : الشريشي ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي — جزءان اثنان في مجلدين اثنين — طبع بولاق بمصر سنة ١٣٠٠ .
شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني — ٢٠ مجلداً — طبع الحلبي بمصر .
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : الخفاجي ، شهاب الدين أحمد — مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ .
صبح الأعشى في صناعة الانشا : القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (٧٥٦ — ٨٢١) ١٤ جـ ١٤ م — مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٣١ — ١٣٣٨ .

صلة الطبري : القرطبي ، عريب بن منصور ــ طبعت جزءاً ثاني عشر لتاريخ الطبري في طبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٦ .
الطبري = تاريخ الرسل والملوك .
الطبيخ : البغدادي ، محمد بن عبد الكريم ــ تحقيق الدكتور داود الجلبي ــ بيروت.
العقد الفريد : ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ــ تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابياري ــ ط ٣ ــ ٧ مجلدات مع الفهارس ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
العيون والحدائق : لمؤلف مجهول ــ الجزء الثالث ــ تحقيق دي غويه ودي يونغ ــ طبع بريل سنة ١٨٦٩ ــ والجزء الرابع بقسمين ــ تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ــ القسم الأول طبع مطبعة النعمان بالنجف سنة ١٩٧٢
ــ والقسم الثاني طبع مطبعة الارشاد ببغداد سنة ١٩٧٣ .
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي ــ تحقيق عبود الشالجي ــ ٥ أجزاء ــ ٥ مجلدات ــ طبع دار صادر بيروت ١٩٧٨ .
الفهرست : ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن اسحاق ــ تحقيق رضا تجدد ــ طبع طهران .
قاموس الموسيقى العربية : محفوظ ، الدكتور حسين محفوظ ــ دار الحرية ببغداد ١٩٧٧ .
القانون في الطب : ابن سينا ، الشيخ الرئيس شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله ــ طبعة بولاق بالقاهرة ــ ٣ مجلدات .
القرآن الكريم .
قطب السرور في أوصاف الخمور : أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم ــ دمشق .
الكامل في التاريخ : ابن الأثير ــ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ــ عن طبعة المستشرق تورنبرغ ــ طبع دار صادر ١٩٦٦ ــ ١٣ مجلداً مع الفهرس .
الكنايات : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ــ طبع مصر .
الكنايات : للجرجاني ، ط مصر ١٩٠٨ م .
الكنايات العامية البغدادية : الشالجي ، أبو حازم عبود بن مهدي الشالجي ــ مجلد واحد ــ طبع دار صادر بيروت ١٩٧٩ .
اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (٥٥٠ ــ ٦٣٠) طبع القاهرة ١٣٥٧ ــ ٣ ج .

لسان العرب : ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (٦٣٠ ـ ٧١١) ـ اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي ـ طبع دار صادر ببيروت ـ ٣ مجلدات .
لطائف المعارف : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ـ تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ـ طبع الحلبي ـ القاهرة .
المائدة في الإسلام : الشالجي ، أبو حازم عبود بن مهدي ـ قيد الطبع .
مجلة المشرق : المجلد ٤٣ .
مجمع الأمثال : الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري ـ جزءان اثنان في مجلدين اثنين ـ طبع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٥٥ .
المحاسن والمساوىء : البيهقي ، ابراهيم بن محمد ـ جزءان ـ القاهرة ١٣٢٥ .
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : الراغب الأصبهاني ، أبو القاسم الحسين ابن محمد ـ طبع بيروت ـ أربعة أجزاء في مجلدين اثنين .
المخلاة : البهائي ، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي ـ المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ طبع القاهرة ١٩٥٥ .
مروج الذهب : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ـ من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابي ـ طبعة الشعب بالقاهرة ١٩٦٦ .
المسالك والممالك : الأصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ـ طبع مصر ١٩٦١ .
المستبصر : ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي .
مطالع البدور : الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي البهائي الدمشقي (ت ٨١٥) ، مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٩ ـ جزءان اثنان في مجلد واحد .
معجم الأدباء = ارشاد الأديب إلى معرفة الأديب .
المعجم الانجليزي العربي : اي . في . ستيس .
معجم البلدان : الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ـ طبع وستنفلد ـ ٦ مجلدات .
معجم الحيوان : المعلوف ، الدكتور أمين ـ طبع دار المقتطف ، ١٩٣٢ .
معجم دوزي ، المعجم في أسماء الألبسة عند العرب : دوزي ، رينهارت ـ أمستردام ١٨٤٥ .
معجم المراكب والسفن في الإسلام : زيات ، حبيب ـ مجلة المشرق المجلد ٤٣ .
مفاتيح العلوم : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ـ طبع مصر ١٣٤٢ .

المفردات في غريب القرآن : الأصبهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل — المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣٢٤ .

مقامات الهمذاني : بديع الزمان الهمذاني ، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني (٣٥٨ — ٣٩٨) — شرح الإمام محمد عبده — المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين — بيروت ١٨٨٩ .

مكتبة الجغرافيين العرب : دى خويه ، ميخائيل يوحنا المستشرق الهولندي (١٢٥٢ — ١٣٢٧) .

الملح والنوادر = جمع الجواهر في الملح والنوادر .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي — طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ — خمسة مجلدات .

المنجد : الأب لويس معلوف — ط ١٩ بيروت .

مهذب رحلة ابن بطوطة : ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي — تحقيق أحمد العوامري ومحمد أحمد جاد المولى — المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤ .

الموسوعة التيمورية : أحمد تيمور باشا — طبع الدار القومية بالقاهرة ١٩٦١ .

موسوعة العذاب : الشالجي ، أبو حازم عبود بن مهدي — قيد الطبع .

الموشّى في الظرف والظرفاء : الوشّاء ، أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى — طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٥ .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : التنوخي ، أبو عليّ المحسّن بن عليّ القاضي — تحقيق عبود الشالجي — ٨ ج في ٨ م — طبع دار صادر ببيروت .

نكت الهميان في نكت العميان : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك — تحقيق أحمد زكي باشا — القاهرة ١٩١٣ .

الهفوات النادرة : غرس النعمة ، أبو الحسن محمد بن هلال الصابي — تحقيق الدكتور صالح الأشتر — دمشق ١٩٦٧ .

الوزراء = تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ، القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان — تحقيق الدكتور احسان عباس — طبع دار صادر ببيروت — ٨ مجلدات مع الفهـــارس .

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٥٦ — أربعة أجزاء في مجلدين اثنين .

«...هذا الكتاب نقد اجتماعي وديني، في الأصل، غير أنه يتجاوز ذلك الى العبث بالطريقة التي ظهرت مؤخراً على يد الدادائيين: تهشيم اللغة، وفركشة العبارات والأفكار بذريعة تدمير الحالة الراهنة للمجتمع والطبيعة. ويبدو أبو القاسم البغدادي متحِلّلاً من كل ارتباط بالوسط وفرضياته ومن هنا تحولت لديه مبادىء الدين والأخلاق، والتقاليد، الى ألاعيب لغوية معيارها الوحيد قدرته الذاتية على اختلاق العبارة أو إعادة صوغها لتندمج في سياق أحاديثه، التي تفتقر الى خطوط واضحة للبداية والنهاية...»

هادي العلوي

منشورات الجمل ١٩٩٧